

الصليبيون

والحركة الفاطمية في اليمن

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

تأليف

حسين بن فيصل الله الهمداني

المعروف بالمعري



الجمهورية العربية السورية | السلطة التاريخية
وزارة الإعلام والثقافة | ٣ - ٤

الصُّلِحِيُّونَ

وَالْحَرَكَةُ الْفَاطِمِيَّةُ فِي الْيَمَنِ

(من سنة ٢٦٨ هـ إلى سنة ٦٢٦ هـ)

تأليف

حُسَيْنُ بْنُ فَيْضِ اللَّهِ الْمَمْدَانِي

اليعنبري الحزازي

شبكة كتب الشيعة

بالاشتراك مع

الدكتور حُسينُ سُلَيْمانُ مُحَمَّدُ الْجَاهِي

الدرس الأول في المواد الاجتماعية بالمرطوم الثانوية المصرية

shia-books.net

رابط بديل < mktba.net

سنة البحوث البينية رقم ١

المعهد الممداني للدراسات الإسلامية

(أنشأها سيدي محمد علي الممداني اليعربي في سنة ١٣٠٥ هـ)

المدير : الدكتور حسين الممداني

تتبع دار المختار للبحث والنشر - دمشق

ص.ب : ٥١١٨

هاتف : ٨٨٢٢١٢

نُفْرَعِم

لقد أولت وزارة الاعلام والثقافة في بلادنا الجمهورية العربية اليمنية الكتاب اهمية خاصة لما له من تأثير علينا وفي حياة الشعوب كلها وحياة الانسانية بوجه عام ، ولما له من ضرورة حية بالنسبة لمجتمعنا اليمني. فوضعت خطة لنشر مائة كتاب عن اليمن ارضاً وشعباً خلال خطة زمنية معينة ورصدت لهذه المهمة الجليلية الاموال اللازمة ..

ولقد زودت المكتبة اليمنية والمكتبة العربية بعدد من الكتب خلال الفترة الزمنية السابقة ، اشتملت تلك الكتب على الادب والشعر والتاريخ والتراجم .. وغير ذلك من الموضوعات التي تثري المكتبة اليمنية خاصة والعربية بشكل عام بالكتاب اليمني ..

واليوم تقوم وزارة الاعلام والثقافة « باعادة » طبع هذا الكتاب الجليل والسفر العظيم (الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن) اذ أن الكتاب قد طبع عام ١٩٥٥ م في القاهرة . وهو لا يحتاج الى مزيد من التعريف اذ ان الاستاذ مصطفى السقا قد صدر هذا الكتاب بمقدمة ضافية ، كما ان المؤلف نفسه قد قدم الكتاب ايضاً لكننا فقط نريد في هذه المعالجة ان نوضح الهدف من قيام وزارة الاعلام والثقافة اليمنية باعادة نشر هذا الكتاب.

أولاً - نفاذ الطبعة السابقة منه تقتضي بالضرورة إعادة طبعه لما يحتويه من المعلومات والوقائق المهمة عن التاريخ اليمني في حقبة زمنية معينة كما انه يمتاز بوضوح الهدف وثراء المعلومات وبالدفقة في التوثيق للمصادر والمراجع بتسلسل الاحداث والمواضيع تسلسلاً علمياً سليماً وجذاباً ..

ثانياً - موضوع الكتاب من الموضوعات المهمة في حياة العرب والمسلمين عامة وحياة اليمنيين خاصة ، وهو موضوع حي ذو دلالة حيوية معاصرة فالصليبيون حاولوا ومجّحوا الى حد كبير في ايجاد الدولة اليمنية الواحدة فشمّل حكمهم اليمن كلها لفترة تزيد عن عشرين عاماً . وان كانت دولتهم قد استمرت بالطرح اكثر من ذلك بكثير . كما عرفوا بالتسامح الفكري مع الاتجاهات المذهبية الاخرى . واستطاع الملك علي بن محمد الصليحي أن يمد نفوذه على اليمن الطبيعية وغيرها من المناطق التي قد تكون بعيدة عن شبه الجزيرة العربية كالعهد مثلاً .

ودراسة هذه الشخصية من جميع الجوانب لم تتحقق بعد إلا ان هذا الكتاب قد اعطانا صورة واضحة عنها وعن كثير من الشخصيات السياسية في تلك الفترة من تاريخنا ..

ثالثاً - الكتاب شهادة ناطقة على ان الوحدة اليمنية قضية ذات جذور في التاريخ فهي مسألة حياة بالنسبة لليمنيين ، ذلك لان تحقيقها هو الذي يكفل لليمن الواحد الازدهار والتقدم .

ولهذا فإنه من هذا الجانب وحده من اهم الكتب السياسية التي يجب ان يعاد طبعها في هذه الفترة الزمنية من تاريخنا المعاصر .. كما يتضح ذلك من خلال هذا الكتاب .

رابعا - يثبت الكتاب بالوثائق التاريخية وبالمعلومات الصحيحة ان
 اليمنيين عندما يحملون الفكر الواضح ويتفهمونه يعملون من اجل تحقيقه
 بشرط ان يكون هذا الفكر مرتبطاً بواقعهم وبحياتهم الوجدانية والمعاشية ،
 ولهذا نجدهم قد اسوا الدول المستقلة كالدولة الصليحية وقبلها الدولة الفاطمية
 الاولى دولة (علي بن الفضل - قبل ارتباطه علناً بالقرامطة وانفصاله عن
 الداعي الفاطمي منصور اليمن ابن حوشب) كما سوا الى تأسيس الدولة
 الفاطمية في المغرب العربي فقد كان أبو عبد الله الشيعي «الصنعاني» هو داعية
 المهدي في تلك الاصقاع . مع تسليمنا بأن الدعوات المذهبية الاسلامية في تلك
 العصور كانت ذات طابع شامل تضم كل اقطار الاسلام .

ومن هنا فأننا نرى الصليحيين في اليمن كانوا جزءاً من دعوة اسلامية
 وان تميزت بتاريخ سيامي مستقل في اقليم اليمن ..

كما انه لا يمكن الحديث عن بسط نفوذ اقليم على آخر بل الكل يتفاعل
 في حياة داخل كيان عربي اسلامي واحد .

خامساً - فالكتاب كما سنجد ونلمس فيه جهداً علمياً كبيراً ومؤلفه
 الفضل الكبير في اخرجه بهذا الشكل الجيد وإن كان كأي كتاب علمي بذل
 فيه مجهوداً كبيراً لا يخلوا من بعض الهنات التي نرى هنا ضرورة الاشارة الى
 واحدة منها وهي ايراد المؤلف اسم أروى بدلا من اسم السيدة واحياناً
 بعد السيدة . علماً بأن المراجع التي تؤرخ للدولة الصليحية والدولة الفاطمية
 لم تذكر الاسم أروى بما فيه المرجع الذي اشار المؤلف بأنه استند اليه وهو
 (تاريخ عمارة / تحقيق كاي) حيث يفيد في ص ٦١ ان اسمها سيدة
 بنت أحمد .

التعريف بالمؤلف :

حسين بن فيض الله الهمداني .

حصل على عدة اجازات علمية من جامعات بمباي - لندن - معهد الدراسات الشرقية في برلين .

يعرف عدة لغات كتابة ونطقاً ،

- العربية

- الانجليزية

- الالمانية

- الفرنسية

- الأردو

كما يفهم اللغة / الفارسية / والمحيرية اليمنية .

وقد وصل الى اليمن في سبتمبر عام ١٩٥٨ م وانتظر فترة طويلة في مدينة تمز حتى يأذن له الامام احمد بزيارة مدينة جبله لب ، لكن الامام لم يأذن له الا بعد مدة بزيارة صنعاء فقط ، وطلب منه تقريراً حول منهج المعارف في اليمن - وقد قدم للإمام تقريراً حول ذلك وحول ضرورة ايجاد مكتبة عامة في مدينة صنعاء تضم مئات الآلاف من الكتب والمراجع العربية والأجنبية ولكن مشروعه مات تحت رعب ما كان يسمى بوزير المعارف السيف علي بن يحيى حميد الدين ، وتحت عباءة الإمام المريض في تمز ولقد كان يحلم هذا المفكر اليمني الكبير بايجاد شيء يفيد هذا البلد ولكن حلمه لم يتحقق الا بعد ثورة سبتمبر عام ١٩٦٢ م التي لم يمض معها استاذنا الدكتور الهمداني ، اذ أنه رحمه الله توفى قبل الثورة ببضعة ايام فقط .

تصدير

بفلم الأستاذ مصطفى السقا

أستاذ الأدب الأندلسي بكلية الأدب بجامعة القاهرة

هذه صفحات رائعة مشرقة من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، وتاريخ دولة من أعظم دولها أثرا ، وأبقاها ذكرا ، وهي دولة « الصلّحيّين » ، الذين لبست اليمن على أيديهم حلة قشبية من المجد لا تُبليها الأيام ، إذ انتظمت مخالفتها وحدة جامعة ، خفّق عليها علم العدل والأمن والسلام ، حبة من الزمان ، وخاصة في عهد مؤسسها عليّ بن محمد الصلّحيّ ، وعهد السيدة الحرة اروى بنت أحمد الصليحية ، اللذين يذكر لهما اليمن حتى وقتنا هذا أطيب الذكريات .

كان حكم الصلّحيّين في اليمن طرازا جديداً من الحكم ، وأول ما يميز به من سمات : القصد إلى وحدة الشعوب اليمنية ، وجمعها تحت راية سياسية واحدة ، تظلمهم بالسلام والعمل لإسعاد البلاد ، لا يبيّن بعض على بعض ، ولا يجفّفوا صاحب اعتقاد أو مذهب دينيّ أخاه في الوطن ؛ فقد أطلق الصلّحيّون لأصحاب المذاهب الدينية : من سنية وزيدية وفاطمية ، حرية الاعتقاد والعمل ، فكان ذلك أقوى دعامة قامت عليها تلك الدولة الجديدة .

وإذ كانت دولة الصلّحيّين فاطمية الشعائر ، أخذوا في إعلان شرائعهم وشمازهم للناس ، ليظهروا حقيقتها ، وأنها لا تختلف في الواقع عن المذاهب الأخرى الموجودة ، كما يتضح من الباب التاسع من أبواب هذا الكتاب ، وليقولوا للناس : إن التشيع الفاطميّ ، ليس كما صوره كثير من أعدائه ، من السياسيين الغرضيين ، والفقهاء المأجورين ، وإنما هو صفحة نقية من اجتهاد أهل

بيت النبي ، وبلادهم في إقامة دولة سياسية إسلامية ، لاستخلاص حتمهم في الخلافة ، الذي اغتصبه العباسيون وغيرهم من أيديهم ، مع احتفاظهم بما ورثوه عن آبائهم من أحكام في الدين ، وفتاوى في القضاء ، لا تُخْرِجُ المستمسك بها عن جملة المسلمين . فأما الاعتقاد في الله ، والإيمان بالنبوات ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وبالكتاب المنزّل عليه ، فليس بينهم وبين جميع المسلمين في ذلك أدنى خلاف ، وإن اختلفوا في تأويل بعض الآي ، استنادا إلى ما ورثوه عن آبائهم الأولين ، من توجيه مأثور .

وليس الفاطميون وحدهم الذين انفردوا بالتأويل لبعض الآيات التي تحتمل التأويل ، فالاختلاف في تفسير آي القرآن وتأويلها ، ظاهر في كتب المفسرين الأولين ، الذين سبقوا الإمام محمد بن جرير الطبري ، وكان تفسيره الجامع محكمة علمية ، لثبوتها بين مذاهبهم . وخلاصة هذا كله أن المذهب الشيعي الفاطمي الرسمي . مذهب صحيح ، خالص من الابتداع ، بعيد عن الزندقة والإلحاد وتعطيل الشريعة ، وغير ذلك من الانهزامات التي وصفه بها الغرضون .

وإذا كان بعض فرق الفاطمية ، كالفزارية والذُرُوزِ والقرامطة وغيرهم ، قد غلا في مذهبه ، وابتدع أموراً ليست في أصل المذهب ، حتى سَوَّغَ لأعداء الفاطميين أن يرميهم جميعاً بالزيف والضلال ، فليس ذلك ذنب المذهب الفاطمي الرسمي ، في أصوله النقية التي احتفظت بها دعوة الصّٰدِيقِين ، وإنما إثمهم على الذين ابتدعوا ذلك من زعماء تلك الفرق الغالية ، المنسوبة إلى جملة المذهب الفاطمي ؛ وإثمهم كذلك على الكتاب الذين يأخذون المطيع بجريرة العاصي ، ويُعممون الحكم على الأمور ، حين يقتضيه الواجب التخصيص .

وليس التستر والسكران الذي تميّز به المذهب الفاطمي في ماضيه ، إلا أثراً من آثار الاضطهاد والظلم ، الذي استقبلت به الدعوة الشيعية عامة والفاطمية خاصة ، وهو ضرب من التقيّة أمام حَمَلات السياسيين والفقهاء في كل قطر

وأرض ، مما اضطر أصحاب التشيع الفاطمي إلى كتمان أحوالهم وأخبارهم جملة وتفصيلاً عن عامة الناس ، فلم ييؤحوا بشيء منها إلا لمن أراد الدخول في المذهب ، بعد الاحتياط والحذر الشديد . ولما استقر حكم اليمين في أيدي دعاة الفاطميين من آل الصليحيّ اليمينيّ ، جهروا بمذهبهم اعتقاداً وعملاً ، واستفاد الناس من هذا الجهر فوائد تاريخية عظيمة ، إذ بدت لهم صفحة هذا التشيع بريئة نقية مما ابتدعه المبتدعون ، وغلافه الغالون ، فتقرر في الأذهان أنه لا فرق بين المذهب الفاطميّ الأصليّ ، وغيره من مذاهب التشيع المعتدل ، الخالي من الغلو والابتداع والانحراف ، إلا في شيء من الفروع والأحكام ، لا في أصل الاعتقاد بالله ، والإيمان برسالة محمد ، وبالقرآن الكريم .

وكان من آثار الجهر بالعقيدة الفاطمية الأصلية ، أن خفقت راية الاتحاد على أهل اليمين ، وأظلمت حكومة واحدة قوية الدعائم ، تنشر الحبّ والعدل ، والثقافة والحضارة ، بين أهل الوطن الواحد بالقسطاس المستقيم .

o o o

هذا بعض ما تركته في نفسي قراءة هذا السفر النفيس في تاريخ دولة الصليحيين ، وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمين . وقد ترك في نفسي آثاراً أخرى كثيرة ، لا يتسع لها هذا التصدير الموجز ، ولكنني أقول في غير مصانعة ولا إسراف : إن هذا الكتاب قد غير رأبي في أشياء كثيرة ، وبدد من نفسي أوهاماً علقت بها مما قرأته عن المذهب الفاطميّ خاصة ، ومذاهب التشيع عامة ، في مصادر غير موثوق بمعرفة أصحابها لحقائق المذهب ، وتاريخه الصحيح .

والصورة المحققة التي رسمها هذا الكتاب بمنهجه ومادته لدولة الصليحيين وتاريخ الدعوة الفاطمية في اليمين ، صورة علمية جديرة بالتقدير ، لا تزيد فيها ولا مَدَاجاة ، ولا غش ولا تدليس ، وإنما هي إثبات حقائق تاريخية تستند إلى منهج تاريخي علمي دقيق ، لا يُثبت ولا ينفى شيئاً ، إلا بالدليل المُقنع ، والحجة

الدامنة، التي لا تقوم لها الشبهات، ولا تثبت أمامها الأوهام . والمسلمون في مسيس الحاجة إلى أن يدرسوا تاريخهم السياسي والاجتماعي والعقلى، في ضوء هذا النهج العلمى المستقيم، وهم إذا استمروا على ذلك، واصلون ولا ريب إلى تغيير كثير من الآراء والأحكام المقررة، التي صدرت عن أصحاب الأهواء والأغراض، مما امتلأت به أسفار التاريخ .

• • •

تجلى في صفحات هذا السفر النفيس شخصية مؤلفه الدكتور حسين الهدانى، وما أتىح له من فرصة يندر أن تُتاح لغيره من المَعْنِيِّين بشئون اليمين، كما يتجلى روحه الإنسانى العالى، ورغبته الوثيقة في إنباه بلاد .

فالدكتور الهدانى قد استفاد من ثقافته الواسعة، وخبرته الواعية، هذا الأسلوب التحقيقى، الذى جعله دعامة لتأليفه تاريخ الصليحيين، فكل صفحة من الكتب تشهد مؤلفه الفاضل أنه إلماماً واسعاً بتاريخ بلاده، وبمصادره الأصلية . وأنه ثقة وحجة في استنطاق النصوص، واستخيار الآثار، عما تنطوى عليه من حقائق، تمتاز بالصدق والبعد عن الزيد والقلو، والتشيع الذى تورط فيه كثير ممن كتبوا التاريخ . وجملة الأمر أن الدكتور الهدانى رسم لمشروعه خطة محكمة، أعانتها عليها ثقافته الواسعة، وشيء آخر يكاد ينفرد به دون غيره، ممن يعرضون لتاريخ اليمين أو تاريخ الدعوة الفاطمية فيه، ذلك هو النصوص التاريخية والوثائق التى استحوز عليها، ولا يوجد لها نظير إلا عند قلة قليلة من العلماء في اليمين وفي مصر وغيرها من البلاد، وبعضها مما لا يعرفه أحد غيره، لأنه من تراث آباءه وأجداده، من يعابر همدان، فأكثر المستندات والسجلات والوثائق التى يستشهد بها، كانت ملكاً خاصاً لجدّه سيّدى محمد على اليعبرى الهدانى، وقد آلت من بعده إلى أبنائه وأحفاده، وورث الدكتور حسين الهدانى منها كنزاً من كنوز المعرفة الخاصة بتاريخ الصليحيين . وكان من حسن التوفيق أن أُعدّ

(ك)

الدكتور حسين المهدانيّ هذا الإعداد العلميّ الخاص ، لينتفع بتراث آبابه ، وبما تحمّ يده من ذخائر علمية نفيسة ، وليكون كشف الستار عن تاريخ اليمن الحقيقي في القرون الرابع والخامس والسادس على يديه . وبعض هذه الوثائق التاريخية قد نقل إلى الهند ، حيث توجد طائفة كبيرة من أتباع الدعوة في مقاطعة غجرات ، ولكن كثيرا منها لا يزال باقيا عند أولى الدعوة باليمن ، أو في مصر في مكتبة الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصري في كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو ينشر كثيرا من هذه الوثائق ، ويفيد منها فوائد عظيمة في أعماله وتأليفه الكثيرة . وللأستاذ الدكتور حسن سليمان محمود في ميدان هذا البحث آراء حسنة ونشاط مشكور في بحثه الذي قدمه للحصول على الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وهو بهذه المشاركة يعد من كتاب التاريخ الذين يعملون في الحقل اليمنيّ ، لإبراز حقائقه ، وإزالة الرمال عن كنوزه ونفائسه .

* * *

والدكتور المهدانيّ حين يشبع هذا الكتاب بين الصفوة من العلماء في الشرق والغرب ، يهدف إلى أمور :

الأول : إثبات حقيقة تاريخية عن الحركة الفاطمية في اليمن إثباتا علميا خالصا ، وهذه الحقيقة كانت غامضة لما يكتنفها من شكوك ، بسبب قلة المصادر الأصيلة في أيدي العلماء .

والثاني : أنه أراد أن يحفزهم الكتاب إلى كتابة تاريخ اليمن في عصوره المتتابعة على أساس علمي سليم ، ونهج مستقيم ، تتجنب فيه المصيبات الدينية والقبلية ؛ لأنه لا يوجد بين أيدي اليمنيين حتى اليوم ، تاريخ محرّر لدولهم السياسية القديمة والمتوسطة والحديثة ، على هذا النحو الدقيق ، وهم في مسيس الحاجة إلى مثله ، كما فضل المؤلف في إبراز الصورة الحقيقية لتاريخ الصليحيين والحركة

الفاطمية ، حُبًا في تقرير الحقيقة لذاتها ، دون أن يكون له غرض شخصي أو طائفي من هذا البحث .

والثالث : رغبته الشديدة في إيقاظ اليمين ، وطنه الذي استأثر حبه بقلبه وملك عليه نواحي نفسه ، لتنبعث الحياة الجديدة في أوصاله ، وليساير ركب الحضارة العالمية ، فلا يوصف بالتخلف ، وليسكون قوة يعول عليها في بناء المجتمع الإسلامي الحديث .

والرابع : أن يعمل أهل اليمين أجمعون ، على جمع الشمل والتعاون ، وأتجاه الجميع لنهاية واحدة ، على إسماعد الوطن ، وتخليصه من الخلفات للذهبية ، التي تعوق المجتمع اليميني من الأخذ بأسباب التقدم والعزة والكرامة .

واليمينيون اليوم جديرون أن يقتدوا بأسلافهم العظام ، الذين شيّدوا مجد اليمين القديم . فلو تبسنا تاريخ اليمن منذ أقدم العصور ، لوجدنا أن الشعب اليمني قبل الإسلام كان من أعظم الشعوب بأسا ، وأعرقها في الحضارة وتأسيس الممالك الضخمة ، والمدائن العظيمة ، مثل سبأ ومعين ومأرب وصنعاء ، وإليهم ينسب سد مأرب ، وإرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد .

وقد كانت شجاعة اليمينيين هي الدعاة التي ارتكز عليها الإسلام عند ظهوره ، فهم الذين آووا النبي ونصروه في حروبه وغزواته ، حتى ثبت دين الله في الأرض . وكان اليمينيون أكثر مادة الجيوش التي افتتح بها العرب ملك كسرى وقيصصر ، في فارس وال عراق والشام ومصر وإفريقية والأندلس . وظهر كثير من رجالات اليمن في تاريخ الثقافة والحضارة الإسلامية ، وفي الإدارة والحكم والقضاء في العصور المختلفة ، وبعضهم ممن له شهرة عالمية عند أهل الشرق والغرب اليوم ، كإخليل بن أحمد القراهيدي الأزدي (ت ١٧٠) أعظم علماء العربية على الإطلاق ، والكندى (ت ٢٤٦) فيلسوف العرب ، والحسن بن أحمد الهمداني (ت ٣٣٤) صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب ، ونشوان

ابن سعيد الحميري (ت ٤٧٣) صاحب الموسوعات الضخمة في اللغة والأدب ، وابن خلدون (ت ٨٠٨) صاحب التاريخ والمقدمة ومبتدع علم الاجتماع وفلسفة التاريخ . ومن المتأخرين من نوابغهم السيد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٦) صاحب تاج العروس ، أكبر معاجم اللغة ، وأعظمها شأنًا . وقد أنجبت اليمن أكبر شعراء العربية على الإطلاق ، امرأ القيس الكندي ، والمتنبى الجعفي ، وأبا العلاء المعري التنوخي . وفي عصرنا هذا ينتسب إلى اليمن أئمة أجلة نالوا حظا كبيرا من الثقافة الغربية في شتى نواحيها ، وهم الحجة الناطقة بأن هذا الشعب اليمني لا يزال محتفظا بكثير من الصفات الممتازة القوية ، التي ميزت نابغيه في الماضي ، من الذكاء ، وسعة العقل ، والميل إلى الابتكار والاستقصاء ، في كل ما يتناولونه من عمل مادي أو فكري . وفي الشرق القريب والبعيد جاليات من اليمنيين والحضارة ، ركبوا البحار ، ومارسوا الأسفار والأخطار ، ونجحوا في ميادين المال والاقتصاد ، نجاحا يؤذن بحظوظهم القوية من الذكاء ، والشجاعة ، والثقة بالنفس في كثير من بقاع الأرض .

لكن بلاد اليمن اليوم — وإن لم تحرم حظها الكبير من ذكاء أبنائها ، وحسن استعدادهم للنبوغ في شتى الميادين ، كما نبغ أسلافهم العبقريون — لا تزال تعيش في الماضي ، أكثر مما تعيش في الحاضر ، مع أنها لا ينقصها عن بلوغ شأو الأمم الكبيرة والبول العظيمة ، إلا أن تخلع عن منكبها كل قديم بال من أساليب الحياة ، وتستبدل به الجديد القشيب ، الذي يلائم العصر وأمه الحية ، وهي لو فعلت هذا ، لبلغت في الزمن القريب ، الشأو البعيد ، وليس مطلب من مطالب الحياة الحديثة ببعيد على من بنوا العرم ، وشيدوا مأرب وإرم . والله الموفق ، وهو المستعان ؟

« رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ » .

إلى والديّ

الذين أدين لهما بوجودي وتنشئتي
أطال الله في عمرهما وغفر لي ولهما
كما ربّيتاني صغيرا

حَسْبُ الْعَدَافِ

شكر

نرى لزاما علينا أن نقدم جزيل شكرنا لصديقنا الأديب الدكتور حسين نصار على قراءة التجارب الطبعية بمد سفر الأستاذ مصطفى السقا إلى الخارج قراءة دقيقة وتزويدنا بملاحظاتة الثمينة .

وجدير أن ننوه بمجهود تلميذنا الرشيد الدكتور حسن سليمان محمود في تقديمه لنا عوننا وعيننا في إخراج الكتاب إلى حيز الوجود — حينما رفضت الجهات الشريفة والوطنية ، التي كنا نعتد عليها مساعدتنا في طبعه — وإشرافه على طبع الكتاب وترتيبه فهارسه .

ونشكر للأستاذ فؤاد السيد بدار الكتب المصرية كل التكرار مراجعة قائمة المصادر وإضافة المعلومات القيمة إليها .

ونختتم بشكر السيد عبد الحميد على حسن المشرف على مطبعة الرسالة لحسن رعايته الكتاب في مراحل طبعه ما

المؤلف

رموز واصطلاحات

اتماظ الحنفا للمقريزى .	اتماظ
افتتاح الدعوة للقاضي النعمان .	افتتاح
الإكليل لأبي محمد الحسن الهمداني .	إكليل
أبناء الزمن . مخطوط بدار الكتب المصرية .	أبناء/دار
أبناء الزمن . تحقيق عبد الله ماضي .	أبناء/ماضي
Guide to Ismaili Literature	إيفانو
بفية المستفيد لابن الديبع .	بفية
معجم البلدان لياقوت الحموي .	البلدان
توفى .	ت
جلد أو جزء .	ج
الحوار العيني لنشوان الحميري .	حوار
ديوان .	د
رسالة .	ر
مجموع الرسائل لحسين بن علي بن القم .	رسائل القمي
مجموع المجلات المستنصرية .	المجلات
السلوك للجندي . مختصر كاي (Kay) .	سلوك/كاي
صفحة .	مس
المصاحح للجوهري .	صح
صفة جزيرة العرب لأبي محمد الهمداني .	صفة
تأريخ الأمم والرسل والملوك للطبري .	طبري
العبر وديوان البتداء والخبر لابن خلدون .	عبر
العبر لابن خلدون . مختصر كاي .	عبر/كاي

المقود اللؤلؤية للخزرجي .	عقود
تاريخ اليمن لمارة . مختصر كاي .	عمارة/كاي
عيون الأخبار لإدريس عماد الدين القرشي .	عيون
فهرست كتب الدعوة لإسماعيل بن عبد الرسول .	فهرست إسماعيل
القاموس المحيط للفيروز ابادي .	ق
قرة العيون لابن الديبع .	قرة
كشف أسرار الباطنية للجهادى .	كشف
الكفاية والإعلام للخزرجي .	كفاية
لسان العرب لابن منظور .	ل
المقتطف في تاريخ اليمن للجغرافى .	مقتطف
مخطوط بالمسكبة المحمدية الهمدانية .	م . م . هـ
نزهة الأفكار لإدريس عماد الدين القرشى .	نزهة
المرجع نفسه .	نفسه

BSOS	Bulletin of the School of Oriental Studies, London.
EI	Encyclopaedia of Islam.
JA	Journal Asiatique.
JAOS	Journal of the American Oriental Society.
JRAS	Journal of the Royal Asiatic Society of Gt. Britain,
JRCAS	Journal of the Royal Central Asian Society, London.
IC	Islamic Culture, Hyderabad (Dn.).

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ومنه العون ، وبه الحول والقوة ، وله الحمد في الأولى والآخرة ، في صلاة وتسليم على محمد وصحبه وعترته الطاهرين .

وبعد ، فإن التاريخ مدرسة الدهر ، يملأنا ما لم نكن نعلم ، وهو كما قال ابن خلدون في مقدمته : « في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق . . . يؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمسروا الأرض ، حتى نادى بهم الانحلال ، وحان منهم الزوال . وفي باطنه نظرة وتحقيق ، وتعميل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، وجدير بأن يمد في علومها وخليق » . ففي التاريخ عبرة لمن اعتبر ، وفكرة لمن افتكّر . لذلك رأينا أن نهتدي بمبر التاريخ ، لتتير الطريق للحاضر وللأجيال القادمة . وهذه عبر مطوية يقدمها هذا البحث في صحائف موجزة من سفر يتناول دورا هاما من حياة اليمنيين ، الذين كانوا وما يزالون يدينون بالولاء للأئمة الفاطميين . ونظراً إلى أن الحركة الفاطمية حركة عالمية ، كان الغرض منها قلب النظام السياسي المسيطر على العالم الإسلامي ، فقد أتجهت أنظار الفاطميين إلى الأقطار الإسلامية النائية ، وكانوا يملون على تحقيق هذا الهدف السياسي ، لبوغ أوج الزعامة في العالم الإسلامي .

وكانت بلاد اليمن محط أنظارهم وقبلة آمالهم . وسترى في هذا الكتاب ما نذكره خاصا باهتمام الفاطميين ببلاد اليمن في القرن الثالث ، وأنهم كانوا يريدون إقامة دولتهم في تلك البلاد ، ولكن لأسباب نبينها ، اتجهوا إلى بلاد المغرب . ومع ذلك ظلت بلاد اليمن موالية للفاطميين ، ولم تنقطع دعوتهم فيها حتى وصلت إلى القمة في عهد الدولة الصليحية . وبقيت هذه الحركة إلى يومنا هذا في اليمن وغيرها . وهذا الجانب من تاريخ الحركة الفاطمية في اليمن ، لم يُدرس درسا واقيا ،

بل كل ما وجدنا عنها من معلومات ، إنما جاءت في كتب التاريخ العامة على شكل فقرات مبمتره هزيلة ، تحتاج إلى البسط والتوسّع (١) .

ولحسن الحظ وجدنا في مكتبة جدنا القدس العلامة الشيخ محمد علي الهمدانيّ اليمعبريّ مجموعة من المخطوطات والوثائق ساعدتنا على كشف غموض هذا الموضوع . وبفضل المادّة التاريخية التي استقينها من هذه المصادر ، تمكنا من تأليف تاريخ هذه الحركة ، وبخاصة من عهد الدولة العسليحية وعلاقتها بمركزها الرئيسيّ بالقاهرة .

وعلى هدى ماقرأنا، قررنا أن يكون نظرنا لهذا الموضوع ، كماسترون ، نظرة خالصة مجردة ، لا تصدر عن عاطفة ولا هوى . بل كان رائدنا دائما الإنصاف والتحقق ، في حدود المصادر التي بين أيدينا . وكنا نريد أن نكون أكثر دقة في هذا الموضوع ، لو أن إخواننا في اليمن والهند قد تفضلوا بتزويدنا بيمض المراجع الهامة ، التي تأكد لدينا وجودها هنالك ، وحاولنا الاتصال بهم للحصول عليها خدمة للعلم ، ولكن ذهبت محاولتنا أدرج الرياح ؛ لذلك اكتفينا بما كان لدينا من مراجع مخطوطة بالمكتبة المحمدية الهمدانية ، وأخرى مطبوعة ومخطوطة بدار الكتب المصرية وغيرها من خزائن الكتب .

ويلاحظ المشتغلون بدراسة اليمن أن كثيرا من المسائل التي تتعلق بتاريخ هذه البلاد يكتنفها الغموض ، ومراد ذلك إلى قلة المعلومات عنها ، واضطراب مصادر

(١) يسمى الفاطميون أنفسهم باسم « أهل الدعوة » أو « السليدين المؤمنين » ودعوتهم بـ « دعوة الحق » و « الدعوة الهادية » . وهم لا يعترفون بالأسماء والألقاب التي نسبت إليهم ، مثل الفاطمية والإسماعيلية واليدانية والسيبية وغيرها ، ولا توجد هذه الألقاب في كتبهم . وقد نسب إلى نفسه الشيخ أبو حاتم الرازي — وهو من كبار علماء الدعوة — في كتاب الزينة ، كلمة أهل السنة والجماعة . وقد التزم في الدين . باب أبواب الإمام المستنصر (د نثرية ٨١) :

يا سائلا تأسئي عبي اعلم بأني رجل سني

أحب أصحاب نبي المهدي ديني على جميع مبي

وقد أطلقت كلمة الفاطمية على أهل الدعوة عامة في هذا البحث ، لولا أنهم للأئمة الخلفاء الفاطميين ، كما تعلق كلمة الزيدية على أتباع الإمام زيد بن علي رحة الله عليه .

التاريخ وبليلتها ، وأحيانا إلى تناقض المؤرخين أو الكتاب في سرد الحوادث . ولا يقتصر هذا على أحوال اليمن في العصور الحديثة ، بل تبدو الحالة أكثر غموضا إذا كان موضوع البحث يتعلق بالقرون الوسطى والغابرة . وذلك كما نمتدح يرجع لعدة أسباب ، منها : تمزيق البلاد إلى دويلات صغيرة متنافسة ، وانشغالها بالحروب المتتالية ، ثم انهيارها بهلاك منشئها وأصحابها ؛ ولأن اليمن لم تتحد تحت راية حكومة قوية مستقلة ، إلا مدة وجيزة من الزمن ، أو في جزء أو منطقة منها . وقد دأب المؤرخون لهذه الدويلات ، على أن يصوروا منافسهم في الحكم والعقيدة بأبشع صورة ، وكانت المنافسات تأخذ في تلك العصور صبغة دينية ، وينشأ عن ذلك حزازات ومنافرات ، تؤدي إلى تأليب جماعات المسلمين بعضهم على بعض ، وإلى تمجيد أصحاب المقاتلات ، ثم إلى كتمان أمورهم وكتبهم ، والتزام التقية والتستر من أن تقع أسرارهم وكتبهم في أيدي المنافسين الأقوياء . ثم لم تدوّن تواريخ بعض هذه الدويلات ، التي عاشت لمدة قصيرة وفي منطقة ضيقة ، وأهمل ذكر أحوالها وأصحابها ، ماعدا أسماءهم وما جاء ضمن الكلام عن بعض الحوادث والحروب ، مثل اليمافروسلاطين همدان في صنعاء ، كأنهم لم يكونوا ، أو ليس لهم أهمية تستدعي ذكرا وأقبا ؛ فلذلك نمتدح أن من المناسب أن تدرس حقبة من تاريخ اليمن ، أو دولة من دول هذه البلاد على حدة ، قبل تدوين التاريخ الشامل .

وقد اقتصرنا في هذا الكتاب على بحث تاريخ الصليحيين في اليمن ، لأننا نمتدح هذا المهد من تاريخ اليمن حلقة مهمة . فإن بلاد اليمن جميعا جبالها وسهولها ، سادت عليها دولة قوية ، امتد نفوذها إلى حضرموت وعدن في الجنوب ، والحجاز في الشمال ، وهذا ما لم يحدث في الجاهلية ولا الإسلام ، كإحكاك القاضي عمارة اليمنى . ثم إن هذه الدولة نشأت نتيجة لتيارات قوية كانت تسود في العالم الإسلامي خلال تلك القرون ، واستطاعت أن تكتسح من أمامها كل الدويلات القائمة في اليمن . وبطبيعة الحال يجب أن نذكر ببعض التفصيل تاريخ الحوادث التي أدت إلى ظهور الملك على بن محمد الصليحي في أفق اليمن ، وتاريخ الدولة الفاطمية الأولى التي أنشأها منصور اليمن ، والحركة الفاطمية التي مهدت سبيله إلى الحكم ، وأن نذكر أيضا

تاريخ المنظمة التي أوجدها الصليحي ومن بعده السيدة الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد ، والتي احتفظت بثروة عظيمة في الأدب الفاطمي ، والتي بقيت إلى يومنا هذا في اليمن وفي غير اليمن ، بعد انقراض الدولة الصليحية . وقد وقفنا عن تسجيل تاريخ الدعوة عند ظهور دولة آل رسول ، لأن منظمة الدعوة دخلت في مرحلة جديدة في علاقتها بهذه الدولة اليمنية العظيمة ، وتأييدها وتمضيدها . ونرجو أن تظهر عاجلا أو آجلا دراسة تاريخ المنظمة وفروعها إلى أيامنا هذه .

وقد اعتمدنا في هذا البحث على مؤلفات الداعي إدريس عماد الدين القرشي^(١) المتوفى سنة ٨٧٢ . وقد ورد ذكر كثير من الأحداث التي صاحبت هذه الحركة في الأجزاء الخامس والسادس والسابع من كتاب عيون الأخبار^(٢) ، وفي الجزء الأول والثاني من كتاب زهة الأفكار^(٣) وهذا الكتاب الأخير هو الوحيد الذي يبين بصورة واضحة تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن متصلا من أيام منصور اليمن

(١) الجزء الخامس يصف الحوادث التي أدت إلى قيام الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا وينتهي حتى أخرجهم المنصور بالله . والسادس يعطينا فيه المؤامرات مبررة واضحة عن حكم الختفاء : المرزليين بالله ، والعزري بالله ، والحاكم بأمراته ، والظاهر لإعزازدين الله ، والمستنصر بالله . والسابع يصف لنا حكم المستنصر بالله وقيام الدولة الصليحية باليمن على يدى علي بن محمد الصليحي ، كما يصف لنا حكم الملكة العظيمة أروى بنت أحمد في بلاد اليمن . ويصف كذلك حكم الخليفة المستعلي بالله وقيام الترابية وحكم الخليفة الأمر بالله ووصيته بأن يتولى الإمامة من بعده ابنه الطيب وقيام الدعوة له في اليمن تحت رياسة الداعي المطلق الذؤيب بن موسى الوادعي . وهذا الكتاب مهم جدا بالنسبة لبحثنا ، فهو الأساس الذي اعتمدنا عليه وبه هتدينا . ونظن أن إدريس بدأ في تأليفه بعد أن انتهى من تأليف كتاب زهر المعاني (انتهى منه سنة ٨٢٨) وكذلك انتهى من كتاب العيون قبل أن يبدأ في تأليف كتاب الزهة . ورد ذكر الكتاب في فهرست لشيخ إسحاق بن ٩٦ - ١٠٤ : موجود في م . م . م .

(٢) فهرست إسحاق بن ١٠٤ - ١٠٥ : موجود في م . م . يبدأ الكتاب بمقال عن الدور التي لعبها الصليحيون في الحركة العلوية ببلاد اليمن من أيام علي بن أبي طالب . ويقرر إدريس فيه أن الدعوة العلوية لم تتلاش نهائيا من بلاد اليمن . وفي الجزء الأول ذكر إدريس الحوادث من أيام قيام الدعوة على يد الداعي الذؤيب بن موسى ، حتى أيام جسده عند الله . وفي الجزء الثاني استمر في ذكر الحوادث التي جاءت في النطر الأخير من حياة الداعي عبد الله . وقد سبق الحوادث فيه حتى سنة ٨٥٣ .

حتى أيام إدريس عماد الدين ، وهما من مؤلفات إدريس^(١) . ولذلك جعلنا مؤلفاته أساسا لبحثنا ، واعتمدنا عليها كثيرا على الرغم من تأخره ، إلا أن معلوماته كانت مستقاة من روايات منقولة ومن اتصالاته الشخصية بالرواة ، ومن أصول معاصرة لمهد الصليحيين وما سبقه من اليهود في تاريخ الدعوة في اليمن . ولا غرو ، فإن المؤلف كان واثقا بتقاليد الدعوة من عدة فروع ، محتفظا بكتبها ، وإن كانت كتاباته لا تخلو في بعض الأحيان من المحاباة والتجيز ، ومن الحب المفرط والكراهية الشديدة ، مما يترتب عايه أحيانا طمس الحقيقة ، وتحرير الوقائع ، وحذف بعض الحوادث . وقد نبينا هذا من مقارنتنا لبعض الأحداث التي ورد ذكرها في المصادر الأخرى . وعلى الرغم من ميوله السياسية أو الدينية ، يرى الباحث أن المؤلف ألمّ بالأمم كبيرا بتاريخ الدعوة اليمنية ، وكانت له معرفة واسعة بحوادثها وتواريخها . ولعل ذلك يرجع إلى ظروفه التي مكنته من الاطلاع على كثير من الروايات المنقولة إليه ، والوثائق المحفوظة بمجال حراز النيعة المحروسة . ولا يقتصر حكنا على مؤلفات إدريس عماد الدين على مجرد قيمتها التاريخية ، بل يزيد تقديرنا لها أنه كان الوحيد الذي أرتخ لهذه الهيئة تاريخا مبني على مشاهداته الخاصة ، واشتراكه الفعلي في حوادث أيامه ، كما كان له ولأسرته وأسلافه قسط كبير في حفظ كيان الدعوة وصياغة تاريخها .

ويمكننا أن نعتبر الجزء الأول من كتاب افتتاح الدعوة الزاهرة^(٢) تأليف القاضي النعمان التوفى سنة ٣٦٣ قاضي قضاة مصر أيام المزلدين الله مرجعا مفيدا

(١) وله أيضا كتاب روضة الأخبار ، وهو يختلف في الاسم عن نزعة الأفكار . إلا أنه تكلم له في حوادثه . فهو يبدأ من سنة ٨٥٤ ويستمر في ذكر الحوادث حتى سنة ٨٧٠ . ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع لتاريخ اليمن تحت حكم الطاهريين ، لأن إدريس كان حليفا لهم . والكتاب أيضا مصدر هام لتاريخ حياة إدريس ، والدور الذي لعبه كرتيس للدعوة العلمية في بلاد اليمن . ومنه مخطوط مؤرخ بتاريخ سنة ٩٩١ محفوظ بمكتبة جامعة ليدن ، ومنه صورة شمسية بمكتبة حسين الهمداني .

(٢) فهرست - ماعيل ٤٨٦ م . م . م .

لأنه أعطانا صورة للإحداث والظروف التي أدت إلى وصول أبي القاسم منصور
البن سنة ٣٦٨ وإنشاء دولة موالية لبني فاطمة في بلاد اليمن .
وتعتبر مجموعة السجلات المستنصرية^(١) من أهم المصادر وأهم الوثائق لثبت
تاريخ الدولة الصليحية ، وعلاقتها بالخلافة الفاطمية بمصر . وقد وجدنا هذه المجموعة
من الرسائل التي وجهها الخليفة المستنصر بالله إلى السلاطين الصليحيين باليمن . وقد
حفظها أهل الدعوة في حراز مركز الدعوة باليمن طوال هذه القرون ، كما حفظوا
كثيرا من التراث العلمي الفاطمي ، الذي ضاع بمرور الزمن ، أو أباده أعداؤها
في مصر وغيرها من البلاد .

وكذلك وجدنا نسخة خطية من مجموعة أخرى من الوثائق المعاصرة ، وهي
مجموعة الرسائل^(٢) للشاعر المنشي الحسين بن علي القسبي اليماني ، رئيس ديوان
الإنتشاء في عهد الصليحيين . وبعض هذه الرسائل كتبها القسبي بلسان السلاطين
الصليحيين موجّهة إلى الفاطميين بمصر . وقد استطلعنا بفضل هذه الوثائق أن
تقرر مصير الأمور وتواريخ بعض الحوادث التي اختلفت فيها المصادر تقريرا نهائيا .
وكذلك رجعنا إلى عدة مصادر تاريخية منها المخطوط ومنها المطبوع في هذا
البحث ، ونحن نذكر أهم هذه المصادر التي أخذنا عنها في دراسة موضوعنا .
ولا ريب أن كتاب السلوك الذي ألفه أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن
يعقوب المعروف بالهائم الجندى المتوفى سنة ٧٣٢ يتضمن معلومات مفيدة عن
الفترة التي أعقبت وفاة منصور اليمن مباشرة .

(١) محفوظ هذه الرسائل محفوظ الآن بمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية بلندن . انظر
مقال حسين أمّداني في B . S . O S . 1934 . وقد نشر أخيرا صديقنا القامداس الدكتور
عبد النعم ماجد « السجلات المستنصرية » من النسخة المخطوطة بلندن المشار إليها ، وبذلك قدم
خدمة جليلة للعلم والتاريخ . وقد قلنا في الملاحق السجلات التي أوردتها لإدريس عماد الدين
في الجزء السادس والاربعين من كتاب عيون الأخبار ، والتي لم ترد في مجموعة السجلات لأنها كانت
ناوردة في المجموعة . ومن المؤسف أن المخطوطة المخطوطة بلندن حديث العهد ومليء بالأخطاء
كما أشار إليه المحقق . فترجو أن نهندي إلى نسخ أخرى في اليمن ، وبالحصوص في مكنتات
حراز ، حتى نستطيع أن نقارن بين هذه المخطوطات ، وأن نكملها بالسجلات التي وردت في اليون .
(٢) وقد اعتمدنا على نسخة خطية منها بالمكتبة المحمدية الممدانية .

ويعتبر كتاب تاريخ اليمن للفقير الشاعر نجم الدين عمارة بن أبي الحسن على الحكسي اليمني المشهور بعمارة اليمني، التوفي سنة ٥٦٩ ، من أقدم المراجع لتاريخ الصليحيين وأهمها وأكثرها فائدة. وعمارة كما هو واضح من الجزء السابع من كتاب عيون الأخبار مرجع هام اعتمد عليه لإدريس عماد الدين^(١) في سرد الحوادث عن الصليحيين. وقد نشر كاي (Henry C. Kay) كتابي عمارة والجندي يلهما كتاب العبر لابن خلدون. واستفدنا من مجموعة الكتب هذه ومن تملقات كاي وتحقيقاته الثمينة .

ويلاحظ أن كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للفقير محمد بن مالك الحمادي الياني التوفي في أواسط القرن الخامس الهجري - بالرغم من أنه أعلن الحرب على الصليحيين ، وتمصّب تمصبا دينيا شديدا - من المراجع المعاصرة التي اعتمدنا عليها في تحقيق بعض الحوادث ، وبخاصة عند كلامنا عن حالة بلاد اليمن قبيل الصليحيين من الناحية الدينية ، كما أشرنا إليه في بيان قيام علي بن محمد الصليحي بشورته في جبل مسار سنة ٤٣٩ .

وكذلك استفدنا من كتاب أبناء الزمن في أخبار اليمن ليحيى بن الحسين ابن القاسم، المتوفي في الشطر الأول من القرن الحادي عشر ، في ثبت بعض الحوادث كان فيها يظهر ، كابن الديبع الزبيدي المتوفي سنة ٩٤٤ في كتابيه قرة العيون و بغية المستفيد ، يعتمد على ما سجله عمارة اليمني .

ولا يفوتنا أن نذكر أن لكتاب الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها في الإسلام لأبي الحسن علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢ أهمية خاصة في بحثنا ، فقد جاء في الباب الثامن منه بعض المعلومات التي تؤيد تفاصيل أوردناها في معالجة موضوعنا .

وكانت هذه الكتب بمثابة أضواء تنير لنا طريق البحث عن تاريخ الدولة

(١) ومن المصادر التي أخذ عنها لإدريس وذكرها في السبع السابع من العيون : كتاب المفيد لجياش ، وسيرة السكرم ، وملوك اليمن لهارة البيسي ، وكثر الأخبار للشريف لإدريس عماد الدين ، والدول المنظمة . راجع أيضاً كاي المقدمة ١٢ .

الصليحية والدعوة الفاطمية باليمن ، واستفدنا أيضا من كتب أخرى نوردها في آخر الكتاب ، ونشير إليها عند الضرورة في مواضعها .

ونضع أمامك أيها القارئ هذا الكتاب ، لتعرف شيئا عن تاريخ الدولة الصليحية ، وكانت من ألمع الدول في تاريخ اليمن ، وعن منظمة الدعوة التي أنشأها الصليحيون ، وعن الثروة العلمية التي تركتها هذه الدعوة ، لأننا نرى أن الصليحيين وأهل الدعوة اليمنية مظلومون في سفر التاريخ . وإذا كان هذا الظلم أوجدهته الخلافت المذهبية في عصور كان المؤرخون يعملون غالبا لا يرضى نزواتهم وميوهم حينئذ ، فإننا نرى ونحن في القرن العشرين أنه من الواجب أن نعيث اللثام عن حقيقة هذه الحركة ، وأن ندرس تاريخها كما يُدرس تاريخ الحركات التقدمية الأخرى ، التي قامت بها المعزلة والمتصوفة إن صح لنا هذا التعبير .

وإذا كنا قد اعتبرنا أن التاريخ فيه دروس تعلمنا بحاسن الشعوب ومساوئها ، وأن نحفظ باليمن منها ، ونترك الفث ، وإذا كنا قد رأينا أن هذه الخلافت المذهبية قد أدت إلى تأخر شعبي من الشعوب وعاقته عن التقدم ، بل رجعت به القهقري ، فجلمته متخلفا عن غيره ، أليس من العقل أن ينسى هذا الشعب تلك الأحقاد ، وأن يترك الدين للديان ، ويمعل الجميع على تدعيم الوحدة القومية في البلاد ، ويميشوا متكافئين لرفع شأن الأوطان والمجتمع ؟ وإناك أيها القارئ ستري في هذا الكتاب أن اليمنيين عاشوا طوال هذه القرون في حروب أهلية مفضية ، سببها الخلافت المذهبية أو القبلية ، التي لم تكسب البلاد منها إلا الفرم والحراب والتقهقر والأحطاط . فبخلفت اليمن تبعا لذلك عن ركب الحضارة ، واضطر أولو الدعوة الفاطمية التي نحن بصدد الكلام عنها في هذا الكتاب أن يمتصموا بالمعاقل والحصون والجبال للدفاع عن كيانهم وبقائهم . وكان أهل الدعوة يلاقون أشد المارضة وأنكد الاضطهاد ، وكانت أملاكهم وأموالهم تنهب ، ودماؤهم تسفك ، ومنازلهم ومساجدهم ومقابرهم تهدم ، وخزائن كتبهم تسلب ، وأولادهم وأفلاد أكبادهم ترهن ، وحرمايتهم تهتك ؛ فضعف أمرهم ، وافتقرت كلمتهم ، واعتربت جماعات منهم عن الأوطان اليمنية . وكان هذا الكفاح مريرا شاقا ، أدّى إلى

على ألا يسلكم إلا المصدر وحده بدون تمليق . ونكون لكم أيها القراء من
إشراكين لو تفضلتم بإفادتنا عمّا عنّ لكم من نقد بنائنا لهذا الكتاب .

وبعد ، فإننا نرجو أن ننوّه هنا عن بحث أختينا الفاضل الدكتور حسن سليمان
محمود الجهني ، الذي تقدم به لنيل درجة الدكتوراه في جامعة القاهرة ، في موضوع
تاريخ الصليحيين وعلاقتهم بمصر . وقد ضمن هذا الكتاب معظم ماورد
في البحث من تحقيقاته ونظرياته الثمينة . وقد خدم زميلنا وصديقنا الدكتور
حسن سليمان محمود بذلك ناحية مجهولة من تاريخ العلاقات في القرن الخامس
في عهدى الصليحيين والفاطميين خدمة بارعة . وإننا نرى لزماً علينا أن نشير
إلى قسطه الوافر في هذا البحث ، بفضل اهتمامه ونشاطه وتفانيه في خدمة تاريخ
مصر واليمن .

وقد استقيننا معلومات كثيرة من رسالة ولدنا المايم عباس الحمداني ، التي
قدمها لنيل درجة الدكتوراه في جامعة لندن ، كما هو واضح في هذا الكتاب ، تستحق
منّا أن نذكر تقديرنا وشكرنا على تحقيقاته وإن اختلفنا معه في بعض آرائه .

هذا . ونرجو أن تقدم هاهنا وافر شكرنا إلى جميع الذين يرجع إليهم الفضل
في مساعدتنا على إخراج هذا الكتاب ، ونخص بالذكر منهم السيد علي المؤيد
وزير اليمن السابق بمصر ، الذي تفضل بقراءة أصول الكتاب ، وزوّدنا بمعلومات
مفيدة عن الحوادث التاريخية ، وتحديد بعض الأماكن والبلدان باليمن ، كما تقدم
خالص شكرنا للاستاذ العلام مصطفى السقا ، الذي تفضل مشكوراً بإبداء ملاحظاته
اللغوية والنحوية عند قراءة ملازم الطبع وتصحيحها .

وقد طلبنا من الأستاذ الدكتور محمد كامل حسين مقالاً وافياً زائفاً
عن « عقائد الدعوة الفاطمية » ، وقد تفضل بموافقتنا بآرائه الثمينة عن
عقائد الدعوة ، وبعض المسائل التاريخية ، وقد ذكرناها في مواضعها المناسبة من
الكتاب . فله منا جزيل شكرنا .

ضياح الكثير من المواهب الظاهرة والمكتومة من الشعب .

وخدمة للوطن ، وحرصا على مصالح المواطنين ، وتمشياً مع الصالح العام ، يجب أن يسدل الستار قوياً على الماضي بآلامه ، وتنسى الحزازات الفردية والطاقمية والإقليمية ، لأننا في عصور تتقدم بسرعة ، ولا يكون هذا التقدم محققاً للشعب من الشعوب إلا إذا تمازج كل المواطنين في بناء صرح هذا الوطن . وفي رفع شأن الأمة اليمنية .

وهذا الكتاب هو نتيجة دراسات لسنين طويلة قدمناه للقراء لما فيه من الفائدة . فإذا وجدوا فيه شيئاً من الخير ، فهذا يرجع إلى ما بأيدينا من المراجع . وإذا كان فيه شيء من الخطأ ، فرجعه إلى قصورنا وقلة بضاعتنا وقصر باعنا .

لا يتناول هذا البحث عقائد الدعوة الفاطمية ، بل هو مجرد محاولة لتسجيل الحوادث التاريخية من الناحية السياسية ، غير أن الدعوة قبل أن تصبح دولة في اليمن كانت منظمة دينية أساسها وهدفها المقيدة . فلذلك اضطررنا أن نتحدث عن نشاط الدعوة في مضمار العقيدة والدين . وقد عالج بعض العلماء المعاصرين موضوع العقائد بنشر نصوص كتب المؤلفين الفاطميين ، ونخص بالذكر ما قام به الأستاذان محمد كامل حسين والمستشرق شتروطهان بمجهود مشكور في هذا الصدد . وإننا راعينا أن تتبع الطريقة التاريخية بدون تحيز إلى أي فئة كانت على عهد الصليحيين باليمن ، وإن كان قد يضطرنا الحال إلى نقل عبارات بعض المؤلفين بنصها ، وقد لا تخلو من بعض التحامل بطبيعة البيول والنزعات الدينية والسياسية في تلك الأزمان . فترجو من القارىء ألا يفهم أن ذلك كان بدافع من الميل إلى مذهب ديني أو سياسى ، وقد لاحظنا تجنب ما فيه ذلك حسب الطاقة ، حرصاً على جمع كلمة اليمنيين .

وإننا نعتبر أن هذا البحث لا يخلو من الجفاف ، ومن سرد الحوادث ، وذكر الأسماء مجرداً عن التحليل والتعليق . وذلك يرجع أحياناً إلى عدم توافر المصادر ، وأحياناً إلى عدم وجود الأبحاث السابقة ، أو القضايا المسئلة ، وأحياناً إلى حرصنا

ونحن لا نستطيع أن نوفي الأستاذ المنعم المفضل عمر الدسوقيّ واجب شكرنا ،
لاحتضانه هذا الكتاب في مطبعة الرسالة العامرة ، حتى ظهر بهذا المظهر .

وفي أثناء استمدادنا لتقديم أصول الكتاب إلى المطبعة ، زار القاهرة المعزّية ،
شيخنا العلامة القاضي محمداً الحجريّ ، وقد عرضنا عليه أصول هذا الكتاب ، فأبدى
لنا بعض الملاحظات الثمينة ، وساعدنا في تحقيق كثير من المواضع والأماكن
التي وردت في هذا البحث ، فنشكره لتفضله بإعارتنا بعض وقته خدمة للعلم

ونشكر أيضاً جميع الإخوان الذين ساعدونا بإعارة كتبهم وملاحظاتهم العلمية
في حلّ المشكلات التي اعترتنا من حين إلى حين في هذا البحث .

وقفنا الله لخدمة العلم والتاريخ ، والله ولي التوفيق ما

حَسِينُ الْعَمَدَانِي

{ المعهد الهمداني للدراسات الإسلامية
القاهرة في ١ أغسطس ١٩٥٥ }

الباب الأول

حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن

نشاط اليمنيين الأحرار في العصر الأول

أثبت التاريخ أن اليمنيين ، سواء آ كانوا في داخل وطنهم أم في خارجه ، هم مثال للنشاط والإخلاص . ولهذا لما ظهر الإسلام قبلوا دعوته ، وآمنوا به عن صدق وإيمان ، وأصبح في قلوبهم عقيدة راسخة ثابتة متصلبة ، فتكبيفوا بكيفيته ، وتلوتوا بلونه . فذهبوا ينشرونه في مشارق الأرض ومغاربها ، حتى قامت بمساهمته أعظم إمبراطورية عرفها التاريخ .

ويعتبر ماحدث في أيام الخليفة عثمان من أهم الأحداث التي فرقت بين المسلمين ، وقسمتهم إلى معسكرات . وكان من الطبيعيّ - بعد أن آثر اليمنيون الإسلام على أنفسهم ووطنهم ، وتناسوا معه العصبية الجاهلية - أن يشتركوا في تلك الأحداث ، وأن يجتفهم التيارات المتضادة ، وتتحرف بهم أعاصير السياسة ، فذهب من ذهب منهم مع الإمام علي ، وهم الكثیر ، وانضم منهم فريق آخر إلى معاوية ، وتمصّب كل فريق لصاحبه .

ظل الأمر كذلك في داخل اليمن . ثم لم نعرف بعدُ على وجه الصحة أنهم ، أي اليمنيين ، كانوا يؤمنون بمذهب معين ، أو ينتمون إلى نخلة قائمة . وربما كان السبب في ذلك ، النزعة اليمنية ، التي تدعو دائماً إلى حرية الرأي واستقلال الفكر . ونرى أن هذا الأمر دام إلى القرن الثالث والرابع ، رغم دخول الحركات الشيعية والسنية وانتشارها واستقرارها في اليمن . فقد ثبت أن سلاطين آل حاتم الهمدانيين وملوك آل يعفر ، بقوا أحراراً ، غير مقيدین بمذهب من المذاهب . ويعتبر أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني صاحب الإكلیل ، ونسبوان الحميري من الأمثلة البارزة للدلالة على ذلك .

لقب الشيعة

فقد تغلغلت المذاهب في اليمن ، ورسخت أقدامها ، وبخاصة الحركات الشيعية .
فا الأسباب التي أدت إلى رواج هذه الفكرة ؟ وما العوامل التي ساعدت على
نموها وانتشارها ؟

سنحاول أن نعالج هذا الموضوع ونجيب عن هذا السؤال فيما يلي :
بدأ أنصار علي بن أبي طالب يتكاثرون في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم
من شيعة ومحبيه . والشيعة ، كما قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) : « هو لقب
لقوم كانوا قد ألقوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في حياة الرسول
صلى الله عليه وسلم وعرفوا به ، وهم : سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري ،
والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر وغيرهم ، وكان يقال لهم شيعة علي . وقال
فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : الجنة تشتاق إلى أربعة : سلمان ، وأبي ذر ،
والمقداد ، وعمار » . وقال نشوان الحميري^(٢) : وإنما سميت الشيعة شيعة لشايمتهم
علي بن أبي طالب .

سفارة الإمام علي إلى اليمن

ومن ذلك نرى أنّ علياً كان له مریدون ومحبّون من الصحابة في عهد
الرسول صلّم . ولم يقتصر وجود هؤلاء على المدينة وحدها ، بل أخذ عددهم
يزداد كلّما اتسعت رقعة الإسلام ، وزاد عدد المسلمين وبخاصة في بلاد اليمن ، لأنها
حظيت بإرسال علي إليها في عهد الرسول . وزار أمير المؤمنين عليه السلام
اليمن ثلاث مرات ، وفي المرة الأخيرة وصل إلى عدن أبين . وذكر ابن هشام^(٣)
أنه صلّم قد بعث سنة تسع (عام الوفود) بعلي بن أبي طالب رضی الله عنه
إلى أهل نجران ، ليجمع صدقتهم ، ويقدم عليهم بجزية . وقال ابن كثير مامضاه إن

(١) كتاب الزينة ٢١٩ .

(٢) حور ١٧٨ .

(٣) ابن هشام : سيرة ٩٦٥ .

النبي صلّم أرسل عليّاً إلى اليمن قبل حجّة الوداع - أى فى نهاية سنة ١٠ .
فقدم علىّ إلى صنعاء ، وصلى برجالها ، وجمع قبائل همدان ، وقرأ عليهم كتاب النبي
صلّم ، فأسلت همدان جميعها فى يوم واحد . ولما وصل الخبر إلى النبي صلّم
خرّاً ساجداً ، ثم رفع رأسه فقال : « السلام على همدان ، السلام على همدان » .
وقال علىّ فى ذلك : بعثنى رسول الله صلّم وأنا حديث السنّ ، فقلت : تعنى
إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علمى بالقضاء . قال صلّم : إن الله سيهدى
لسانك ، ويثبت قدمك . قال علىّ* : فاشككت فى قضاء بين اثنين^(١) . وقبل أن
يعود على من اليمن عمّر مسجداً بصنعاء عرف باسمه^(٢) . وذكر ابن لدبيع^(٣)
أن علياً دخل عدن أبين ، وخطب على منبرها خطبة بليغة ، وذلك قبل رجوعه
إلى المدينة .

ومما لا شك فيه أن هذه الاتصالات الشخصية باليمن قد تركت أثراً فى
نفوس الناس هناك . ذلك الأثر هو حبّ علىّ وآل بيت النبي* ؛ بقى هذا الحب
يزداد ما بقيت الأيام ، حتى إن الإمام الفاطمى المستور الحسين بن أحمد^(٤) ، حين
أرسل أبا القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى^(٥) داعياً إلى اليمن ،
أمره أن ينزل عدن لاعة ، لأنّ بها بعض من يدين بدعوته ، ولأنّ الله عزّ وجلّ

(١) ابن كثير : انبداية والنهاية ٥ / ١٠٤ -- ١٠٥ .

(٢) أبناء / دار ٨ .

(٣) قرة ٥ . لم نثر على هذه الرواية فى المصادر التى تحت أيدينا .

(٤) أبو المهدي عبد الله بن الحسين ، ويدعى الحسين القندى أحياناً (إدريس : زهر
الغانى ٦٣) وهو الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسحاق بن جعفر الصادق . وقد
اختلفت المصادر اختلافاً شديداً فى أسماء أجداد المهدي عبد الله . وذلك يرجع إلى التناثر الذى
فرضه الأئمة المستورون على أنفسهم وإلى اختياريهم أسماء غير أسماهم الحقيقية كما رواه الشيخ جعفر
ابن منصور اليمنى فى كتابه التمسى بالمرائى وحدود الدين (انظر الباب التاسع فى فصل عن
مؤلفات جعفر بن منصور اليمنى) .

(٥) كذا ورد اسمه فى افتتاح (٣ - ٤) . وفى المحور ١٩٧ جاء : أبو القاسم أبو الحسن

ابن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفى . واشتهر باسم منصور اليمنى ، بعد أن فتح هو وعلى بن
الفضل الحبشاني اليمن .

قسم لليمانية الآيتم أمر في هذه الشريعة إلا بتصرهم^(١)، فوصل إليها حيث وجد كثيرين ممن يدنون بالولاء لعل وآل بيته^(٢) .

كثّر عدد المحبين لعلّ في اليمن بعد هذه الزيارة . وأخذ هؤلاء بمملون على اكتساب الأنصار المحبين لعلّ ويرون أن عليا وحده أهل للخلافة ، وأولى الناس بمقام رسول الله بعده ، وأحقهم بالإمامة والقيام بالأمر في أمته^(٣) ، وأن الخلفاء الذين سبقوه قد انتزعوا حق الإمامة منه . ويدل امتناع بعض الصحابة عن مبايعة أبي بكر بالخلافة^(٤) على أن الأمة قد أذت بالانقسام إلى معسكرين من المسلمين ، ولكن السياسة الرشيدة التي نهجها أبو بكر وعمر قد ساعدت على كبح جماح هذا الانقسام إلى حد كبير ، إلا أن التشيع ظلّ منتشرًا في بلاد اليمن وغيرها ، ونجّلت مظاهره فيها في مواقف كثيرة .

رحمة ابن سبأ إلى مصر والفتنة الكبرى

فلما رحل عبد الله بن سبأ الصنعاني^(٥) إلى مصر بعد أن طاف بالكوفة والبصرة والشام ، التف حوله المسلمون هناك ، لأنه حل على سياسة الخليفة عثمان التي كانت مشاراً للسخط في العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، ونادى بحب علي لأنه أولى من غيره بالخلافة ؛ فانضم إليه في مصر عدد كبير ، كان في مقدمتهم محمد بن أبي بكر ، وقد ساعد انضمامه على نجاح ابن سبأ في دعوته لعلّ بن أبي طالب .

ولا نكون مخطئين إذا قلنا إن سبب رواج دعوة ابن سبأ في مصر يرجع إلى وجود عدد كبير من اليمنيين ، الذين جاءوا مصر من أيام الفتح الإسلامي واستقروا فيها^(٦) . وأن هؤلاء اليمنيين كانوا ممن يحبون عليًا وآل بيته .

(١) حور ١٩٨ . (٢) انظر الباب الثاني من هذا الكتاب (٣) حور ١٥٤ .

(٤) كالباس عم النبي وطلحة والزبير الذين أخذوا مع علي بن أبي طالب .

(٥) كان هذا يهوديا من أهل صنعاء ، دخل في الإسلام في سنة ٢٩ في خلافة عثمان ، وكان

من أقوى العوامل لإثارة الناس على عثمان (طبري ١ / ٢٨٥٩) .

(٦) كان معظم جيش الفتح الذي اعتمد عليه عمرو بن العاص في فتح مصر من اليمنيين .

فكان فيه جند من عك وغافق (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ٥٦) ثم لحق بهم جماعة من

ومما يدل على مبلغ تحمسهم لدعوته أن الخليفة عثمان عند ما أرسل عمار بن ياسر^(١) إلى مصر، ليصلح بينه وبين محمد بن أبي حذيفة، استطاع الثأرون على عثمان استمالة عمار إلى رأيهم . وإن انضمام هذا الصحابي الجليل إلى صفوف الناقلين على عثمان ليدل على مبلغ السخط الذي أثارته سياسة الضعف التي سار عليها هذا الخليفة .

من هذا نرى أن ابن سبأ قد نجح في مخطته، وهي تأليب العالم الإسلامي ضد عثمان . وتنفيذا لهذه الخطة كتب ابن أبي حذيفة أهل البصرة والكوفة، ودعاهم إلى الذهاب إلى المدينة . وخرج كل وفد في سبأته رجل، حتى وصلوا إلى خارجها . وجاء في الوفد المصري من اليمانيين: عبد الرحمن بن عديس العلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وسودان بن أبي رومان الأصبجي، ودرع بن يشكر بن أبرهة . ويقول الكندي: إن هؤلاء هم الذين قتلوا عثمان، وبايدوا عليا، وعادوا إلى مصر^(٢) .

وعلى الرغم من أن اليمانيين، كما يبدو، لم يلعبوا دورا إيجابيا في هذه الفتنة، إلا أن الحقيقة الملموسة توحى بأن اليمانيين كان لهم القسط الأكبر فيها . فإن العلاقة بين ابن سبأ الصنماني وبين المهجيين لدعوته في الأمصار المختلفة، وبخاصة مصر، تدل دلالة واضحة على أن اليمينية كانت لهم اليد الفعالة في قتل الخليفة عثمان؛ وذلك بسبب حبهم وولائهم لعلي وآل بيته .

== ثم وراشد (المصدر نفسه ٥٨) . وأن الذي يرجع إليه الفضل في اقتحام حصن الفرما هو سميع بن وعلة السبي (السيوطي : حسن المحاضرة ١/٧٦) . وأن اليمانيين أبلوا بلاء حسنا عند حصار حصن بابليون (فوح مصر ٦٢) . ولم ينقض وصول اليمينية إلى مصر، بل ظلوا يقفون إليها فمدة ضويلة . ففي خلافة معاوية بن أبي سفيان كان بالإسكندرية سبعة وعشرون ألفا من العرب الذين كانوا بالشام، وهم يمنية وبعض الأزد، ثم جاءهم جماعة من ثم (انقرضى : البيان والإعراب ٣٥) وسكن بصعيد مصر جماعة من أولاد ربيعة (نفسه ٤٨) وسكنت جهينة أسيروط وما بعدها (نفسه ٣٦) . (ماخص من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في جمعية الاتحاد العربي بالقاهرة) .

(١) كان عمار من عبي علي أيام الرسول، وكان من الأربعة الذين بشرهم الرسول بالجنة وكان تقيا ورعا . قال النبي : اقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي عمار (الإصابة ٤/١٢٢) (٢) الكندي : الولاة والقضاة ١٧

جهاد همدان مع الإمام علي

ومما ساعد على انتشار التشيع في اليمن جهاد همدان مع سيدنا علي بن أبي طالب في حروبه . ويعتبر ما قاله أمير المؤمنين نفسه دليلا واضحا على ذلك . فقد قال أيام صفين : « يامعشر همدان ! أنتم درعي ورُمحي ، والله لو كنت يوايا علي باب جنة لأدخلتكم قبل جميع الناس ، وما نصرتم إلا الله تعالى ، وما أحببتم غيره » . فقال سميد بن قيس وزيايد بن كعب : « أحببنا الله وإياك ، ونصرنا الله وإياك ، وقاتلنا معك من ليس مثلك ، فارم بنا حيث شئت » (١) .

فهذا القول هو من غير شك شهادة طيبة من الإمام لهمدان ؛ ولا عجب ، فقد كانوا جل أنصاره وخيرة رجاله الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل نصرته مدفوعين بعامل حبهم لله وحبهم لعلي ، وكرههم للظلم والظالمين . وليس أدل على حب الإمام لهم وحسن تقديره لجهودهم من هذه القصيدة التي مدحهم بها وقد جاء فيها (٢) :

ولما رأيت الخيل تُقرع بالقنا	فوارسها حمر النحور دواي
ونادي ابن هند ذا الكلاع ويخضب	وكندة مع نخم وحى جذام
تيممت همدان الذين همهم	إذا ناب أمر جنتي ورسهاي
وناديت فيهم دعوة ، فأجابني	فوارس من همدان غير لشام
فوارس ليسوا في الحروب بمزل	غداة الوغى من شاكر وشبام
ومن أرحب الشم المطاعين بالقنا	وينهم وأحباء السبيع (٣) وبام
ووادعة الأبطال يخشى مصالها	بكل رقيق الشعرين حسام
ومن كل حى قد أتاني فوارس	كرام لدى الهيجا وأى كرام
جزى الله همدان الجنان فإنهم	سما الميدا في يوم كل سما

(١) نزهة ٩/١ ؛ راجع أيضا لكيل ٤٦/١٠ — ٥٠ .

(٢) نزهة ٩/١ — ١٠ وهي قصيدة طويلة كلها مدح وتعداد لماثر همدان وبلائها في حروب الإمام علي .

(٣) قبيلة موجودة إلى الآن في حاشد .

رجال يحبون النبي ورهطه لهم سالف في الدين غير أئام
هم نصرونا والسيوف كأنها حربق تلطى في هشيم نعام
فلو كنت بوأبا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

مالك الأستر النخعي

ويعتبر مالك الأستر النخعي الياني^(١) من الأمثلة البارزة التي لعبت دورا هاماً في حروب علي وأبلى بلاء حسنا معه في موقعتي الجمل وصفين . ويدل موقفه من التحكيم على مقدار إخلاصه وتفانيه في الحصول على النصر . فقد قال الأستر عندما رفع جند معاوية المصاحف ووافق جند العراق على التحكيم :

« يا أهل العراق ! يا أهل الذل والوهن ! أحين ظن القوم أنكم لهم قاهرون
رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ، وهم والله قد تركوا ما أمر الله به فيها ،
وسنة من أزلت عليه ، فاهلوني فقد طمعت في النصر ... وأنتم الآن إذا أمسكتم
عن القتال مبطلون أم أنتم الآن محقون ؟ » .

قالوا : « دعنا منهم يا أستر » . قال : « خدعتم فأنخدعتم » . واستمر يحثهم ،
ولكن بدون جدوى^(٢) .

(١) قال ابن حزم (أنساب العرب ٣٨٩) : إبراهيم بن الأستر واسمه مالك وهو من بني مالك بن النخعي بن عامر بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، ومنهم عمرو بن زرارة النخعي أول من خلع ولاءه لعثمان بالكوفة . وليس إبراهيم اسمه مالك كما قال ابن حزم ، بل إبراهيم ابن مالك الأستر . واشترك إبراهيم بن مالك مع المختار في حروبه وقتل عبيد الله بن زياد . وقد اختير المرید (الكامل ٢٦٦ - ٢٦٧) النخعي من قبائل مضر حينما ذل : النخعي وشقيق إخوان من إباد ، وإباد بن زرار بن معد بن عدنان . ونسب المرید إلى أخت الأستر أيبانا تسمى فيها أخاها ، وهي :

وبعد الأستر النخعي نرجو مكاثرة وتقتله بطن واد
وتصحب مذحجا بأخاه صدق وإن نسب فنحن ذري إباد
تقب عمتا وأبو أيبنا وإخوتنا زرار أولو السداد

قال الثوري (نهاية الأرب ٣٠٢) ما معناه : النخعي بن عمرو القبيلة المشهورة من عمرو ابن علة بن جلد بن صدحج اه . وهذه القبيلة موجودة إلى الآن في أبن شرق عدن .

(٢) ابن الأثير : الكامل ١٧٣/٢ .

البراء السهماني

وقد كان البراء بن وفيد المذرى الهمدانى^(١) من الأمثلة الواضحة التي تدل على حب اليمنيين لإظهار كفة الحق ، وإغاثة الظلومين والضعفاء . فقد حارب هذا مع معاوية في موقعة صفين ، مما يدل على أن بعض اليمنيين قد انضم لمعاوية كما انضم البعض الآخر لملي^(٢) ، ولكن البراء تم على معاوية منعه للفرات من أصحاب على لما سبق عليه بصفين ، فقام إلى معاوية ، فقال : « سبحان الله العظيم ، حين سبقتموهم إلى الفرات تمنونهم الماء ، وإن فيهم العبد والأجير والأمة ومن لا ذنب له ؛ هذا والله أول الجور ، لقد بصرت المرتاب ، وشجعت الجبان ، وحملت من لا يريد قتالك على كتفيك » . فقال معاوية لعمر بن الماص : « اكفني صديقك الهمداني ، لا يفسد على عسكري » . فقام إليه عمرو ، فأغلظ له . فأنشأ البراء يقول :

لعمرو أبي معاوية بن حرب وعمرو ما لأبيهما وفاة
سوى طعن يحار القيل فيه وضرب حين تبتاع الدماء
فلمست بتابع دين ابن هند طوال الدهر ما أرسى حراء

(١) يقول عبد الدين الخطيب : إن البراء بهذا ليس له ذكر في كتب التراجم المتداولة في أيدي أهل السنة والشيعة ، مع أن ما وصفه به المؤلف (صاحب الإكليل) من الدهاء والزهدي ، وما ذكره له من خير وشر ، وكونه من قتل صفين ، كان يقتضى ألا ينفل ذكره في الكتب المشهورة ولا سيما كتب الشيعة (لإكليل ١٠ / ٦٣ هامش (٢)) .
(٢) جاء في الطبري (٣ / ٣٢٠) : إن الأشتر زحف يوماً (في أثناء موقعة صفين) فاستقبله معاوية بعك والأشعرين . فقال الأشتر لمذبح : اكفونا عكا ؛ ووقف في همدان وقال لكندة : اكفوني الأشعرين . فانتقلوا اقتتالا كثيرا ، وأخذ يخرج إلى قومه فيقول : إنما هم عك فاحلوا عليهم . فيحشون عن الركب ويرتجزون :

يا ويل أم مذحج من عك هاتيك أم مذحج نبيك
فترى البنية في جيش معاوية وعلى ، مما يدل على أن خلاف على ومعاوية لم يكن مبنيًا على العصبية الإقليميه . وكان المسلمون يخارون أحد الفريقين على حسب ميولهم الشخصية أو مبادئهم الدينية . فوجد المضريين والقطانين في كلال المسكرين بصرف النظر عن ميولهم أو مضرتهم ، ولكن الأغلبية من الهانية ، وبالخصوص المتحمسون منهم ، كانوا ينتسبون إلى حزب على ، لأسباب سبق أن بناها . فلا ريب أن الهن صارت بعد هذا معقلا منيعا للتشيع ، وأرضاخصة لزرع بنور الحركات الشيعية كما سنرى فيما بعد .

فقد ذهب المتاب ، فلا عتاب وقد ذهب الولاء ، فلا ولاء
وقولى فى حوادث كل أمر على عمرو وصاحبه الغناء
الآله درك يابن هند لقد ذهب الحياء ، فلاحياء
آحمون الفرات على رجال وفى أيديهم الأمل الظماء
وفى الأعناق أسياف حداد كأنّ القوم عندهم نساء
أرجو أن يجاوركم على بلا ماء وللأحزاب ماء
ثم وطىّ لاجنه الليل فى متن فرسه ، فلحق بعلى ، فقاتل معه حتى قتل^(١).
وزى أن البراء قد عزّ عليه أن يرى بى جلده ، بل وبى عمومته يشتركون فى تأييد
الباطل والظلم والعدو ، فدفعته الحمية أن يلتحق بعلى .

سعيد بن قيس الهمداني

وكان سعيد بن قيس^(٢) خاصاً^(٣) بعلى بن أبى طالب وصاحب همدان بالمراق ،
وهو أحد فرسان العرب المدودين ، وأحد الدهاة الخمسة وهم : معاوية وعمرو بن
الماص ، والمغيرة بن شعبة ، وقيس بن سعد بن عبادة ، وسعيد بن قيس ، ومن
الأجود والذبايين^(٤) . وقد كان جالسا يوما عند على بن أبى طالب ؛ فلما أن قام
قال على : هذا والله كما قال القائل :

مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ ، وَمَنْ فَعْلُهُ فَعْلٌ ، وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلٌ^(٥)

(١) إكليل ٦٤/١٠ - ٦٥

(٢) سعيد بن قيس بن زيد الهمداني ، ولهم بنية هم السعيديون بيت زود (صفة ١٩٠)
من ظاهر همدان ، وقد قال فيه حارثة بن بدر أشعارا كثيرة (إكليل ٤٦/١٠ - ٤٩)
(٣) قال محب الدين الحنفي : هذه الصفة لم يظنها المسلمون إلا على النسي (س) وإخوانه
من الأنبياء ، وأهلها من عمل المؤامر ليفعل بذلك ما يؤاخذ به العدنانيون من الإفراط
فى المعيبة القحطانية (نفسه ٤٦/١٠ هامش (١))

(٤) نفسه ٤٦/١٠

(٥) نفسه ٤٦/١٠

وسيد هذا الذي قتل عمر بن الحصين السكوني^(١) في بعض أيام صفين ، كما قتل المشرح فارس ذي رعين^(٢) مبارزة ، وفي ذلك يقول شعرا :

أقد فجعت بفارسها السكُونُ كما فجعت بفارسها رُعين
غداة أتى أبا حسن عليًّا ووسط النقع مرّداة طحون
فأطعته وقلت له : خذْهَا مسومة يخف لها القطين^(٣)

ومآثر همدان كثيرة ومواقفها الحميدة من علي وآل بيته عديدة ، أجلها صاحب الزهة في قوله :

وم جاهدوا أعداء آل عمّد وم نصرُوا آل النبي الأطائب
وم نصرُوا المنصور^(٤) في كل وقمة وحاطوا عداه من جميع الجوانب

محنة سبعة عليّ في ولايته بسر بن أرطاة

وقبل أن ينتهي النزاع بين علي ومعاوية أرسل معاوية من قبله بسر بن أرطاة العمري والياً على اليمن سنة أربعين^(٥) ، وسيّر معه ثلاثة آلاف جندي ، وأمره معاوية بأن يقتل شيعة عليّ هناك . فلما كان قريباً من صنعاء ، وعلم به عبيد الله ابن العباس والي الإمام عليّ على بلاد اليمن^(٦) ، جمع عبيد الله هذا أهل صنعاء وخطب فيهم وحرّضهم على القتال . فلما يئس من نصرتهم استخلف عمرو

(١) قد تكفل هنا لمعاوية أن يفتك على غرة بعل . فحين كان على في شغل بقتال القوم والصولة عليهم حل الكوني على أمير المؤمنين من خلفه ، ولكن سعيد بن قيس قسم ظهره بالرمح قبل أن يقوم بصله (زهة ١٠/١) .

(٢) وكانت ذو رعين اليمنية تحارب مع معاوية في صفين .

(٣) زهة ١٠/١ - ١١ .

(٤) يريد بذلك منصور اليمن أبا القاسم (نفس المرجع ١١/١ - ١٢) .

(٥) يقال له بسر أيضاً ؛ ذكر صاحب الإكليل ٦٦ أن اسمه بسر .

(٦) كان بعل بن منبه والياً على صنعاء ، وعبد الله بن ربيعة على الجند ، وذلك في أيام عثمان . فلما جاء على خلفهما وولى عبيد الله بن العباس على صنعاء وأعمالها ، وسعيد بن سمد بن عبادة الأنصاري على الجند (الطبري حوادث سنة ٣٤ ص ٣٠٥٧) .

ابن أبي أراكَةَ التَّمِظِيُّ عَلَى عَمَلِهِ وَسَارَ حَتَّى بَلَغَ الْكُوفَةَ يَرِيدُ عَلِيًّا ، وَتَرَكَ وَلَدَيْنِ صَغِيرَيْنِ لَهُ عِنْدَ أُمِّ سَمِيدٍ . فَلَمَّا قَدِمَ بِسَرِّ صَنْعَاءَ اسْتَدْعَى الْوَلَدَيْنِ فَقَتَلَهُمَا ، وَقِيلَ ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أَبِي أَرَاكَةَ ، ثُمَّ قَتَلَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا كَانُوا قَدْ تَشَفَّعُوا فِي الطِّفْلِينِ . وَكَانَ قَتْلُ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا عَلَى بَابِ الْمَصْرَعِ ^(١) ، فَدَفِنَ الْوَلَدَانِ حَيْثُ قَتَلَا ، وَبَنِيَ عَلَيْهِمَا مَسْجِدًا ، وَهُوَ مَشْهُورٌ هُنَاكَ بِاسْمِ مَسْجِدِ الشَّهِيدَيْنِ ^(٢) .

وَكَانَ بَشْرٌ هَذَا أَوَّلَ جَيْتَارٍ دَخَلَ صَنْعَاءَ الْيَمَنَ فِي الْإِسْلَامِ ، فَصَفَّ بِأَهْلِهَا وَعَاتَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا . وَلَمَّا بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا هَذَا الْخَبْرَ ، جَهَّزَ أَنِي فَارِسَ مِنَ الْكُوفَةِ ، وَمِثْلَهَا مِنَ الْبَصْرَةِ ، وَسَيَّرَهَا بِقِيَادَةِ حَارِثَةَ بْنِ قَدَامَةَ السَّمْدِيِّ ، وَأَمَرَهُ بِدُخُولِ الْيَمَنِ وَمِتَابَعَةِ بَشْرٍ حَيْثُ كَانَ وَمُؤَاخَذَتِهِ عَلَى مَا ارْتَكَبَ مِنَ الْفَسَادِ . وَلَمَّا وَصَلَ حَارِثَةُ الْيَمَنَ هَرَبَ بَشْرٌ وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُهُ ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ تَرَكَ جَمَاعَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ لَزِمَهُمْ حَارِثَةُ وَنَسَكَلَ بِهِمْ ، ثُمَّ عَادَ إِلَى مَكَّةَ ، وَهُنَاكَ سَمِعَ بَوَاةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَالْحِجَازِ لِمَنْ يَبِيعُ لَهُ أَصْحَابٌ عَلَى ^(٣) .

نَسْتَخْلَصُ مِنْ هَذِهِ الْحَوَادِثِ أَنَّ الصَّرَاعَ بَدَأَ بِالْفِعْلِ بَيْنَ الْمَسْكُورِينَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ : شَيْعَةَ عَلِيٍّ وَأَنْصَارِ الْأُمَوِيِّينَ ، وَأَخَذَتْ ضُجَايَا هَذَا الصَّرَاعِ تَتَوَالَى عَلَى حِسَابِ الْمُسْلِمِينَ . وَأَخَذَ كُلُّ فَرِيقٍ يَرَى أَنَّ الْحَقَّ بِجَانِبِهِ ، وَيَسْتَمِيتُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ عَقِيدَتِهِ ، كَمَا نَسْتَنْتِجُ أَنَّ وُجُودَ مَسْجِدِ الشَّهِيدَيْنِ تَحْتَ أَنْظَارِ أَبْنَاءِ الْيَمَنِ الْمَوَالِينِ لِعَلِيٍّ يَعْتَبَرُ مِنَ الْعَوَامِلِ الْفَعَّالَةِ الَّتِي سَاعَدَتْ عَلَى تَسَكُّتِهِمْ وَتَرْبِصِهِمْ بِعَمَّالِ بَنِي أُمَيَّةٍ كُلَّمَا أَتَيْتْ لَهُمُ الْفُرْصَةُ . وَلَمَّا تَوَلَّى مَعَاوِيَةَ الْخِلَافَةَ دَأَبَ عَلَى اتِّبَاعِ سِيَاسَةِ سَبِّ عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ عَنِ الْمَنَابِرِ ، ثُمَّ أَثَارَ حَنْقَ الشَّيْعَةِ عَلَيْهِ ، وَسَبَّبَ ذَلِكَ اضْطِرَابَاتٍ كَثِيرَةً فِي الْبِلَادِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَبِمَخَاصَةِ الْكُوفَةِ الَّتِي أَرْسَلَ أَهْلَهَا إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ يَدْعُوهُ إِلَيْهِمْ ، فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ^(٤) .

(١) باب المصراع ذكره الهمداني في إكبابه ١٠/٦٦ صفة ٢٤٣ .

(٢) أبناء/دار ١٣ .

(٣) أبناء/دار ١٣ .

(٤) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ٣/٣ - ٤ .

تورة التوابين

وكانت فاجمة كربلاء الأليمة لقتل الحسين بن علي في عهد يزيد بن معاوية . وكان لقتله أثر بعيد في إذكاء نار التحمُّس في نفوس الشيعة وتوحيد صفوفهم ، فصاحوا صيحة واحدة : الأخذ بثأر الحسين ! وغدا المداء بين الأمويين والملويين شديد الخطر . ولم يسكت الشيعة عن دم الحسين ، بل تجمَّروا بالكوفة سنة ٦٥ في عهد الخليفة الأموي مروان بن الحكم ، وتابوا عن تقصيرهم في حق الحسين ، فسُمِّوا التَّوابين ، وحزموا أمرهم ، وقادهم سليمان بن صرد لمحاربة عبيد الله ابن زياد ، ولكنهم هزموا في موقعة عين الوردة وقتل قائدهم^(١) .

تورة المختار وقامره إبراهيم بن مالك الأشتر

وما لبثوا أن انضوا بعد ذلك تحت لواء المختار بن أبي عبيد^(٢) الذي طرد عامل الكوفة من قبل ابن الزبير ، وأرسل بعد ذلك جيشاً بقيادة إبراهيم ابن مالك الأشتر النخعي لقتال ابن زياد والأخذ بثأر الحسين بعد أن عجز التوابون عن ذلك . فسار إبراهيم هذا حتى لقي ابن زياد ومن معه من أهل الشام على نهر الخازن^(٣) ، فدارت الدائرة على ابن زياد ، وقتل هو وكثير من أهل الشام .

«فكان بلاؤهم بالمختار وقامده إبراهيم بن الأشتر عدلا لارحمة فيه ولا نحسب قسوة بالآخمين سلحت من اللوم أو بلفت من المذمرا بلفته قسوة المختار»^(٤) . وكان من أثر انتصار ابن الأشتر على ابن زياد أن ازداد تعلق الشيعة بالمختار، والتفَّ حوله كثير منهم .

(١) ابن الأثير : الكامل ٧٣/٤ - ٧٩ .

(٢) ظهر في ميدان السياسة سنة ٦٦ ، ونقلب في كثير من الأحزاب ، فاضم إلى الشيعة ، واستغل ثورة التوابين على بني أمية ، واستولى على الكوفة ، ونال من بني أمية ولكنه قتل سنة ٦٧ بالقرب من الكوفة (طبري ٢/٦٧١ ؛ حور ١٨٢) .

(٣) هو نهر يصب في الدجلة ما بين الزاب الأعلى والموصل .

(٤) عباس العقاد : أبو الشهداء ١٦٣ .

عمر بن عبد العزيز بأمر مجمع سبّ عليّ

ولما تولى الخلافة عمر بن عبد العزيز سنة تسع وتسعين أقرّ ولاية وهب بن منبّه على بلاد اليمن ، وأمره بالامتناع عن لعن أمير المؤمنين عليّ في جميع الآفاق^(١) ، ووصل الأمر بذلك إلى صنعاء ، فخطب الخطيب بجامعها ، وتلا قوله تعالى : **إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْتِئَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ آيَةً** ، بذلا عن اللعن ، فقام إليه ابن محفوظ ، وقال : « قطعت السنة ، والله لأنهضنّ إلى الشام ، فإن وجدت عمر عازما على قطع السنة ، لأضرم منّ عليه الشام نارا » . فخرج ابن محفوظ من صنعاء ، فلحقه أهلها في الموضع السمسي بالنجبل ، فرجموه بالحجارة حتى غمروه وغمروا بفلته ، وهو يرجم بالحجارة إلى الآن^(٢) .

وإنا نرى من جهة أن عمل الخليفة عمر بن عبد العزيز بدلّ عليّ أنه صادف هووى في نفوس أهل اليمن ، فمبروا عن ذلك بقتلهم لابن محفوظ ، ورجوا مكان قتله بالحجارة ، ومن جهة أخرى نرى أن هذا العمل ليس بفريب على هذا الخليفة الذي اشتهر بالصلاح والتقوى . ولا عجب فقد سار عمر سيرة أبيه عبدالعزيز في مصر ، فقد أزعجه أنه كان إذا وصل إلى ذكر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام تتمتع . فلما قال له ابنه عمر : لمّ فمات ذلك ؟ قال : يا بنيّ اعلم أن العوامّ لو عرفوا من عليّ بن أبي طالب ما عرفه نحن لتفرقوا عنا إلى ولده . فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قطع السبّ وجعل مكانه الآية المذكورة .

استار السبّة في المهديّة الأماميّة والعباسيّة

ظلّ التشيع مستترا في بلاد اليمن ، واستمرّ المشيعون في ولائهم لعليّ وبيته مهما وقع من ضغط الولاة من بني أمية وبني العباس . وبقيت هذه الطائفة تعمل في الخفاء والظهور كلّما ساعدتها الظروف طوال هذه المدة .

(١) المسعودي : مروج الذهب ١٢٦٧/٢ - ١٦٨ .

(٢) الفخرى : الآداب السلطانية ١١٧ .

ومما يدلّ على بقاء هذه الطائفة في بمض جهات اليمن وعلى وجه خاص في منطقة عدن لاعة قول السيّد الحميريّ حيث قال^(١) للإباضية تعريفاً لنفسه :

إن تسألني بقوم تسألني رجلاً في ذروة العزّ من أحياء ذي يمن
حول بها ذوكلاخ في منازلها وذو رُعين وهمدان وذو يَزَن
والأزد أزد عُمانَ الأكرمون إذا عُدَّت مآثرهم في سالف الزمن
بانت كبريتهم عني فدارهم داري ، وفي الرجب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحجج منزلٌ وسط منها ، ولي منزل للعزّ في عدن^(٢)
ثمّ الولاء الذي أرجو النجاة به من كِبّة النار للهادي أبي الحسن

ولعل انتشار التشيع والتشيعين سرّاً وعلانية في بلاد اليمن كان من أهمّ الأسباب التي دعت الإمام المستور الحسين بن أحمد إلى إرسال أبي القاسم منصور اليمن إلى تلك النواحي من اليمن سنة ثمان وستين ومثتين كما سبق أزد ذكرنا ، كما كانت من أهمّ الأسباب التي حملت بمض قبائل اليمن إلى دعوة الإمام الهادي^(٣) سنة ثمانين ومثتين للوصول إليهم . في ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « وأقرّ له الناس بالطاعة إذ كان خروجه باستدعائهم ، فلبث مدّة يسيرة حتى ظهر له منهم الخلاف لأوامره . . . فانقلب راجعاً إلى الحجاز . ولما ارتبكت بلاد اليمن بسبب الفتن والقحط عاد اليمنيون وتضرّعوا له ، فرجع في صفر سنة ٢٨٤ ؛ وإن سبب رجوعه أن بنى فطيمة من خولان صعدة خرجوا إلى الهادي إلى الرّسّ من أرض الحجاز لاستدعائه للخروج » .

(١) الأصبهاني : الأغاني ٧/ ٨ .

(٢) المقصود هنا عدن لاعة .

(٣) ورد نسبة في جمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٨ على الوجه الآتي :

يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أمير طالب . ويقول نشوان (حور ١٩٦) : ولقبه الهادي إلى الحق ، ولد هذا الإمام سنة ٢٤٥ وتوفى سنة ٢٩٧ ، وكان عالماً جليلاً وخطب له بمكة سبع سنين ؛

راجع احاط ١٢ . (٤) أنباء / ماضى ٨ .

وإننا نرى أن سبب رجوعه إلى اليمن بالإضافة إلى ما قاله صاحب الأنباء هو رغبة اليمنيين في أن يتولى أمر دينهم وديارهم أحد الأئمة من أهل البيت ، ونظن أن الذي شجَّهه على قبول دعوة اليمنيين نجاح سفارة منصور اليمن وتأسيسه في اليمن دولة موالية للأئمة الفاطميين . ولما كان الإمام الهادي ينتمي إلى بيت النبي وجد أهل اليمن فيه كل ما يرجونه من أمر ، فدعوه إلى بلادهم ، ووَلَّوه عليهم . فاستقرَّ في صعدة وبقيت سلالة في اليمن إلى يومنا هذا : كما استطاع منصور اليمن أن يحرز نجاحاً باهراً بفضل دعوته إلى الأئمة من نسل فاطمة الزهراء .

وكذلك بدأت في أواخر القرن الثالث المنافسة بين الدعوتين الشيعيتين الفاطمية والزيدية اللتين اشتبكتا في صراع دموي بل في حرب إبادة للقبط على ناصية الحكم طوال القرون التالية ، بالرغم من أنهما كانتا تهدفان إلى تأسيس دولة موالية لأهل بيت النبي .

نجد اليمن مستودع النُبع

من هذا المرض التاريخي الموجز يمكننا أن نقرّر أن نجد اليمن صار حصناً من حصون الشيعة بل مستودعاً من مستودعاتها ، لأن أهلها برهنوا في مواقف عديدة على حبهم لعليّ وبينه . ويعتبر انتشار التشيع في تلك البلاد بالإضافة إلى ضعف الحكم ووهن الرباط الذي كان يربطها بالعباسيين من أهمّ العوامل التي هيأت الظروف إلى نجاح سفارة الفاطميين في بلاد اليمن . وهذا ما سنعالجه في الباب التالي .

الباب الثاني

الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن

(٢٦٨ - ٣٠٣)

الحالة السياسية والدينية عند ظهور منصور اليمن

كانت اليمن تابعة للدولة العباسية ، وكان الولاة يتعاقبون عليها من قبلهم ،
وأنخذوا صنما حاضرة لهم ، ولكن الأمور فيها لم تكن مستقرة استقرارا تاما ،
لأن السلاطين والأمراء اليمنيين كانوا يتنافسون لتولي الحكم من قبل خلفاء
بني العباس . كذلك كانت الأمور في جزيرة العرب بصفة عامة غير مستقرة بسبب
الثورات التي قام بها العلويون في بلاد الحجاز واليمن ، وبسبب ظهور القرامطة
في بلاد البحرين ووسط سلطنتهم على اليمن وعمان ، وبسبب نشاط دعاة الفاطميين
في نشر دعوتهم لقلب النظام الموجود في العالم الإسلامي .

وكان لهذه الأحداث أثر غير مرضي في الجزيرة بأسرها ، فصارت في شبه
عزلة كما تأخرت ماديا وعليا . ولم تكن بلاد اليمن بصفة خاصة وحدة سياسية ،
تجمع شمل الولايات التي نهكتها المنافسات الداخلية والاختلافات المذهبية ،
تحت لواء واحد ، وتقوم الجميع نحو هدف واحد . وكانت الولايات في هذه البلاد شبه
مستقلة عن الدولة العباسية إداريا وسياسيا لضعف الخليفة عن حربها ، ولكنها
لم تستطع الاستقلال عنه دينيا ، لأن الولاة كانوا لا يستنونون عن بيعة الخليفة

لتثبيت سلطتهم^(١). فكان بنو زياد^(٢) في زبيد ، وبنو يعفر^(٣) في صنعاء يعترفون بالسيادة لبني العباس ؛ ثم دخل بنو يعفر تحت سيادة بني زياد حيث استمر الحكم في دولتهم ، حتى خلع أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم (٢٨٩ - ٢٩١) طاعة العباسيين ، وحلت في عهده عوامل الاضطراب التي أدت إلى عدم الاستقرار و فقدان الوحدة السياسية ، ومن أهمها ظهور الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي سنة ثمانين ومثبتين حيث نزل صعدة لنشر دعوة الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، واتسببه عدد غير قليل من القبائل التي كانت تميل إلى التشيع . فصارت الزيدية من يوم ظهوره من أهم العناصر في حياة اليمنيين . وهكذا أصبح في بلاد اليمن بمد ظهور منصور اليمن في سنة ٢٦٨ أربع ولايات ، وهي الدولة الزيدية في زبيد ، ودولة بني يعفر في صنعاء ، ودولة بني الرس في صعدة ، والدولة الفاطمية تحت قيادة أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن الفضل الجيشاني .

وقد أدّى هذا الاضطراب السياسي إلى كثرة النزاع بين الولايات ، بل بين زعماء كل ولاية ، مما زاد الطين بلة ، ومهد لقيام الدعوة الفاطمية^(٤) التي ظهرت في اليمن سنة ٢٦٨ على يد أبي القاسم (منصور اليمن) وزميله علي بن الفضل .

ونتيجة لظهور هذه الدعوة واستيلاء الداعيين فيها بمد علي معظم بلاد اليمن ، بالإضافة إلى ما قام به أتباع الأئمة الزيدية من الحروب ، اضطرت الأطراف على أبي الجيش ، وخرج زعماء البلاد كل في جهته ، ولم يسع أبا الجيش أمام هذه الاضطرابات إلا مهادنتهم واعترافه بما تحت أيديهم خضوعاً لسياسة الأمر الواقع .

(١) ابن الأثير : الكامل ٩/ ٢١٣ .

(٢) من ولد عبيد الله بن زياد بن أبي سفيان ، وقد ولي محمد بن زياد اليمن من قبل الخليفة المأمون العباسي سنة ٢٠٣ (تاريخ ابن الجاور ١/ ورقة ٥٢) .

(٣) قامت دولتهم في اليمن في آخر عهد التوكل ، وكان جدهم عبد الرحيم بن إبراهيم الموالي نائباً عن جعفر بن سليمان بن علي الهاشمي الذي كان والياً للخلقة المتصم على نجد اليمن ، ولما توفي عبد الرحيم خلفه ابنه يعفر وهو رأس الدولة وباعت استقلالها سنة ٢٤٧ ، واستمر أعقابه في صنعاء حتى سنة ٢٨٧ وهو من أولاد النباية من حبر ، كما حكاه عمارة / كافي ٤ .

(٤) أبناء/ دار : ٢ .

ولم يكن مُبداً بلاد اليمن عن بغداد حاضرة الدولة العباسية بأقل أهمية من العوامل السابقة ، لأن جماعات الشيعة كانت تلجأ في نشر دعوتها ومبادئها إلى الاستتار والبعد بقدر الإمكان عن أعداء الدعوة ، بأنخاذ الأقطار البعيدة مزرعة لإنضاج هذه المبادئ . وقد وجد دعاة الفاطميين في مُبدا اليمن عن مركز الخلافة في بغداد وسيلة لتنفيذ مشروعاتهم ، حتى يمكن القول بأن هذا البعد بالإضافة إلى وعورة الطريق وطبيعة بلاد اليمن الجغرافية المعقّدة ، كانت من أهم الأسباب التي حالت بين خلفاء العباسيين وبين توجيه الجيوش إلى اليمن لأنقاذها من دعاة الفاطميين . واكتفى الخلفاء بأن يهدوا إلى ولائهم من جهة ، وتكليف زعماء البلاد من جهة أخرى القضاء على هذا التيّار الجارف — تيّار الدعوة الفاطمية . ولكن ضعف الولاة وتنازعهم الدائم مع زعماء البلاد المتنافرين كان من أهم العوامل التي ساعدت على انتشار الدعوة الفاطمية فيها . لهذا حق لابن الفضل البهائي أن يقول عند ما عرض عليه الإمام الفاطمي الحسين بن أحمد أبو المهدي عبد الله أن يقوم بيتّ الدعوة باليمن : « والله إن الفرصة ممكنة في اليمن ، وإن الذي تدعون إليه جائز هنالك ، وناموسنا يمشى عليهم . وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الأحلام وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية » (١) .

في هذا الجوّ السياسيّ المضطرب وفي هذه البلبلة الدينية ظهر أبو القاسم منصور اليمن في بلاد اليمن فتمكّن في فترة وجيزة من أن ينشئ دولة موالية للخليفة الإمام المهدي عبد الله بن الحسين .

سفارة الفاطميين في بلاد اليمن

كان لدعاة الفاطميين الأقدمين خبرة ودراية باختيار الرجال ، وأنخذوا مواعيد الزيارة بالكوفة حيث قبر الإمام الشهيد الحسين بن علي وسيلة لبث مبادئهم

(١) وامل ما أشار إليه الحمادي في الكشف ٢٢ بخصوص ضعف الأحلام في اليمنية على لسان علي بن الفضل الجبشاني القحطاني البحت يكون بيّدا عن الصواب مع علنا بأنصار ابن الفضل بفطانتته وتمصبه لبني جلده .

وعقائدهم ، ودليلاً على مقدار إخلاص أهل الدعوة إلى صاحب المقام .

وكان الأئمة والدعاة الأقدمون يبذلون كل جهدهم في تحويل أكبر عدد من الرجال النافعين للدعوة إلى مبادئهم ، خصوصاً من كانوا يلبسون فيهم نبوغاً ، فقد ظفروا بأبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي هناك وهو من ولد عقيل بن أبي طالب . وكان من أهل بيت علم وتشيع ، قرأ القرآن وطلب الحديث والفقه^(١) ، وكان يدين بمذهب الإمامية الاثنا عشرية ، وتمسك الإمام الحسين بن أحمد من تحويله إلى مذهبه ؛ ويقول أبو القاسم : « وكان الإمام يخصني ويقربني ويرمز بقرب الأمر ودنو العصر »^(٢) ، فقال له : « يا أبا القاسم ! البيت يمانى والركن يمانى والدين يمانى والكمبة يمانية ، ولن يقوم هذا الدين ويظهر إلا من قبل اليمن ... يا أبا القاسم ! هل لك في غربة في الله ؟ » . قلتُ : « يامولاي ! الأمر إليك ، فما أمرتني به أمثلكه » . قال : « اصبر ، كآني رجل قد أقبل إلينا من اليمن ، وما لليمن إلا أنت » . فقلتُ : « أستعين بالله على ما يرضيك » .^(٣)

من هذا نرى أن أبا القاسم قد أصبح مهيباً للأمر الذي أرادته الإمام ، وأصبح موضع ثقة ، وأمله الذي يرجوه ، ونرى أيضاً أن الإمام كان على علم بوصول علي بن الفضل الجدني الخنفرى الجيشانى^(٤) ، بطريق رئيس الدعوة في اليمن من قبل هذا الإمام ، في الوقت الذي كان فيه ابن الفضل لا يعرف شيئاً عن الإمام المستور حسين ابن احمد ولا عن دعوته .

وصل علي بن الفضل إلى الكوفة سنة سبع وستين ومثني بعد أن أدى

(١) افتتاح ٣ . وينسب إليه رسالة الرشد والهداية نشرها محمد كامل حسين بجملة Collectanea ج ١ (١٩٤٨) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٢) نفسه ٩ ؛ عيون ٤٠/٥ . (٣) افتتاح ٩ .

(٤) جدن من ذى جدن . وجيشان مدينة باليمن . وفي قرّة ١٣ قال : إنه ولد خنفر بن سبأ الأصغر . كان في أول أمره لاشهره له . وقد تعلم أصول الدعوة في الكوفة ، ثم رجع إلى اليمن . وقال القاضي النعمان (افتتاح ٩) : وكان ابن الفضل شاباً جميلاً من أهل بيت تشيع ونعمة وبسار . ويقال له أبو الحسن علي بن الفضل . خرج حاجاً من جيشان في جماعة من أهلها .

فريضة الحج في مكة ، وأخذ يبكي عند قبر الإمام الحسين بن علي وينتحب ويمد مناقبه ويذكر فضله^(١) ، مما جعل الفاطميين ودعاتهم يحرسون على اسمائه إلى دعوتهم .

وبالرغم من اختلاف المؤرخين في الشخص الذي عهد لأبي القاسم وابن الفضل بالسفر إلى بلاد اليمن ويمكننا أن نقرر هنا اعتمادا على ما قاله القاضي النعمان^(٢) ، أن الإمام الحسين بن أحمد هو الذي قام بهذا الأمر لأن الإمام بعد أن أخذ الوثائق على أبي القاسم ووصل ابن الفضل عنده قال : « ... يا أبا القاسم ! هذا الذي كنا نتظره فكيف رأيتك في الذي عرضته عليك من أهل اليمن ؟ » فامتثل أبو القاسم لأوامر الإمام التي قال له فيها : « ... إلى عدن لاعة فأقصد ، وعليها فاعتمد ، فمنها يظهر أمرنا ، وفيها تمر دولتنا ، ومنها تفرق دعواتنا »^(٣) . ثم أمره بالاستتار والاعتماد على التأويل ، واتخاذ الشيع وسيلة لتحقيق أغراضه ، وأن يقول بقرب ظهور المهدي^(٤) . ثم قال له : « واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتشف ، واعمل بالظاهر ، ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وإن ورد عليك ما لا تملأه فقل لهذا من يملأه وليس هذا وقت ذكره »^(٥) ؛ كما أوصاه بعل بن الفضل خيرا فقال له : « هو شاب قريب عهد بالأمر ، فانظر كيف تسوس أمره »^(٦) . ثم توجه إلى علي بن الفضل فقال له : « إن هذا الرجل الذي نبئت به معك بحر علم ،

(١) افتتاح ١٠ .

(٢) نفسه / ١٢ ؛ ولسكن لإدريس (عيون / ١١٩/٥) يروي عن صاحب سيرة الإمام المهدي أن الإمام الحسين قبل أن يتوفى استكمل أخاه أبا علي الحكيم وهو محمد بن أحمد المسمى بسعيد الخير إلى ابنه المهدي وكان عم الإمام المهدي . وهو الذي أخذ أبا القاسم إلى اليمن بعد وفاة الإمام الحسين بن أحمد . ويحتمل أن يكون الإمام حسين هو الذي أخذ الوثائق على أبي القاسم وزميله ، ولكنه توفي قبل أن يسافر السفيران إلى بلاد اليمن ، ومهما يكن من أمر فإن السفارة قد أرسلت إلى اليمن في شخصي أبي القاسم وابن الفضل .

(٣) افتتاح ١٢ .

(٤) Quatremere : Memoires J. A. 1836 ص ١٨٤ .

(٥) نفسه ١٤ .

(٦) افتتاح ١٣ .

فانظر كيف تصحبه»^(١). ثم قال: «الله بصاحبك، وقرّنه واعرف له حقه، ولا تخالفه فيما يراه لك، إنه أعرف منك وإنك إن خالفته لم ترشد»^(٢). ثم قال لها: «أبشكما إلى اليمن، تدعوان إلى ولدي هذا، فسيكون له ولذريته عزّ وسلطان، وإن الله عزّ وجلّ قسم لليمانيين ألا يتمّ أمر في هذه الشريعة إلا بنصرهم»^(٣).

سير السفيرين إلى اليمن

خرج السفيران من الكوفة إلى القادسيّة في نهاية سنة سبع وستين ومثنتين ويقول أبو القاسم «ولما ودّعت الأهل والأحبة متشوقاً إلى إقطاع الغربة توجهت، فلما خرجت من القادسية أوجست خيفة، فسمعت حاديا يقول:

يا حادى العيس مليح الزّجرِ بشرّ مطاياك بضوء الفجر^(٤)

فسررت واستحسنيت ذلك الفأل لما سمعته، ووافيت مكة في حين قدوم الحجاج من اليمن^(٥). وبعد أن أدّى مناسك الحج تابع مع زميله السيرجنوبيا حتى وصل إلى غلافقة في أول سنة ٢٦٨، وكانت في هذا الوقت بندرا لمدينة زيد على ساحل البحر الأحمر. ثم افترق الداعيان بعد أن اتفقا على أن يتصل كل واحد منهما بصاحبه ليُتَعرف أحواله، فأبحه أبو القاسم إلى مدينة الجند، وكانت غايته عدن لاعة^(٦)، لأنها كما يقول الإمام الحسين لأبي القاسم «أقوى لأمرك وأمضى لناموسك»^(٧). وقد وصل إليها عن طريق بعض تجار هذه المدينة من بني موسى، تقابل معهم في عدن أبين ولما وصل لاعة أخبره من بها من أهل الدعوة أن الداعي أحمد بن عبد الله بن خليع كان قائما بالدعوة، ولكن الأمير ابن

(١) افتتاح ١٤ . (٢) كشف ٢٣ .

(٣) إدريس: زهر المعاني ٦٥ . (٤) افتتاح ١٤؛ عيون ٣٥/٥ .

(٥) افتتاح ١٤؛ عيون ٣٥/٥ .

(٦) وجاء في العيون ٣١/٥ - ٣٣: أخذ أبو القاسم ينتقل من غلاف بني طريف من ناحية صعدة إلى الظاهر، ثم وصل إلى قيلع عجب ثم دخل صنعاء، وخرج منها حتى وصل إلى الجند، وكانت غايته عدن لاعة.

(٧) افتتاح ١٢؛ كشف ٢٤ .

بمفر قبض عليه ، وتوفى الداعي في السجن منذ عهد قريب ، فنزل أبو القاسم في دار من دور ابن خليع ، وزوّج ابنته^(١) ، وتقلّد مقاليد الدعوة هناك .
أما علي بن الفضل فقد أبحه إلى بلاد يافع الجبلية ، بالقرب من الجند .

تساط منصور اليمن الحرّبي

نهج السفيران منهجا واحدا في نشر نفوذهما في بلاد اليمن ، وقد اتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ . فأظهر كل منهما الزهد والتقشّف والصلاح ابتغاء الوصول إلى غايته^(٢) ، وعملا بوصية الإمام الحسين بن أحمد إليهما^(٣) ، كما تظاهر كل منهما بالتفقه في الدين والتضلع في المذاهب السنية ، وكانا يأمران بالمعروف ، وينهيان عن المنكر . فال إليهما كثير من أهل اليمن ، وأقبلوا عليهما من كلّ فجّ ؛ وبخاصة بعد أن أظهرتا دعوتيهما علنا في سنة سبعين ومئتين ، بعد أن قام كل منهما بدعوته سراّ لمدة سنتين . فأصبح لكل منهما جماعة كبيرة ، تخلص له الإخلاص كله . وبمد أن قوى حزب كل منهما في جهته عمل على الحصول على الأموال ، لتنفيذ أغراضه ، وللدفاع عن أتباعه . وكانت الزكاة هي السبيل المستقيم الذي يتفق وأمور الدين . فأمر أبو القاسم من جهة أتباعه بجمعها ، واستعمل عليها منهم ثقات وعدولا ، يقبضون أعشارهم (أعشار أموالهم) على ما يوجبّه الفقه^(٤) .

ولما هوجم أبو القاسم ، وقتل بعض أصحابه ، أشار عليه بمض مشايخ الدعوة بالاتحاد ، وتدير الدفاع عن كيانهم ، كما سيأتى ذكره . وقال صاحب الميون^(٥) : « إن أبا القاسم طلب من أتباعه ألف دينار ، فأعانه بها خمسة منهم . فاستمد بها ، وصعد عبر محرم ، وسكن به ، وأسكن معه خمسين رجلا من وجوه أهل دعوته » . وبينما ترى أبا القاسم يقوم بتنفيذ هذه الخطة إذا باين الفضل يسلك نفس

(١) افتتاح ١٧ ، ١٢ ؛ عيون ٣٨/٥ . (٢) أنباء/دار ٢٠ .

(٣) افتتاح ١٣ ؛ انظر س ٣١ . (٤) كشف ٢٥ .

(٥) عيون ٤١/٥ ؛ قرّة ورقة ١٢ .

الطريق ، فيأمر أتباعه المخلصين ببناء حصن فوق جبلهم ، ويتم له ذلك في جهة سرو يافع^(١) . ونحن نرى أنه كان لبناء هذه الحصون غرضان : فالغرض الأول الظاهر هو حفظ أموال الزكاة ؛ ولكن الغرض الحقيقي هو اتخاذها قواعد ارتكاز يسط منها الدعاة نفوذهم السياسي والمذهبي .

وقد ساعدهم على هذا النجاح المستمر الظروف المحيطة . وقد قتل محمد بن يعفر في سنة سبعين ومثنيين ، واختلف أهل بيته فيما بينهم . تلا ذلك خطوة عملية جديدة ، وهو دور الحرب ، وتكوين الدولة المنشودة - دولة المهدي . فأبو القاسم لم يصمد عبر محرم إلا عند ما هجم عليه إسحاق بن طريف بجيش جرار ، قتل من أتباعه اثني عشر رجلا . يقول إدريس^(٢) : « فضاق الأمر على أصحابه . فاجتمع إليه المشايخ من أهل الدعوة ، وسألوه حسن النظر والتدبير لهم . فعرفهم أن ذلك لا يكون إلا بمحصن يلجئون إليه ويمتنعون فيه ، فعرضوا عليه حصون البلد ، فاختر منها عبر محرم » ، واحتله كما سبق أن ذكرناه .

ولا بد أن يكون أبو القاسم قد اتفق مع بني المرحى سلاطين همدان ، أصحاب هذه البلاد ، على استعمال بعض الأماكن والحصون في بلادهم ، لأن هذا الاحتلال يبعد أن يكون قد حصل قهرا ، لأنه يتناقى مع ما كان يدعو إليه من عدم التمدي على حقوق الغير ، كما أن قوته لم تكن قد نظمت تنظيمًا كافيًا ، وأن أصحاب هذه الجهات لم يخرجوا عليه في يوم من الأيام .

ومهما يكن من شيء ، فقد احتل أبو القاسم عبر محرم ، ثم جمع جمعا من أتباعه ، واستولى على جبل الجيمة ، ثم هاجم بيت ريب (وهو رأس مسنور) ثلاث مرات ، حتى استولى عليه . فأنار ذلك حنق رؤساء الدويلات ، وأشعلوا نار الحرب في وجهه ، ولكنها كانت حربا هجبية ، كان مآلها الفشل في الوقت الذي كان أبو القاسم وأتباعه يحاربون تنفيذًا لمبدئهم ونصرة لإقامة دولة أهل بيت النبي .

(٢) عيون ٤٠/٥ .

(١) كشف ٢٨ .

وكانت هناك رأس مفكرة تفودهم من نصر إلى نصر . ففي سنة سبعمين ومئتين امتد نفوذهم كثيرا ، فسمي « المنصور باليمن »^(١) واستولى على جبل مسنور من أعمال صنعاء اليمن ، باتفاق عمله مع مأمور الحوالم بجبل مسنور . فدخل الحصن الواقع بمسور ، ومعه ثلاثة آلاف رجل ، وحصنه ودربه ، وبني فيه دارا للهجرة ليلجأ إليها أتباعه . وأصبح هذا الجبل القاعدة الحربية التي كانت تسير منها الحملات إلى الجهات المجاورة .

فاستولى على جميع مخاليف المغرب : مغرب اليمن ؛ فأخذ بلاد عيَّان وبني شاور^(٢) وحلان ، ثم استولى على ذخار^(٣) وملك شبام حمير^(٤) وجبلها كوكبان . وما زال يحوز الماقل ويملك مدن اليمن الجلائل ، وأقبل الناس إليه طوعا وكرها ؛ فدخل كثير من بني يعفر وملوك حمير في الدعوة طائمين وكارهين ، وقويت في أرض اليمن دعوتهم وعلت كلمته^(٥) . وكان هذا النصر سببا في أن استعمل الداعي الطبول والرايات ، وكان يقول : « والله ما أخذت هذا الأمر بمالي ولا بكثره رجالي ؛ وإنما أنا داعي المهدي الذي بشر به النبي محمد صلى الله عليه وسلم » . فانتقل إليه الناس بأموالهم وأولادهم ، ودخلوا في بيعته ومذهبه^(٦) . ولم يقف نشاط أبي القاسم الحزبي عند هذا الحد ، بل أرسل جيشا قويا لمساعدة علي بن الفضل سنة تسع وتسعين ومئتين حين أحيط به في مخاليف البيض^(٧) في تهامة . وكان من أثر هذه المساعدة أن عاد ابن الفضل سالما إلى بلاده .

فتوح علي بن الفضل

أما عن اتساع نفوذ علي بن الفضل ، فقد هجم بميئته على بلاد ابن أبي الملاء سلطان الحج وأبين ، بحجة أن في ذلك جهادا لأهل الماصي ؛ ووجد أتباعه أن في هذا العمل فرصة لجمع الثروة ، فاندفعوا في صفوفه لتحقيق أغراضهم .

-
- (١) افتتاح ٣ ؛ قره ورقة ١٢ .
(٢) تسمى الآن كحلان تاج الدين .
(٣) تسمى الآن ضلع كوكبان .
(٤) وهو شبام كوكبان .
(٥) عيون ٤١/٥ - ٤٢ .
(٦) قره ورقة ١٢ .
(٧) وفي رواية : البيض .

ثم أن ابن الفضل استغل وجود نزاع بين ابن أبي العلاء وبين كاتبه جعفر ابن إبراهيم المناخي^(١) حاكم أبين لسيدته . واتفق ابن الفضل وجعفر على قتال ابن أبي العلاء واقتسام الغنائم مناصفة . ودارت الحرب في خنفر^(٢) وكان النصر في النهاية للحليفين ، وغنم ابن الفضل من خزائن ابن أبي العلاء سبعين بكرة^(٣) . وكان من أثر هذا النصر أن دخل في طاعته قبائل مذحج وغيرها ، كما كان هذا النصر خطوة لاشتباكه مع حليفه بالأمس . ذلك لأن علي بن الفضل بعد أن اقتسم الغنائم في حضور العساكر والقبائل ، وسلم أحد الشطرين منها إلى سفير المناخي ، قال يخاطب الجمع : « إن جعفرا أرسل إليّ لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت ، وقد أحضرتكم شهوداً على تسليمه إليه ، لأنني لأرغبه في المال ، إنما أنا قمت لنصرة الإسلام » . ثم قال للسفير : « انصرف إلى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد للحرب » . وأرسل معه كتاباً إلى المناخي قال فيه : « بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس بغير حق ؛ وأنا قمت لأردّ الحق لأهله ، وإن أردت إتمام ما بيني وبينك ، فردّ الظلمات إلى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية ما قطعت من أيديهم^(٤) . وذلك أن المناخي كان قد قطع أيدي ثلاث مئة رجل من أهل دلال^(٥) على حجر بالمذبخرة . وقد يكون ابن الفضل اتخذ هذه الحادثة وسيلة لمحاربة المناخي ، أو يكون على حق فيما ادّعاه من انتصار للحق . ومهما يكن من شيء فإن الحرب دارت بين الفريقين . فأظهر ابن الفضل دراية حربية ومعرفة فائقة بأساليب الحرب ، لأنه على الرغم من هزيمته أول الأمر عاد ليلاً وهزم عدوه شر هزيمة ، ودخل المذبخرة سنة أربع وتسعين ومئتين ، ثم دخل حصن التعمكر ، وتبع جعفر المناخي حتى قتله في وادي نخلة سنة ٢٩٤ . فقوى بذلك مركز ابن الفضل

(١) يقول يحيى بن الحسين (أبناء/دار ٢٠) : وهو الذي ينسب إليه مخلاف جعفر، وقد ملك جعفر هذا خمسين سنة كما ملك أبوه إبراهيم ثلاثين سنة ؛ راجع صفة ١٠٠ ؛ ولكن ابن الدبيع (بغية ورقة ٩) يقول : إن مخلاف جعفر ينسب إلى جعفر مولى ابن زياد ؛ وكذا ورد في تاريخ ابن الجاور ١/ورقة ٥٤ . وهو الآن معروف بالعدين والجيش .
(٢) صفة ٥٣ ، مدينة في أبين . (٣) البكرة بها عشرة آلاف درهم (قرة ورقة ١٢) .

(٤) كشف ٢٩ (٥) دلال بلدة في بعدان من أعمال إب .

كثيرا . فاتجه بأتباعه إلى بلاد يَحْصَب^(١) ، فدخل مَنْكَتْ^(٢) وأحرقها ، ثم هجم على صنعاء ، ودخلها لأول مرة من ناحية الشهابيين^(٣) ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومئتين^(٤) . وقد حاول أسعد بن أبي يعفر مرارا استرجاع صنعاء ، وبقيت المدينة مكان تجاذب ، حتى استقر له الأمر فيها سنة تسع وتسعين ومئتين^(٥) . ولم يقف طموح ابن الفضل عند هذا الحد ، بل استمر في فتوحاته ، حتى دان له معظم تهامة بعد ان استولى على زبيد ، وقتل واليها المظفر بن حاج ، الذي قدت بفسداد بقتله أكبر ممثل لها في اليمن .

نفا المهرى بمنصور اليمن

استمر السفيران يعملان في أول الأمر لهدف واحد ، وهو بناء دولة المهدي ، حتى أصبح الجزء الأكبر من اليمن خاضعا لنفوذها . وتمكن منصور اليمن ، كما يقول برنارد لويس^(٦) ، « عن طريق الدعوة ، ولأول مرة ، من تكوين دولة إسماعيلية في اليمن . وسر الإمام كثيرا عندما وردت إليه الهدايا من اليمن ، وقال لابنه : « هذه أول ثمرة أيامك ، وبركة دولتك » ، وتمثل بقول الشاعر :

الله أعطاك التي لأفوتها وكم أرادوا منمها وعوتها

(١) نتوان : شمس العلوم ٤٩ ، ٩٣ ؛ والآن تعرف باسم محصب العليا ومحصب السفلى . وهي قرية من ظفار حير ، وفيها آثار الحميريين . والقرية معروفة بكرم أهلها ، ولا يزال يسكنها جماعة من آل الصليحي .

(٢) وهي مدينة السخطين (صفة ٥٥) .

(٣) ينسبون إلى شهاب بن عافل بن قضاة (شمس العلوم ٥٨) .

(٤) أنباء/ ماضي ٤٤ - ٤٥ . (٥) سلوك/ كاي ١٤٥ ؛

ولقد اختلف المؤرخون في أمر استيلاء ابن الفضل على صنعاء . فقال صاحب الأنباء/ ماضي ٤٤ إن هذا الاستيلاء تم سنة ٢٩٣ . وقال الجندي (سلوك/ كاي ١٤٥) : إن ابن الفضل استولى على صنعاء سنة ٢٩٩ . ونرى أن ليس هناك تناقض في هذا لأن ابن الفضل دخل صنعاء سنة ٢٩٣ ، ولكن لم يستقر أمره نهائياً فيها إلا بعد سنة ٢٩٩ .

(٦) B. Lewis : Orgins of Ismailism ص ٩٥ .

عنك، وبأبي الله إلا سَوْفَهَا إليك حتى طَوَّقوك، طوقها^(١)
ولتمة رؤساء الدعوة بأبي القاسم لقبوه بالنصور، وشبهوه بفجر الدعوة الذي
مهد لشمسها بالظهور، فقالوا فيه: « كان أبو القاسم بمثابة الفجر التنفس، وبه
كشف الله عز وجل عن الأولياء الغمة، وأثار حنادس الظلمة »^(٢).

ويدلنا على مبلغ تقهيم به أنهم كلفوه إرسال الدعاة إلى الجهات المختلفة،
لأنه ليس من المعقول أن يقوم أبو القاسم من تلقاء نفسه بهذا الأمر. فبعث
ابن أخيه الهيثم داعياً إلى السند حيث استجاب إليه الكثير من أهلها^(٣)،
وأرسل أبا محمد عبد الله بن العباس داعياً إلى مصر^(٤)، ووزع الدعاة
في سائر البلدان باليمن، وإلى النجاة والبحرين^(٥)، والسند والهند، ومصر
والغرب^(٦). ولما أرسل الإمام داعيه أبا عبد الله الشيعي الصنماني^(٧) إلى منصور
اليماني، قال له: « امتثل سيرته، وانظر إلى محارج أعماله، ومحاربي أفعاله، فاحتذها،
وامتثلها، فاعمل عليها »^(٨). فأقام عنده يشهد مجالسه، ويخرج معه في غزواته،
لا يفارقه، حتى بعثه إلى أرض المغرب^(٩)، وأرسل معه ابن أبي الملاحف الذي
مالبت أن عاد لمرض والدته، فسير مكانه إبراهيم بن إسحق الزبيدي^(١٠) وكان
أبو القاسم قد أرسل الداعيين الحلوانى وأبا سفيان إلى بلاد المغرب من قبل. وكان
هؤلاء الدعاة، كما يقول العميني^(١١)، يدعون إلى محمد الحبيب والد عبید الله، وكان
يسمى الهادي^(١٢)، وكان بسلمية. ولما علم أبو القاسم بوقائهما (أى الحلوانى وأبي سفيان)

(١) افتتاح ١٨ . (٢) الخطاب : غاية المواليد ٤٨ ، ٤٩ .

(٣) افتتاح ١٨ ؛ عيون د/ ٣٨ . (٤) عيون ٣٨/٥ .

(٥) وجه أبو القاسم نظره إلى النجاة، وذلك بسبب قيام دولة بني الأخضر العلوية (ابن
حزم : أنساب العرب ٤١) ، واعتقد أن أهلها سيرحبون بالدعوة الفاطمية، لذلك بعث إليها
الدعاة لنشر الدعوة الفاطمية (القلقشندي : صبح الأعشى ١١٩/١ - ١٢) .

(٦) افتتاح ١٩ .

(٧) واسمه الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة
ونزاهة (افتتاح ٣٢) .

(٨) افتتاح ٣٢ ؛ المنصوري : زبدة الفكرة ١٥٤/٥ .

(٩) افتتاح ٣٢ ؛ الخطاب : غاية المواليد ٤٩ ؛ عيون ٤٢/٥ .

(١٠) عيون ٥١/٥ . (١١) عقد الجمان ١٣/١٥٣ .

(١٢) انظر الباب الأول، ص ١٤، هامش رقم ٤ .

قال لأبي عبد الله الشيعي : « إن أرض كتامة من المغرب قد حرّتها الحلوانيّ وأبوسفيان ، وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، فبادر ، فإنها موطاة ممهدة لك » (١) .
وكان المنصور دعامة من دعائم الفاطميين ، بل كان « ملكا مسددا » ، كما وصفه الجندى (٢) ، أو قل : إن تأسيس الدولة الفاطمية قام على أكتافه ، ثم خلق من اليمن مستودعاً من مستودعات الدعوة الفاطمية .

سبب امتناع المهدي عن قصر اليمن

لهذا كله استقر رأي الإمام على أن تكون هجرته إلى اليمن ، ويقول جعفر الحاجب (٣) ، وكان في صحبة المهديّ حين فراره من سلمية : « وأمرنا المهديّ بأخذ أهمية السفر والخروج معه ، وأظهر لنا أنه يريد اليمن » . ويؤكد القاضي النعمان المغربي (٤) أن المهديّ لما وصل إلى مصر كان يأمل أن يقصد اليمن ، وأن الذين سجدوا كانوا جميعاً على هذا الاعتقاد ، وأن الداعي منصور اليمن أكد لليمنيين أن المهديّ سيظهر في بلادهم . ولم يثنه عن عزمه إلا انحرف علي بن الفضل الجندى عن الدعوة الفاطمية (٥) . من ذلك نرى أن الإمام كان يرغب في الذهاب إلى اليمن رغبة أكيدة ، ولكن ما قاله ابن الأثير (٦) من أنه لما شاع خبره عند الناس أيام المكتفي العباسي (٢٨٩ - ٢٩٥) فهرب هو وولده أبو القاسم زار ، وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب ، وما قاله الجندى (٧) من أن الإمام لما بلغه نجاح أبي القاسم في نشر دعوة المهديّ في اليمن قال : « هذه دولتك قد قامت ولكن لا أحب ظهورها إلا من المغرب » ، يبعد عن الحقيقة ، لأنه من المحتمل أن يكون السبب الذي دفع الإمام لتغيير رأيه يرجع إلى ما بلغه من أبي القاسم من أخبار انحرف علي بن الفضل — لا الاستقلال علناً — عن الدعوة الفاطمية .

(١) المنصوري : زبدة الفكرة ١٥٤/٥ .

(٢) سلوك / كاي ١٤٣ . (٣) سيرة جعفر الحاجب ١١٠ ؛ عيون ١٢٨/٥ .

(٤) انتاح ١٣٧ ، ١٣٨ . (٥) نفسه ١٣٨ ؛ كشف ٢٣ ؛ انماط ٦٩ .

(٦) الكامل ١٢/٨ . (٧) سلوك / كاي ١٤٢ .

وإننا نعتقد أن أبا القاسم بصفته رئيس الدعوة في اليمن كان دائم الاتصال بالإمام ، وأنه كان يعثله بتقارير عن أحوال الدعوة والمستجيبين من حين إلى حين . ولا بد من أنه أخبر الإمام بما وجد في ابن الفضل من إهمال في أداء واجباته ، وميله إلى الاستقلال ، وعدم امتثاله لأوامره (أبي القاسم) . وحدث هذا الانحراف عن جادة الدعوة قبل وصول الإمام إلى مصر ، مما جعله لا يرحب كثيراً بفكرة إقامة الدولة الفاطمية المنشودة في اليمن . ومن المحتمل أن يكون المهدي قد غير وجهة نظره بعد وصوله إلى مصر ، لأنه يعلم أن العباسيين كانوا جادين في طلبه ، وأنهم أرسلوا عيونهم إلى كل الجهات التي يحتمل أن يكون المهدي قد هرب إليها ، وبخاصة إلى اليمن التي فشا خبر احتمال ذهاب المهدي إليها ، كما لا يبعد أن يكون ما جاء في رواية سيرة جعفر الحاجب^(١) عن الداعي ابن العباس ، له الأثر في امتناع المهدي عن قصد اليمن ، فقد قال ابن العباس للنوشري^(٢) « عامل العباسيين على مصر حين سأله عن حقيقة المهدي المحتفي عنده : « أما الرجل النازل على فوالله لا وصل إليه شيء إلا ما يصل إليّ ، لأنه رجل هاشمي شريف ، تاجر من وجوه التجار ، معروف بالفضل والعلم واليسار ، والذي أتى الرسول في طلبه قد أعطيت خبره أنه توجه إلى اليمن قبل ورود هذا الرسول بمدة طويلة » . أما ما قاله الحمادي^(٣) والقاضي النعمان^(٤) والمقرزي^(٥) من أنه لم يثنه عن عزمه في الذهاب إلى اليمن إلا خروج ابن الفضل ، فإننا نقول : إن ابن الفضل مال إلى الاستقلال قبل قيام الإمام برحلته ، ولكن خروجه كان بعد فرار فيروز^(٦) إلى اليمن . ففقوى في ابن الفضل هذه

(١) سيرة جعفر الحاجب ١١٣ ؛ نبيون ١٢٧/٥ .

(٢) عيسى النوشري ، أول والى على مصر من قبل العباسيين بعد زوال أندولة المملولونية ، وكانت مدة ولايته عليها خمس سنين وشهرين ونصف (٢٩٢ - ٢٩٧) (الكندى : الولاة ٢٥٨ - ٢٦٧ ؛ المقرزي : خطط ١٢٤/٢ - ١٢٥ ؛ انماط ٣١ هامش رقم ٢) .

(٣) كشف ٢٣ . (٤) افتتاح ١٣٨ . (٥) انماط ٦٩ .

(٦) وهو داعي دعاة المهدي وباب أبوابه ، وقد أحزنه سير المهدي إلى المغرب ، فقال للإمام : عجبت لرجلين من شيعتنا : أحدهما نغمه مفارقتنا ، والآخر نغمه صحبتنا ! وذلك أن الداعي أبا علي المقيم بمصر يرغب في الذهاب مع الإمام ، ولكن الإمام طلب منه البقاء في مصر إلى أن يتبأ قدومه (نبيون ١٢٨/٥ - ١٢٩) .

الزعة الاستقلالية ، وفي ذلك يقول إدريس : ^(١) « إن فيروز أحزنه مسير الإمام إلى الغرب ، واستبعد المسافة فتخلف بمصر ؛ ثم سار إلى اليمن ، فوصل إلى داعي اليمن أبي القاسم ، الذي أحسن لقاءه وأكرم مثواه لما كان يعرفه من القرب من الأئمة ... ، ثم أن فيروزا أراد أن يضلّه ويفويه فوجد نيته في ولاء الأئمة قوية . . . فلما لم يجد منه حيلة توجه إلى علي بن الفضل ، فوجد منه مراده ، واستفزها الشيطان ، وصارا من أهل الطنبيان والضلال ، وخرجا من جملة أهل الإيمان ؛ فظفر منصور اليمن بفيروز فقتله ، وحارب علي بن الفضل . ولسنا نشك في أن هذا حدث بمد وصول المهديّ إلى بلاد المغرب ، ويدل على ذلك ما قاله جعفر الحاجب : ^(٢) « خرج المهدي من مصر ، وخالفه فيروز قبل خروجه منها ، ومضى إلى اليمن » .

التفاص على ابن الفضل

أما عن علاقة علي بن الفضل بالفاطميين فإنه لما استقر باليمن ، ظل على ولائه للإمام مدة ، أظهر فيها التقشف والورع ؛ ويدلنا على ذلك ما قاله الحمادي : ^(٣) « أخذ بالنسك والعبادة ، فكان نهاره صائماً وليله قائماً ؛ فأنسوا إليه وأحبّوه ، ثم إنهم قلدهم أمرهم ، وجعلوا حكمهم إليه ؛ فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ^(٤) ويسكن بينهم ، فقال : لا أفعل هذا ، ولست أسكن بين قوم جهال ضلال ، إلا أن يطلوني العمود والموائيق ألا يشربوا الخمر ؛ ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم » . تخلفوا له على الطاعة ، وأن لا يخالفوه بما أمر ، فوعدهم خيرا . ^(٥) من هذا نرى أن ابن الفضل ظل مدة في بلاد اليمن على ولائه للفاطميين . وهذه المدة لا تقل عن عشرين سنة إذا علمنا أنه وصل إليها سنة ٢٦٨ ، وأن خروجه علنا لم يكن إلا بعد أن استولى على الذبيخة سنة ٢٩٤ ، فأهبطه وأظهر بها مذهبه ، وجعلها مقر ملكه . واتهم المؤرخون ابن الفضل بأنه أحل لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات والأخوات ^(٦) ، كما أظهر الجوسية وكفر

(١) عيون ١٢٩/٥ . (٢) سيرة جعفر العاجب ١١٥ . (٣) كشف ٢٩ .

(٤) سرو يافع وهو ناحية باليمن أرضها جبلية منيعة (كشف ٢٨) .

(٥) سلوك / كافي ١٤٣ . (٦) سلوك / كافي ١٤٣ - ١٤٤ .

بما جاء من عند الله عز وجل^(١) ، وكان إذا خاطب نوابه استهل كتيبه بعبارة :
(من باسط الأرض وداحيها ، ومزازل الجبال ومرسيها ، على بن الفضل)^(٢)
ويروى أنه لما دخل الجند خطب شاعره على منبرها ، فقال :

خذى الدفّ ، يا هذه ! والهي وغنى هزاريك^(٣) ، ثم اطربي
تولى نبى بنى هاشم وهذا نبى بنى يمسرب
لكل نبى ماضى شرعة وهذى شرائع هذا النبي
فقد حطّ عتّا فروض الصلاة وحط الصيام ، ولم يتعب
ولا تطلبى السعى عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

وهي قصيدة طويلة^(٤) تدور حول محرمات الشريعة والاستهانة بها .
وإننا نرى أن هذه القصيدة نسبت إلى شاعر من شعراء ابن الفضل ، وقد
يجوز أن قلنا شاعر من الخطابية ، كما حكاه نشوان . ولا نفيدنا المصادر التي تحت
أيدنا عن حياة ابن الفضل وأمور مملكته إلا أنه استقل من الدعوة الفاطمية ،
وخرج عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنه كان شخصية بارزة ، وقائدا بارعا ، وحاكما
ناجحا ، ووطنيا متحمسا ، فخورا بقخطائته ، بالغ المؤرخون في نسبتهم إليه إجلال
المحرم وارتكاب الفواحش . ولم يأتوا بأدلة تثبت اتهاماتهم ، إلا أن الخادى^(٥) -
الذ أعداء الدعوة - لم يستطع أن يطمس الحقائق عن سياسته البارعة في السلم والحرب ،
وعن شهامته وإقدامه ، وإيفائه العهود والمواثيق ، وحمايته المظلومين ، ونصرته لبلادي^٦

(١) أنوار البصائر (Dj. 1 De) ص ٢٠٢ نقل عن نسخة لدى علي بن محمد بن عبد الله
العياشي القنوي (مخطوط بالتحف البريغاتي رقم Or. 3901) ويعتبر هذا الكتاب من الوثائق
التاريخية نظرا لأن مؤلفه كان معاصرا لنهاى يحيى بن الحسين . وقد أخذنا بعض هذه المعلومات
من أنوارنا مقدمة (ص ١١ ، ١٢) .

(٢) اهزار : لتغليب .

(٣) ص ١٤٨ .

(٤) جاء بعضها في كشف ٣١ ؛ سلوك / كنى ١٤٤ ؛ وقال نشوان الحميري
(ص ١٩٩) : وغاب . بل أن مثل هذه الأبيات من الخطابية . وهذا يدل على اختلاف
الرأى فيما قال هذه الأبيات . ويرجح نشوان أن الشاعر كان من الخطابية ، ثم نسبت الأبيات
إلى شاعر من شعراء علي بن الفضل .

(٥) كشف ٢٩ .

الإسلام ولم يستطع أبو القاسم منصور اليميني أن يعزله ويطرده عن الدعوة ، وهو يعلم علم اليقين ميول ابن الفضل الاستقلالية ، بل ساعده في حروبه ، وهناك على انتصاراته ، إلى أن أعلن ابن الفضل نفسه ثورته وخروجه عن الدعوة . ولانتصروا أن المجتمع اليميني يقبل رياسة ابن الفضل لمدة عشرين سنة بل أكثر ، لو كان ارتكب في أواخر عهده ، مانسب إليه من الفواحش طوال هذه المدة . وقد يجوز أنه بالغ في يمينته ، وتطرف في قسطنطينته حتى تعدى حدود الإسلام ، كما فعل أبو محمد الحسن ابن أحمد الهمداني بمدته بقليل . فلذلك قيل أنه لما عاد إلى المديحرة عاصمة ملكه ، ورأى أنه أضحى سيد اليمين ، عمل على التخلص من جميع المذاهب وقيودها ، فنأدى بقطع الحج ، وقال : « حجُّوا إلى الحَرَف ، واعتَمروا إلى الثلاث » . (والثلاث حصن قريب من الحَرَف) .

براهنة الدعوة مما قام به ابن الفضل

فإن ابن الفضل بعد هذا ، في رأى الدعوة^(١) ، « قد نكث عهده ، واستهواه الشيطان وأضله ، ففارق الدعوة وخرج من الملة . وافترى على الله وعلى أوليائه ، مقتديا بالمضلين من قبله ، فكانوا له شر أسوة ، واستمال الجهال ، فكانوا له من الأنصار والأتباع ، فارتكب الجارم ، ومال إلى الإباحات ، أو كفر بعد إيمانه ، وباه بلعنة الله » .

ولا يمكننا أن ننسب ما قام به ابن الفضل إلى زميله منصور اليميني ، الذى ظل على ولائته للفاطميين حتى وفاته ، وكان دائم الاتصال بهم في جميع المناسبات ، فظل متمسكا بالدعوة ، ولكن نسب ما قام ابن الفضل به في أواخر عهده إلى الدعوة ، وهى بريئة منه كما قال الداعى إدريس^(٢) : « وعجبا لمن ينسب إلى أهل الدعوة من أتباع الأئمة أفعاله ، وهم إلى الله وإلى أوليائه منه براء ، ولا يفعلون ما يفعل ، ولا يرون ما يرى ، فآثمون بالأعمال الشرعية من الطهارات والصوم ، مؤتون الزكاة ، حاجون بيت الله الحرام ، متولون محمدا صلى الله عليه وسلم وعليه وصيه والأئمة من

ذريته عليهم السلام ، مجاهدون في سبيل الله ، مجتهدون ، موفون في أعمالهم وأقوالهم ، مجانبون لما حرمت الشريعة الفراء ، ملازمون لما فرض النبي الله محمد خير البرية . . . ، وهم إلى الله بريئون من ابن الفضل في دائم الأحقاب والسنين ، يلعنونه مع اللاعنين ؛ والدين الذي ندين به هو العمل بما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرضه على المسلمين من الفرائض ، ولا نستحل شيئاً مما حرمه الله . . . ونحن أكثر الناس بحمد الله قياماً بفرائض الإسلام . . . حلالنا من كتاب الله وحرامنا ، لا تأتي ببدعة» هذا ما قاله الداعي إدريس رئيس الدعوة في أيامه ، فهو من غير شك دليل واضح على أن دعوة اليمين تعتبر ابن الفضل خارجاً على الإسلام . وليس من العدل أن يتهم المؤرخون^(١) طائفة كبيرة من المسلمين بالخروج على الإسلام ، لأن فرداً شاذاً قد مال إلى التطرف في ظروف سياسية خاصة أو قد يكون حاد عن سواء السبيل .

ظل ابن الفضل السياسي يوافق منصور اليمين ويخادعهم ، ويقول له: «إما أنا سيف من أسيافك»، والنصوريها به ويخافه على نفسه، لما يرى من شهامته وإقدامه^(٢) وتمشيا مع هذه السياسة أظهر المنصور فرحه ، لما فتح ابن الفضل صنعاء سنة تسع وتسعين ومئتين ، واجتمعا وتشاورا في فتوحهما . وكان المنصور حذرا ، وكان يرى أن وقف الحرب فيه مصلحة كبيرة لهما ، لأن نفوذها في البلاد التي فتحت لم يكن قد ثبت . وكان يخاف أن يدخل في حرب جديدة فتكون النتيجة خروج البلاد التي فتحت من تحت أيديهم . فقال لصاحبه : « قد ملكنا اليمين بأسره ، ولم يبق لنا إلا القليل ، فملك بالتأني والوقوف بصنعاء سنة وأنا بشبام ، فيصلح كل واحد ما استفتح ، وبعد ذلك يكون لنا نظر ، فإنك إن خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا مملكنا»^(٣) . ولكن ابن الفضل حارب مخاليف البياض بتهامة ، وكاد

(١) لا تتوقع العدل والإنصاف من أمثال ابن مالك الحمادي لأن كلامه عن هذه الطائفة متوتر من أوله إلى آخره ؛ والدليل على ذلك أنه يتهم أبا القاسم منصور اليمين ومن بعده الصليحي بارتكاب الفواحش وإحلال ما حرم الله . ومع هذا ، فقد وجدنا بعض المعلومات المفيدة التي استقينها من حديثه المتوتر . وأما الجندي فرجعه ابن مالك ويوفى أستاذه أحيانا في عدائه الشديد .

يقع لقمة سائفة في أيدي أعدائه، لولا ما قدمه منصور الهميني له من مساعدة كما سبق أن ذكرنا ذلك .

الصراع بين أبي القاسم وابن الفضل

ولما تمكن نفوذ ابن الفضل وأضحى سيد الهمين أعرب عما يجيش في نفسه من رغبة ملحّة في تكوين دولة يمنية مستقلة عن العباسيين والفاطميين، كما فعل أبو سعيد الجنابي^(١) الذي كون دولة مستقلة بالبحرين، وكتب إلى أبي القاسم منصور الهمين قائلاً: «إن لي بأبي سعيد الجنابي أسوة، وأنت إن لم تنزل إليّ وتدخل في طاهتي، نابذتك الحرب»^(٢). فكتب إليه منصور الهمين بما تبه، ويذكره باليهود والمواثيق التي أخذها عليه رؤساؤه، كما ذكره أيضاً بخاطر التفكك، كيلا يتلاشى أمر الدعوة باليمن؛ وقال في كتابه: «كيف تخلع طاعة من لم رخيها إلا ببركة الدعاء إليه، وقد أعطينا من اليهود ما قد علمته»^(٣). لكن ابن الفضل أجابه بقوله: «إمامه الدنيا شاة، ومن ظفر بها افترسها»^(٤). وتابع منصور الهمين الرسل إلى ابن الفضل يعظه ويذكره وبنهاه، ولكن هذا ما لبث أن تمادى في إنكاره، وتناهى في إصراره^(٥). وكان معنى ذلك بدء الصراع بين الداعيين في اليمن، أو بعبارة أخرى بدء الصراع بين أهل الدعوة أنفسهم، المواليين للفاطميين والخارجيين عليهم، كما كان معنى ذلك أن يستمد أبو القاسم، محصّن بلاده ولا سيما جبل مسور، وعرّول على أن يلاقى الصدمة وحده، لأن الخليفة المهدي لم يكن قادراً في هذه الأثناء على إرسال أي مساعدة، وقامت الحرب بين الداعيين سنة تسع وتسعين ومئتين.

فاستولى منصور الهمين على شبام حمير، وحاصر مدينة الظلمة حيث كان ابن الفضل وأتباعه، وقطع الميرة عنهم حتى أصابهم الجوع الشديد، فأكلوا اللحم

(١) كان ظهوره سنة ٢٨٦، وقتل سنة ٣٠١ (ابن الأثير: الكامل ٦٣/٨).
والجنابي نسبة إلى جنابة، وهي بلدة على الخليج الفارسي (ياقوت: البلدان).
(٢) سلوك/ كأي ١٤٦. (٣) أناء/ ماضى ٥٤.
(٤) كشف: ٣٣. (٥) عيون ٤٧/٥.

الحمير والجلود ، وأخذ يتبهم من مكان إلى مكان ، كما رواه الداعي إدريس^(١) . وكان بينهما بمد ذلك وقائع كثيرة وقتال شديد في أيام كثيرة ، وحمى المنصور المغرب من ابن الفضل بفضل هذه الحروب .

ثم قوى أمر ابن الفضل وملك صنما^(٢) ، فتمكن هذا في النهاية من محاصرة المنصور ثمانية أشهر حتى ملّ المقام . فلما علم بذلك المنصور طلب الصلح ، فقال ابن الفضل : « لست أبرح ، وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته ، إلا أن يرسل إليّ بمض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي » . فأرسل إليه ولده ، ودفعه بالتي هي أحسن . فرجع ابن الفضل إلى المذيخرة ، وأقام عنده ولد المنصور سنة ، ثم رده إلى أبيه . هذا ما رواه الحمادي^(٣) ، وأبده في ذلك الجندي^(٤) ببعض الاختلاف .

ومها يكن من أمر ، فإن هذا الصلح لم يقض على النزاع بين الطرفين ، بل زادت هوة الخلاف اتساعا بين أتباع الدعوة في اليمن ، ومن ثم أصبح الجميع هدفا لهجمات المنافسين في الحكم .

موت علي بن الفضل

من ذلك نستطيع أن نقول أن ابن الفضل إنما خرج عن طاعة منصور اليمن مدفوعا بتأثير داعي الدعاة قيروز ، ثم بعيله هو إلى الرياسة والزعامة ليستقل باليمن ، ولكنه لم يتمكن من التغلب على أعدائه والانفراد بالزعامة . وبذلك لم تتحقق مطامعه ، بل أخفق في تكوين دولة ثابتة الأركان . وظل كذلك حتى « أمر المهديّ رجلين من أهل دعوته ومن في حضرته ، حتى وصلا مدينة صنما . ودخل أحدهما على ابن الفضل مدّعيًا بأنه طيب ، ففصده وسمّه ، وخرج من عنده ، وبادر بالهرب هو وصاحبه ، ومات ابن الفضل^(٥) » . هذه رواية الداعي إدريس ، ولكن الحمادي قال^(٦) : « إن سبب موت ابن الفضل أن رجلا من أهل بغداد يقال إنه شريف

(١) عميون ٤٧/٥ .
 (٢) ضه ٤٨/٥ .
 (٣) كشف ٣٥-٣٦ .
 (٤) سلوك/ كافي ١٤٦ .
 (٥) عميون ٤٩/٥ .
 (٦) كشف ٣٦-٣٧ .

وصل إلى الأمير أسعد أبي بن بعفر . وقال للأمير : «تماهدنى وأعاهدك أنى إذا قتلت هذا القرمطى كنت ممك شريكاً فيما يصل إليك» ، فماهده على ذلك ، وكان طبيبا حاذقا ؛ فخرج إلى المذبخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطى يفتح لهم المروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطى ، بالحذق بالطب وفتح المروق ، وقالوا : إن مثلك لا يستغنى أن يكون في حضرتك مثله . ثم إنه احتاج إلى إخراج الدم ، فأمره أن يفصده . فعمد إلى السم فجعله على شعر رأسه . فدخل على القرمطى فسلم عليه . فأمره أن يزرع ثيابه ويلبس غيرها . ثم أخرج البضع ثم مصه وعلى ابن الفضل ينظر إليه . ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته . ثم قصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ومضى هاربا . فلما أحس عدو الله بالموت أمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد ، فلحقوا به دون ثقل صيد^(١) بإزاء قينان^(٢) قتلوه . وقد كرر هذه الرواية الجندى ، وزاد فيها فقال : « إن وفاته كانت ليلة الخميس منتصف ربيع الآخر سنة ٣٠٣ »^(٣) . فنستدل من الروايتين أن كلا من الفاطميين والعباسيين ينسبون إلى أنفسهم فضل إبادة ابن الفضل ودولته .

وعلى الرغم من أن المصادر التي في أيدينا قد أجمعت على أن ابن الفضل اغتيل سنة ٣٠٣^(٤) ، وأن وفاة منصور المين كانت سنة ٣٠٢^(٥) ، إلا أننا نستبعد صحة هذه التواريخ ؛ وقد يكون العكس أصح ، لأن ابن الفضل ، كما سبق أن ذكرنا ، كانت قوته ظاهرة وسلطته كبيرة ، وأن وفاة منصور قبله ، واختلاف أهل بيته وأتباعه فيما بينهم ، كان فيه فرصة كبيرة لابن الفضل أن يستولى على كل ما كان تحت يد منصور ؛ ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، مما يجعلنا نشك في أن تكون وفاة منصور المين حدثت قبل وفاة علي بن الفضل ، ويبرهن على إمكان

(١) معروف الآن باسم ثقل - سماره .

(٢) تقع بوادى السحول .

(٣) سلوك/ كاي ١٤٩ .

(٤) كشف ٣٦ ؛ سلوك/ كاي ١٤٩ ؛ أنباء / ماضى ٦٢ .

(٥) كشف ٢٨ ؛ سلوك/ كاي ١٥٠ .

ما ذهبنا إليه ما قاله صاحب العيون^(١) من أن « الداعي أبي القاسم استقر أمره بعد قتل هذا اللعين ». .

اشتهاء الرولة الفاطمية الأولى باليمن

ومهما يكن من شيء ، فإن ابن الفضل قد حفر قبره بيده ، بسبب ثورته على رئيسه أبي القاسم . وقال الحمادي^(٢) « فبعد موته تولى بدمه ابنه الفأفأ . فزحف الحوالمى بالعسكر لحرب القرامطة ، فدخل التمكر ، ثم تقدم إلى جبل التومار ... ثم نصب المنجنقات على المذبحرة فهدمها سنة ٣٠٤ ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبي بنات القرمطى وكن ثلاثا ، واصطفى أسعد منهن واحدة ، (اسمها مائة)^(٣) ، وهبها لابن أخيه قحطان ، فولدت له عبدالله » وعبدالله بن قحطان هذا قام بالدعوة الفاطمية كما سنذكر في الباب التالى . وظل أبو حسان أسعد بن أبي يعفر يتتبع أنصار ابن الفضل فى كل البلاد ، ويقتلهم حيثما وجدوا ، ثم رجع إلى صنعاء ، وفى ذلك قال نشوان الحميرى^(٤) : « فلما مات على بن الفضل خرج الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالمى من صنعاء فى رجب سنة ثلاث وثلاثين مئة ، وحارب القرامطة ودخل المذبحرة سنة ٣٠٤ ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا يقصر عنها الوصف ، وسبى نساء ابن الفضل ، فوهب ابنته لابن أخيه قحطان ابن عبد الله بن يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان أمير اليمن ، وأخذ ولدين لعلى بن الفضل وجماعة من رؤساء القرامطة معه إلى صنعاء ، وأمر بهم فذبحوا جميعا ، وطرحت أبدانهم فى بئر فى الجبانة ، وأخذت رءوسهم فبقرت ، ووجه بها فى أربعة سناديق إلى مكة ، فنصبت هنالك أيام الموسم » .

وأما منصور اليمن فبقى إلى آخر حياته أميناً فى مهمته ، وأنه ظل على ولائه للفاطميين . ومما لاشك فيه أن حركة ابن الفضل قد أثرت كثيرا على أتباع الدعوة ، فأضعفت مركزها ونفوذها ، واضطر المنصور إزاء ذلك إلى الالتجاء إلى مسور وغيرها من الأماكن الحبيسة البعيدة عن اندود إلى التستر وكمآن أمره حتى وافته المنية . بعد أن قدم دليلاً آخر على صدق إخلاصه وولائه للإمام الفاطمى ، فترت إليه أمر الدعوة باليمن كما سيأتى ذكره فى الباب التالى .

(٢) كشف ٣٨

(١) عيون ٥/٥٠ .

(٤) حور ٢٠٠ .

(٣) الزيادة من سلوك/ كلى ١٤٩ — ١٥٠ .

الباب الثالث

الدعاة بعد منصور اليمى حتى ظهور الصليحي

(٤٣٩ - ٣٠٣)

وصية منصور اليمى لابنه الحسن وخصيصه الشاورى

كانت ثورة ابن الفضل على الدعوة من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف الحركة الفاطمية في بلاد اليمى ، لأن أعداء الدعوة انتهزوا هذه الفرصة وحملوا على كل أنصار الدعوة حملة شعواء ؛ وزاد الحالة تمقدا خروج الحسن بن أبى القاسم منصور اليمى على الدعوة ، لأن سياسة الخليفة المهدي الفاطمي في اليمى كانت ترمى إلى توجيه الدعوة باليمى لمركز الدولة الفاطمية القوي ، ولم تتمترف بوراة الملك لبيت أبى القاسم ، الذى أخلص مؤسسه المهدي وللأئمة من قبله إخلاصا جعله موضع إعجاب الجميع . وقد دلل أبو القاسم على ولائه في كثير من المناسبات سبق أن ذكرناها . وقبيل وفاته ضرب مثلا آخر على هذا الولاء ؛ ذلك أنه لم يعين أحدا من أبنائه لرياسة الدعوة ، بل ترك ذلك الباب مفتوحا للمهدي ، واكتفى بأن أشار إلى علو منزلة عبد الله بن عباس الشاورى لديه وتفضيله إياه ، ثم أوصى من بعده لابنه الحسن وخصيصه الشاورى ، بأن يستمر في إقامة الدعوة للخليفة الإمام المهدي وأهل بيته ، وقال في وصيته : « قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه ، ولا تقطعا دعوة بنى عبيد بن ميمون ، فنحن غرس من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه ، ولاتم لنا في الرياسة حال ، فمليكما بمكاتبة القائم منهم واستيراد الأمر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي (يعنى عبيد الله بن ميمون) حتى يرد أمره بولاية أحدكما ، ويكون كل واحد منكما عوننا لمساخيه » . هذا ما رواه الحمادي^(١) ، وزاد الجسدي^(٢) فقال : « ... فإن هذا الأمر لم آخذه بكثرة مال ولا رجال ، ولم آت هذه البلاد إلا بنفسنا ، وبلغت ما لم يخف ببركة المهدي الذى بشره النبي محمد صلعم » .

(٢) سنوك / كاي ١٥٠ .

(١) كشف ٣٩ .

قباس عبر الله بن عباس بأمر الدعوة

ولما توفى المنصور، وكان الشاوري قائما بشئون الدعوة في اليمن، أمرع فأرسل إلى المهدي في بلاد المغرب يخبره بوفاة منصور اليمن، كما أخبره بأنه يقوم بأمر الدعوة له خير قيام، ويسأله عمّن يقلده هذا الأمر^(١). وفي الوقت نفسه كان الحسن بن منصور اليمن يرى أن من حقه أن يخلف أباه في تولي هذا الأمر. فلذلك وصل إلى بلاد المغرب، وقابل المهدي وطلب إليه توليته بعد أبيه، غير أن المهدي كان قبيل قدومه عليه قد أقرّ عبد الله بن عباس الشاوري في القيام بأمر الدعوة، وبعث له بسبع رايات. فعاد الحسن إلى اليمن دون أن تتحقق رغبته^(٢) وإنما نستبعد ما قاله الجندي^(٣) من أن الشاوري أرسل كتابه إلى المهدي مع أحد أبناء المنصور^(٤)، لأن هذا يدلّ على سذاجة الشاوري وعدم حيطته؛ ولعل ماقاله الحنّادي أقرب إلى الصواب.

سياسة المهدي في تعيين الشاوري

وفي الحق أن السياسة التي سار عليها المهدي في بلاد اليمن تختلف عن السياسة التي سار عليها مع قرامطة البحرين. فقد عزل سميدا ووليّ أبا طاهر بدلا منه، وكلاهما من بيت أبي سعيد مؤسس دولة القرامطة في البحرين. وبذلك التف القرامطة جميعا حول أبي طاهر حليف المهدي، وعزّ على أخيه سميد المعزول أن يثور حتى لا يهدم بيته بيده. أما هنا في اليمن فإن عزّل أفراد بيت المنصور الذي اجتهد في خدمة الدعوة الفاطمية منذ أن استقرت فيها، قد وضع الأمر في يد غيرهم، وحرّ ذلك في نفوس كثير منهم، فلم يهدوا أو يستكينوا لهذه السياسة^(٥)، ونسوا أن الشاوري كان من أحقّ الدعاة عند منصور اليمن وأخلصهم، ونسوا أيضا أن الدعوة ليست ميراثا، بل كانت إقامة الشاوريّ بأمر الدعوة بناء على رغبة منصور اليمن.

(١) كشف ٤٠

(٢) سلوك / كافي ١٥٠ .

(٣) كشف ٤٠

(٤) والمقصود به الحسن بن منصور الطامع في الملك .

(٥) حسن إبراهيم : عبيد الله المهدي ٢٣٧ .

الشاوري من أجل دعاء منصور اليميني

ومهما يكن من أمر فإن عبد الله بن عباس الشاوري^(١) قد تولى أمر الدعوة في اليمن ، وكان من أجل الدعاء مع منصور اليميني ؛ فقد أرسله ، كما قال إدريس^(٢) إلى مصر ، فاستقر فيها مدة هناك معلما للصبيان وداعيا ، فاستجاب لدعوته خلق كثير ، ثم عاد إلى اليمن . وزاد الجندی فقال : « .. وكان من أصحاب المنصور وخصيما به ، وكان قد أرسله إلى المهدي برسالة وهدية ، وصار عند المهدي منه صورة ومعرفة » ، مما جعل المهدي لا يتردد في توليته عندما علم بخبر وفاة منصور اليميني

اغتيال الشاوري

ولكن الحسن بن منصور اليميني لم يرض بتعيين الشاوري رئيسا للدعوة ، وصار هو وإخوته يواصلونه مداراة ، وهو يكرمهم ويحلهم ولا يحجب أحدا منهم ، بل يدخلون عليه متى شاءوا ، ومع ذلك « فإن الحسن كان يضر الشر والعداوة والحسد لابن عباس »^(٣) بسبب اغتصابه أمر الدعوة والدولة منه ، ولم يستمع لنصيحة أخيه الحبر التقي جعفر بن منصور اليميني حين قال له : « إن أمرنا إذن بتلاشي ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي تمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه ، فهلك »^(٤) . فلم يلتفت الحسن إلى قول أخيه وكنم السر في نفسه ، حتى دخل على ابن عباس في بعض الغفلات فقتله غدرًا واستولى على ما بقى من دولة أبيه .

اعتناق الحسن المذهب السني وهلاكه

ولم يكتف الحسن بما فعل ، بل نهج سياسة جرّت عليه وعلى بيته ومذهبه النكبات ، حين أعلن خروجه على الدعوة واعتناقه المذاهب السنية ، وقد ظن أن

(١) من شاوري ، وهم من قدم بن قادم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن

حبران بن نوف بن ممدان

(٢) سلوك / كافي ١٥٠ .

(٣) عيون ٣٨/٥ - ٣٩ .

(٤) كشف ٤٠ .

الأمور قد استقرت له بمد قتل الشاوري ، فجمع الرعايا من أنحاء بلاده وأشهدهم أنه رجع عما كان عليه أبوه^(١) . وكان بلاء أهل الدعوة اليمنية بالحسن عظيماً ؛ لأنه تتبع أنصاره بالأمس تبعا لاهوادة فيه ، فأباد معظمهم وشرّدهم حتى لم يبق حوله إلا من لا يعرف^(٢) .

وفي الحق أن الحسن قد أخطأ بمعله هذا لأنه قضى بذلك على ما بناه أبوه ، وخسر قوة كبيرة كانت تدين بالولاء والطاعة لكل الدعاة الذين كانوا يعملون على رفع لواء دعوة المهدي . ولم ينصفه بعد ذلك من طمع في نصرته ، لأنه أصبح هو وأنصاره الذين خرجوا على الدعوة الفاطمية لقمة سائنة لأمرء المسلمين قتلوه ، وتتبعوا أبناءه وإخوته وغيرهم من الأنصار الذين ظلوا على ولائهم للدعوة ، حتى إنه لم يبق من أتباع منصور النين إلا من استطاع الاستتار .

هجرة جعفر بن منصور اليمن إلى المغرب

وكان من أثر سياسة الحسن الاندفاعية وعدم تقديره لعواقب الأمور ، وعدم امتثاله لنصيحة العقلاء من آل بيته أن « فرّ أخود جعفر إلى القيروان ، فوجد الخليفة المهدي قد توفي ، وقام بعده ابنه القائم سنة ٣٢٢ »^(٣) ، وأصاف إدريس فقال : « وانتهى إلى أن بلغ مبلغاً عظيماً عند الأئمة ... وبلغ مراتب الأبواب الفاترين بملوّ الدرجات »^(٤) .

مطلة جعفر عند الرُّعْمَة الفاطميين

وقد ورد في سيرة الأستاذ جوذر^(٥) ما نصه : « وكان محل جعفر بن المنصور صاحب اليمن من الدولة وقربه من مولانا عليه السلام المحل القريب ، ومكانه من الأستاذ المكان الأدنى الوكيد في الدين . وكان يسكن داراً بالمنصورية بجوار على

(١) سلوك / كتي ١٥١ ؛ أنباء / دار ٣٥ ويقول إن هذا حدث سنة ٣٢١ .

(٢) سلوك / كتي ١٥١ .

(٣) نفسه ١٥١ ؛ والحواب أن هجرة جعفر كانت إلى المهديّة .

(٤) عيون ٥٠/٥ . (٥) سيرة الأستاذ جوذر / كامل حسين ١٢٦ .

ابن الجنان ، فسأله عليّ بيع الدار فلم يفعل . ثم احتاج إلى أن اقترض دنائير ، واسترهنه الدار إلى أجل معلوم . فلما حان الأجل ولم يجد المال طالبه بالخروج من الدار ، واتصل ذلك بالأستاذ ، فرفع الخبر إلى مولانا عليه السلام ، فصرف إليه الجواب ، وهو :

« والله ، يا جوذر ! لقد كثرت تعجبنا منه . وذلك أن علينا أوقفنا على الصك المكتوب عليه منذ يومين ، فقد جاءنا من ذلك خلاف ما كنا نظن به الرجاحة والكمال ، وإنه لمحقوق بماناله وأضعافه إذ أقام نفسه مقام من يحمل زمامه بيد من لا رحمة له ، فإن كان إنما ذهب في طي هذا عنا مذهب التخفيف عنا في السألة ، فمن الواجب كان عليه أن يتصور ما هو فيه ، وأن الذي كلفنا الآن أعظم من سؤال الفضل (إذ كنا لا نبخل عليه) بأضعاف هذا المال للمؤمن ، ولا يقيم نفسه مقام الثماتة ، لثلا يتصل بالقريب والعيد أن ولينا وابن أجل أوليائنا المسعود برضا الله ورضا مواليه السابق في الخير كل من جراه ، يكون على بابنا ، وهو عندنا في أجل الرضا ، محوجا إلى أرضها مسكنه الذي يجاورنا فيه ، ولو كان أحسن مسكن ، هذه ورطة نحن نخرجه وننقذه منها . فلا يمد إلى مثلها . فتسلمه إلى حوله وقوته . فقرر عنده ذلك إن شاء الله . »

والواقع أن جعفرا بعد ذهابه إلى المهديّة ظل على اتصال وثيق بالإمام الخليفة القائم بن المهدي . وقد بلغ الذروة في عهد المرز لدين الله (٣٤١ - ٣٦٥) ، وصار من أهم رجال الدعوة الذين يشار إليهم بالبنان في الفضل والرّهد ، حتى بزّ القاضى أبا حنيفة النعمان التميميّ المغربيّ نفسه ، الذي كان دعامة من أهم دعائم الفاطميين في القضاء والفتنة الفاطميّ ، وقد ذكر عنه المرز أنه : « من آتى بمشر عشر ما آتى به النعمان ضمنت له على الله الجنة^(١) » . وهذا يدلنا على مركز النعمان وثقة المرز به .

القاضى النعمان أبو حنيفة وجعفر بن منصور البصرى

ويدلنا على ما بلغه جعفر من درجة عالية ومكانة سامية عند الخليفة الإمام

المز ما قاله إدريس^(١) : « من أن القاضي النعمان اعتلّ بملة ، فزاره جميع الدعاة وأولياء الدولة وقوادها . . . ولما زالت علته آتى إلى الإمام المز فسأله عنّ زاره ، فقال : كلهم زارنى إلا جعفر ابن منصور ، فأخذ أمير المؤمنين فى حديثه ، ثم أمر بكتب فأحضرت إليه . ففتح كتاباً منها ، وقال للنعمان : انظر فى هذا الكتاب . فلما تصفحه قال الإمام . ما تقول فى هذا ؟ قال : ما عسى أن أقول فى قولك . فقال الإمام : هذا تأليف مولاك جعفر ، إعلاماً له بمالى فضله وبياناً لسامى عمله . فلما خرج النعمان . . . قصد دار جعفر . . . ولما رأى النعمان جعفر لم يتالك أن وقع على رجليه يقبلهما اعترافاً له بالفضل . »

وقد يتبادر لذهن القارىء لأول وهله أن مثل هذا قد يبعد عن الحقيقة لما لقاضى النعمان من مركز جليل فى الدولة والدعوة ، فلا يعقل أن يقبل رجل جعفر . ويخيل إلينا أن القاضى النعمان كانت شهرته تتعلق بعلم الظاهر ، فهو وإن كان قاضى القضاة ومؤلف كتب الفقه الفاطمى وكتب الأخبار الكثيرة^(٢) ، إلا أنه لم يكن بعد قد بلغ مرتبة جعفر ودرجته ، لأن جعفر كان يعتبر حجة فى علوم التأويل ؛ وقد سلك بذلك مسلكاً خاصاً فى تطور الآداب الفاطمية التأويلية ، مما جعله فى نظر المز سيد العلماء والفقهاء^(٣) .

إبراهيم السباعى برعى الأصر

وقد استمر ظلم الحسن والرّدين لأهل الدعوة إلى أن خرج إلى عبر محرم حيث لقي حتفه . وقد ذكر الحمادى^(٤) أن الحسن^(٥) خرج من مسور إلى عبر محرم^(٦) ، وفيه يومئذ رجل من بنى العرجى^(٧) . واستخلف الحسن على

(١) نفسه ٣٩٦/٦ . (٢) انظر الباب التاسع من هذا الكتاب .

(٣) وقد ذكرنا مؤلفاته فى الباب التاسع .

(٤) كشف ٤١ ؛ وقد وردت هذه الجوادث فى الحندى بعين الاختلاف .

(٥) اسمه سلوك / كاتى ١٥٠ «الحسن» كما جاء فى عيون ١/٧ أبناء/دار ٣٤ ، ولكن

الحمادى يذكر بكنية «أبى الحسن» وفى ذلك تعريف .

(٦) رواية سلوك / كاتى ١٥١ : «عبر محرم» .

(٧) سلوك / كاتى : ١٥١ بنى العرجاء سلاطين تلك الداحية . وفى عيون ١/٧ : «م من

قدم بن دهم بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيران بن نوف بن همدان .

مسور رجلا يقال له إبراهيم بن عبد الحميد السباعي الشيعي^(١) وهو جد الكتاب . فوثب ابن العرجي على الحسن فقتله^(٢) ، فلما انتهى الخبر إلى إبراهيم ابن عبد الحميد لزم مسورا وادعى الأمر لنفسه ، وأخرج أولاد المنصور وحرّمه من مسور إلى جبل بني عشب^(٣) ؛ فوثب عليه المسلمون من أهل المغرب ، فقتلوه الصغير منهم والكبير وسبوا حرّيمهم ... واتفق إبراهيم مع ابن العرجي واقتسما المغرب بينهما نصفين لكل واحد منهما ما يليه .

وقد أعلن إبراهيم بعد ذلك للملأ خروج على الدعوة ، وبني مسجدا في بيت ريب ، ونصب منبرا وخطب لبني العباس ، وأعاد بعمله هذا ما فقد العباسيون من نفوذ في تلك البلاد منذ أمد طويل . ثم إن إبراهيم لم تأخذه في أهل الدعوة رأفة ولا رحمة ، بل ظل ، كما قال الحمادي : « يتبع القرامطة ، يقتلهم ويسبي ذراريهم » .

الداعي ابن أبي الطغلب

فبق من أهل الدعوة ، قليل في ناحية جبل مسور فقام يوسف بن موسى بن أبي الطغلب بأمر الدعوة بعد وفاة الداعي عبد الله بن عباس الشاوريّ في عهد المزدلين الله ، فسمع به إبراهيم ، فخرج إليه فقتله ؛ وتفرق من بقي من أصحابه إلى نواحي عمان وقطافة ، وانكتم أمرهم عن إبراهيم^(٤) .

وبقيت زعامة الدعوة في اليمن في غير بيت منصور ، وذلك لأننا لا نعرف من بقي منهم غير جعفر بن منصور الذي سبق أن تكلمنا عنه^(٥) . وأمعن من

(١) كشف ٤١ ؛ كان أبوه من قدم من حمير ورئيس أهل قدم ومن كبار قواد المنصور وقد قتل في غلاف اليباس وجاء اسم أبيه في أبناء/ماضي ٦١ ، ٦٤ « عبد الحميد بن محمد بن الحجاج السورى » . وفي سلوك/كأى ١٥١ قال : هو جد بني المنتاب الذي إليه ينسب مسور ، فيقال « المنتاب » .

(٢) ورد في أبناء/دار ٣٤ أن هذا قد حدث سنة ٣٣٦ .

(٣) في سلوك/كأى ١٥١ ؛ « جبل العشب » ، وصحها « كأى » فقال : « جبل بني أعشب » . وفي أبناء/دار ٣٥ : « جبل بني عشب » ؛ والصواب « جبل بني عشب » ، وذلك لأن المكان مشهور ومعروف باليمن الآن بهذا الاسم وهو بالقرب من كحلان غفار .

(٤) عيون ١/٧ ؛ كشف ١٤١ ؛ نزهة ٣٣/١ ؛ وذكر الهمداني قطاعة في صفة ٦٩ ، ١١٢ .

(٥) قال الحمادي (كشف ٤١) : « ولم يبق للمنصور عقب يعرف » .

بقي من أتباع الدعوة في التخفي والتستر، ويظهر أنهم كانوا على اتصال مستمر بمركز الخلافة الفاطمية وقد قاسوا في هذه المحنة أصناف الاضطهاد من الأعداء .

الرعافة بامر ابن أبي الطفيل

وقام بعد ابن أبي الطفيل جعفر بن أحمد بن عباس^(١) . واستخلف بعده الداعي عبد الله بن محمد بن بشر من وادي قطاية من قُدم^(٢) ، وقد أقام هذا الدعوة إلى العزيز بالله^(٣) . ولما توفى هذا الداعي خلفه في الدعوة محمد بن أحمد بن العباس الشاوري من قُدم^(٤) .

هارون بن محمد بن رحيم

ثم قام هارون بن محمد بن رحيم من قُدم بعد ذلك بالدعوة للخليفة الإمام العزيز بالله ، ثم لابنه الحاكم بأمر الله ، وكان يكتب الأئمة الفاطميين أولاد المهدي في القيروان وفي مصر قبل أن يتولى رئاسة الدعوة^(٥) . وقد عثرنا على نص سجل من الخليفة الحاكم إلى الداعي هارون مؤرخ في ذى القعدة سنة ٣٩١ ، جاء به صاحب الميون^(٦) ، ومنه تبين أن الخليفة قد عهد إلى داعيه هارون في اليمن بوجوب اتباع سنة رسول الله واتباع ما جاء في كتاب الدعائم للقاضي النعمان المغربي ، كما عهد إليه بيمض الأعمال الأخرى . وكان الداعي لا يستقر في مكان واحد خوفاً من المنتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ومن عامة الناس .

تأييد الأمير عبد الله بن فسطاطه للدعوة

وفي أيام الداعي هارون ظهر الأمير عبد الله بن فسطاط بن يعفر بصنماء ،

(١) حاشية الميون ١/٧ ؛ وفي رواية : يعفر ؛ وأغلب الظن أنه ابن أخي الداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

(٢) نفسه ١/٧ . (٣) نفسه ١/٧ . (٤) نفسه ١/٧ .

(٥) سلوك / كافي ١٥٢ .

(٦) ٢٧١/٦ - ٢٧٢ ؛ نقلاً من هذا السجل في الملحق رقم ١ .

فلاقت الدعوة في اليمن في أيامه بعض الرواج لأن الأمير عبد الله بن قحطان قد قام بالدعوة للخليفة المزيقي سنة ٢٧٩ ؛ وبعد أن تم له فتح تهامة دخل زبيد حاضرة بني زياد وأمر بقطع الخطبة للخليفة العباسي في البلاد التي دخلت تحت يده ، ودعا للخليفة المزيقي الفاطمي ، واستمر الحال على هذا حتى توفي سنة ٣٨٧ هـ في عهد الخليفة الحاكم . ولعل هذا العمل من قبل عبد الله بن قحطان يعتبر من ناحية من العوامل التي ساعدت الدعوة على أن تستعيد بعض قوتها في اليمن ، وبعد ما حاق بها من محن ، كما يعتبر من ناحية أخرى من الأسباب التي أدت إلى ضعف النفوذ العباسي إلى حد ما ، ونشاط دعاة الفاطميين ، لانصراف أمراء اليمن عن مقاومة هذا النشاط بسبب التنافس والتنازع فيما بينهم . وكان الأمير عبد الله بن قحطان هذا هو ابن معاذة بنت علي بن الفضل الجدني^(١) ، فلا يبعد أن يكون هذا الأمير رغب في أن لا يبعد سياسة جده ، ويحسن علاقته مع الفاطميين بعد ما رأى ما أدت إليه سياسة الخروج عليهم من تفكك واضمحلال كاد يودي بالدعوة وأهلها .

يوسف بن أحمد بن الأشج

ومهما يكن من أمر ، فإن الداعي هارون بن رحيمة خلفه في الدعوة بعد وفاته ، يوسف بن أحمد بن الأشج^(٢) من أهل شبام حمير ، وكان يدعو سرا إلى الخليفة الحاكم . ولم تذكر المراجع التي في أيدينا شيئا عن نشاطه .

سليمان بن عبد الله الزواحي

ولما توفي الداعي يوسف هذا استخلف سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي

(١) سلوك / كافي ؛ انظر الباب الثاني من ٤٨ .

(٢) هكذا ورد اسمه في الميوس ، ورواية التزعة ٣٣/١ « يوسف بن أحمد بن الأشج » .

وقال صاحب الكشف ٤٢ : إن اسمه « يوسف بن الأشج » ؛ ولكن صاحب السلوك ١٥٢

قال : إن اسمه « ابن الأشج » ؛ ومصحها (كافي) قلا عن القرية « بالأسد » . وهذا كله

تحريف وتصحيف ، والذي ذكره إدريس في الميوس قد اتبعناه .

من حير من ضلع شبام، وكان مقامه في حصن كوكبان^(١). وقد دعا هذا إلى الحاكم والظاهر . وكان كثير المال عظيم الجاه وكلاهما أحسد من الناس بقتله رده بقوله : « أنا رجل مسلم (أقول لا إله إلا الله) كيف يحل لكم دمي ، وأخذ مالى فيمسكون عنه »^(٢) .

وقبل أن يتوفى سليمان الزواحي أوصى يكتبه وأمواله الكثيرة إلى علي بن محمد الصليحي ، الذي قام بأمر الدعوة باليمن من بعده .

فائمة أسماء الدعاة

من ذلك زرى أن الحقبة التي تقع بين موت منصور اليمن وظهور علي بن محمد الصليحي (٣٠٣ - ٤٣٩) تعتبر حقبة مظلمة في تاريخ الدعوة الفاطمية في اليمن . وقد استقيننا معلوماتنا عن هذه الحقبة من كتاب الكشف لابن مالك الحمادى ، والسلوك للبهاء الجندى ، وعميون الأخبار ونزهة الأفكار للداعى إدريس ، وإن كان ماورد في هذه المراجع عن هذا الموضوع لم يشف الغلّة ، لأنهم اقتصروا في كتاباتهم على سرد أسماء الدعاة ، ولم يذكروا شيئاً عن نشاطهم الدينى والسياسى . وهاك أسماء هؤلاء الدعاة كما أوردها الحمادى والجندى وإدريس عماد الدين :

(١) قال إدريس (غيون ٢/٧) : « حصن كوكبان من الحصون القديمة البناء . وكانت رينة شبام حير لصاحب كوكبان ، وهى من مدائن اليمن القديم عهدها، الحسن مرآها ، الكثير جندها ، وهى اليوم قد خربت ولم يبق منها إلا قليل ، وفيها مسجد حسن جامع ، وجدد الزواحي دار الخراطم في كوكبان ؛ وجعلها مقره في ذلك الأوان . وفي ذلك يقول بعض الشعراء في مدح السلطان على بن حاتم بن أحمد بن عمران أياى ما ملك كوكبان في قصيدته :

أشرفت حجرة الصباح وقالت هكندا كنت حجرة فصباح
ورأى مجلس الخراطم ملكا مارآه إلا بعصر الزواحي»

(٢) كشف ٤٢٤ ؛ والزيادة التي بين القوسين من سلوك / كاشى ١٥٢ .

ملاحظات	إدريس عماد الدين: عيون ١/٧ - ٢ ورزها ١/٣٢-٣٣	الجنسدى : سلوك/كاي ١٣٩ - ١٥٤	الحمادى : كشف ٢٢ و ٣٩ - ٤٢
<p>قدم إلى اليمن سنة ٢٦٨ وبقى قائما بها حتى توفي سنة ٣٠٣ في خلافة المهدي بالله . وفي الحور ١٩٧ : أبو القاسم أبو الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وجاء اسمه كاملا في افتتاح ٢ : أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زاذان الكوفي . وسمى المنصور باليمن صاحب دعوة اليمن .</p>	<p>أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب منصور اليمن .</p>	<p>منصور بن زاذان بن حوشب بن الفرغ بن المبارك بن ولد عقيل بن أبي طالب .</p>	<p>١ أبو القاسم المنصور الحسن بن زاذان من أهل الكوفة من ولد عقيل بن أبي طالب .</p>
<p>ذكر صاحب الأنباء / دار ٢٤ أنه قتل سنة ٣٣٦ . وعلى ذلك يكون قد توفي في عهد الخليفة المنصور الفاطمي .</p>	<p>عبد الله بن العباس أرسله منصور اليمن أيام حياته إلى مصر للمهام الدعوة .</p>	<p>عبد الله بن العباس الشاوري ، كان خصما بمنصور اليمن ، وكان قد قدم على المهدي برسالة المنصور . قتله الحسن بن المنصور في بعض القلعات .</p>	<p>٢ عبد الله بن عباس الشاوري، قتله أبو الحسن بن منصور غيلة .</p>
<p>تولى رئاسة الدعوة باليمن في عهد الخليفة المعز الفاطمي .</p>	<p>يوسف بن موسى بن أبي الطفيل؛ ورواية النزهاة: يوسف بن أبي الطفيل .</p>	<p>في رواية : ابن الطفيل قتله إبراهيم [بن عبد الحميد (الحميد)] .</p>	<p>٣ ابن الطفيل قتله إبراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني النساب .</p>
<p>لم يرد اسمه في النزهاة ، ولكن اسمه ذكر في حاشية عيون ١/٧ وأغلب الظن أنه ابن أخي عبد الله ابن عباس الشاوري .</p>	<p>جمفر بن أحمد بن عباس .</p>		<p>٤</p>
	<p>عبد الله بن محمد ابن بشر من وادي قطاية من قدم قام داعيا إلى الإمام العزيز بالله بن المعز لدين الله</p>		<p>٥</p>

ملاحظات	إدريس عماد الدين: عبون ١/٧ - ٢ وزنه ٣٢/١ - ٣٣	المسندى : سلوك / كافي ١٣٩ - ١٥٤	الحماصي : كشف ٢٢ ٣٩٦ - ٤٢	
الظاهر أنه أخو جعفر بن أحمد بن الصار الشاوري (٤) ولعله كان قائماً بالدعوة اليمنية في عهد العزيز	محمد بن أحمد بن العباس من شاورة، وهم من قدم بن قادم بن زيد ابن عريب بن جضم ابن حيوان بن نوف ابن همدان، قاله ابن ماكولا في إكثاله.			٦
وكان الخليفة الحاكم الفاطمي أرسل إليه سجلا سنة ٣٩١ والسجل ورد في الميون ١٨٦/٦ . انظر الملحق رقم ١ . لعله أدرك عهد العزيز والعزيز والحاكم ولكنه تولى رئاسة الدعوة في عهد العزيز وتوفي في عهد الحاكم.	هارون بن محمد بن رحيم من قدم، وكان قائماً بالدعوة .	ابن رحيم ، وكان يكتب أولاد المهدي إلى القيروان وإلى مصر ، وفي أيامه قدم العزيز إلى مصر وابتقى القاهرة .	ابن رحيم في أيام المتتاب . يكتب بنو عبيد بعد خروج العزيز من القيروان إلى مصر ؟ يكتب العزيز ومن بعده .	٧
تولى رئاسة الدعوة في عهد الحاكم .	يوسف بن أحمد بن الأشج من حبر من مدينة شام حبر ، وحاشية الميون : يوسف ابن محمد بن الأشج . ورواية الزهراء : يوسف بن أحمد ابن الأشج .	يوسف بن الأشج يدعو إلى الحاكم ويبيع له سراً .	يوسف بن الأشج من أهل شام حبر، كان يدعو إلى الحاكم ويبيع له على وجه السر .	٨
تولى رئاسة الدعوة في عهد الحاكم والظاهر .	سليمان بن عبد الله ابن عامر الزواحي من حبر ، وكان له حصن كوكبان .	سليمان بن عبد الله الزواحي من ضلع شام .	سليمان بن عبد الله الزواحي من حبر من ضلع شام من الحفن ، فأقام يدعو إلى الحاكم وإلى المستنصر	٩
انظر الباب الرابع	علي بن محمد الصليحي قام بالدعوة إلى الإمام الظاهر ثم إلى المستنصر .	علي بن محمد الصليحي وأساس من الأخرور سبع من أسباع حراز .	علي بن محمد الصليحي من الأخرور وهو سبع من أسباع حراز .	١٠

وقد اعتمدنا على رواية إدريس في أسماء الدعاة ، لأنه ذكر هذه الأسماء كاملة، مما يدل على أنه كان أكثر إلما من غيره في هذه الناحية ؛ ولا غرو، فإنه من الدعاة الذين حصلوا على تراث الدعوة، ومنه وقف على حقيقة هذه الأسماء . ومع ذلك لم يترك لنا إلا مجرد هذه الأسماء ولا نعرف عن تاريخ هؤلاء الدعاة إلا قليلاً ، ولم يذكر ما حدث من الخلاف بين الحسن بن منصور اليميني والداعي عبد الله بن العباس الشاوري .

كيف اعتظفت الدعوة بكيانها في فترة المحنة؟

وزى في الختام أن بعض الأفراد والجماعات استمرت على تمسكها بالدعوة برغم الصعوبات التي حاقت بهم ، وساعد على بقائهم طبيعة بلاد اليمن الجبلية الوعرة ، حيث كانوا يتخذون من الحصون العالية النائية وسيلة للتستر والبعد ما أمكن عن أعدائهم ، كما أن الاضطهاد الذي لاقوه بسبب عقيدتهم كان من أهم الأسباب التي حلت هؤلاء على التعاقد والمبالغة في التستر ، كما ساعدت رئاسة الدعوة في القاهرة على تغذية هذه المنظمة السرية باليمن بكتب الدعوة ، كما يتضح ذلك من سجل الإمام الحاكم إلى داعيه هارون^(١) ، ومن الكتب التي تركها الزواحي لملئ الصليحي .

والنتيجة التي يمكن أن نستخلصها هي أن الأحوال في اليمن كانت مواتية جداً لظهور شخصية قوية تجمع شمل هذا التفكك والانحلال تحت لواء واحد ، وتربط هذه الجماعات والقبائل والدويلات المتنافرة المتباغضة برباط متين يدين الجميع بميش في ظل دولة موحدة قوية . وكانت هذه الشخصية المنشودة هي شخصية علي بن محمد الصليحي ، الذي أخذ يدعو في اليمن بمد أن تشبعت نفسه بتعاليم شيخه الزواحي .

الباب الرابع

عهد الملك علي بن محمد الصليحي

(٤٣٩ - ٤٥٩ م)

عائلة اليمن قبيل ظهور الصليحي

كانت اليمن في الربع الأول من القرن الخامس الهجري تنحدر بخطا واسمة نحو التدهور والتفكك؛ وذلك بسبب استيلاء الموالى واستبدادهم بالحكم في الأقاليم؛ فقل الرغم من أن الحسين بن سلامة^(١) تمكّن من المحافظة على دولة بني زياد مدة ولايته، فإن استبداد الموالى من الحبشة بالحكم مكّنهم من تأسيس الدولة النجاشية^(٢) في زبيد سنة اثنتي عشرة وأربع مئة على أنقاض دولة بني زياد. وكانت لها التهايم وزبيد وأعمالها. وكان الاستيلاء من قبل الأحباش سببا قويا في أن العرب تحفزوا، ودفعتهم الحمية إلى عدم الخضوع للعبيد، فتقطعت أوصال البلاد بعد موت الحسين بن سلامة، وتقلب الأمراء على جميع الجهات.

فكان مخلاف جعفر بمحسونه ومخلاف العافر بمحسونه ومخلاف الجند وحصن السمدان^(٣) لآل الكيرندي^(٤)، وكانت لهم مكارم ومفاخر وسلطنة ظاهرة.

(١) هو وصيب لرشيد مولى أبي الجيش ووصي علي ابنه، وكان حسين من أولاد النوبة نسب إلى أمه سلامة. وقد اهتم رشيد بربيته وله ما تركيبة في بلاد اليمن (أنباء/دار ٣٦).
(٢) نسب إلى نجاش الذي كان وصيفا للحسين بن سلامة، أسسها سنة ٤١٢، ولم يزل ملكا لها مدة حتى مات سنة ٤٥٢ بالسكندراء.

(٣) مخلاف جعفر من مدنه جبلة وباب والمدين والمذبحرة وذى سفال؛ ومن مخلاف العافر نعر وجبا؛ ومخلاف الجند يشمل مخلاف جعفر ومخلاف العافر؛ والسمدان في بلاد العافر، والعافر تعرف الآن باسم الحجرية؛ والحسن موجود معروف الآن، وكان ابني الكيرندي إلى أن ملكه الصليحي.

(٤) وهم من أولاد الأييين بن جمال الدين السبئي الذي كان الرسول (ص) قد ولاء جبل الملح.

فأزالهم عنها بنو الصليحي^(١) .

وأما عدن وأبين ولحج وحضرموت والشحر فقد استولى عليها بنو معن سنة ٤١٢ بعد موت الحسين بن سلامة ، وظلت خاضعة لهم حتى استولى عليها على بن محمد الصليحي^(٢) ، فأبقام عليها وأخذ منهم جزية سنوية .

وتغلب أسعد بن وائل على مخلاف ووحاظة وأهم مدنه شاطح^(٣) . وامتلك بنو عبد الواحد مخلاف يربوع وأهم مدنه العمسد وبرع^(٤) وحصن مسار . واستولى بنو أصبح وهم قوم الفقيه مالك الأصبجي على حصون حب^(٥) والشمر^(٦) والسحول^(٧) . وتغلب على حصن وصاب^(٨) ومخاليقها قوم من بكيل ثم من همدان .

من هذا نرى أن بلاد اليمن لم تكن بها وحدة سياسية تجمع شمل البلاد تحت لواء واحد ، بل كانت السلطة موزعة بين الأمراء والزعماء المتباغضين المتنافرين ، الذين لم يرتبطوا ببنماد إلا برابط واه هو إقامة الخطبة وضرب السكة باسم الخليفة . ويمتبر ما ذكره صاحب الأنباء^(٩) أصدق تمثيل للحالة في اليمن قبيل ظهور الصليحيين حيث قال : « ... من سنة ٤٠٥ إلى سنة ٤٤٨ عم الخراب صنماء وغيرها من بلاد اليمن لكثرة الخلاف والنزاع وعدم اجتماع المملكة الواحدة وأظلم اليمن وكثر خرابه وفسدت أحواله وكانت صنماء وأعمالها كالحرقة ، لها في كل سنة أو شهر سلطان غالب عليها ، حتى ضعف أهلها وانتقلوا إلى كل ناحية . وتوالى عليها الخراب وقلت العمارة في هذه المدة حتى أصبح عدد دورها ألف دار

(١) عمارة / كاي ١٢ .

(٢) رسائل القمي ٢١ .

(٣) من حصونه دهوان وبفرز والشعر والخضراء (عمارة / كاي ١٣) .

(٤) اسم يطلق على قرية أو واد (صفة ٩٦ ، ٩٧) ، أو يطلق على جبل برع (نفسه ٧٢ ،

١٠٣ ، ١٢٥) .

(٥) وحب حصن منيع يقع في جبل ببدان .

(٦) مخلاف الشعر من ناحية النادرة متصل ببعدان شرقا .

(٧) السحول مخلاف من ناحية المخادر متصل ببعدان غربا .

(٨) وصاب مخلاف واسع في شرقي زبيد .

(٩) أنباء/ دار ٢٧ - ٢٨

بعد أن كانت مئة ألف دار في عهد الرشيد ... إلا أن صنعاء تراجعت بعض التراجع في زمن الصليحيين لما اجتمع لهم ملوك اليمن » .

فهذه العبارة فضلا عن أنها تصوّر لنا سوء الحالة في هذه الفترة في اليمن ، تعتبر شهادة لا بأس بها لأعمال الصليحي فيها ، وخصوصا أنها من مؤرخ لم يكن صديقا له .

نشأة الصليحي :

في هذا الجوّ السياسي المضطرب ، وفي تلك الأحوال السياسية غير المستقرة ظهر أبو الحسن علي بن محمد بن علي الصليحي ، وهو ينسب إلى قبيلة الأصالوح من بلاد حراز^(١) . وذكر أبو محمد الهمداني^(٢) قبل ظهور الصليحي بقرن تقريبا أن آل الصليحي من بني عبيد بن أوام بيت الأخرج^(٣) ، ووصفهم بأنهم أنجاد كرماء . وكان علي الصليحي ، كما قال ابن الجوزي^(٤) : « شابّا أشقر اللحية أزرق العينين ، وليس في اليمن من يماثله في ذلك » . وكان أبوه القاضي محمد سنيا ، شافعي المذهب ، حسن السيرة ، مطاعاً في أهله وجماعته ، ولا يخرجون عن أمره^(٥) . ويدل على ذلك ما قاله عمارة^(٦) : « من أن أهل حراز كانوا أربعمائة ألفاً يدينون له بالطاعة » . وكانت

(١) قيل : وآل الصليحي من بني عبيد بن أوام بن حجور بن أسلم بن عليان بن زيد بن عرب بن جشم الأوسط بن حاشد بن جشم الأكبر بن حبران بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد ابن أوسله بن ربيعة بن الحيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ابن هود . ويتلقى الهمدانيون والصليحيون عند جشم الأوسط .

(٢) إكليل ١٠ / ٩٩ .

(٣) وقال أبو محمد في صفة ١٠٦ عند كلامه على مخلاف حضور : « ويتصل بها - أي بسافة حضور - بلد الأخرج بن النوث بن سعد . ويقال نسب البلد إلى خربة من همدان . والأخرج بين حضور وهوزن ... ويولد الأخرج اليوم الصليحيون من همدان » ؛ راجع أيضاً إكليل ١٠ / ٩٩ ، وتعليق محب الدين الحطيب . وقال لنا القاضي محمد الحجري : إنه في البلاد التي تسمى الآن بلاد الحيمة ما بين حضور وحراز ، وفيها حصن بناع الذي كان يسكنه القاضي محمد الصليحي .

(٤) امرأة الزمان ١ / ٢ ورقة ٨٨ ب ، ولا يؤيده أحد من المؤرخين اليمنيين في هذا الوصف .

(٥) كفاية ٤٧ .

(٦) عمارة / كافي ١٤ .

القرية التي يقيم بها القاضي محمد ، تسمى قَـتْرَ من أعمال حراز^(١) ، فنشأ ابنه عليّ على طريقته في بدايته .

نشأ نشأة طيبة في بيئة عربية حرّة ، لها تقاليدھا في الأخلاق الفاضلة وعلوم الإسلام وفنون العربية . ونعرف مما روى عن نشأته وأحواله في شبابه أنه لوحظ عليه مخايل النجابة^(٢) ودلائل الفضائل^(٣) وطموح النفس ، وأن « الأحوال تنقّلت به في مبادئ عمره من خفض إلى رفع ، ومن ضرّ إلى نفع »^(٤) .

ويروي أنه أقام يحجّ دليلاً بالناس على طريق السّـرّاة^(٥) والطائف خمس عشرة سنة ، وأن الناس في أول ظهوره كانوا يقولون له : قد بلغنا أنك ستملك اليمن بأسره ، ويكون لك شأن ودولة ، فيكره ذلك وينكره على قائليه ، مع كونه أمراً قد شاع في أقواله بأفواه الناس الخالصّة والعامة^(٦) .

مغامرة الأُصير السّاب وشهادة الملك في مجلس القاضي

وكان الصليحي في أيام شبابه قد نزل إلى مدينة حَيْس لاستطلاع خبر عبدی مرجان — نفيس وبجّاح ، فرّ عليه بعض من يعرفه ، فتجرّد عن ثيابه ، ولبس ثياب السلاط بينع السليط في معصرة من معاصر حَيْس . وتحمل شهادة في منزل رجل يقال له السبخة . فلما ملك الصليحي مدينة زيد وقف له مجوز بخطه ، فمرّ به . فركب إلى مجلس القاضي ، وأدّى عنه شهادة كان تحمّاهما في صباحه ، ثمّ تحدّث مع القاضي سرّاً ، وافترقا . هذه القصة — كما رواها عمارة^(٧) —

(١) عيون ٢/٧ . (٢) أنباء / دار ٣٨ ؛ كفاية ٤٧ . (٣) عيون ٣٨/٧ .

(٤) عمارة / كافي ١٥ ؛ كفاية ٤٧ .

(٥) جبل السراة هو أعظم جبال العرب أقبل من قرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادي

الشام (صفحة ٤٨) .

(٦) عمارة / كافي ١٧ ؛ كفاية ١٧ .

(٧) عمارة / كافي ١٦ — ١٧ . وكذا رواها إدریس في عيون ٧/١٥ — ١٦ نقلًا

عن صاحب المفيد في أخبار زيد . وقد علق إدریس على هذه الرواية وقال : ولم ينكر الداعي علي بن محمد على أحد مذهبه من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقر كل أمریء على ما كان عليه . وكان يرفع أهل العلم وذوى الديانة والفضل من أهل مذهبه وغيرهم . وكانت له سيرة عادلة وأخلاق فاضلة رواها الحامس والعالم ... تدل على حسن مذهبه وفضل أدبه ... ولم يجحد ذلك إلا مكابر مشبه ليضل الأوباش من أمثاله ... الخ .

تضمن معاني سامية من اقتحام الأمير الشاب الغامر في المخاوف وشجاعته ، ثم تواضع الملك الفاتح في أوج عزّه وسؤدده ، وخضوع السلطان واستسلامه للقانون ، واحترامه لقداسة القضاء . ولا يخفى أن الصليحي أبقى القضاء بمد فتح تهامة في مناصبهم العالية مراعاة لأحوال رعاياه السنيين .

زواج الصليحي من السيدة أسماء

وأحبّ الأمير الشابّ ابنة عمته السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب^(١) . حدثنا عمارة عن القاضي عمر بن الرجل الحنفي^(٢) قصة زواجه من أسماء ، وقال : « كان علي باب زبيد من داخل السور دار رجل من الحبشة ، يقال له فرج السحرتي ، وكان من أهل المعروف والمدقات الواسمة . وكان من نزل بمسجده أكرمه وأواه ، ويتفكّر ويدخل المسجد يتجسّس أخبار الضيوف سرّاً من وكلائه وخدمه . فخرج ذات ليلة ، فظفر برجل يقرأ القرآن ، فسأله عن المشاء ، فأنشد قول المتنبي :

من علّم الأسود المخصي مكرمة أعمامه البيض أو أخواله الصيد

فأخذه الحبشي ، وطلع به إلى أعلى مكان في داره ، وأكرم مثواه ، واستخبره عن سبب قدومه إلى تهامة . قال الصليحي : إن لي عمّاً يقال له شهاب ، وله ابنة يقال لها أسماء ، قليلة النظير في الجمال ، معدومة المثل في الأدب والعقل ، وخطبتها إليه ، فأشطّ عليّ في مهرها ، وأمّنها تقول : لا تزوجها إلّا بعمض ملوك همدان بصنعاء أو ملوك بني الكرندي بخلاف جعفر . وقد استاموا عليّ من المال مبلغاً لا قدرة لي عليه . وأنا متوجّه إمّا إلى بني معن بعمد ، وإمّا إلى بني الكرندي بالمعافر . قالوا : فدفع له القائد فرج السحرتي مالا جزيلاً أضاف ما أدّى الصليحي ، وجهاز العروسين جميعاً أحسن جهاز يحتفل الملوك به لمقاتلهم ، وأعادته إلى عمّه ، فتزوج بأسماء . »

(١) توفيت في سنة سبع وستين وأربع مئتي عهد ابنها الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي .

(٢) الحنفي سبأ ومنهبا ، وكان من الغناء كما حكاه عمارة / كأي ١٥ .

فضائل السيرة أسماء في أقوال المؤرخين

« وكانت أسماء من أعيان النساء » كما ذكرها الأزدي^(١). قال : « وكان يثق بها ثقة تامة لكاملها ؛ فوكل إليها أمر تدبير الدولة ، ولم يخالف في أغلب أمورها ، ويجلّها إجلالا عظيما . وكانت إذا حضرت مجلساً لا تستر وجهها عن الحاضرين . وكانت من حرائر النساء . »

وقال عماره^(٢) : « وكانت أسماء من الكرم والسودد ، والجوائز السنوية الجزيلة للشعراء ، والصلوات الواسعة في سبيل الله تعالى وفي سبيل الروءة والخير ، بحيث يمدح أولادها وإخوتها وبنو عمّها بمفاخرها . » وفيها يقول شاعر زوجها واسمه عمرو بن يحيى الهيثمي^(٣) من قصيدة أولها :

حثمت بيضاء الأنامل حثماً^(٤)

ومنها :

رَسَمْتُ فِي السَّمَاحِ سِنَّةَ جُودٍ لَمْ تَدَعُ مِنْ مَعَالِمِ الْبُخْلِ رَسْمًا^(٥)
قَلْتُ إِذْ عَظَّمُوا لِبَلْقَيْسٍ عَرْشًا دَسَنْتُ أَسْمَاءَ مِنْ ذُرَا النَّجْمِ أَسْمَى^(٦)

وقال ابن الجوزي^(٧) : « وكان يخطب لها على المنابر ، فيخطب أولاً للمستنصر ثم لعل الصليحي ، ثم لزوجته ، فيقال : اللهم وأدم أيام الحرّة الكاملة السيدة كافلة المؤمنين . »

وقال الخزرجي^(٨) : « وكان فيها من الكرم والحزم والتدبير ما لم يكن في أحد من نساء زمانها . »

(١) الأزدي : الدول المنقطعة ورقة ٦٩ .
(٢) عماره / كاي ١٦ : واسمه أسعد بن يحيى الهيثمي . ولعل الصواب عمرو بن يحيى الهيثمي . ونسب الأزدي في الدول المنقطعة البيت إلى الشاعر حسين القمي .
(٣) هامش عماره / كاي ١٦ : حثمت بيض الأنامل حثماً .
(٤) رواية الأزدي : سمة جود .
(٥) وفي رواية : من زرى المجد .
(٦) ابن الجوزي : مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ ب .
(٧) كفاية ٤٩ .
(٨)

الصليبي ينقل العلوم من شجرة الزواحي

ولما انتقلت رئاسة الدعوة في بلاد اليمن إلى الشيخ سليمان بن عبد الله الزواحي^(١)، شرع في ملاطفة القاضي، فكان «يركب إليه كثيراً لرياسته وسؤدده وصلاحه وعلمه»^(٢). وكان الشيخ سليمان كلما وصل إلى القاضي ورأى ولده عليّاً، لاحظ عليه محائل النجابة^(٣)، ورأى فيه دلائل الفضائل وهو في أوان الاستجابة^(٤). وكان عليّ يومئذ دون البلوغ، فأخذ الشيخ يتصل به، ويطلمه على ما عنده من أخبار وآمال ومشروعات كبار، حتى استماله وغرس في قلبه ولبته ما عرس من علومه وأدبه ومحبة مبادئه^(٥). ويقال إنه كان عند الزواحي حلية الصليحي في كتاب الصور (الجفر)^(٦)، «وهو من الدخائر القديمة، فأوقفه منه على تنقل حاله وشرف مآله، وأطلمه على ما أطلمه عليه سرّاً من أبيه القاضي محمد وأهله جميعاً»^(٧).

الزواحي يجعل علياً خليفة

ولما اطمان الزواحي لتضج تماثيله في نفس تلميذه جعله خليفته في الدعوة بعد أن وافق الإمام المستنصر الفاطمي بمصر على ذلك^(٨)، «وطالع الزواحي حضرة إمامه في أمره، فأتيح له أن يفرض بمكنون سرّه»^(٩).

وإننا نعتقد أن الداعي الزواحي قد تمكن بما آتى من فطرة وسعة علم ولباقة فائقة وطلاوة في الحديث، من إدخال الشاب عليّ في علوم الدعوة وإقناعه بضرورة الحرص عليها. كما نعتقد أنه لم يلاق صعوبة في جذبته إليه لما أبداه عليّ من رغبة

(١) انظر جدول أسماء الدعوة بعد منصور بن يحيى.

(٢) كفاية ٧: ٤٧. (٣) منه: أبناء / دار ٣٨.

(٤) عبود ٣٨/٧ ويقصد بأوان الاستجابة أوان استجابته للدعوة.

(٥) نزهة ١/٣٤؛ أبناء / دار ٣٨؛ كفاية ٤٧: ٤٧.

(٦) انظر مثنى (كس) مجموعة ٢٦ صحيفة ٢٤٩.

(٧) كفاية ٧: ٤٧. (٨) عبود ٢/٧. (٩) نفس المرجع.

صادقة في الاستمرار والتقرب من شيخه المفيد ، وهذا بفضل ذكائه الذي ظهر في سنّ مبكرة . ثم إن عزم عليّ وجدّه وحرصه على ألا يفك منه هذا الأمر جملة ينكب على دراسة كتب الدعوة التي آلت إليه بعد موت الزواحي ، لأن هذا ، كما قال الخزرجي^(١) : « كان قد أوصى قبل وفاته بجميع كتبه له ، وأعطاه مالا جزيلا كان قد جمعه من أهل مذهبه » . وهذا يدل دلالة واضحة على نضج فكرة الدعوة وأصولها في عقل هذا الشاب الذي كتب له أن يلعب دوراً هاماً في تكوين تاريخ بلاده .

وكان ذكاء الصليحي من أهم عوامل نجاحه ، فلم يكد يبلغ الحلم حتى تضلع في معارفه التي بلغ بها وبالجد العميد غاية الأمل البعيد^(٢) ؛ فأصبح ، كما قال عمارة^(٣) : « عالماً فقيهاً في الذهب الفاطمي مستبصراً في علم التأويل » .

الصليحي يتخذ الحج وسبيلت دعوته

وقد أدى ذكاء علي الصليحي به إلى أن ينهج نهجاً جديداً ، وأن يسلك طريقة تخالف طرائق من سبقه من الدعاة في اليمن في بث دعوته ونشر مذهبه . فاتخذ ميدان الحج حقلاً لفرس مبادئه وتنميتها ، وصار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحواً من خمس عشرة سنة ، فانتشر ذكره في البلاد على لسان الخاصة والعامة .

ورى أن هذه المدة الطويلة التي مرت من موت الزواحي إلى قيام الصليحي بثورته في مسار ، وتقرب من خمسة عشر عاماً ، كانت كافية لصقل علي ، « لأن الأحوال تنقلت به من خفض إلى رفع ومن ضر إلى نفع »^(٤) ، كما كانت كافية لتكوين جماعة قليلة تدين بالإخلاص له ولأمره .

(٣) عمارة / كاي ١٤ - ١٥ .

(٢) نفسه .

(١) كفاية ٤٧ .

(٤) عمارة / كاي ١٥ .

دعوة الصليبي لعامة القوم

ولا يخفى أن طلاب السلطة يراعون دائماً جانب العامة ، وهم السواد الأعظم في كل مجتمع ، فيعملون لهم كل حساب ، ويتقربون إليهم بما يرضيهم . ولما كان الدين هو جامعهم الكبرى ، ومن أكبر أسباب سعادتهم ، تمسك الصليبي بالديانة الإسلامية والمثل العليا . فكان متفهماً في عقائد المذهب السنّي ، وكان لا يظهر حقيقة مذهبه إلا لمن يثق به ، فأتخذ الدعوة بالتي هي أحسن لتكوين مجتمعه الذي ينشده وليصل إلى ماتصبو إليه نفسه .

ولم تكن دعوة الصليبي في أول الأمر للأمرء وعلية القوم وأصحاب المصالح ، لأنه كان يفهم تماماً أن هؤلاء سيحاربونه بأي حال من الأحوال ؛ ولكنه اتصل بالعامة بل وبالتحمسين منهم للدين ، وهم الحجاج ، فكانه دخل بدعوته في هذا الميدان متشجعا ومتجعلا بالدين ومحاسنه ، وهو متحقق أنه لا بد من أن يستميل إليه أعوانا ، ولو طال به الزمن ، ما دام متمسكا بالدين .

ولما كان الصليبي من طلاب السلطة المطلقة وجد أنه لا يمكنه أن يستغنى عن العامة ، لأنهم السواد الأعظم في الرعية ، وبهم تجبي الأموال ، ومنهم تتألف الجنود ، ومن استطاع كسب قلوبهم وجذب قلوبهم ملكوه . ولا يجتذب قلوب العامة في تلك المصير مثل الدين . فإذا اجتمعت السياسة والمدالة تمت وسائل السلطة ، وتولى أمور الناس أقدرهم على استرضاء العامة .

فهِمَّ عَلَى الصليبي هذا كله ؛ ولا غرو ، فإن آماله ودأبه على تحقيق هذه الآمال كقيلة بنجاحه ووصوله إلى تحقيق أغراضه .

رؤساء همدراته يبايعونه الصليبي على نصرة الدعوة

وكان موسم الحج من سنة ثمان وثلاثين وأربع مئة فاتحة عهد جديد في

في نجاح الصليحي ، حيث بايعه ستون رجلا من قبيلة همدان^(١) على الوت أو الظفر بقيام الدعوة^(٢) ، وعلم كل واحد منهم أنه جنديّ من جنود الله ، فباعوا أنفسهم بيع السماح ، وتضافرت القوى على نصرة الدعوة بالأنفس والمال .

وكان هذا نصرا من غير شك ، وبخاصة إذا عرفنا أن هؤلاء الذين بايعوه على نصرة الدعوة لم يكونوا ضامفا لا حول لهم ولا قوة ؛ بل كانوا في عزة ومنعة من أهلهم . وهذا لا يتعارض مع ما ذكرناه من أن اعتماد الصليحي كان على العامة . ف هؤلاء العامة كانوا من قبيلة همدان القوية العزيزة الجانب ، والتي كانت القبائل العربية الأخرى هناك تعمل لها حسابا .

وقد قال عمارة في أتباع الصليحي : « وما منهم إلا من هو من قومه في منعة وعدد كثير » .^(٣) فبانضمامهم للدعوة عزّ جانبها ، وقوى ساعد الصليحي ، كما كان ذلك مشجماً لمن كان متردداً من المستجيبين على أن يحدو حذوهم .

الصليحي ينصر للثورة

تمكن علي بن محمد الصليحي بذلك من تكوين جماعة صغيرة مخلصه له ، وقد أصبحت هذه الجماعة نواة لقوة كبيرة إذ تمهدها يد العناية . ونظرا لأن أعداء الدعوة كانوا قد تسببوا في قتل ونهب الكثيرين من أتباع الدعوة ، صمم الصليحي على أن يقوم بعمل حاسم نحو المعارضين باستيلائه على مسار ، وتعميره وجعله مركزا لدعوته وقاعدة لتناوراته ، ولكن هذا المشروع يقتضى الاستعداد والحيلة . فبدأ يستمدل للثورة ، وساعده الظروف إلى حد كبير ، حتى كون جيشا من بطون همدان « وقد اقتنع الصليحي وأنصاره بصدق الوعد الذي قدمه الله للمسلمين في القرآن

(١) تضم قبيلة همدان بطونا كثيرة لم تخضع جميعها للصليحي ولم تقبل دعوته ، بل دخل بعضهم في الدعوة واستمر يدين بأصولها من أيام منصور العيني إلى أيامنا هذه . ويتصم جماعة منهم بجمال حراز وبخاصة اليعابر وجماعات أخرى في نجران وعراس . وهم معروفون بشهامة أخلاصهم وحسن هيتهم .

(٢) عمارة / كافي ١٧ .

(٣) قره ورقة ٢١ ؛ كفاية ٤٧ .

الكريم بالإيمان الذي استقر في قلوبهم إلى مواجهة الصواب عن ثقة بالله وبالإمام الذي وعدهم بالنصر أينما ذهبوا» (١) .

وهذا الإيمان القوي وبمبادئه تقدم الصليحي وأصحابه في فتوحاتهم ، كما استرى ، بقوة تقهر المصاعب ، وتذلل العقبات ، وتحل المشكلات . ولكن لكل شيء أسبابه ووسائله . وهذه الأسباب والوسائل قد تطلبت من غير شك كثيراً من الجهد والتدبير والتقدير وإعمال الرأي ، لتجمع هذه القلوب المتفرقة أولاً ، ولتندفع في تيار الحرب لرفع راية الإمام ثانياً . ولقد بذل الصليحي وأصحابه جهداً كبيراً في هذا السبيل لجمع الكلمة وتوحيد الهدف . فتمكن بفضل ما أوتى من شخصية قوية نادرة أن يتغلب على هذه المشكلة ، بأن جعل أتباعه يمتدنون أنهم يحاربون لنصرة الإمام وإعلاء كلمة الله ، وليس لأمر من أمور الدنيا . فكتب له ما معني من التوفيق وأخذ في الأسباب . فكتب من جهة إمامه بمصر الخليفة المستنصر بالله وطالعه في هذا الأمر ، وأخذ من جهة يماهد أصحابه ومن صحت في نفوسهم دعوته ، كما حدث أن اتفق مع الهمدانيين على الوصول إليه في يوم معلوم .

ولما شاع الخبر بأنه يستعد للثورة والقتال ، وأنه ينتظر أمر مولاه ، ازداد تحرش الأعداء بأهل دعوته وأتباعه . فوثب ابن جمهور صاحب لهب (٢) على من كان بناحيته من الصليحيين وأصحابه ، وأسر القاضي لمك بن مالك الحمادي وعدداً كبيراً منهم . فضاق الأمر على الصليحي ، ورأى ، كما حكاه الداعي إدريس (٣) ، في منامه أن الإمام يقول له : « ستملك جزيرة اليمن برّها وبحرها ونجدها وغورها » . ولعل فراسة الصليحي وحسن تقديره لعواقب الأمور جعلته يتوقع ما سيحيط به الإمام ، الذي لا يمكن أن يمارض بحال من الأحوال في أمر فيه نشر لدعوته وإعلاء لكلمته ولن يكلفه ذلك إلا الموافقة وتشجيع الطالب على الاستمرار في

(١) حسن سليمان في رسالته .

(٢) لهب في حراز ذكرها الهمداني في صفة ٦٨ ، ١٠٥ .

(٣) عيون ٧/٢ - ٤ .

طلبه ، ولكي يبرهن الصليحي على صحة حله أمام مستجبي دعوته استبشر بذلك وأظهر الفرح ، وقويت عزيمته ، وبثّ هذه الروح في قلوب أتباعه ، وجدّ في الاستعداد لتنفيذ خطته . فأرسل إلى أهل دعوته رسلا يمتهم على الوصول إليه ، واشترى المدة واللبايد^(١) ، فخفّ لمقابلته كبار أهل دعوته من أهل نواحي حراز^(٢) .

قيام الصليحي بالثورة

وقد استقر رأى هؤلاء جميعا على أن يقوموا بهذا الأمر عند صلاة العصر من يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة^(٣) ، وهي الليلة التي اتفق مع أهل دعوته على أن يوافوه فيها . واجتمع له في هذه الليلة من أرض يام (خلف صنعاء) ، من بلاد همدان ، من نواحي صنعاء ومن أرض حمير وغيرها ثلاث مئة رجل ، عدا من جاءه من نواحي حراز .

فلما صاروا بمحضرتهم أطلعهم على ماعتقد عليه عزمه ، وأخبرهم بأنه أمر أهل دعوته في جميع النواحي بأن يوافوه في يوم معلوم ، وأنه قد عزم على عمارة مسار

(١) الظاهر أنه جمع لبادعة وفي ق / ليد قال : والبادعة كرامة ما ليس من اليهود للمطر .
(٢) جاءه من أهل هوزن سليمان بن أبي القاسم وعبدالرحمن بن سبا بن أبي سهيل وجاءه من لهاب قاسم والحسين ابنا عبدالله بن أحمد وخولة بن أبي القبائل وسبأ بن عباس وعبدالله بن أبي المعدل وعبد العزيز بن علي ومن بني قليد أهل شيدب عراف بن محمد ومحمد بن الحسين ، ومن القامقة سويد بن أحمد ومن الوجب أبو الجماهر وأبو المشيرة ابنا قليد البحري وأبو الحسن بن أبي المشيرة وحمير بن عبدالله ومن صفان التبع بن محمد بن أبي يعلى وبسام ابن قطان بن أبي يعلى وأبي الحافظ بن عبدالله بن يعلى وسليمان وعبدالله ابنا كتمان والمدرج وكفني ابنا أبي المشيرة ومن بني الصليحي يعلى بن الظفر الصليحي وجماعة من أهل بيته . وهؤلاء أعيان أهل الدعوة في ذلك الأوان بمحراز وكبرأؤم (عيون ٤/٧ — ٥) .

(٣) يقول عباس الهمداني : في رسالته ص ١٤٦ هامش ٥ : « ولقد اختلفت المصادر القديمة والحديثة في السنة التي ثار فيها الصليحي ، وذلك أن المراحل الثلاثة في تاريخ الصليحي لم تفهم فيما تاما . وهذه المراحل هي : الأولى إطلاعه بالدعوة بعد وفاة الزواحي ؟ والثانية قيامه بالثورة في مسار والثالثة إعلان حكمه باليمن . كل هذه المراحل اجتازها في مدة طويلة . وهذا هو السبب في اضطراب المؤرخين . وتحت عبارة « إظهار الدعوة » اختلف المؤرخون في فهم هذه المعاني الثلاثة . أما عن قيامه بالثورة في مسار فبعض المؤرخين يقول إنه ثار في سنة ٢٩ ومنهم عمارة / كاي ١٧ ، إندريس : عيون ٦/٧ ، نزهة ٣٤/١ والمزرجي في كفاية ص ٤٧ —

وإظهار دعوة المستنصر بالله الفاطمي ، والجهاد في سبيل الله ؛ وقد استقر رأى مجلس الشورى هذا على الاستمرار في خطة الداعي ، وسرّهم هذا الرأى ، وأيقنوا بالنبل والظفر ، كما استقر رأيهم على وجوب الأخذ بأسباب الاستعداد . « فجمعوا ما استطاعوا من العدة ، وتواصوا ببذل النفوس والأموال في طاعة الله تعالى وطاعة رسوله وطاعة الإمام »^(١)

وجاء بنو الصليحي بخمس مئة دينار ، وسويدين أحمد صاحب القمامة بمئة دينار ، وأهل لهاب بألف دينار ، وبنو قليد^(٢) بثلاث مئة دينار ، وأهل هوزن^(٣) بخمس مئة دينار ، وبمشواها إلى الصليحي ، فأنى عليهم وشكر لهم سعيهم ، وقال لهم : « سوف يضاعف الله لكم أضعاف ما أسلمتم ، وليمكنكم الله من ديار الظالمين ، ولتتالنّ ما ترومونه ببركة أمير المؤمنين^(٤) » .

— ابن خلكان : وفيات ٧٣/٢ ؛ واتبهم عدد من المؤرخين المتأخرين ، مثل ابن الديبع : بقية ورقة ١٠ ؛ حسن بن نوح : الأزهار ١/١٣٩ ؛ باخرمة : فلاة النجر ٢/٢ ورقة ٦٠٠ ؛ الصمري : سالك الأبصار ١/١٦٦ ورقة ١٩٨ ؛ العرشى : بلوغ المرام ٢٤ . وبعضهم يقول إن توره كانت سنة ٤٣٩ ، ومنهم الحمادى : كشف ٤٣—٤٤ . وإني بالرغم مما ذكره المؤرخون المؤيدون لسنة ٤٢٩ أميل إلى رأى الحمادى ، وذلك لأنه معاصر للصليحي .

وقد أيدته حسن سلمان في رسالته ص ٥٣ بالدليل الآتى : « واهل عمارة كان يقصد ان عليا الصليحي كانت سنة عندما أعلن توره تسع وعشرين سنة . ويؤيد ذلك الرأى ما أجمع عليه المؤرخون من أن الشيخ الزواحي توفى ولم يكن على الصليحي قد بلغ العلم ، أى أنه لم يبلغ الرابعة عشرة ، ولما كان قد حج بالناس خمس عشرة سنة أخرى فتكون سه حين أعلن أمره هوتس وعشرين سنة . وبذلك يمكننا أن نقرر أن مولد الصليحي كان على وجه التقريب سنة ٤١٠ ، وأن توليته أمر الدعوة كان سنة ٤٢٤ وأن توره كانت سنة ٤٣٩ » .

ومع كل هذا فإننا لا يمكننا أن نقطع بالجزم في تاريخ قيامه بالثورة في مسار ، لأننا نميل إلى الأخذ برأى كل من عمارة وإدريس والحمادى ، ونتمنى أن توجد مصادر أخرى تنير ماريضا في هذه المسألة

(١) عيون ٥/٧ — ٦ .

(٢) كذا في الأصول ، ولهم من قرية تسمى الآن بيت المقلد من ناحية جبل شبام الغربية .

(٣) صفة ٦٨ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢١٨ — وهوزن بمخلاف حراز ، وهوزن سبج

أسباع حراز التي تشمل : هوزن وكرار وصفنان ومسار ولهاب وبيح وشبام .

(٤) عيون ٥/٧ — ٦ .

استيلاء الصليحي على جبل مسار

ولما أتم علي بن محمد الصليحي استعداده للثورة أرسل من أهل هوزن أربعين رجلا ، وأمرهم أن يسبروا إلى مسار ، وأن يلزموا ذروة الجبل ، كما أمرهم بأن ييمموا وجوههم شطر صمغان لأن أهل مسار قد تأهبوا لقتاله ، وحصنوه من كل جهة إلا من جهة بني عجبيل^(١) ؛ وعلم بذلك الصليحي عن طريق بعض أعوانه الذين تسللوا إلى قمة مسار وعرفوا ما يجري هناك ، كما علم أن بعض أهل مسار قد دخل في مذهبه وبذلك عرف كيف رسم خطته للاستيلاء على هذه القمة العالية .

وفي نفس الوقت قام الصليحي ومن معه بمد صلاة المشاء لخمس عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وأربع مئة ومعه حلفاؤه ، وجدد في السير خشية أن يسبقه أهل كرار في احتلال الجبل ، وانتهى الصليحي إلى عبرى سهام^(٢) ، وطمع أهل مسار في محاربتة من ناحية عبرى سهام ، ولكنهم لم يتمكنوا ، فأتجهاوا إلى قمة الجبل ليمتصموا بها ، فوجدوا أهل هوزن قد ملكوها وضربوا طبولهم . فاضطر أهل مسار إلى الهرب ، وصعد الصليحي وملك الجبل بغير قتال ، ونشر على رأسه بنودا ترجع إلى عهد الدعاة السابقين^(٣) .

فلما ملك قمة الجبل ، لم ينتصف ذلك الهار الذي ملكها في ليلته ، إلا وقد أحاط به عشرون ألف سيّاف ، فحسروه وشتموه وسفهاوا رأيه ، وقالوا له : « إن نزلت وإلا قتلناك أنت ومن معك » . فقال لهم : « أنا ما فعلت هذا إلا خوفاً عليكم أن يملك هذا الجبل غيرنا ؛ فإن تركتمونا نحرسه لكم وإلا نزلنا » . فانصرفوا عنه وتفرقوا^(٤) . وكان رسل الصليحي الراجعون من مصر ليلة طلوعه جبل مسار

(١) وهم من بيت الفقيه ابن عجيل .

(٢) صفة ٦٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، وهي تنطق اليوم عبرى سهام بضم العين .

(٣) عيون ٦/٧ ، ويلاحظ أن استيلاء الصليحي على مسار يدل على أهمية الذروة من الناحية الحربية لأنها تمتد من المواقع المتنازة في اليمن ، ومسار وشبابها جلا حراز الريفان وطوداه المنيعان .

(٤) كفاية ٤٧ .

مسمين في المهجم ؛ فوصلوا إليه وهو بحمصن مسار بعد يومين من طلوعه الجبل ، وأوردوا جواب إمامه المستنصر بالله الفاطمي يأذن بإقامة الدعوة باليمن . فسر ذلك الصليحي وأتباعه^(١) ، ومالبت أن أخذ نفوذه يزداد . وشأنه يرتفع بفضل اعتياده على تأييد الإمام^(٢) ، ثم وصلته الشيعة من أنحاء اليمن ، وجمعوا له أموالاً جلييلة^(٣) . ولما لم يكن بالجبل يومئذ بناء ، لم يلبث الصليحي أن بدأ بعمارة ساعة وصوله ، وذلك في يوم الخميس للنصف من شهر جمادى الأولى سنة ٤٣٩هـ ؛ ولم يمض شهر على احتلاله حتى بناه ودربه وحصنه وأتقنه^(٤) .

خطاب الصليحي إلى أهل حراز

وبعد استيلائه على جبل مسار كتب على بن محمد الصليحي كتاباً أمر بيته في جوانب حراز ، وهذا نصه^(٥) :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله الذي أورى زناد الحق ، ورفع عماد الصدق ، بالذين أكمل بهم الحججة على الخلق ، وأنارهم ما بين الغرب والشرق ، الهداة إلى الخير والأدلة ، الدعاة إلى أشرف المنهاج والملة ، خلفاء أنبيائه ، وأمنائه وأصفيائه ، وسلالة رسله من لدن آدم عليه السلام ، ووصل نظامهم ، وأعلى مقامهم ، وفتح بالنور أيامهم ، ونشر بالعدل أعلامهم ؛ فهم أعلام الدين ، والدعاة إلى الحق المبين ، الشيعة الميامين ، والسلالة الطيبين ، آل طاه وياس .

« وصولته على من ختم به الرسالة ، وفتح بالأئمة من عقبه أبواب الدلالة ،

(١) عيون ٨/٧ .

(٢) للرجع السابق ٨/٧ ؛ كشف ٤٢ . (٣) كفاية ٤٧ .

(٤) المرجع نفسه .

(٥) عيون ٧/٧ - ٨ .

سيدنا محمد النبيؐ ، وعلى أخيه ووصيه عليؑ ، وعلى الأئمة من نسل مولانا الحسين الزكيؑ ، وورثة التنزيل ، وخزنة التأويل .

« وأفضل صلواته وأتمى تحياته وبركاته على وارث علمهم ، والقائم من بعدهم ، بقية السلف ، وخيرة الخلف ، مولانا معدّ أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى خلفه وسلفه .

« أما بعد ، يا أهل حرازا! اللهم الله رشدكم ، وجمل الجنة قصدكم ، فلم أطلع إلى حصن مسار متجبرا باغيا ، ولا متكبرا على العباد عاتيا ؛ ولأطلب الدنيا وحطامها ، ولا طالبا أملك غوغاءها وطغامها ، لأنّ لي بحمد الله ورعا يحجزني عما تطمح النفوس إليه ، ودينا أعتمد عليه .

« وإنا قياي بالحق الذي أمر الله عز وجل به ، والعدل الذي أنزله في محكم كتابه ، أحكم فيه بحكم أوليائه ، وسنن أنبيائه ؛ وأدعو إلى حجته الذي في أرضه ، والقائم بفرضه . لست من أهل البدع ، ولا من ذوى الزور والشنع ، الذين يعملون في الدين بأرائهم ، ويحكمون بأهوائهم ؛ بل أنا متمسك بحبل الله التين ، عامل بمأشع الله في الدين ، وداع إلى أمير المؤمنين ، عليه صلوات رب العالمين . لأقول لإسدا ، ولا أكره في الدين أحدا . فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ، ومن ضلّ فإنما يضلّ عليها . وما الله يريد ظلما للعباد .

« واعلموا ، يا أهل حرازا! أني بكم رؤوف ، وعلى جماعتكم عطوف ، للذي يجب على من رعايتكم وحياطتكم ، ويلزمني من عشرتكم وقرابتكم ، أعرف لذي الحق حقه ، ولأظلم سابقا سبقه ، وأنصف المظلوم ، وأقع الظالم الفشوم ، وأبث فيكم العدل ، وأشمكم بالفضل . فاستدعوا ذلك بالشكر ، ولا تصفوا إلى قول أهل الكفر ، الذين من بقايا أهل الكفر ، فيحملونكم من ذلك على البنى والمدوان ، والخلاف والمصيان ، وكفر الإنعام والإحسان ، تستوجبوا بذلك تشيير الإنعام وتمجيل الانتقام . وكتابي هذا حجة عليكم ومعدرة إليكم . والسلام على من اتبع الهدى ، وتجنب أمور الردى .

« والحمد لله على ما أعاد وأبدا ، وصلواته على من أرشد به من الضلالة وهدى ، سيدنا محمد النبي وآله الأئمة الشهداء وسلم تسليما ، حسبنا الله ونعم الوكيل » .

قبام جعفر العباسي وجعفر الشاوري لمحاربة الصليحي

استفز ازدياد نفوذ الصليحي وانتشار أمره جماعة من زعماء اليمن ، وخافوا عاقبة ذلك . فقصده الشريف جعفر بن الإمام القاسم بن علي العمياني صاحب صعدة في جمع كبير من أصحابه حصن الأخرج ، فقاتل أهله ، وكان به الحسين بن مهلهل من أصحاب الصليحي ، ومعه جماعة من همدان وبنو شهاب^(١) . وانتهز هذه الفرصة جعفر بن العباس الشاوري^(٢) صاحب مغارب اليمن الأعلى ، وقام على رأس جند كثيف^(٣) من حراز وكرار وغيرها من أهل البأس والشدة ، وقصد عبري أسفل جبل مسار ، وأراد طلوع الجبل ، فنزل أنصار الصليحي يدافعون عن بقائهم وعن نصرة مبادئهم ، لأن النصر معناه البقاء لهذه الدولة الناشئة ، والهزيمة معناها الفناء والقضاء عليها . ولما كثر القوم على أنصار الصليحي وخشى الهزيمة وما يترتب عليها من سوء العاقبة نزل بنفسه ومن بقي معه ، واستمد من الحرج قوة ، فشد بذلك عزم أتباعه ، وحمل وطيس القتال ، حتى كسر الصليحي جيش ابن عباس الذي لاذ بالفرار مغلوبا على أمره ؛ ولكنه ما لبث أن رجع وتبث طمعا في النصر ، فكان جزاؤه القتل هو ومن معه من أتباعه ، وغنم الصليحي وأصحابه الكثير من السلاح والأمتعة والعدة . فعوى بذلك مركزهم ، وزاد نفوذهم ، وقويت روحهم المعنوية ، وخافهم من كان يترقب من القبائل نتيجة هذه الموقعة . فاضطر الشريف حين سمع بخبر قتل حليفه ابن العباس وهزيمة جيشه أن يترك حصن الأخرج وينجو بنفسه^(٤)

(١) عيون ٨/٧ وبنو شهاب نسبهم الهمداني إلى كهلان ، ثم إلى كندة ، ويملهم نشوان من قضاة ، كما حكاه لنا القاضي محمد المجري .

(٢) قال الخزرجي في السكافية ٤٧ : « شافعي المذهب ، وكان رجلا مجابا في مغارب اليمن الأعلى » .

(٣) نفسه ٤٧ : « ثلاثين ألفا » .

(٤) عيون ٩/٧ .

مُحَارَبَةُ الصَّلِيحِيِّ لِابْنِ جَهْوَرٍ

وكانت هذه المحنة التي حاقت بالصليحيين بمثابة اختبار لقوتهم وتعاونهم وتمسكهم بمبادئهم ، كما أن شخصيَّة الصليحي وجلال قدره وحسن بلائه في تأييد أمره أسكن النفوس الفاضلة ، فسار بالأمر قُدماً ، واستولى على حضور^(١) ، وأخذ حصن بِنَاح^(٢) ، وخاف أهل حراز الزوال ، فقرروا الدخول في طاعة الصليحي إلا أبو النور ابن جَهْوَر . فقد صمَّم على الاستمرار في المكابرة ، واعتصم بحصن لهاب . واضطرَّ الصليحي إلى تكليف السلطان عامر بن سليمان الزواحي أن يصعد جبل شبام^(٣) وبيت عناد ، ومعه جماعة من بني قليد وهُوَزَن وبني الهَجْرَكي^(٤) ، ثم وصل أحمد بن المظفر الصليحي وجماعة من الحجازيين فيهم عباس بن السكرم ، فعمَّروا داراً في قمة جبل شبام ، كما عمروا جبل بيت عناد استعداداً لمقاومة ابن جهور^(٥) .

وبعد أن تحصنوا في هذه الناحية اتجه جيش الصليحي لمحاربة ابن جهور في لهاب ، وضيقوا الحصار عليه . ففك أسر جماعة من أصحاب الصليحي منهم القاضي ملك بن مالك الحمَّادى الذى وصل إلى الصليحي وهو فى حصن مسار ، فسُرَّ بوصوله لما كان يتمتع به من مركز ممتاز فى الدعوة . ولكن ابن جهور تمكن من أن يؤثِّر على أتباعه ويدفعهم إلى الاستمرار فى المقاومة . ولما ضعف جيشه ، ورأى أن مصيره إلى الهلاك استعان بنجاح^(٦) ، وكانت علاقة هذا مع الصليحي حسنة ، إذ كان يلاطف نجاحاً ويداريه ، ولكن هذه الوساطة لم تنجح ، فتمادى ابن جهور فى بغيه ، فحاصر

(١) حضور . (صفة ١٠٦) .

(٢) بناح ، ثغر عدن ١٥٩/٢ . (٣) جبل شبام وشبام العابر (صفة ١٩٣) .

(٤) بنى الهجرى (شه ٤٨٩) ، وتسمى اليوم الهجرة وهى قرية قريبة من مناخة .

(٥) عيون ٩/٧ .

(٦) أسس هذا الدولة النجاشية فى زبيد سنة ٤١٢ هـ .

على حصن زَبَّار^(١) حتى سقط ، فاضطر أبو النور إلى تسليم نفسه إليه في مسار ، فأزله الصليحي في ضيافته وأكرمه وأحسن إليه .

ويدل تسامح الصليحي مع ابن جَهْشُور على نبهه ، لأنه بالرغم من أن ابن جهور قد تسبب في إفلاق الصليحيين مدة من الزمن حتى استتأت في سبيل الوصول إلى النصر ومحريض الحاققين والناقين على الصليحي ، بالرغم من هذا كله وجد الصليحي أن الماملة الحسنة أجدى وأنفع مع كرام النفوس ، وآثر أن يكسب ودّ من يقى من أتباع ابن جَهْشُور حتى لا تحذهم أنفسهم بالانتقام إذا ما قتل رئيسهم . وقد تحققت سياسة الصليحي ذلك ، لأن لهاب كانت منقسمة فيما بينها؛ فمنهم من انضم للصليحي وقدّم إليه المساعدة المادية وقدرها ألف دينار عند قيامه بمحاربة مسار ، ومنهم من انضم لابن جَهْشُور واستمرّوا في عدوانهم حتى ثابوا إلى رشدهم بعد أن رأوا حسن الماملة وكرم الأخلاق الذي غرّم به الصليحي بعد ما أن قبض على ابن جهور وأبدى له تسامحه . ولا شك أن الصليحي أراد بهذه السياسة أن يجنب الأمة الخلاف فكبت بذلك الفتنة وردّ كيّد الأعداء إلى نحوهم .

خطابه لأهل حراز في مؤتمره بعمري دعاس

فمظم أمر الصليحي واستقامت له الأمور ودانت له الجماهير بحراز ، فأمر بعقد مؤتمر حضره أهل حراز كافة بعمري دعاس . وبعد أن ترك في حصن مسار من يحرسه نزل إلى عمري دعاس ، وألقى في الاجتماع كلمة ذكرها صاحب العيون^(٢) . وقد جاء فيها أنه أمرهم بالصلوات وإقامة فرائض الدين ، وعمارة المسجد ، وإيقاد المصابيح فيها ؛ ... وذكر لهم بعد ذلك أن الأمر الذي قام به ليس هو من أمور الدنيا ، ولا مراده كمراد سلاطين الدنيا ، بل قام مؤثرا لأمر وليّ رب العالمين ، ومجاهدا في سبيله ، غير مكره لأحد في الدين ، ولا طالب إلاّ رضا الله رب العالمين ؛ ..

(١) زيار (صفحة ١٠٨) .

(٢) عيون ١٠/٧ - ١١ .

وحذرهم الخلاف عليه والشقاق ، . . وعرفهم أنه لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل ، وأنه مجبول على ذلك . . . وتقدم إلى المُعَمَّل في ذلك المحضر ، وأوعدهم بالتنكيل إن رفع إليه شيء مما نهاهم عنه ، ووعدهم بحسن السياسة وأنه لا يخالف الكتاب والسنة ، وأمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من العمال من القبيح والحسن حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم .

واقعة صوف

فبدأ الصليحي حكمه على الأسس التي أعلنها في مؤتمر عبري دعاس ، وتقدم في تنفيذ سياسته المرسومة بخطا جازمة سريعة . ثم أراد أن يتبع سياسة المهادنة إزاء سلاطين اليمن وأصحاب الدويلات المجاورة ، إن نفعت هذه السياسة ، وإلا فمحاربتهم وإخضاعهم تحت راية حكومته . ولما ملك الصليحي جبال حراز والمناطق المجاورة ، وخشى ملوك تهامة والجبل بأسه الشديد وسياسته الرشيدة ، وملك حصون حضُور وما جاورها ، حاول بمسد ذلك أن يهادن السلطان أبا حاشد صاحب صنعاء ، كما هادن أباه السلطان يحيى بن إبراهيم الصحاري^(١) من قبل . فلما توفي يحيى أرسل الصليحي بمض أصحابه وبنى عمه إلى صنعاء لتعزية أبي حاشد في أبيه والإحسان إليه ، كما أحسن إلى من كان قبله ؛ ولكن أبا حاشد قد اعتبر تأدية مراسم التعزية ومحاولاته في المهادنة تدخلا من الصليحي في أموره . فسامت الملاقة بينهما أخيرا مما أدى إلى قيام الحرب بين الطرفين ، انتهت بقتل صاحب صنعاء عند صوف هو وألف من أتباعه^(٢) . واستولى الصليحي على صنعاء ، « ورأى الناس من عدله وفضله وحسن سيرته ما أَلَّف له القلوب وأرغم له أهل النخوة والمكابرة »^(٣) .

(١) في كفاية ٤٧ قال : توفي السلطان يحيى بن أبي حاشد أول سنة أربعين وأربع مئة .
(٢) صوف بن سوار = وهي قرية بين حضور وبنى شهاب ، وبهذه الواقعة يضرب المثل فيقال « قتله صوف » (أبناء / دار ٣٩) . وأما إدريس فلايد كرتل صاحب صنعاء ، بل قال : « توجه الصليحي إلى صنعاء فتسلها وملكها ودان له أبو حاشد بن يحيى ملكها » .
(هيون / ١٥٧) . (٣) عيون ١٥٧ .

واقعة نجد الجاح

فلما استولى الصليحي على صنعاء اضطرب الإمام أبو الفتح^(١) واتصل بنجاح القائد صاحب تهامة وطلب منه إخراج الصليحي عن صنعاء وتملكها . فأدّت المكتبات بين الإمام والقائد إلى إفساد العلاقة بين الصليحي وصاحب تهامة ، كما أدّت إلى وقوع الحرب بين الصليحي والإمام المذكور في سنة أربعين وأربع مئة . وانتهت الحرب بقتل الإمام ونحو سبعين رجلاً من أتباعه بنجّد الجاح^(٢) ببلاد رداع ، ومثله فحمل رأسه إلى صنعاء ، ودفنت جثته في أفيق ببلاد عنس .

واقعة الهرابة

ولما كان المغلوب على أمره تحمّده نفسه دائماً بشق عصا الطاعة كلما أتتحت له الفرصة ، فلهمدانيون باعتبارهم أكبر القبائل التي دانت للصليحيين ممن فكروا في خلع طاعتهم ، بالرغم من أن الصليحي كان لا يسير فيهم إلا بسيرة الحق والعدل والسنة . فاتصل رؤساء بعض بطون همدان بالشريف القاسم بن جعفر بن الإمام المنصور القاسم العمياني ، واستنصوه هو وأتباعه ، وخرجوا جميعاً لغزو الصليحي . وكان ذلك سنة ٤٤٨ - وتقابل الجمعان بالقرب من قرية الهرابة^(٣) ، فردّهم الصليحي ،

(١) هو الإمام أبو الفتح الناصر الديلمي بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (انماظ ١٣ ؛ زيارة: اتحاف المهتدين ٥١ ؛ وكاى ٣٠٣) . وصل إلى اليمن من الديلم سنة سبع وثلاثين وأربع مئة وانضم إليه بعض قبائل اليمن الذين دخل بهم صعدة ، ثم سار منها إلى صنعاء وتملكها ، ثم طرده السلطان يحيى بن أبي حاشد والشريف جعفر ابن الإمام المنصور القاسم العمياني من صنعاء ، فعاد إلى ذي بين واختضظطار ذى بين . وقال إدريس (سنيون ١٣/٧) : « وكان له (أبي الناصر) قذع في القول وسب للصليحي » . وكان الإمام من أجلة العلماء ، ومن مؤلفاته تفسير للقرآن في أربع مجلدات كبار . قال الجرافي (المنتطف ١١١) : للإمام أبي الفتح ذرية في اليمن يعرفون ببني الديلمي في مدينة ذمار وغيرها ، ومنهم بيت هاشم .

(٢) في اتحاف المهتدين ٥١ قال : قتله الناجم علي بن محمد الصليحي في سنة ٤٤٦ ؛ ومشهده بنجد الجاح من بلاد عنس اه ؛ والصواب أنه قتل بنجد الجاح ودفن بأفيق .

(٣) الكيسى: اللطائف السنية ورقة ١٦٦ ف قال: «الهرابة أكمة في بلاد وادعة الظاهر» . وهي أكمة بين وادعة وبني غيثمة ببلاد حاشد ، وإليها يشير السيد صارم الدين في باسمته بقوله : « وفي الهرابة أيام فاضلتنا » ... البيت .

وحاصر الشريف الذي اعتصم هو ومن معه بالقربية سبعين ليلة ، ونصب عليهم النجنيق ، فدافعوا عنها دفاع الأبطال حتى قتل كثير منهم ومات كثيرون لنفاد المؤنة . فاضطر الشريف إلى أن يسلم نفسه للصليحي ، فأكرمه وخلع عليه . وكان في استطاعته أن يأمر بقتله ليكون عبرة لمن يعتبر، ولكنه آثر الحلم لأن الرجل الشهم يقدر بسالة في عدوه ، ذلك أن الصليحي وجسد في أهل هراية صلابة وقوة ، ولم يتمكن من إخضاعهم إلا بصعوبة ، فرغب في أن يكسب ودهم ، فعاملهم بالحسنى في شخص هذا الشريف ، حتى لا يخرجوا عليه مرة ثانية . وقد قال في أهل هراية: «لوملكت رجالا كرجال هراية لأخذت بهم العراق والروم»^(١) . ولم تكن سياسة الصفح التي اتبعها الصليحي في هذه المرة ، وفي مناسبات أخرى سياسة هواده أو تردد ، بل قصد منها تسكين الثارات لأن في تسكينها لليمن ولليمنيين خيرا .

واقعة الزرائب

وتشيا بسياسة المهادة والملاطفة كان الصليحي يلاطف القائد نجاح صاحب الدولة الحبشية في زبده تهامة التي حلت لواء السنة في اليمن بعد دولة بنى زياد ، ولكنه أدرك أن دولته الفتية لا يمكن أن تكون لها شخصية معنوية وكيان قوى ، إلا إذا قضى على أكبر منافسيه وهو نجاح . وكان الصليحي يلاطفه حتى قوى مركزه ودان له معظم الجزيرة اليمنية ، ثم بدأت العلاقة تتوتر بين الطرفين بفضل مساعي الإمام أبي الفتح صاحب صعدة التي أفسدت بين الصليحي وصاحب زبده .

حلت الوحشة بمد الأوس والجفاء بعد حسن الصلة . وأصدر نجاح عسكريا كشيئا : قوافم الصليحي بجيشه خلف صعفان في الخبث المتصل بهامة ، ودارت بين الطرفين وقعات وعدة مصادمات ، وكانت الكثرة للصليحي وجيشه من العرب على جموع الحبشة ، حتى اجتمع العيد في سنة خمسين وأربع مئة^(٢) إلى ابن طرف ومن معهم من ملوك الحبشة ، عشرين ألفا ، فسار إليهم الصليحي في ألقى

(١) الكبيسي : الطائف السنية ورقة ١٦ ب .

(٢) عيون ١٤/٧ تقلا عن المفيد في أخبار زبده .

فارس وسبع مئة . فاللقى الجمعان بالزرائب من أعمال ابن طرف ، واستحضر القتل أول يوم في العرب ؛ ثم كانت الدائرة على السودان ، ولم يبق منهم إلا ألف التجثوا إلى جبل يعرف بالمكوتين^(١) .

موت نجاح

ووافق ذلك موت نجاح بالكدراء في عام اثنين وخمسين وأربع مئة . ويروى أن الصليحي كان يعمل حيلة لقتل نجاح ، حتى تم له ما أراد على يد جارية حسنة كان قد أهداها إليه لتحقيق هذا الفرض^(٢) . ولكن هذا القتل لم يكن حدا فاصلا بين الطرفين ، بل كان بداية لمهد نزاع طويل بين الصليحيين والنجاحيين^(٣) .

(١) في عيون ١٤/٧ قال : « المكوتان جبلان متبعا لا يطعم في حصارهما . وقال الراوى : وجلا عكاد فوق مدينة الزرائب » . وهما في وادي بيش شمال صيبا . وفيهما قل عمارة المني .

إذا رأيت جيل عكاد وعكوتين من مكان باد

فابشري باعين بالرفاد

وذكر عكوتان في النسخ رقم ٢ في المختصر/ غويدي ١٩ - ٣٠ ، وقد جاء فيه أن سمر يهرعش ملك سبا وذي ريدان طرد شعوب سهرت وذواوت وسحر وحرت « نحو عكوتين في الجهة الشمالية حتى إن البحر اختلطهم » (ب ع ل ي ا ع ك و ت ن ه ن | ب ك ن ف د | ش ا م ت ا ع د ي ا ح م ل م ه م | ب ح ر ن ا) .

(٢) عمارة/ كافي ١٦ ؛ عبر ٤/٢١٤ ؛ وأما إدريس فلم يذكر شيئا عن هذه الحيلة . بل اكتفى بقوله : « مات نجاح » ، كأنه مات موتا طبيعيا .

(٣) قال حسن سامان في رسالته : « وإن قول ابن لديع (قرة ورقة ٢) : « وكان الصليحي يدعو سرا للمسلمين . ويخاف نجاحا في زبيد ، فسكان يتعاضدوا بظهوره . ويحمل الحيلة في قتله » . وقول صاحب الأبناء دار ٤٠ : « إن الصليحي كتب للمسلمين سنة ٥٣٤ ؛ سأنده يظهر الدعوة ووجه إليه بهدية جميلة ، وأوصات إليه أمره بزيارات » ، ليدل على أن الصليحي كان يدعو سرا للمسلمين قبل سنة ٥٥٢ . « دوما من نجاح صاحب يامة ، فلما خاضه في ذلك السنة أعلن دعوته للأئمة الفاطميين . ولكننا نرى أن الصليحي كان يدعو الفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٥٥٢ . ذلك أن الدولة الصليحية كانت تستند في هذا الوقت إلى دولة الفاطميين العلوية العزيزة الخائب . وأن النجاحيين كانت عند أئمتهم أمر الطورة المسلمين الممكة المهيبه الخناج . التي بلغت من تمككها وسمعتها أن أبا الحارث البساسيري أرسلان بن عبد الله التركماني مقدم الأتراك ببغداد خرج على طاعة القائم العباسي (عيون ٤٠/٧) واستطاع أن يخطف لتخليفة الفاطمي المسلمة نصر على منابر بغداد سنة ٥٠٤ . فعلى بن محمد الصليحي كان يستمد فونه العلوية والروحية من الخلافة الفاطمية التي بلغت في الشهر الأول من عهد المسلمة أوج عظمتها (عيون ٥٥/٧) . =

وقد اضطرت بلاد اليمن لهيبة الصليحي وعتوِّ كفته ، وسمت همته إلى تهامة . فلك المهجم . وكان سعيد بن نجاح قد استقام في ملك والده يزيد . وتواصلت المصادمات والتناورات بين الجيوش العربية تحت راية الصليحي وجيوش الحبشة ، وأظهر الصليحي براعته العسكرية بتأجيل أمر تهامة ، وقرّر أن يقضى على فوضى الدويلات في اليمن الأسفل ، ثم يتجه إلى عدوِّ رئيسيّ بدون أن تشغله جهة أخرى في داخل البلاد .

انتصاراته في اليمن الأسفل

فزار مسار وصنماء ، زيارة قصيرة ، ثم قصد بجيوشه اليمن الأسفل ، واستولى على جبل صَبْر قهرا ، وبلاد بني الكِرْندي ملوك العافر ، وحصن الدُمْلُوَّة ، كما استولى على بلاد الحسين التَّبَسِي صاحب حصن حبّ وبعدان والسَّحُول والشواقي^(١) .

ودخل الجَنَد ، « وهي يومئذ مدينة اليمن الأولى ، ولم يكن في اليمن أشهر منها ومن مدينة صنماء في الجاهلية وابتداء الإسلام إلى أوان الصليحي »^(٢) . ثم سار إلى عدن^(٣) ، واستولى على بلاد بني معن الذين كانوا يملكون عدن . ثم هادن

== وكان لا يخاف نجاحا ، لأن سلطته كانت لاتعدو جزءا من التهائم ، في الوقت الذي كان الصليحي قد تغلب على معظم البلاد اليمنية ، ولكن كان يحدوه . وإذا لا بسنا إلا القول بأن الصليحي كان يدعو للفاطميين سرا وجهرا قبل سنة ٤٥٢ ، وأن الدولة الصليحية كانت أكثر فؤادا واستقرارا بعد قتل نجاح أكثر منافسيها في اليمن . وصارت الخطبة تمام على منابر البلاد التي خضعت للدولة الصليحية للخليفة المنتصر والملك على الصليحي وزوجه السيدة أسماء بنت شهاب ، وزالت بذلك دعوة بني العباس من بلاد اليمن (باخرمة : نثر عدن ١٣٩/١ — ١٤٠) .

(١) الفتطف ٦٦ . (٢) عيون ١٥/٧ .

(٣) ويروي أنه لما استولى على الجند خطب في جامع الجند ، وقال في خطبته : « في مثل هذا اليوم تخطف على منبر عدن إن شاء الله » . قال أحد الحاضرين مستهزئا : « سبح قدوس » ، فأمر الصليحي بحجزه . فلما كانت الجمعة الثانية وخطب الصليحي على منبر عدن ، قال ذلك الرجل : « سبحان قدوسان » ، وتعالى في القول ، ودخل الدعوة (عمارة / كاي ١٨ ؛ عيون ١٥/٧ ؛ وكفاية ٤٩) .

بني معن ، وسلم إليهم بلادهم لما بذلوا له من السلم ، وفي ذلك يقول حسين القمي على لسان الصليحي^(١) : « . . . من نبأ توجّهه إلى عدن وعلمك قسرا ، واستيلائه على عدن وأبين وأحور برا وبحرا بعد فرار المتغلبين عليها أجمين ، وتسليمهم لها ، راغبين بما جرت عليه الحال بعد ذلك من تديره لأمره . . . فرأى بتوفيق الله أن يقبل ما بذله من السلم ، ويقنع بما صار إليه من الغم ، وتقاطع على تسليم عدن وفرضتها إليه . . . فعمل ذلك وانسكفا عائدا إلى الخلاف . وأصدر الملوك^(٢) هذه الخدمة ، وهو متوجه لمدينة صنعاء ، دار الدعوة النصورية ، ومقر العساكر الموفورة ، ليضم كلتهم ، ويجمع ألفتهم . وبذلك ينهض على اسم الله تعالى وبركات وليه إلى من بقى من العبيد بنهامة وقد أمن على ما يخلفه الخ ». فلا ريب أنه أراد بتسليم عدن وما والاها من البلاد بعد فتحها إلى سلاطين بني معن ، كسب حلفاء أقرىاه يعتمد عليهم عند معالجة مشكلة نهامة ، كما قدم دليلا آخر على تمسكه بسياسة المهادنة والملاطفة وعدم التمدي على حقوق الجوار ، بالرغم مما رأى من بني معن من التهاون .

فتح نهامة

فشمّر الصليحي عن ساعد الجدّ في فتح نهامة ، وسار إلى زبيد وافتتحها ، ثم احتلّ التهايم كلها ، وطرد منها أولاد نجاح الذين استقروا في جزيرة دهلك بعد هزيمتهم ، « وسار في الناس بالعمو والصفح ورفع السيف وبسط العدل ، ولاذت به العرب الذين كان العبيد استطلوا عليهم أيام نجاح »^(٣) .

تحقيق الوصية اليمنية

وكذا طوى الصليحي بلاد اليمن طيبا ، وافتتح جميعها ؛ فلم يخرج سنة خمس

(١) رسائل القمي ١٩ — ٢٢ ؛ هذه الرسالة من إنشاء القمي على لسان الملك علي بن محمد الصليحي موجهة إلى الخليفة المستنصر بالله الفاطمي .

(٢) المراد من الملوك هنا ، الصليحي . وهو مصطلح عند أولى الدعوة يستعمله التكلم للدلالة على ولائه لصاحب الزمان وهو الإمام ، كما يقول أيضا « مملوك آل محمد » .

(٣) عيون ١٤/٧ .

وخمسين وأربع مئة إلا وقد ملك كافة قطر اليمن : قلاعها وحصونها ومدنها وسهلها وجبلها ، وامتد نفوذها من مكة إلى حضرموت . وتمنعت عليه صعدة بعض التمتع بأولاد الناصر ، ولكنه ما لبث أن قتل القائم منهم وملكها^(١) وأرسل الصليحي إلى السلطان ممن خطابا بعد فتح تهامة قد جاء فيه^(٢) : « الدولة حصينة ، والصولة مكينة ، والزبايات منشورة ، والأجناد منصوره ، وسيوف الحق على الأعداء مشهورة ، والحضرة بالسعود محروسة » الخ . وهذا يدل على اطمئنانه باستقرار أمور الدولة وتوحيد كلمة اليمن .

وجعل الصليحي صنعاء عاصمة مملكته وأخذها حاضرة لدولته ، وبنى فيها عدة قصور ، وأسكن معه جميع ملوك اليمن تحت علم واحد ؛ ورأت اليمن بمد قرون طويلة وحدة البلاد في ظل حكم عادل قوى .

إدارة البلاد وتولية الخطام

وما لبث أن أخذ الملك علي بن محمد الصليحي ينظم سياسة البلاد وإدارتها ، وولى في الحصون والبلاد من ارتضاء من الولاة والحكام ، ومن يثق فيهم^(٣) . فولى الصليحي على تهامة^(٤) الأمير أسعد بن شهاب ، صنو السيدة الحرّة أسماء بنت شهاب زوجته ، وكان الصليحي قد أقسم ألا يولى التهامم إلا من يزن له مئة ألف دينار ، ثم ندم على ذلك حين أراد أن يوليها أسعد بن شهاب . فوزنت له زوجته الملكة أسماء عن أخيها . فقال لها زوجها : « يامولاتنا ! من أين لك هذا ؟ » قالت : « هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب » . فقتبسم ، وعرف أنه من خزائنه ، فقبضه ، وقال : « هذه بضاعتنا ردت إلينا » . فقالت له : « ونعيم أهلنا ، ومحفظ أخاننا » .

(١) أبناء / دار ٤٠ ، ولم يذكر اسم القائم هذا .

(٢) بنية ورقة ١١ .

(٣) رسائل القمي ٢٧ .

(٤) هو أبو حسان أسعد بن شهاب الصليحي الأمير الكبير . كان جوادا كريما عاقلا وفورا وولاه الملك على الصليحي على زيد وسائر تهامة فسار إليها سنة ٤٥٦ ويقول عن نفسه : « تم أقت والبا على زيد والتهامم لم يتعلق بذمتي إلا ما لم أعلم به » . وتوفى في شهر شعبان من نفس السنة .

دخل أسعد زبيد سنة ست وخمسين وأربع مئة وسكن دارشجار^(١)، وأحسن السيرة في الرعية ، وأذن لأهل السنة في إظهار مذهبهم^(٢) ، وعامل أرباب الدولة النجاحية بالحسنى^(٣) .

وقد استعمل الصليحي ابنه الأمير المكرم أحمد بن عليّ عليّ الجند وعليّ مايلها ، واستعمل أخاه السلطان عبدالله بن محمد بن عليّ عليّ حصن التمكنر وماوالاه . فلما كان في سنة سبع وخمسين وأربع مئة اختط السلطان عبد الله بن عمدة الصليحي مدينة ذى جبلة بأمر أخيه الملك عليّ بن عمدة الصليحي^(٤) . وقيل إن عبد الله بن محمد الصليحي هو الذي بنى قلعة تمز وابتدأ في تمدينها أيام أخيه عليّ الصليحي . هو وإن أخيه المكرم أحمد بن عليّ الصليحي . وكان المكرم بالجند وعمه السلطان عبد الله بن عمدة الصليحي في التمكنر .

وغيره الصليحي مكة وموقفه من الأشراف

ولم يكن اهتمام الصليحي مقصوراً على اليمن فحسب، بل كان ينظر إلى ما وراء حدود بلاده ، وبالأخص إلى بلاد الحجاز والأراضي المقدسة — أقرب البلاد من اليمن : وأهمها في نظر المسلمين ، وأحوجها إلى استقرار الحكم وحسن الإدارة فيها ، فتوجه اهتمام الصليحي إليها . وكان إخلاصه للدعوة الفاطمية ، وتفانيه في رضا الإمام بمصر . يحتم عليه أن يجيب أوامر صاغراً ، ويؤديها متبركاً برضاه ، معتزلاً بثقتة له . فذا خرجت مكة عن ضاعة المستنصر^(٥) ، وقطعت الخطبة له من سنة ثلاث

(١) بناء شجار بن جعفر مولى زياد (عمارة / كافي ١٩) .

(٢) قرة ورقة ٢٢ . (٣) الكسبي : اللطائف ورقة ١٧ .

(٤) عيون ١٣٢/٧ .

(٥) راجع محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ٩ — ٢٩ لما تقدم

من الحوادث والأسباب التي أدت إلى تطلع الخلفاء الفاطميين إلى بسط سلطانهم على الأراضي المقدسة بالحجاز .

وخسين وأربع مئة أرسل على الصليحي إلى والها الشريف شكر الحسيني^(١) ،
وحذره مغبة خروجه ، وتبذلت بين الطرفين مراسلات تنطوى على كثير من التهديد
والوعيد ، من ذلك قصيدة للشريف شكر بث بها إلى الصليحي ، جاء في أولها :

لتفليق الجاحم والرهوس وإقحامى خميسا فى خميس^(٢)
فأجابه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمى على لسان الملك على بن محمد الصليحي
رداً على الشريف شكر السليمانى بقصيدة طويلة جاء فيها^(٣) :

دم الأبطال فى اليوم العبوس	مدامى لا شراب الخنـدر يس
ولهوى بالنشيج إذا تلاقى الـ	وشيج بمرك حامى الوطيس
أحب إلى من نتهات عود	وصادحة تفرّد عيطموس
ولولا فضل من لبي وجدى	ممدّ ذى الندى النمر الموس
لكنت حليف إقتار حببسا	بدار صريع أفيون شريس
أفق عن عيب أجدادى ومجدى	فا بأسى بمفلول الضروس
ولا بيتى بهمدان بن زيد	بمجهول الفروع ولا القنوس
أنا ابن حماها وذرا قناها	أنا ابن عنابس الحرب الضروس
أنا ابن سراتها الحكم فيها	ذوى الأفضال مرضى المسيس

(١) نجر المالى أو تاج المالى أبو عبد الله شكر بن أبى الفتوح ، أصله من ملوك مكة
السليمانيين من بنى حسن ، نسبة إلى سليمان بن الحسن الثنى ابن الحسن السبط (القفشندى: صبح
الأعشى ٤/٢٦٨ — ٢٦٩) ؛ تولى شكر ولاية مكة بعد موت أبيه سنة ٤٣٠ ، وتمكن من
بسط نفوذه على المدينة ، وأقام الدعوة المنتصرية فى الحرمين ، واستمرت الحال على ذلك حتى
سنة ٤٥٣ (ابن زبير دحلان : خلاصة الكلام ١٨) ؛ وكان شكر هذا شاعرا محبا للأدب
يذكر له ابن الأثير (الكامل ١٠/١٢) قوله :

قوس خيامك عن أرض تضام بها وجانب الذل إن الذل محتجب
وارحل إذا كان فى الأوطان منقصة فالندل الرطب فى أوطانه حطب

(٢) عيون ١٧/٧ .

(٣) وهى قصيدة طويلة جاء نصها الكامل فى عيون ١٧/٧ — ١٩ .

نماني كلَّ أغلب حاشديَّ
عدوَّ للخنا عنه شمس
بنوا ، وأتمَّ مفخرهم بنأى
وقوى جبل مجدهم فريسي
وكم ملك أسرت ، وكم خميس
أباد سراته قتلا خميسي
وكم نفع أثاره رعالي
نخيل الجؤ منه في سدوسي
وكم قوم نعشتهم وقوم
طحنهم وحسن من مريس
بنى حسن ! ألا تهون شكرا
عن استمطاره سحب النحوس
أتانى السبَّ عنه ، وقال : إني
إذا أقمت أحلف بالجوس
ألى قسم بنفير أبي تميم
وأسرته البدور من الشموس
متى أذن الإمام بحرب شكير
أته بالردى خيلي وعيسى
بنى حسن ! حذار ! إذا أتتكم
جنود الله بالخطب الشكوس

ولما عيل صبر الصليحي ، وضاق صدره ، طلب من الإمام أن يأذن له بإزالة الشريف عن مكة ليكون أمرها إليه . فأجابهُ الإمام ينهاه عن سفك الدماء بالحرم ، فقال : « إياك أن تلقى الله بدماء بنى فاطمة »^(١) . فاعتمد الصليحي أمر إمامه : وسبر مدة على ما كان يجري بالبلاد المقدسة .

ثم توجه الصليحي إلى مكة في السادس من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٤ هـ^(٢) وقضى فرض الحج ومعه ملوك اليمن وزعمائها ، وانزعها من بنى أبي الطيب ؛

(١) عيون ١٩٠/٦

(٢) وقد أجمع معظم المراجع على أن وصول الصليحي إلى مكة كان في موسم حج سنة ٤٥٥ هـ وانقرض إدريس برأى فقال : إن حجه كان في موسم الحج سنة ٤٥٤ هـ . وإنما تؤيد قول إدريس لأن سجل الخليفة المنتصر الموجه إلى الصليحي كما ورد في عيون ١٩٠/٧ والسجلات رقم ٧ كتب في الثمير الأول من شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٥ هـ بعد أن عاد من مكة . ويؤيد ماورد في السجلات رقم : أن الحنابليين الذين أرسلهما الصليحي إلى المنتصر بعد عودته من مكة قد وصلا — أحدهما صدر من صنعاء في شهر شعبان سنة ٤٥٥ هـ ، والآخر صدر من الحجر في شوال من نفس السنة .

ذلك أن شكرا لما توفى ، وخلفه ابن جعفر^(١) رئيس الهواشم وزوج ابنة شكر^(٢) ،
أوقع بالسليانيين الهزيمة ، وأخرجهم من بلاد الحجاز ، واستقل بإمارة مكة ،
وأقام الخطبة للخليفة المستنصر بالله الفاطمي^(٣) . ولكنه لم يعمل على الاحتفاظ
بسيادة الفاطميين على مكة ؛ لأنه ما لبث أن انحرف عنهم ، وأمر بذكر اسم
الخليفة القائم العباسي^(٤) .

مسنات الصليحي في البند المقدسة

ولما انتهى الصليحي من فريضة الحج أخرج من الأموال والصدقات للبيت وإقامة
حرمه ومناسكه ما يفوق حد التصور^(٥) وعامل الناس بالحسنى وأظهر العدل والإحسان ،
وعمل على استمالة الناس إلى جانبه بما امتلك من الأموال^(٦) ، فطابت قلوبهم ، ورخصت
الأسعار ، وأمنت الحاج أننا لم يعرف مثله من قبل ، حتى إنهم كانوا يمترون ليلا ونهارا ،
وأموالهم محفوظة ، ورحالهم محروسة^(٧) . ولم تقف أعماله هناك عندهذا الحد ، بل إنه
أدب القبائل التي كانت تمتد على الحاج ، فرد نبى شيبية عن قبيل أعمالهم وأفعالهم مع
الحاج ، ورد إلى البيت من الحلى ما كان بنو الطيب الحسينيون قد أخذوه لاملسكو بعد شكر
وكانوا قد عروا البيت والميزاب^(٨) ؛ ثم أخذ يصلح ما أفسده الأشراف في هذه البلاد ،
وتحمل ديات القتلى من ماله الخاص ، فكسب بحسن سياسته رضا إمامه وثقة كثير
من أهالى البلاد الإسلامية ، لما قدمه من خدمات الحجاج المسلمين عامة ، وما قام به من
كسوة الكعبة بالديباغ الأبيض^(٩) ، وما جلبه من الأقوات إلى أهالى هذه البلاد
فلهجت الألسن بالدعاء له في كل مكان^(١٠) .

(١) الفلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ٢٧٠ .

(٢) أبو الطيب : شفاء الغرام (الباب السابع والثلاثون) .

(٣) ابن خلدون : العبر ٤ / ١٢٢ .

(٤) الفلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ٢٧٠ . (٥) عيون ٧ / ١٩ .

(٦) السجلات رقم ٧ . (٧) القاسى : تحفة الكرام ١٨٨ .

(٨) ابن الجوزى : مرآة الزمان ١ / ١٢ ورقة ٨٨ .

(٩) الفاكهي : المتقى ٥٤ .

(١٠) العيني : عقد الجمان ٤٢١ - ٤٥٤ ورقة ٢٢٦ .

أقام الصليحي حتى يوم عاشوراء من سنة ٤٥٥ يخطب للخليفة المستنصر في الحجاز، ويعيب على العباسيين إهالمهم شئون الدين . وفي أثناء إقامته بمكة راسله الأشراف الحسينيون المفلوبون على أمرهم، وطلبوا منه أن يختار من بينهم واليا عليهم، وبذلوا له الطاعة؛ فأقام على البلد واليها السابق محمد بن جعفر، وأعطاه مالا وسلاحا، وأصلح بين المساكر . ودل بهذا على حسن سياسته، لأنه لم يتعمت مع الحسينيين ولم يظلم الحسينيين، وآثر أن يحسن معاملتهم ليكسب ودهم، وخاف أن يترك البلد قبل أن تستقر الأمور فيها، فتقع في أيديهم ويستمررون في عنادهم وخلافاتهم . فاستعمل معهم اللين؛ وبذلك نجح في تحقيق سياسته مؤقتا، وقفل راجعا إلى صنعاء .

تلوه الأشراف

ولم يعمل الشريف محمد بن جعفر أمير مكة طوال عهده (٤٥٣ - ٤٨٧) على تنظيم الأمور في الأراضي المقدسة وإقرار الأمن بها، بالرغم من المساعدات المالية التي كانت ترد إليه من الخليفة العباسي أحيانا، ومن الخليفة الفاطمي أحيانا أخرى، بل أساء السيرة فيها، وأصبح الحاج في أواخر أيامه لا يأمنون على أنفسهم^(١)، كذلك لم يبد من هذا الشريف ما يشعر برغبته في الاستقلال عن الخلافة العباسية أو الفاطمية، بل دان لكل منهما بالطاعة في فترات متقاربة، حتى وصفه أبو المحاسن^(٢) بأنه كان متلونا تارة مع الخلفاء العباسيين، وتارة مع المصريين الفاطميين^(٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ٨٣/١٠ .

(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١٤٠/٥ .

(٣) ويظهر من هذا أن الهواشم كانوا يلعبون بمصالح البلاد المقدسة ومصالح المسلمين جريا وراء المال . وهناك رأى آخر أذنبه الشريف خالد صادق، قال : « إن هذا التلون يرجع إلى دوافع سياسية وأخرى اقتصادية ، وذلك لأن مكة المكرمة كان يصل إليها في موسم الحج كل عام ، قوافل حجاج عظيمة برفقة جيوش مسلحة تحت إمرة أمراء الحاج ، وكان كل واحد من هؤلاء الأمراء يمثل ملكا ودولة تختلف في سياستها وقوميتها وأهدافها السياسية ، بل ومذاهبها الدينية عن الأخرى اختلافا كبيرا، فتسبب عن هذا التباين تصادم ، إما في التقدم =

الخليفة الفاطمي يشكر الصليحي

وبعد عودة الصليحي إلى صنعاء شكر له الخليفة المستنصر حسن صنيعه وامتناله لأوامره بعدم إزاحة الدماء فيها؛ وليس أدل على ذلك مما قاله الإمام نفسه : «إن أمير المؤمنين هو الذي ثنا عنانك، ولاوصمة عليك أن قبضت دونهم بنانك... وعزيز على أمير المؤمنين أن تنهك بحرم الله سطوره، أو تنعكس أموره»^(١).

أما الشريف محمد بن جعفر فقد هجم على مدينة الحلي^(٢)، واستولى على ما بها من متاع للصليحي، وقصد بذلك إثارة الفتن وتهيج العامة^(٣). وقد شكوا الصليحي هذا الأمر إلى إمامه بمصر فأجابته: أما الشريف صاحب مكة «فإنك تستخير الله تعالى، وتتوخي له متقدما للإعذار والإنذار واللين في المقال إن نجح أو أتر، وإلا حاكته إلى الله جل وعلا، وهو خير الحاكمين»^(٤).

== في المراسيم المتبعة لدى أشرف مكة، أو في إحرار مركز ممتاز. وترتب على هذا كله تغير موقف الأشراف هناك حسب التوازن بين القوى المتضادة. كذلك كان ضعف موارد بلاد الحجاز مما جعل الأشراف هناك يقبلون المساعدات التي كانت تقدم إليهم تأمينا لأمن البلاد وإنحاشا لاقتصادها».

(١) السجلات رقم ٧.

(٢) معجم البلدان/الحلي.

(٣) عيون ٢٣/٧.

(٤) السجلات رقم ٤. ولم يستمر ولاء الهواشم للفاطميين طويلا، لأن الشريف محمد بن جعفر قطع خطبة المستنصر وخطب لبي العباس في سنة ٤٥٨ هـ؛ فقامت ثورة على هذا الشريف وخلصوه بعد أن قطعت ميرة مصر عن مكة، فأعاد خطبة المستنصر مرة ثانية. ونحن نرى أن حسن سيرة الصليحي وسياسته في هذه البلاد بالإضافة إلى مارآه الناس هناك من استتباب الأمن في البلاد نتيجة لهذه السياسة، كان لها أثر فعال في قيام الثورة على هذا الشريف. وكان من أثر ذلك أن أرسل الخليفة العباسي أموالا جزيلة إلى مكة في موسم حج سنة ٤٦٢ هـ، فخطب له الشريف في موسم هذا الحج فقط، وكتب إلى المستنصر بمصر يعتذر إليه، ولكن السلطان ألب أرسلان السلجوقي أجزل العطاء إلى هذا الشريف؛ فأرسل إليه ثلاثين ألف دينار، وجعل له مرتبا سنويا قدره عشرة آلاف دينار (ابن الأثير: الكامل ٢١/١٠). وفي سنة ٤٦٧ هـ أرسل المستنصر هدية جزيلة إلى الشريف محمد بن جعفر، وطلب منه إعادة الخطبة بمكة للفاطميين، وقال: «إن عهدك كانت للخليفة القائم العباسي والسلطان ألب أرسلان وقد توفيا»، فقطع خطبة المتتدي بدأن خطب للعباسيين أربع سنوات وخمسة أشهر (ابن إياس: بدائع الزهور ٢٤/٢).

حالة اليمن بعد عودة الصليحي من الحجاز

وفي أثناء غيابه عن اليمن قامت الفتن والثورات في بعض أنحاء مملكته ، فثار عليه قوم من عنس وزُبيد ، وأظهروا الخلاف والمعيان والتفوا حول رجل منهم ، والتجئوا إلى جبل مَشْوَة^(١) وما جاوره من الجبال ، وعظم شغبهم وفسادهم ؛ فقصدهم الصليحي إلى معاقلم فافتتحها عنوة حتى دانوا له بالطاعة ، بعد أن قتل منهم كثيرا في أثناء الحرب وعفا عن بقي منهم^(٢) .

ولاية العهد

فكر الملك علي الصليحي بعد ذلك في ولاية العهد ؛ فلما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي أكبر أبحاله مبلغ الرجال ، رغب في أن يوِّله دولته لينوب عنه في حياته وبعد مماته . فكتب إلى المستنصر بالله سنة ٤٥٦ يخبره بما استقرَّ عليه رأيه . فورد إليه سجل الإمام بالموافقة على هذا داعياً للأمير بالتوفيق ، ولقبه بالأمير الأهرز^(٣) شمس المعالي^(٤) ، وأذن له الإمام بأن يذكر هذا القتب على منابر البلاد اليمنية ، وكان وصول السجل المستنصرى إلى الصليحي في مدينة صنعاء في شهر رجب سنة ٤٥٦ . وتصادف أن توفى في شهر شعبان من نفس السنة الأمير أسعد بن شهاب والى الملك علي الصليحي على زبيد وأعمالها^(٥) ، فرأى الصليحي

(١) وحصن مشوة في مصانع رعين في مخلاف ذي رعين (صفحة ١٠١ ، ١٢٥)

(٢) عيون ٢٣/٧ .

(٣) وأضيف هذا القتب إلى ألقابه القديمة وهي : منتخب الدولة وصفوتها ، ذو الحدين

(عيون ٧٦/٧ ؛ انظر الملحق رقم ٢) .

(٤) وان قول صاحب قلادة النحر ٢/٢ ورقة ٦٢٨ من أن أسعد بن شهاب تولى زبيد

سنة ٤٥٦ ، وظل حاكماً بها خمسة عشرة عاما حتى أخرجه منها جيش بن نجاح سنة ٤٨٢ ، قول لأساس له من الصحة ، وقد ثبت بطلانه برواية صاحب العيون ٧٦/٧ .

أن يوتى ابنه الأعزّ على ما كان لخاله أسعد، وأراد أن يتركه حرّاً التصرف في إدارة شئونها لكي يختبره ويدربه على الحكم .

صوت الأمير الأعزّ محمد الصليحي

ولقد وصل الأمير الأعزّ محمد بن علي الصليحي إلى زيد في شهر شعبان من سنة ٤٥٧ . وبعد خمسة أشهر من حكم تهامة سار أبوه الملك الصليحي بصحبة الملكة السيدة الحرّة أسماء بنت شهاب وولدها الموفق في شهر محرم سنة ٤٥٨ إلى زيد ، وأقاموا في ضيافة الأعزّ مدّة قصيرة ، ثمّ عولوا على السير إلى صنعاء . فصحبهم الأعزّ مودعا ، وكان يريد أن يبلغ معهم العمدة . فلما صار بالمصقع أصابته الحمّى ، فأمره والده بالرجوع إلى زيد ، فرجع إليها . ودخها ليلة الثلاثاء لمشرين ليلة خلت من المحرم ، وقد ازداد عليه المرض ، فلم يمهله . فتوفى في الثاني والعشرين من المحرم سنة ٤٥٨ ، وعمره سبع وعشرون سنة^(١) . ولما وصل خبر وفاته إلى والده وهو على وشك طلوع مسار مع الملكة السيدة أسماء اشتدّ عليهما الحزن^(٢) ، وقفل الملك على الصليحي عائداً إلى زيد بجميع من معه . فوصل إليها ليلة الاثنين ولم يكن ابنه الأعزّ قد دفن . فشيّع جنازته يوم وصوله ، ودفنه غربى قبر خاله أسعد بن شهاب .

وفي ذلك يقول القاضي عمران بن الفضل اليامي^(٣):

(١) عيون ٧/٧٨ .

(٢) وقد روى عن علي بن محمد الصليحي قصة الرؤيين اللتين رآهما بعد موت ابنه الأعزّ محمد . وردت القصة في الرسالة المسماة بقصة رؤيا علي بن محمد الصليحي ، ويقال لها من تأليف الصليحي . وإنما يجمل لي أنها منسوبة إليه وأنها تأليف غيره ولكنه حكاهما على لسان الصليحي . وجاء في القصة أن الصليحي ناله الأسف على ابنه محمد والحزن من بعده ، وأنه رأى في منامه كأنه جالس بين أيدي إمامه المنتصر في دار واسعة وهو يشكو إلى الله وإلى الإمام مما لحقه من الحزن والهم بوفاة ابنه الأعزّ ويقول له : « يا مولانا انظر إلى هذا الركن قد اتهدم حتى أنا أنظر الصحراء من خلفه » . وكان الإمام يمزيه ويسليه بقوله : « هذا الركن كان ركننا لولدك محمد . أنا أشيده لولدك أحمد حتى يموت كما كان . فلا تحزن ولا تفتن ولا والدته ولا كافة المؤمنين » . ولا تخلو هذه القصة من طرافة الخيال الشرى وحقائق تاريخية .

(٣) عيون ٧/٧٨

عَالَ صَبْرِي فِرَاقُ ذِي الْمَجْدَيْنِ
وَجِنَانِي الْكُرَى وَأَسْهَدَ عَيْنِي
صَاحِإِنِ النَّسْدَى وَنَجَلَ عَلِيٌّ
سَكَنَا فِي ضَرْبِهِ لِحَدَيْنِ
مَا رَأَيْنَا وَلَا سَمِعْنَا بِقَبْرِ
قَبْلِ هَذَا مُضْمِنًا شَخْصَيْنِ
كَارِثَاهُ الشَّاعِرُ عَمْرُو بْنُ يَحْيَى الْهَيْثَمِيُّ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ جَاءَ فِيهَا (١) :

فَتَزَلَّزَلَتْ نُسْمُ الْجِبَالِ لِفَقْدِهِ وَأَضَلَّ سَالِكَهُ الطَّرِيقُ اللَّهْجَمُ (٢)
وَالشَّمْسُ كَأَسْفَافُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً وَالْجَوُّ فِي وَقْتِ الظُّهْمِ مُظْلَمٌ
إِن تَهْدَمِ الْأَيَّامُ قَبْرَ مُحَمَّدٍ (٣) فَسَنَاؤُهُ فَوْقَ السَّهَى لَا يَهْدَمُ

وبعد أن أقام الملك علي بن محمد الصليحي العزاه على ابنه الأعز سبعة أيام يقرأ فيها القرآن أرسل رسله إلى الإمام بمصر في شهر صفر سنة ٤٥٨ (٤) . وفي هذه الأثناء توفيت ابنته ميمونة فمأ على أخيها الأعز . وقبل أن تصل رسل الصليحي إلى الإمام كان هذا قد علم ب وفاة الأعز ، فأرسل سجلاً إلى الصليحي (٥) وصله وهو في أئين في شهر ربيع الآخر سنة ٤٥٨ ، وفيه عزاء الإمام وتعيين الأمير المكّرم ولياً للمهد بعد أخيه ، كما كتب الإمام سجلاً (٦) إلى الأمير المكّرم في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ يوصيه بوالده خيراً .

رد المستنصر على طلب الصليحي لزيارة مصر

أنفذ الصليحي إلى الإمام قبل وصول الرد على رسالته السابقة وفدًا يتكون من القاضي عمران بن الفضل ونجيب بن عفير ويوسف بن محمد وعنتربن غشم ، وكان يقضى السماح له بالحج « ليظهر نفسه من دنس الدنيا ، ويقضى على

(١) عيون ٧٨/٧ .

(٢) الهجوم أي الطريق الواسع المذلل قد أثر فيه السابلة حتى استتب وكان الميم فيه زائد والأصل فيه لهج (ل / لهجم) .

(٣) في رواية : عمر محمد .

(٤) عيون ٧٩/٧ - ٨٠ .

(٥) نفسه ؛ انظر الملحق رقم ٣ .

(٦) انظر الملحق رقم ٤ .

على الفساد الذى حلّ بالحرم المعظم ، ويقوم مناره ، ويقم للعدل عماده ، ويعمر
طرقه للسفر ، ويطهرها من المفسدين » (١) . فوافق الإمام على طلبه وأرسل إليه
سجلاً (٢) بذلك مؤرخاً فى شهر ربيع الأول سنة ٤٥٩ ، وفيه نصح لداعيه بأن
يعالج الأمور فى هذه الجهات بتأليف القلوب وتجنب الحروب ، وأن يؤثر الخير
والعافية ما استطاع ، وأن يجنب نفسه والناس الفتنة ما وجد إلى ذلك سبيلاً ،
وقال : « وأنت خير من لحظته عين الإمامة بالاصطناع ... وإن أمكنك ذلك
المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوارد ذلك على
الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصد » . كذلك طلب الصليحي
من الإمام أن يسمح له بالثول بين يديه ، فردّ عليه بأنه يشفق عليه لعمد
الطريق ومشقته .

ولعلّ السبب فى عدم موافقة المقام الإمامى على ذهاب الملك الصليحي إلى
مصر ، يرجع إلى أن حالة مصر فى ذلك الوقت كانت سيئة جداً بسبب الشدة
العظمى (٣) التى اجتاحت البلاد . وحسبنا أن نشير إلى الفتنة (٤) التى جرت فى سنة
٤٥٤ بين ناصر الدولة بن حمدان وأتباعه الأتراك ، وفتوح الشامى وأنصاره العبيد ،
حينما وردت إلى مصر هدية موجهة من الملك على بن محمد الصليحي إلى إمامه
المستنصر « عظيمة القدر لم يسمع بمثلهما » ، وأن نشير إلى ضعف الخليفة المستنصر

(١) عيون ٧/٨٠ - ٨٢ .

(٢) ورد السجل فى عيون ٧/٨٢ - ٨٦ (انظر الملحق رقم ٥) . فد عهد الامام المستنصر
إلى الصليحي بأن يتوجه إلى حضرموت ونشر الدعوة فى آفاقها . ومن أثر هذا التكليف أن دخل
الصليحي فى حروب مع هذه البلاد ولكنه لم يفتحها (راجع د الإمام إبراهيم بن أبى قيس
الحضرمى) ، بل دخلت حضرموت بفضل مساعى الصليحي تحت نفوذ الصليحيين الدينى فى عهد الملك
المكرم .

(٣) اجتاحت الشدة العظمى مصر فى المدة ما بين (٤٥٩ - ٤٦٦) وتمرضت فى أثنائها
البلاد للنهب والخراب بسبب اختلال الأمن وانتشار القوضى . ولما يئس المستنصر من
استصلاح الحالة استوزر بدر الجالى فيما بين (٤٦٦ - ٤٨٧) ، وبتوليته الوزارة بدأ عصر
الوزراء الظلام .

(٤) عيون ٧/٦٦ - ٧٢ .

أمام مطالبات ابن حمدان ولجأه في السؤال . واملِّ القام الإمامي خشى أن يطلع الصليحي ومن معه على حقيقة هذه الأمور ، فترك في نفوسهم أترا غير مرضى . ويحتمل أن يكون الإمام رغب في ألا يعتمد الصليحي عن دولته فيشق عليه الأعداء عصا الطاعة إذا ما أنسوا بعد الملك عنهم . وقد أثبتت الأيام أن البلاد جميعها كادت تخرج من قبضة الدولة الصليحية حين علوا بقتل علي الصليحي سنة ٤٥٩ ، وقد لاقى الملك المكرم صعابا جمة ، في إعادة الحياة إلى مجاريها وثبتت مركز هذه الدولة مرة ثانية .

قبام المكرم بأعمال الرولة

بعد أن استعد الملك علي استعدادا حسنا ، أوصى ابنه أحمد المكرم « بالعدل وحسن السيرة والسياسة ، وتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريفة وإقامة دعائمها ، والانتهاز بأوامرها والانتها عن محارمها » (١) . وفي المهد إلى المكرم قال القاضي الحسن بن أبي عقامة قصيدة طويلة جاء فيها (٢) .

هنا الدين والعباءة تقليدك الأمرا قد طوق التقليد هذا وذى نغرا
لعمري لقد طال انتظارها لذا وعدّاله الأيام والحول والشهرا
إلى أن أتى تحقيق ما كان ظنّه وللكون فعلٌ ليس تفعله البشري
فألو ملكا قولاً إذن ثيبابه ولو ملكا بطشا إذن سجدا شكرا
ثم غادر الملك علي الصليحي صنعاء ، وترك فيها ابنه الأمير أحمد المكرم (٣) ، ومعه السلطان أحمد بن المظفر الصليحي (٤) . وفي هذا يقول الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي قصيدة جاء فيها :

(١) عيون ٧/٨٨ .

(٢) وردت هذه القصيدة في عيون ٧/٨٦ - ٨٨ .

(٣) وسيأتي ذكره في الباب الخامس .

(٤) في عون ٧/٨٦ جاء : ومعه خاله أحمد بن المظفر الصليحي . والظاهر أن أحمد

ابن المظفر لم يكن خال المكرم .

ما لن فارق الأجابة عندر إن نهي دمعنه عن الفيض صبر
إن سيف الإمام كالبحر ذى الو ج له فى البلاد مد وجزر
ولئن ساءنا فراق على فبأحمد ابنه لنا ما يسر
ذاك ببحر سقى به مكة الله وهذا لوفد صنعاء ببحر (١)

المركب الملوكى البنى

قدم الملك على أمامه خمسين ملكا من ملوك اليمن الغلويين على أمرهم ،
ومئة وسبعين من آل الصليحي وغيرهم ، ممن أرادوا الحج معه من يام وجنب
وسنحان وأهل حراز . وقد رمى من سيرهم أمامه عدم ازدحام الطريق بهم .
ثم سار فى ألنى فارس وبين يديه خمس مئة فرس مطهمة بالسروج المحلاة بالذهب
والفضة ، وخمسون هجيناً (٢) ، وغير ذلك من الزينة والآلات ، مما لا يدخل تحت
الحصر (٣) .

قبالة العبير وقتل الصليحي وأسر البيرة الحرة أسماء

وكان قيامه من صنعاء فى يوم الاثنين السادس من ذى القعدة سنة ٤٥٩ .
ولكن فى هذه الأثناء كانت نار الحقد وحب الانتقام تلهم قلوب بنى نجاح بزعامة
سميد الأحول . فكانوا يتربصون الفرص للإيقاع بالصليحي والعمل على تقويض
دولته ، التى كانت سببا فى زوال ملكهم . وكان يشجعهم على الاستمرار فى
المطالبة بحقوقهم ، ويقوى عزمهم على الأخذ بشار نجاح ، فرح البيشى أحد عبيد نجاح ،
الذى أخذ يمرض البييد الأحباش ويشد أزرهم فى الخفاء . فلما وصل الخبر إلى
الصليحي ، استقدم فرحا وعاقبه وذكر له إحسانه إليه وتقديعه ورفع مكانه . فأنكر
فرح ما نسب إليه وحلف الأيمان المغلظة ، وقرّر أنه سيذهب لياتى برأس سميد

(١) باخرمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٠١ ؛ الأصبهانى : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ ، وجاء
فى المريدة فى البيت الثالث :

واثن ساءنا فراق على فترك ابنه لنا ما يسر .

(٣) كفاية ٤٩ .

(٢) أنباء دار ٤٠ .

الأحول إلى الصليحي الذي صدّقه . ولكن فرحا لما ذهب إلى زبيد أخذ
يمرض العبيد بقوله : إنه قد اشتهر أمركم فأدر كوا نفوسكم ، وإلا فإنه قد حان
هلاككم^(١) . فلما بلغ الصليحي ذلك أمر بالقبض على فرح الذي ساقه أبو السمود
ابن أسعد بن شهاب مكبلا ، فأمر الصليحي بقتله حين ثبت له فساده وعناده . وكان
من أثر ذلك أن شق الأحباش عصا الطاعة على مواليهم بزبيد حيث ونبوا على أبي
السمود وأحمد ابني أسعد بن شهاب فقتلواهما ، وقتلوا من كان معهما من أهل حراز
ونهبوا ما معهم من أموال وكراع^(٢) .

ولما قوى أمرهم عزموا على محاربة الملك على الصليحي ، فاستدعوا من كان
على رأيهم من العبيد بتهمة والحجاز للقيام معهم لحرب الصليحيين . وقد وقفوا
من عيونهم على أن الصليحي لم يكن معه أحد من أهل البأس والراس ، لأن
رجاله قد تقدموه وجميع أمواله وأثقاله مبنوثة فيما بين هجر والمهجم ، لأن البلاد
قد تمهد مهادها واستقام عمادها وأمنت السبل وخضع كل عزيز وذل^(٣) . ولم
يكن مع الصليحي في المهجم إلاّ ابنه الموفق وزوجته السيدة أسماء بنت
شهاب وأخواه عبد الله وإبراهيم وجماعة من بني الصليحي . وكان الصليحي
لما علم بأن الأحباش في طريقهم لقتاله قد أنفذ عبيده لمقاتلة عدوّه . وقد عهد إليهم
بهذا الأمر لو توفه فيهم لأنّه وليّ نعمتهم ، وله عليهم فضل وإحسان ، فهبّوا
مسرعين متظاهرين بالحماسة والإخلاص ، « ولكنهم أضمروا الخيانة والفدر ،
لأنهم حين التقوا في الطريق بيني جندتهم ، غدروا بسيدهم وحرّضوا العبيد من
الحبشة على قصده ، ودلّوهم على موضعه وقالوا لهم : إن فاتكم غدا السبت لحق
بأصحابه وعسكره وامتنع عليكم . فأمسوا إلى نصيحتهم وفويت نفوسهم وصدحت
عزائمهم وساروا إليه مجدّين ، حتى فاجئوه بضيمة يقال لها أم الذهب ، واتقنوا

(١) عيون ٧/٨٩ .

(٢) نفسه .

(٣) القاسي : تحفة السكرايم ورقة ١٨٨ .

عليه في يوم السبت الحادى عشر من ذى القعدة، ومعه بنو عمه الذين أبلوا بلاء شديداً، وكان السلطان عبد الله ابن محمد أشدم يومئذ إقداماً وأعظمهم بطشاً بالأعداء»^(١).

قتل الصليحي وأخواه عبد الله وإبراهيم وبعض أقاربه . أما الأمير الموفق ابن على الصليحي ومهنا بن على بن الظفر الصليحي فقد أتجها إلى مكان السيدات لحمايته ، ولكن العبيد مالبثوا أن حاصروا هذا المكان واستمر حصارهم حتى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذى القعدة . فاستأمن مهنا ، وخرج إلى الأحول ، فأخذ منه ميثاقاً شديداً على الحرائر الصليحيات وعلى من بق من بني الصليحي وسواهم ، وحلف له أغظ الأيمان بأنه سيطلق سراهم ليسيروا إلى صنعاء ، فوثق بقوله ، ونقل السيدات إلى دار أخرى ، وغدر الأحول بالرجال فقتلهم عن آخرهم ، ونهب كل ما كان في الدار من أموال جليلة القدر من العين والورق^(٢) وسائر ما يدخره الملوك^(٣) . وكان الداعي قد أعدّها لينفق منها على الجند ، وعلى صالح البيت الحرام ، ويقدمه إلى إمامه^(٤) . ومما غنمه ألف فرس وثلاثة آلاف جبل بمددها^(٥) .

وسألت الملكة السيدة أسماء بنت شهاب سميدة الأحول أن يسمح لها ، هي ومن معها من النساء بالعودة إلى صنعاء ، فاستنع . ثم سار إلى زبيد ومعه النساء ورأسا الملك على بن محمد الصليحي وأخيه السلطان عبد الله محمولان على رحلين أمام هودج الملكة أسماء . ونصبَ الرحان أمام الطاق الذى تنظر منه الملكة الحرة أسماء في الدار التى حلت بها ، إلا أن القائد بذل ما استطاع من المجهود لصيانة السيدات .

غرضه الصليحي من هج البيت الحرام

وفي قيام الصليحي للحج وقلته بالطريق قال حسين القمى^(٦) :
« قام الملوك^(٧) ، قاصدا مكة لحج البيت الحرام ، وتسهيل الحج لطالبي

(١) عيون ٧/٩٠ .

(٢) الورق هو المال من الدراهم الضروبة ، وكذلك الرقة والماء عوس من الواو .

(٣) أنباء/دار ٤٠ .

(٤) عيون ٧/٩١ .

(٥) عمارة/كأى ٦٤ .

(٦) رسائل القمى ٤١ - ٤٢ .

(٧) المراد منه الصليحي كما ذكرناه في ص ٨٦ ، هامش رقم ٢ .

قصده كل عام . . . وعمارة مدارس من آثاره ، وإبانة ماعفا من مناره ، وأمان قاصديه وزواره ، وإجراء مارقا من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن . . . راجيا أن يتجر بأربح المتاجر ، ويحوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى في الأخرى على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين في قوله سبحانه وتعالى : **إِنَّمَا يَمُورُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** . واستمر في طريقه حتى وصل قرية الممد^(١) في يوم الخميس التاسع من ذي القعدة ، ثم سار من الممد وقصد سردد ، فزل بها في يوم الجمعة . ولما وصل له الخبر بمخرج العبيد من زبيد أخرج الصليحي له ما كان بحضرة من عبيد « وأعلمهم بمقصوده ، فغادوا عن طريق العبد عمدا . . . فلما سار العبد بإزاء سردد، خرج المملوك لاستقباله ، وتحلف العبيد عن الخروج لقتاله ، وأعلموا ابن نجاح بانفراد الأجل الأوحده ، وأنها فرصة إن فاتته وقع في الندامة . . . وقادوه إلى الانتهاز والاعتنام . . . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه في الثاني عشر من ذي القعدة »^(٢) .

من هذه الوثيقة التي أوردتها القمي زى أن الصليحي لم يقصد بلاد العراق ولا مصر لثباتها ، كما قال صاحب الأنباء^(٣) وصاحب اللطائف^(٤) ، ولم يكن يبني الحج لذاته ، كما قال ابن الديبع^(٥) وباحزمة^(٦) ؛ بل كان له برنامج إصلاحى حافل بالأعمال ، بعضه يتعلق بالمساعي الخيرية ، كتسهيل الحج وعمارة الآثار وحط المؤن وإجراء الأنهار ، والبعض الآخر يتعلق بزيارته لإمامه . وتحققا لهذا البرنامج قام الصليحي بسفارته على النحو الذي وصفناه ، ولكنه مالبث أن قتل نتيجة لخيانة عبيده وعدم اتخاذ الاحتياطات اللازمة لمواجهة المدو .

-
- (١) الممد في أرس لعسان في بطن تهامة . ومواردها أسفل سهام وأسفل سردد ، وسوفها المهجم والكدراء كما ذكره الهمداني في صفة ١٠٥ - ١٠٦ . وقال القاضي محمد الحجري : لأنها قرية من قرى همدان من مديرية آل سرخ .
- (٢) رسائل القمي ٥ : ٥ ؛ قال إدريس (عبون ٧/٩٠) : إن قتله كان يوم السبت الحادى عشر من ذي القعدة سنة ٥٠٩ هـ .
- (٣) أنباء / دار ١ : ٤١ .
- (٤) الكبيسى : اللطائف ١٧ .
- (٥) بيرة ورقة ٢٣ .
- (٦) فلادة ٢/٢ ورقة ٦٠٠ .

هذا وقد اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي قتل فيها علي الصليحي ، كما اختلفوا من قبل في السنة التي تولى فيها . فقال بعض : إن قتله كان في سنة ٤٧٣^(١) ، وقال بعض آخر : إن ذلك حدث في سنة ٤٥٩^(٢) . والصواب هو الأخير ، كما ورد في الوثائق المعاصرة ، وهي السجلات المنتصرة . وقد جاء في السجل المؤرخ في شعبان سنة ٤٦٠ الذي يمت به الخليفة المنتصر إلى أحمد المكرم ما يفهم منه ذلك ، فقد أظهر فيه المنتصر أسفه الشديد على وفاة الصليحي ، ثم نادى بالمكرم ملكاً من بعده^(٣) ، كما جاء في السجل المؤرخ في جمادى الثانية من سنة ٤٦١ الذي أنفذه المنتصر إلى المكرم علي يد القاضي ملك بن مالك أن المنتصر خلع على المكرم لقب « أمير الأمراء »^(٤) . ويؤيد صحة هذا الرأي مقاله عمارة^(٥) : « إن قتله كان في يوم السبت الثاني عشر من ذي القعدة سنة ٤٧٣ ؛ وقيل سنة ٤٥٩ ؛ وهي رواية صحيحة » .

وقد رثاه الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي بقصيدة جاء فيها^(٦) :

وَأَنْشَأَ الْحَجَّ إِلَى مَكَّةِ يَنْفِي رِضَا اللَّهِ وَآلِ الْبَتُولِ
وَارْتَجَّتِ الْأَرْضُ لَهُ خَيْفَةً بَيْنَ بَهَا بَيْنَ فُرَاتٍ وَنَيْلِ
وَقَامَ بِالْجَيْشِ وَأَضْرَابِهِ شَمَّ الْمَرَانِينَ كِرَامِ الْأَصُولِ
فَصَارَ فِي الْمَهْجَمِ فِي عُصْبَةٍ مِنْ قَوْمَةٍ غَالَتْهُ دَهْمَاءُ غُولِ
كَالْيَتِيمِ فِي الْغَايَةِ دَبَّتْ لَهُ رَقْطَاءُ لَيْلًا ذَاتُ شَخْصِ ضَلِيلِ
فَإِنْ يَكُنْ نَيْلٌ عَلَى رِغْرَةٍ فَالْبَدْرُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ أَفُولِ

وقال الشاعر الحسين بن علي القمي على لسان الحرمة الزكية السيدة تحفة

بنت محمد الصليحي في رثاء أخيها الملك علي بن محمد الصليحي^(٧) :

(١) كشف ٤٤ .

(٢) عيون ٨٨/٧ ؛ كفاية ٤٩ ؛ أنباء/دار ٤١ .

(٣) السجلات رقم ٤٠ . (٤) نفسه رقم ٤٢ .

(٥) عمارة/كلى ٢٢ . (٦) عيون ٩٢/٧ .

(٧) صورة شمسية من مخطوط المتحف البريطاني نمرة ٤٠٠٤ لديوان أبي عبد الله

الحسين بن علي بن محمد القمي . وفي المخطوط « تحفا » ، وهو تحريف .

لَمَسْرَى مَا طَارَتْ طَيْرِي بِأَسْمِدِ
 وَذَكَرَنِي قَفْدِي لِأَسْعِدِ إِخْوَتِي
 وَقَدْ قَدَّ الْأَجَابُ بَعْدَ أَحَبَّتِي
 رَزِيَتْهُ مِنَ الْأَمْلَاقِ كُلِّ مَتَوَجِ
 مَلُوكِ تَرَى الْأَمْلَاقَ حَوْلَ دُسُوتِهِمْ
 أَبْيَكِي عَلَيَّ أَمَ أَخَاهُ الَّذِي فَدَى
 أَمَ الثَّاقِبِ اللَّاقِي الْحِرَابِ بَنَحْرِهِ
 فَلَيْلَهُ أَسْدُ صُرْعَتِ بَشْمَالِ
 وَهَوْنٌ وَجَدِي أَنَّهُمْ مَا تُخْرَمُوا
 أَمَامَ الْخَيْسِ الْحُورِ تُخْفِقُ فَوْقَهُمْ

غَدَاةَ دَهْنِي الْحَادِثَاتِ بِأَسْعِدِ
 مُلُوكِ مِنَ الْمُحْتَشِهْدِينَ بِسُرْدِ
 وَإِنْ كَانَ لَامْفُودَ مِثْلُ مُحَمَّدِ
 كَعَمِيرِ غِبَارِ الْجَيْشِ طَلَّاعِ أَنْجِدِ
 صَفُوفًا عَكُوفًا مِنْ قِيَامِ وَسُجْدِ
 وَأَكْرَمُ مَفْدَى هُنَاكَ وَمَفْتِدَى
 وَقَدْ نَهَكَتْ مِنْ كُلِّ أَعْيَدِ أُصِيدِ
 وَرَبِّهِ أَحْرَارِ أَذْيَلَتْ بِأَعْبُدِ
 بِمَعِيرِ الْمَوَاضِي وَالْوَشِيحِ الْمُقْصِدِ
 لَوْأَ مَعَدُّ مَرْتَضَى آلِ أَحْمَدِ (١)

نوميد اليمن تحت لواء العلجي

بعد عهد الملك على الصليحي في تاريخ اليمن عهداً قل أن يوجد الزمان بمثله ، وذلك لأن هذه البلاد لم تجتمع لملك واحد ، بل « كان الرئيس منهم إنما كان رئيساً على مخرافه ومعجره لا يجاوز ذلك ، فإن نزع عنهم نازغ ، أو نبغ منهم نابغ ، فتجاوز ذلك وإن بمدت مسافة سيره من مخرافه ، فإنما ذلك منه من غير ملك له موطن ، ولا آباءه ولا لأبنائه ؛ كذلك كان أمر ملوك اليمن ، كان الواحد منهم بعد الآخر يخرج من مخرافه ومعجره فيصيب مما يمر به ، ثم ينشمر عند خوف الطلب راجعاً إلى معجره من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخرافه بالطاعة ، أو يؤدي له

(١) الحور ، يريد به الخيل السريعة ، يقال فرس خوار العنان ، سهل المظف لينه ، كثير الجري ، جمه خور (ل/خور) ؛ ومعد هو الخليفة المنتصر الفاطمي .

خراجاً»^(١) ، بخلاف ما قام به الصليحي ، فقد تمكن من جمع اليمين كله تحت لواء واحد . ويرى عمارة^(٢) « أن هذا أمر لم يعمد في جاهلية ولا في إسلام » ، وبين ذلك المرثي^(٣) بقوله : « ولم يقع لأحد فيمن ملك اليمين ما وقع للمليّ بن محمد الصليحي فإنه استولى على اليمين سهله وجبله وشماله وجنوبه وشرقه في مدة يسيرة بعد أن قهر ملوكه » . فهو لذلك لا يقل في نظرنا عن بعض القواد الفاتحين الذين لمع اسمهم على صفحات التاريخ بما أحرزه من انتصارات وما قاموا به من أعمال مجيدة وإن كان ذلك لمدة وجيزة .

الأسس التي بنى عليها الصليحي سياسته

وعد الصليحي الرعية بأن يسير فيهم سيرة الحق والعدل، وعمل على تحقيق هذه السياسة ما وجد إلى ذلك سيلا، فبعد أن تم له الاستيلاء على جبل مسار - كجراينا - كتب كتابا نشر بين أهل حراز وقفنا منه على أنه كان يرغب في إقامة المثل العليا في حياة الشعب ، ونفى عن نفسه التهم التي أشاعها عنه أعداؤه ، وبين أنه « لم يكن متجبرا ولا مبتدعاً في الدين ، بل متمسكا بحبل الله التين ، وداعيا لأمر المؤمنين المستنصر بالله »^(٤) . و وعد أهل حراز بأنه سيكون معهم حسن السيرة والمعاملة بما رضى الله والرسول ؛ وإن قوله : « أنصف المظلوم وأقم الظالم » لا يقل في قوته عن قول أبي بكر في خطبته يوم بايعه المسلمون : « والضعيف فيكم قوى عندي حتى آخذله حقه ، والقوى فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه »^(٥) . فهو وإن كان لا يقرّ بأب بكر في خلافته إلاّ أنّ سياسته كانت مبنية على أصول قويّة متينة .

ولما تمكن الصليحي من إخضاع ابن جهور ، أمر بجمع أهل حراز في عبري

(٢) عمارة / كافي ١٨ .

(١) طبري ١/١٦٢ .

(٣) بلوغ الرام ٢٥٠ .

(٤) عيون ٨/٧ .

(٥) ابن هشام : سيرة ٣/٤٧٣ .

دعاس ، ونزل لهم بعد أن ترك في مسار من يحفظه ، وقام في الناس نخطبهم
خطبة بليغة ، أمرهم فيها ، بوجوب التمسك بحبل الله ، والامتثال لأوامر الإمام ،
ووعدهم بحسن السيرة والسياسة إذا هم عملوا بما أمرهم به .

ولما تم له فتح مكة المكرمة - كما ذكرنا آنفاً^(١) - عامل الناس هناك بالحسنى
واستمالهم بما كان معه من أموال جليلة ، ونشر العدل ، فأدب القبائل التي كانت
تتمدى على الحجاج ؛ فطابت قلوب الناس هناك ، ورخصت الأسعار ولهجت
الألسن بالدعاء له ، لما قام به من خدمات لحجاج المسلمين .

التفاف الأُمراء والملوك حول الصليبي

وبتلك السياسة ازداد التفاف زعماء اليمن حوله وفضل كثير منهم الإقامة معه
في مسار . فقصده عمران بن الفضل اليامي وعباس بن الكرم السنجاني ومن معهما
من أتباعهما ، كما توجه إليه السلطان عامر بن سليمان الزواحي هو وأهله ، فأسكنهم
معه في مسار ، وتجمع بذلك منهم جمع كبير أجرى عليهم النفقات الواسعة .

ولما دان له جميع اليمن ، بنى في عاصمته صنعاء قصورا وأسكنها الملوك
والسلاطين تحت رعايته وفي ضيافته . ولما قام لأداء فريضة الحج سنة ٤٥٩ هـ ، أخذ معه
هؤلاء الملوك ، وهذا يدل من غير شك على مبلغ حرصه لإعلاء كلمة اليمن ورفع
شأن اليمنيين في المؤتمر الإسلامي .

سياسة الإدارة

وبعد أن ثل عروش الملوك المغلوبين على أمرهم ، وقضى على دويلاتهم
المفسكة ، ولى مكانهم ولاية يثق فيهم ، فولى الأمير أسعد بن شهاب التهامي وزبيد ،
وكان هذا الوالي يحمل للملك على - بعد صرف أرزاق الجند ألف ألف دينار كل عام ،

(١) انظر ص ٩١ .

ولعله كان يأخذ الخمس من أموال الناس وفقا للفتوة الفاطمية^(١)، كما ولى القضاء معه الحسن بن محمد بن أبي عقامة التغلبي من علماء السنة . وكان الأمير أسعد يثني عليه ويقول : « قام الحسن بأمور الشريعة قياما يؤمن عيه ، ويحمد عيه »^(٢) . وولى أخاه السلطان عبد الله بن محمد الصليحي حصن التمكنر^(٣)، وولى الحسين بن مهلهل حصن الأخرج^(٤) ، وولى السلطان سبأ بن أحمد الصليحي حصن أشيخ^(٥)، وولى السلطان عبد الله بن يعلى حصن خدد^(٦)، واستعمل الأمير أحمد الكرم على الجند وما والاها .

ومن ذلك نرى أن كل هؤلاء الولاة كانوا من أنصاره المخلصين ، وليس هذا بغريب فإنه رأى في ذلك خير وسيلة لتنفيذ سياسته ، أو بعبارة أخرى إن هذه هي السياسة الوحيدة التي كانت تصلح لضبط أمور الدولة في تلك الظروف ، إلا أنها كانت فيما بعد من أسباب ضعف الدولة بعد أن تفلغل نظام الإقطاع فيها .

وكان الصليحي لا يبالو جهدا في أن يجمع حكام هذه الأقاليم من آن لأن كلما سمع بأن بعضهم قد حاد عن الطريق السوي ، ويتوجه إليهم بالنصح تارة والوعيد تارة أخرى ، رغبة منه في صلاح الرعية على أيديهم ، فهو يرى أن الله خلق الخلق بالحق ، فهو لا يقبل إلا الحق ، فجمعهم مرة في مسار وقال لهم :

« إن الذي بلغنى عن قوم منسك هو يفض الله ووليه ، وأنا أعضب مما يفض الله . فمن كان منى لم يتمد شيئا من الدين ، ولم يتعرض لسخط رب العالمين ولم يخالف مولانا أمير المؤمنين . ومن لم يكن منى أخرجته من جماعتي ونفيته من بلدى ،

(١) أبناء/ دار ٤٠ ؛ والمرور أن الفاطميين كانوا يأخذون الزكاة ونحوها من الصدقات الشرعية والخمس فيما يجب فيها الخمس ، لأنهم كانوا يأخذون من أموال الناس مطلقا كما يفهم من بيان صاحب الأنباء .

(٢) بالمحرمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٣٥ ؛ وكان الحسن ملقباً بمؤمن الدولة وكان عالما بارعا في كثير من العلوم وله مؤلفات كثيرة وقد ولى القضاء الأكبر أيام الصليحيين ثم أيام جيش بن نجاح (عمارة : التكت ٢/ ٢٨ ؛ الأصبهاني : خريدة ٢/ ورقة ٢٨٢) .

(٣) قرة ٢٤ . (٤) عيون ٧/ ٨ . (٥) شه ٧/ ٥٤ .

(٦) خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ .

وأجريت عليه من الحكم ما يجري على أمثاله من المتدين». ثم قال: «لا أصدقكم حتى يلتزم كل داع بصلاح من تحت يده ، ويضمن ما يجري ممن كان في جهته . فن كابر وعاند ورفع أمره إلى أزلت به ما يستحقه»^(١)، كما حرم عليهم أن يتناولوا من مصالح دينهم ودنياهم شيئا ولو صغيرا إلا بإذنه ، فكان ولاته في الأقاليم كانوا يقومون بأمر الدين والدنيا ، أى أنهم كانوا مكلفين برعاية من كان تحت أيديهم من الرعية في أقاليمهم . وكان هؤلاء الولاة يسرون في جهاتهم وفقا لسياسة مرسومة وضعتها الملك على^٢ ، لتكون أساسا ومنهجيا يسير على هديه كل الولاة ويكون هو مرجعهم في كل ما أشكل عليهم . وكان يدعوهم إلى مسار ويجتمع بهم من حين إلى حين ، «يذكروهم ويبصرهم ويقربهم ويدينهم ويصلي بهم ويتلو عليهم بعد الصلاة بعض ما تيسر من العلم والحكمة»^(٣) .

من هذا نرى أن الملك عليا بن محمد الصليحي حكم البلاد حكما مطلقا كما كان في العصور الوسطى في جميع البلاد ، ولكنه كان حكما مستنيرا ، فكانت أمور الدعوة والدولة مركزة في شخصه ، إلا أنه كان مقيدا بالمثل التي قررها لنفسه «من إقامة الحق ، وإقرار العدل» .

الناحية الربنية في عهده

أما الناحية الدينية في عهده ، فإن عليا الصليحي ظهر على صفحة التاريخ داعيا متمسكا بأهداف دينه ، حريصا على ما جاء في الكتاب والسنة ، غير مكره لأحد في الدين . فلم يرخص لأحد مطلقا في التهاون بشئ ، من فرائض الدين^(٤) ، ولكنه مع ذلك آتهم كما آتهم الفاطميون من قبله بالكفر والخروج على الدين الإسلامي . ومن عجب أن يذهب بعض المؤرخين إلى أن الصليحيين كانوا يدينون بالإباحة وتمطيل الشرائع .

فيقول الفقيه الحمادى عن مذهبهم : «...إنه مذهب الراحة والاستباحة ، يريح

(٢) قصة ١٣/٧ .

(١) عيون ١٢/٧ - ١٣ .

(٣) قصة ١١/٧ .

أتباعه مما تلتزمهم الشرائع من طاعة الله ، وبيع لهم ما حظر عليهم من محارم الله»^(١) .
ويقول في مكان آخر : « وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فخرم الحلال
وأحلّ الحرام ، وناقض بجهده الإسلام ، وأبطل الصلاة والصيام ، والحج إلى بيت
الله الحرام »^(٢) .

وكيف يكون ذلك وقد عرفنا ما قام به من أعمال جنيلة في مكة عند ما حج
سنة ٤٥٤ ؟ وكيف ننكر ما قاله الفاسي^(٣) : « فطابت قلوب الناس ورخصت
الأسمار وأمنت الحاج أمناء لم يعرف لهم مثيل من قبل ، حتى إنهم كانوا يعتمرون
ليلا ونهارا وأموالهم محفوظة ، ورحلهم محروسة » ؟ وكيف ننكر كذلك
ما قاله ابن الجوزي^(٤) : « فردّ بنى شيبه عن قبيح أعمالهم وأفعالهم مع الحاج ،
وردّ إلى البيت من الحلبي ما كان بنو الطيب الأشراف قد أخذوه لما ملكوا بعد
شكر ، وكانوا قد عروا البيت والميزاب » ؟ إن ما قام به عليّ الصليحي في الأراضي
القدسة كسبه ثقة كثير من أهالي البلاد الإسلامية^(٥) ، وما جلبه من الأقوات
إليها جعل الألسن تلهج بالدعاء له في كل مكان^(٦) .

هذا ما قاله المؤرخون وهو من غير شك شهادة طيبة في حق الصليحي ،
ولكن بعضا يرمونه بالخروج والمروق حقدا وحسدا ، ليشوهوا سمعته ، ولا يمت
هذا إلى الإنصاف بسبب .

إننا نستبعد أن يكون كلام المفرضين صحيحا ، لأن تاريخ الصليحيين لا يدلنا
على شيء مما ذكروا . فالصليحيون كانوا يتخذون الدين الإسلامي الحنيف ،
وولاءهم لأئمتهم الفاطميين بتصر ، وسيلة لنشر نفوذهم وتوطيد حكمهم في البلاد التي
أخضعوها لسلطانهم ، كما كان دأب الحكومات والسلطين في العالم الإسلامي في
ذلك العهد ، في تعلقهم واتسابهم لخلافة بنى العباس لذلك الغرض . وكيف ننكر

(١) كنف ١٢ . (٢) نفسه ٤٤ . (٣) تحفة الكرام ١١٨ .

(٤) مرآة الزمان ١/١٢ ورقة ٨٨ . (٥) الفاكهي : التقي ٥٤ .

(٦) العبي : عقد الجمان المجلد من ٤٢١ — ٤٥٦ ورقة ٢٢٦ .

ما قاله الصليحي نفسه لأهل حراز^(١) : « . . . فلم أطلع مسار متجبوا باغيا ولا متكبرا على البلاد عاتيا . . . وإما قيامي بالحق الذي أمر الله عز وجل به، والعدل الذي أزل في محكم كتابه . . . إنما أنا متمسك بحبل الله المتين ، عامل بما شرع الله في الدين » .

سالم مع أهل السنة

وكان الصليحي يتسامح ، كما كان الفاطميون بمصر يتسامحون ، مع علماء السنة ، حتى سمحوا لبعض فقهاءهم بإقامة شعائرهم ونشر تعاليمهم في المساجد . فقد قيل إنه في سنة ٣٨٣ وثب رجل جعفري للجلوس في الجامع الأزهر للفتوى على مذهب أهل البيت ، فشنب عليه الفقهاء من أهل الجامع ، فبلغ القاضي ذلك ، فقبض على بعضهم^(٢) . وهذا النص يدل على أنه كان بالأزهر في عهد الفاطميين فقهاء يخالفون المذهب الفاطمي ، ويفتون وفق تعاليم مذاهبيهم . فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الإمامي شغبوا عليه ، فاضطر القاضي إلى إصدار الأمر بالقبض على بعضهم لا لشيء إلا لأنهم لم يتسامحوا مع هذا الفقيه كما تسامحت الدولة معهم .

وهذا يشبه إلى حد كبير ما كان في عهد الصليحيين . وبدلنا على ذلك ما ذكره صاحب الأنباء نقلا عن اللّـحجّـي في تاريخه : « بلغني أن الصليحي لما استقرّ في صنعاء كان ينادي باجتماع المصلّين في المساجد ، وشق عليه أمر صنعاء ، وذلك أن المصلّين كانوا إذا اجتمعوا في المساجد يذكرونه ويحتجون على ظلمه وجوره؛ وربما كفروه وسفّـهوا عليه وعلى أهل رأيه . فتفسّر بذلك ، وأمسك أياما »^(٣) .

كذلك فعل أسعد بن شهاب لما دخل زبيد سنة ٤٥٦ والياً عليها من قبيل الصليحي ، « فأحسن السيرة في الرعية وأذن لأهل السنة بإظهار مذهبهم »^(٤) .

(١) عيون ١٨/٧ .

(٢) الكندي : كتاب الولاية والقضاء ٥٩٤ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

(٤) قرّة ورتة ٢٢ .

ونشير أيضا إلى وصية الصليحي لابنه الأمير أحمد السكرم لما تركه نائبا عنه في البلاد حين عزم على الحج في سنة ٤٥٩ . فقد أوصاه « بتقوى الله في الجهر والسريرة ، والعمل بأعمال الشريعة ، وإقامة دعائها ، والانتباه بأوامرها ، والانتها عن محارمها » (١) .

ويعتبر ما قاله المؤيد في الدين الشيرازي داعي دعاة المستنصر في قصيدة له (٢) من الأدلة الواضحة على تمسك أهل الدعوة بالتكاليف الشرعية :

فكيف شرع الأنبياء نذعُ وما لنا إلا النبي مرجعُ
بنوره في الدرجات نرتقي (٣) وبالكرام الكاتبين نلتقي
ياربِّ فالعن جاحدى الشرائع وارهم بأفجع الفطائع
والعن إلهي من يرى الإباحة بلمنة فاضحة محتاحة

وقد ساعدت هذه السياسة الدينية الدولة الصليحية إلى حد ما على حفظ الأمن في البلاد الخاضعة لها ، مع وجود المعارضة القوية لمذهبها الرسمي . فانصرف الناس إلى أمور معاشهم مطمئنين ، وتبحر المنافسون في مقاومة هذه الدولة التي أصبح لا يمكن مقاومتها ، بعد أن رأوا من حسن سياسة الملك على وتشدده مع الخارجين على الدين الحنيف ، ورفعته لأهل العلم والفضل مهما تكن نحلتهم ، وتسامحه مع أهل المذاهب الإسلامية الأخرى . « فلم ينكر على أحد مذهبا من مذاهب فرق الإسلام على تشعبها ، بل أقر كل امرئ على ما كان عليه » (٤) .

الضمام بالشعر والشعراء

عرف الملك علي الصليحي أن الشعر العربي يعتبر سلاحا ماضيا في خدمة الدولة ، وأنه من أهم وسائل الدعاية لها . فلم يشأ أن يترك هذا السلاح دون أن

(١) عيون ٧/٨٨ . (٢) القصيدة الأولى من د المؤيد / كامل حسين .

(٣) في الديوان : نرق . والصواب مأثبه رعاية للوزن .

(٤) عيون ٧/١٦ .

يشهره على خصومه أو يستخدمه في الدفاع عن دولته واللباهة بفضائلها والإشادة بذكورها . فلا عجب إذا رأيناه يجزل المطاء للشعراء كما كان يفعل العباسيون والفاطميون . ومن أشهر الشعراء الذين قرؤوا الشعر في عهده عمرو بن يحيى الهيثمي ، والحسين بن عليّ القمي ، والحسن بن أبي عقامة ، وقد ذكرنا شيئاً من أشعارهم في مناسبات سبق ذكرها .

وكان الصليحي نفسه ممن يتذوقون الشعر ، فصيحاً بليغاً^(١) . وقد روى عنه بعض الأبيات ، قالها في مناسبات . فمنها :

أَنْكَحْتُ بِيضَ الْهِنْدِ مُعَمَّرَ رِمَاحِهِمْ
فَرءُ وَسْهُمْ عِوَضَ النَّشَارِ نِشَارُ
وَكذا الْمُلَا لَا يُسْتَبَاحُ نِكَاحُهَا
إِلَّا بِمِثِّ تَطَلُّقِ الْأَعْمَارِ^(٢)

ويروي أيضاً أن الملك عليّ بن محمد الصليحي قال في وراخ الحسن المشهور :
ما اعتذارى وقد ملكتُ وراخاً

عن قراع العدا وقود الرّعالِ

وكانت له نفس طموح ، فأنشد على لسان حاله :

وَألذَّ من قرع المثنى عند في الحرب : أَلْجَمُ يا غلام وَأَسْرَجُ
خَيْلٌ بِأَقْصَى حَضْرَمَوْتِ بِجَاهِهَا وَصَهْلُهَا بَيْنَ الْمَرَاقِ وَمَنْبِجِ
وكان الصليحي فوق ذلك « عالماً وفقهياً مستبصراً في علم التأويل »^(٣) ،

كما كان خطيباً ممتازاً . وقد وقفنا على بعض خطبه التي ألقاها في أهل حراز وأنصار الدعوة ، وهي تبين مقدار بلاغته وقدرته . ولا يبعد أن تكون الخطابة قد بلغت مركزاً مرتفعاً في عهد هذه الدولة العربية .

(١) بالمخرمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٠١ . (٢) نفسه ؛ الأصبهاني : خريدة ٢/ ورقة ٢٧٩ .

(٣) عمارة / كافي ١٤ ١٥٠ .

الباب الخامس

عهد الملك المكرم أحمد الصليحي

(٤٥٩ - ٤٧٧)

قيام المكرم بأمر الدولة

ظهر أبو علي أحمد المكرم بن علي بن محمد الصليحي الهمداني ملك اليمن على صفحة التاريخ ، واتّصف بالشجاعة وكرم الأخلاق . وفيه يقول صاحب قلادة النحر^(١) : « كان المكرّم ضحياً شجاعاً ، وفارساً مقداماً » . وقد منحه الخليفة المستنصر بالله لقب « المكرّم » في سنة ٤٥٦^(٢) ، وأصبح ولياً لمهد أبيه بعد وفاة أخيه الأكبر محمد الأعمز في هذه السنة . ثم أخذ يتدرّب على إدارة شئون البلاد ، حتى عزم والده على الحجّ سنة ٤٥٩ ، فاناوبه عنه في حكم البلاد ؛ وكان قبل ذلك استعمله على الجند وماجاورها من البلاد . ولما جاء الخبر بقتل أبيه الملك علي الصليحي في المهجّم ، وأسر والدته الملكة السيدة الحرة الصليحية أسماء بنت شهاب وغيرها من حرائر بني الصليحي ، والقضاء على خيرة رجال دولته على النحو الذي ذكرناه في الباب السابق ، وقع المكرّم في حيرة ؛ وكاد يُقضى على صرح الدولة الصليحية قضاء مبرماً ، لأن أعداءها لم يقفوا عند هذا الحدّ ، بل أخذ النافقون ينقضون عهودهم حتى خرج أمر الصليحيين من كافة بلاد اليمن ، ولم يبق لهم إلاّ التّمكّر ، وكان العبيد قد حاصروه ، كما حاصروا مالك بن شهاب الصليحي في حصن مسار . وتأمّرت القبائل من كحلان وهران وعتس

(١) ٢/٢ ورقة ٦٢٧ .

(٢) عيون ٧٦/٧ .

وزُيِّنَ وَيَحْتَسِبُ عَلَى الصَّالِحِينَ ، وامتدَّتْ العدوى إلى صنعاء نفسها حيث كان السكرم يقيم مع جماعة من خالص أتباعه لا يزيد عددهم على ست مئة من الحجازيين .

فإذا يعمل السكرم ؟ وقد أحاط به الأعداء وطمع فيه المناقون ، وظهر الناس بظهور المداء الواضح ، وغدا السكرم في حرج . وأنى له أن يتخلص من هذا الأذى ؟ ولكن يمكن تحليل هذا الموقف بأمرين :

أولا : أن أهل اليمن لم يألفوا الخضوع لسطان حكومة مركزية ، وقد تمكن على الصليحي من ضم بلاد اليمن جميعها تحت لوائه ؛ وأصبح ملكه يمتد من الحجاز شمالا إلى حضرموت جنوبا ، كما تمكن من ثلّ عروش ملوك اليمن الأقدمين وكبح جماحهم وإقصائهم عن إماراتهم بجمهم في صنعاء تحت مراقبته وتميين ولاية يمن يثق بهم بدلانهم . وما استطاع الصليحي في حقبة وجيزة أن يغير عادة اليمنيين وهي استقلال الشعوب وانفرادها . وثانيا : أن خضوع اليمن كلها لسطان الصليحي لم يكن عن رغبة من أهلها ، بل كان نتيجة للحروب والرهبة والقوة الفارقة والدهاء السياسي ، فكانت حالة الشعوب خضوعاً في الظاهر والقلوب لم يتمكن منها حب النظام وإطاعة أولى الأمر ، ورأوا أن في موت الملك علي بن محمد الصليحي فرصة تمكنهم من العودة إلى ما كانوا عليه قبل تسلطه من دويلات وإمارات وولايات مستقلة .

لذلك قرر السكرم قتال هؤلاء الذين خرجوا عن حظيرة دولته مع علمه بأن هذا الخروج كان من معظم الأمراء والرؤساء والقبائل ، ولكن صدق عزيمته ذلك هذه المساع . ولما استمرت الأرض سواد السكرم نارا ، كان لابد له من معالجة هذه الحالة التي لم تر الدولة الصليحية مثلها ، فاستماتت بمساند شجاعة اليأس قدرا ، وأخذ يستجّع من مثل من أصحابه على الولاء وملاقة السعاب . وقد صور صاحب العيون هذا الموقف بقوله ^(١) : « .. وكان السكرم يثبّت أصحابه على الدين ،

وَيَذَكِّرْهُمْ بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ الصَّابِرِينَ ، وَبِمَا اجْتَلَىٰ بِهِ مِوَالِيهِ الطَّاهِرِينَ ، وَيَتْلُو مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ : أَلَمْ . أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آتَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » .

واستطاع المكرم وأعدائه أن يرفعوا عن صنعاء الحصار وتبعوا الأعداء ، فانتصروا في ناحية حَضْرُوتِنَا انتصاراً تَفَسَّسُوا بعده نسيم الأمل ، « وحارب الأعداء في كل مكان . والله يعطيه النصر ويبسط يده عليهم » (١) .

قواد المكرم وانتصارهم

وكان هذا النصر مشجعاً لأنصار المكرم على الاستماتة في الدفاع عن كيانهم . فانتصر قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي بجمعة كُنْجَلَانَ وَهَرَّانَ . وأخذ هذا الجوّ الظلم الذي أحاط بالدولة يصفو ، وبدأت هذه الشدة التي حاقت بها تنقشع تدريجياً بفضل شجاعة المكرم وحسن بلائه ، وبسالة جيشه العربي وقواده الأبطال .

وبينما كان المكرم يستعد لتابعة الأعداء وتحرير البلاد من المنافقين ، كان قواده عامر بن سليمان الزواحى ومدافع بن حسن الجنبى وعمران بن الفضل الياهى والحسن بن عمر السنحائى وغيرهم في طريقهم إلى مكة لأداء فريضة الحج مع الملك على بن محمد الصليحي (٢) ؛ ولكنهم قفلوا راجعين إلى صنعاء عندما سمعوا بقتل ملكهم في المهجم ، وقد لاقوا في طريقهم صعاباً كثيرة من الأعداء ، « فأوقعوا في طريقهم سبع عشرة واقعة ، في كلهما يمنحون النصر على من عاداهم ، والظفر ببركة مولايم » (٣) .

وصلوا إلى صنعاء في وقت كان المكرم في مسيس الحاجة لنجدتهم ، فكان

(١) رسائل القمى ٤٩ .

(٢) عيون ٩٣/٧ .

(٣) رسائل القمى ٥٠ .

فرحه بوصولهم عظيما ، حتى إنه خرّ ساجدا لله شكراً على وصولهم . « ففما اجتمعوا به توأصوا بينهم بالصبر على قتال الباغين المفسدين ، والحماية والجهاد عن الدين ، وتوأصوا ألا يطالبوا الملك المكرم بدينار ولا درهم ، حتى يظفر بالمعبد ، وينال منهم ثأره بمدينة زيد ، وتماقدوا على ذلك وتماهدوا الله سبحانه » (١) .

من هذا نرى أن المكرم أخذ يلتفت حوله قوّة من أنصاره ، وأصبح لزاما عليه أن ينظم هذه القوّة ، ومما لاشكّ فيه أن هذا التنظيم يقتضى الكثير من التدبير وإعمال الرأى ، حتى يتمكّن بهذه القوّة اليسيرة من إعادة الخارجين عليه إلى صوابهم ، ويأخذ بثأرد من النجاحيين بتهمة . وقد أحسن المكرم التدبير ، ورأى بمساعدة خلائه أن وجود والدته الملكة السيدة أسماء أسيرة في يد سعيد الأحوال عدوم الألد لا يمكن السكوت عليه . أصبحت هذه الصورة القائمة مرسومة في مخيلة المكرم تحزّ في نفسه وتقض مضجعه ، وقد انعكست هذه الصورة في نفوس أصحابه الخالصين ، فأصبحت نار الغيظ تأكل أكيادهم وتشجذ قرائحهم ، وتؤجج نفوسهم العريية الأبية . ولكن ما العمل ، وعوامل الاضطراب محدقة بدولتهم في الداخل وفي الخارج ، والفن والثورات منهشة في كل أرجائها ؟ فقد شقّ عليهم عصا الطاعة كل منافق مخادع ، وأصبح نفوذهم إلى الزوال أقرب . لذلك رأوا من الصواب كبح جماح كل من حدثتهم أنفسهم بالخروج عليهم ، والضرب على أيدي المنافقين ، وتطهير البلاد من الفن والثورات وإعادة الأمن إلى نصابه ، ثم التوجه إلى الأخذ بالثأر .

فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحي إلى بلاد حمير وإلى مغرب اليمن لإصلاح الفساد . وقد جاء إليه أهل هذه البلاد طائعين ، ولكن القائد الزواحي قاتل المنتفضين قتالا شديدا ، وتبدهم في السهل والوعر . وفي يوم السبت العاشر من شهر ذى الحجة سنة ٤٥٩ هـ وصلت كتبهم إلى الملك المكرم مستجيرين (٢) . وجاءه بعد ذلك كتاب من قائده إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي يخبره

(١) عيون ٧/٩٤ ؛ رسائل القمى ٥١ . (٢) عيون ٧/٩٤ .

بانتصاراته على أهل بَحْمَب و رُعَيْن بِجَهة كُحْلَانَ و هَرَّان و أنهم دانوا له
بإطاعة بعد حرب سِجَال^(١) . فَسُرَّ الْمَسْكَرُ كَثِيرًا ، و بدأ الروح المعنوي يذب
في نفوس جنوده ، و أخذ من هذا النصر وسيلة لدفعهم لنصر آخر ، فذكرهم بما
وعد الله به عباده الصابرين من النصر ولو بعد حين .

وفعة الملوي

و بينما كان المسكرم و كبار رجال دولته مشغولين بآخاذ الأهبة لحفظ كيان
دولتهم و تخليصها من سطوة أعدائهم ، و إعادة ما تحت يد الأعداء من البلاد ،
ظهرت في الأفق سحابة غطت هذا الجوّ برهة من الزمن ، و شغلت المسكرم
و أعوانه عن متابعة الأعداء ؛ تلك هي الحركة التي قام بها الأمير الداعي حمزة بن
أبي هاشم بن عبد الرحمن بن يحيى الحسنى^(٢) في سنة ٤٥٩ ، بعد أن التفّ حوله
فريق من الناس بايعوه على القيام بدعوته . فقام هذا الداعي متحلياً بالتوحيد
مدعيًا الإمامة ، و سمى نفسه بأمير المؤمنين . فجمع إليه كثيرًا من القبائل فصاروا
حزبانه و حربا للصليحي ، و زحف إلى صنعاء و معه خمس مئة فارس و خمسة
عشر ألف راجل من همدان و غيرهم^(٣) إلى أن بلغ الملوي^(٤) .

(١) عيون ٧ / ٩٤ .

(٢) هو حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله (أخو الإمام الهادي
يحيى) بن الحسن بن القاسم الرسي بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب ، و كان قيامه بالدعوة في سنة ٤٤٩ ، و قتله في سنة ٤٥٩ ، و مشهده في بيت
الجلاد من بلاد أرحب (أبناء / دار ٤٠) و إليه ينسب الحزبات .

(٣) يقول إدريس في العيون ٧ / ٩٥ : « و كان مع الشريف ثمانية آلاف راجل و عدد
كبير من الخيل . و كان أصحاب المسكرم لا يزيدون على ألف راجل . و يقول صاحب
الأبناء / دار ٤٠ : « و كان عدد جيش حمزة ثمانية آلاف و جيش علي الصليحي
ألف و خمس مئة فارس و خمسة عشر ألف راجل » . و يظهر بعده عن الحقيقة ، ذلك لأن
الداعي حمزة قتل في ٢١ ذى الحجة سنة ٤٥٩ ، و كان مقتل الملك علي بن محمد الصليحي
قبل ذلك ، فكان في يوم ١٢ ذى القعدة من نفس السنة ، فتشابه على صاحب الأبناء و صاحب
القتل ٦٦ أن قتل حمزة حدث في عهد الملك علي بن محمد الصليحي . و الصواب ما جاء في
العيون ٧ / ٩٥ .

(٤) الملوي في بلاد أرحب ، و مشهده الشريف حمزة في بيت الجلاد على مقربة من الملوي .

وفي هذه الأثناء أرسل المكرم إلى قائده عامر بن سليمان الزواحي يدعوهُ من المغرب ، فوصل في صبيحة الثلاثاء التاسع عشر من ذى الحجة سنة ٤٥٩ في خمس مئة من حمير ، وخرج من صنعاء برفقة القائد أحمد بن المظفر الصليحي وجماعة من العسكر ، وذلك في صباح يوم الخميس الحادى والعشرين من ذى الحجة من نفس السنة . فوافوا الداعى الشريف بالموى في يوم الجمعة ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكاد النصر يفلت من أنصار الملك المكرم ، ولكن الدائرة دارت على الشريف وأصحابه الذين ولوا هاربين تاركين الشريف وابنه ، فقتلا مع زعماء القبائل من أهل عسكرها . ويقول إدريس^(١) : « فأنجحت الموقعة إلا عن ثمان مئة قتيل من أصحاب الشريف » .

وفي هذا النصر ، وفيما كان من أمرٍ يحصب ورعين ، قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي^(٢) :

لك الله ، ذا السيفين ، يكلأ ناصرُ

فجندك بمسد الأُوحد المَلِكُ فاهرُ

تمع الفتن في حراز و بهار بكيل

وكان الأعداء يترقبون نتيجة هذه الفتنة ويرجون لها النجاح . فلما انقشمت هذه السحابة ، عاد المكرم وأتباعه إلى التفكير في تصفية موقفهم مع أعدائهم ، ولم يروا من الحكمة أن يحاربوا النجاشيين في زبيد قبل أن يثبتوا أقدامهم في البلاد المجاورة المغيطة بصنعاء ، وبأخذون الأمان من جميع القبائل التي يخرجون خروجها في غيبتهم عن بلادهم . لذلك أرسل المكرم من قواده : أحمد بن المظفر الصليحي وإسماعيل ابن أبي يعفر الصليحي و عامر بن سليمان الزواحي إلى حراز ، وكان كبار أهلها لا يزالون يدينون بالطاعة إلى سلطان الصليحيين ، على حين كان الدهاء منهم يحامدون حصن مسار حيث كان به سلطان بن شهاب الصليحي . وفي طريقة تم إلى

(١) عيون ١٥/٧

(٢) نفسه ٩٦/٧ وهى قصيدة طويلة .

هذا الحصن وأقام جماعة من قبائل مُجَيِّح وكرار^(١) وقدسوا فروض الطاعة وتقدم القواد إلى حصن مسار فاستولوا عليه ، وأقام عسكرهم ثمانية أيام في حراز ، لم يتركوها إلا بعد أن أخذوا المهود على من حولها من القبائل . ثم نهضوا لمحاربة بكيل ، «وكانت شوكتهم على المنابذة قوية ، ووصولهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلال عتيدة ، وآمالهم في الضلال بعيدة»^(٢) . وقد بلغ جيش المكرم بكيل في أول الحزم سنة ٤٦٠ ، وأمر القواد جندهم بالسكف عن القتال في ذلك اليوم . وأخذوا يرسلون بكيلا ويلاطفونهم ، فأبوا إلا اعتواً واستكباراً . فلما حان وقت الظهر هبطت بكيل للقتال ، ونشبت المعركة ، وحى وطيس القتال ، وكانت الدائرة على بكيل ، فقتل منهم ثلاث مئة وعشرون رجلاً من بينهم كثير من رؤسائهم وأولى النجدة منهم^(٣) . وبعد أن استقرت الأمور في هذه الجهات عاد القواد الثلاثة في شهر صفر إلى صنعاء غامعين ظافرين .

واقعة زى أشرق

وفي هذه الأثناء انتهز بنو نجاح فرصة انشغال جيش المكرم في إخضاع بكيل ، وأغار بلال وأبو الفتوح ابنا نجاح بمسار عديدة من العبيد وأهل تهامة على أسعد بن عبد الله الصليحي في حصن التمكر ، ووقع بين الطرفين قتال شديد دارت الدائرة فيه على العبيد بذى أشرق بن قري الخلاف^(٤) ، فولوا منهزمين ، وغنم أصحاب الصليحي أموالاً كثيرة ، ونجا بلال وأبو الفتوح بعد أن نظرا القتل عياناً^(٥) .

قيام المكرم لحرب العبير

لما ثبتت قدم الدولة الصليحية نوعاً بعد القضاء على الثائرين والمنتقضين واستقرت

(١) ذكر الهمدان مجيح وكرار من أسباع حراز (صفة ١٠٥)

(٢) رسائل القمي ٥٢ .

(٣) عيون ٩٦/٧ — ٩٧ .

(٤) رسائل القمي ٥٣ ؛ وذو أشرق معروفة عامرة تابعة لمديرية ذى سفال على مقربة من

جبله ويشرف عليها من شمالها الغربي حصن التمكر .

(٥) عيون ٩٧/٧ ؛ رسائل القمي ٥٤ .

الأموال في صنعاء وما حولها من الخاليف ، عوّل المكرّم على السير إلى زيد .
واتفق في هذه الأثناء أن بلغه في شهر صفر سنة ستين وأربع مئة من أمه الملكة
أسماء كتاب لطيف^(١) . وقد احتالت بإبصال الخطاب إلى سائل وجملته في رغيّف .
فما كسر السائل الرغيّف وجد الكتاب ، فأوصله إلى المكرّم ، وفيه له تنكيف^(٢) .
وقد وجد المكرّم في هذا الكتاب خير مثير لحفاظ العرب ، فجمع الناس وأوقفهم
على ماتضمنه كتاب أمه السيدة الحرة ، فضجوا بالبكاء^(٣) . ولم يزل المكرّم يخطب
الناس في كل مكان ، ويقول لهم : « من يكن يرغب في الحياة فلا يكن ممنا »^(٤) ،
إلى أن صفا له من الخلعاء عدد غير كبير ، فخطبهم وعرفهم بأنهم سيقدّمون على
الموت ، فمن أراد الرجوع فليرجع . كما اتفق عند مسيره أن وصل عمران بن الفضل
اليامي وحسين بن عمرو السنحاني ومنصور بن محمد اليامي في جماعة كثيرة من العرب .
فانضموا إليهم وخرجوا قاصدين العبيد في زيد يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر
من نفس السنة ، كما انضم إليهم أحمد بن المظفر الصليحي وعاصم بن سليمان الزواحي
والحسين بن عمرو السنحاني ، وأبو الحسين بن مهلهل بن الدعام ومدافع بن الحسن الجنبلي
ومحمد بن علي اليامي . وأمر المكرّم بالآسير في عسكره إلا كل من آانس في نفسه
البأس والصبر على الآلام وآثر الموت على الحياة ورضى بالشهادة . وترك المكرّم في
صنعاء إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي نائباً عنه ، ومعه جماعة من أهل الحجاز وأهل
حراز . وقد أخذ قبل خروجه اليهود والمواثيق على الشريف القاسم بن جعفر
ابن الإمام المنصور القاسم العياني^(٥) وعلى أخيه ذى الشرفين محمد بن جعفر ،

(١) قالت فيه : إنها قد صارت حاملا من العبد الآحول ، وإنه من الواجب أن يتقدها
قبل أن تقع التضيحة والافار ، كما رواه عمارة / كأي ٢٣ . وقد ذكر صاحب الأبناء / دار ٤١
أن العبد لم يتصل بها وأن هذا لم يحدث .

(٢) عيون ٩٧/٧ ؛ وفي كفاية ٥٠ قال : ناصفت إلى رجل مشرق فرمت إليه برغيّف
وفيه كتاب نصيف إلى ابنها المكرّم . (٣) عمارة / كأي ٢٣ . (٤) قرّة ورقة ٢٣ .

(٤) الشريف القاسم هو بطل الهراية (انظر ص ٨٢ - ٨٣) الذي أكرمه الملك على
الصليحي وأبقاه لديه في صنعاء نحو عامين . وسار الشريف بعد ذلك إلى مكة فأقام بها سبع سنين ،
ثم عاد إلى اليمن ، وأقبل على أعمال الزراعة وقتله بعض أهالي نهم في سنة ٤٦٨ (مقتطف ١١٢) .

وأحسن إليهما وأمر للشريف بكسوة فاخرة ودنانير كثيرة ؛ وعاهدها على الطاعة وعدم الفدر في غيبته فشكرهم على ذلك^(١) .

وخرج المكرم من قرية العمَد^(٢) في يوم الأربعاء لست بقين من شهر صفر في عشرة آلاف راجل وفارس^(٣) - «وهو أكرم عربي تمشى به الخيل»^(٤) - وخطبهم ووعظهم ، فقال : «إننا لم نزل لعرض من الدنيا نصيبه ، ولا مال نخزئه ، ولا لشيء نذهب به من متاع الدنيا ، سوى إدراكنا ثأرنا من هؤلاء العبيد ، واستنقاذ حريتنا ، لا لنعصد إضرار بأحد من الناس ، ولا لتغيير شيء مما علكون ، ولا تمد على زروعهم ومواشيهم ونحن في طريقنا . . . وقد رجوت أن تكون سيرتكم جميلة ، ولكم حسن الأحدثوة ، وحيد العاقبة . . . ولا تمتدّ وأعلى أحد في طريقكم ، إلا من وتركم ونال منكم»^(٥) .

وهذه الوصية تكشف عن فروسية المكرم وشهامة أخلاقه ، كما تبين لنا أنه أراد أن يثار لنفسه وقومه ، وينقذ والدته الملكة ، فهي جنده عن الأمور التي تخل بالنظام وتسيء إلى سمعته ، ورجا ألا يكون تمدى جندي سبياً في إثارة سخط الأعلين عليهم^(٦) .

ثم قام المكرم فخطب جنده خطبة بليمة ، قال فيها : «أيها المؤمنون ، لا أريد

(١) عيون ٩٨/٧ ؛ وبالرغم مما بذل الملك على الصليحي والملك المكرم من الجليل تفض القاضل الشريف تهوده (انظر ص ١٢٧) .

(٢) انظر ص ١٠٢ ، هامش رقم ١ .

(٣) قال ابن الديلم في قرّة ورقة ٢٣ وفي بنية ورقة ١١ : « إن عدد جيش المكرم كان ثلاثة آلاف فارس غير المشاة » . وخالفه صاحب الأنباء/دار ٤١ فقال : « إن جيشه كان يتكون من عشرين ألف حربة » . واتفق الاثنان على أن جيش الأحوال كان يتكون من عشرين ألف حربة . وفي عيون ٩٩/٧ قال : « إن عدد جيش المكرم كان عشرة آلاف بين فارس وراجل » ، وقد أثبتنا رواية الأخير .

(٤) عمارة/كافي ٢٤ .

(٥) عيون ٩٧/٧ .

(٦) وكانت سيرة المكرم متمشية مع سيرة السلف الصالح . فالخليفة أبوبكر ، للأوصى الجيش الذي أرسله بقيادة أسامة بن زيد لحرب بني غسان ، قال للجنود : « . . . لا تخونوا ، ولا تفلتوا ، ولا تملثوا . . . ولا تمقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مشرة (المنصرى : محاضرات ١٧٣/١) .

منكم اليوم غير ماسمعتموه مني بالأمس وفيما قبله ، وفيما قلته كغاية ، وقد كنت أعرض عليكم الرجوع وفي المسافة إمكان ؛ فأما اليوم فقد صار الخيار إلى عدوكم لأنكم توغلتهم عليه ، وإنما هو الموت أو العار بفرار لا يجدي «^(١) ، وتمثل بقول النبي :

وَأُورِدُ نَفْسِي وَالْمَهْنَدُ فِي يَدِي

مَوَارِدَ لَا يُبْصِرُونَ مِنْ لَا يُجَادِلُ^(٢)

ثم وطىء المكرم وجنوده تهامة من شرق زبيد ، فقصدا قرية الترية ، ودخل مسجدها يوم الجمعة عند طلوع الفجر . وكان الشيخ الزاهد محمد بن عليّة من أهل القرية قد صلى الصبح ، ووقف يتلو حتى بلغ في الختمة إلى سورة البروج أو الطارق . وإذا هو بفارس ركز رمحه وأسنده إلى الجناح الغربي ، ثم قام إلى جانبه فعلى . قال الشيخ : « ما رأيت شخصاً في ولد آدم أتم منه خلقة ولا أحسن منظراً . وروانحه روائح الملوك » . ولم يابث الصباح أن تجلى ، وكان المكرم واقفاً عنده ، حتى ختم ودعا وأمّن هو ومن معه على الدعاء ؛ وإذا الخليل قد أقبلت عند طلوع الشمس أرسالا ؛ وكل رعييل منهم يسلم ويقف ، وكان تحييمهم له : أنعم الله صباحك ، مولانا ، وأدام عزك ! ولا يزيدهم على الردأ أكثر من قوله : مرحبا يا وجوه العرب ، إلى أن تكاملوا ثم خرجوا من المسجد فركبوا حيولهم ووقعدوا باب الشبارق^(٣) ، وهو الباب الشرق من زبيد

واقعة زبيد

وحين دنا المكرم من زبيد عسى جيشه فكان هو وأحمد بن المغافر الصليحي

(١) عمارة / كافي ٥٤ - ٥٥ .

(٢) كفاية ٥٠ ؛ بنية ورقة ١١ .

(٣) يوجد المصور الذي بناه سيف الاسلام طه-تسكين بن أيوب حول زبيد سنة ٥٨٩ . أربعة أبواب : المشرق ويسمى باب الشبارق ، وينسب إلى القرية التي بهل عليها هذا الباب . والباب الثاني توجه إلى الشام ويسمى باب سهام لأنه ينفذ إلى وادي سهام وهو وجه المدينة وغرنا . والثالث إلى المغرب ويسمى باب النخل وكان يسمى باب غلافقة وهو ينفذ إليها . والرابع ويسمى باب القريب وينفذ إلى وادي زبيد ثم إلى قرية القريب (بنية ورقة ٧ - ١٨ .

وعامر بن سليمان الزواحي وأبو الحسين بن مهلهل والحسين بن عمرو السنحاني في القلب ، ومعهم قبائل تهذ وسنحان وحمير . وكان عمران بن الفضل الياهي ومدافع بن الحسن الجنبى ومحمد بن علي الياهي في قبائل همدان من يام وجنب وسواهم في النيحة . وكان مالك بن شهاب الصليحي في اليسرة ومعه الحرازيون . ثم أقبلوا على العبيد ، وهم صاقون على باب الشبارق ، وكانوا ستة كراديس ، وعدد من ثمانية عشر ألفا ، وهم مثل العارض الأسود^(١) .

تقابل الجيشان في يوم الاثنين التاسع والعشرين من شهر صفر سنة ٤٦٠ . وقد قاتل سميد الأحوال وجيشه قتالا شديداً حتى أنطوى عليهم الجناحان ، فانكسر جيشه كسرة شنيعة ، وهزموا شر هزيمة^(٢) ، فجالت عليهم الخيل جولة واحدة فانطحنوا طحن الرحي وآتى القتل على أكثرهم^(٣) . وكان سميد الأحوال قد أعدّ خيلاً مضمرة على الباب الغربى المسمى بباب النخل ، فسار مع من سلّم من خواصه إلى البحر ، وقد أعدت له سفن هنالك ، فركبها من فورده ، وسار نحو جزيرة دَهْلِك^(٤) . وكان سبب نجاته انشغال المكرم ومن معه في الوصول إلى والدته الملكة السيدة أسماء . « فلم يتتبع العبد أحد ، ولا أقيم له في ذلك صدء^(٥) ، ودخلت العرب زبيد عنوة ولم يزل القتال إلى صلاة الظهر^(٦) .

تخلص الملكة أسماء أم المكرم من الأسر

وكان المكرم أول من وقف تحت الرأسين المصلوبين تحت طاقة الملكة أسماء بنت شهاب . فقال لها المكرم وكانت لا تعرفه : « أدام الله عزك يا مولانا ! »

(١) وفي عيون ٧/٩٩ وصف تنظيم جيش الحبشة ، فقال : « وكردوس ميمنة ، وعن يمينه كردوس أردفوه به ، وكردوس ميسرة ، وعن يساره آخر ، وكردوس قلب ، وكردوس آخر جلوله كيتا في الحائط » .

(٢) رسائل القمى ٥٥ .

(٣) كفاية ٥٠ .

(٤) بالمخرمه : نثر عدن ٨/١ .

(٥) رسائل القمى ٥٧ .

(٦) عمارة/كافى ٢٥ ، قال : ظهر يوم الاثنين ١٩ صفر سنة ٤٦٠ .

فقلت : « مرحباً بأوجه العرب » . ثم سألته من هو . فقال لها : « أنا أحمد بن علي بن محمد » . فقلت : « إن أحمد بن علي في العرب كثير ، فاحسر لي عن وجهك حتى أعرفك » . فرفع المنفر عن وجهه^(١) . فقلت : « مرحباً بولانا المكرم ! من كان مجيئه كمجئتك فما أخطأ ، ولا أبطأ » . ثم دخل رؤساء العرب فسلموا عليها ، وقد كشفت عن وجهها ، وكانت هذه عاداتها في أيام زوجها لسمو قدرها ممن يحتجب عنه النساء^(٢) . وقد نزل المكرم عن ظهر جواده ، وسجد لله شكراً على ما أحرزه من نصر ، وعفّر خده في التراب ، وأحرق الدار التي استعصم بها العيد^(٣)

سيرة المكرم في الحرب والسلام

ولما دخل المكرم زبيد لم يجعل لأحد سبيلاً إلى حريم بني نجاح وأطلق من وقع في أيدي المسكر من أولاد العيد . وقد يكون راعي في ذلك ماسار العيد من سيرة سليمة أثناء اعتقال الملكة أسماء وحرائر آل الصليحي . وقال عمارة^(٤) : « وادى منادى المكرم يومئذ برفع السيف بعد الفتح وقال للجيش : اعلموا أن عرب هذه البادية يستردون الجوارى السود فالجلدة السوداء تم العيد والحرب » .

وهنا نقف لتساءل : لماذا لم ينتقم المكرم لأبيه وعمه وأهله بالفتك بهؤلاء الذين وقعوا أسرى في يده ؟ . عرف عن المكرم كما عرف عن أبيه من قبل حسن السيرة في الرعية ، وقد تمسك بهذه الصفة لأنه وجد فيها الخير كله ، وكان يرى أن إدراك ائثار ليس في الفتك بالأسرى ، بل إنه اكتفى بتخليص أمه وأقاربه ، وآثر أن يعامل الناس بالحسنى حتى يملك القلوب والأنفس ، كما ملك مشاعر الناس بانتصاراته ، فبر بوعده الذي أخذه على نفسه أمام جيشه ، فلم يرم من وراء ذلك إلا إلى تخليص أمه ، ولم يكن غرضه انتهاك الحرمات وإثارة الفتن ، فسكبت

(١) في تلك الحادثة أصابه افواء فارتش واختلجت بشرة وجهه وعلش عدة سنين وهو ينتفض رأسه وتحرك بشرة وجهه (عمارة/ كاي ٢٥ ؛ كفاية ٥٠) .

(٢) عمارة/ كاي ٢٦ ؛ كفاية ٥٠ .

(٣) عيون ٧/ ١٠٠ .

(٤) عمارة/ كاي ٢٦ .

بذلك الفتنة في نفوس الأعداء ، وأطلق الألسن تهاجم بالثناء عليه ، واشتهر أمر
المكرم بما أظهره من ضروب الشجاعة وعلو الهمة . قال عمارة^(١) : « أدركت
أهل زبيد إذا شتم السوق صاحبه وقيل له أتشتم الرجل . فيقول الشاتم : الرجل
والله هو الذي أخذ أمه من زبيد وقتل من الأحباش عشرين ألفاً دونه ، لعمري
هذا هو الرجل » . وهذه الأقوال تبين مقدار مركز أحمد المكرم الصليحي في
نظر اليمنيين ، لأن انتصاره على النجوة الذي ذكره التاريخ أكبر وأعلى من جبروت
المنتصر على عدوه ، وساعد على تثبيت مركز دولته ؛ فأحبه الثوالم والمائد ،
وآثروا الخضوع إليه ، لا خوفاً من قوة بطشه ، بل رغبة في شهامته ، وقال الناس
فيه : « والله الذي سماه ذا السيفين الحكيم » .

وقبل أن يغادر المكرم زبيد نقل الرأسين^(٢) من مكانهما وبني عليهما
مشهداً . وفي ذلك قال عمارة^(٣) : « وأنا أدركت مشهد الرأسين » ، كما أقام أياماً
مهديها قواعد البلاد ، وأقام رسم الدعوة الهادية على العادة الجارية^(٤)

عودة المكرم إلى صنعاء

وفي يوم الجمعة الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة ستين وأربع مئة خرج
المكرم من زبيد يريد متابعة العبيد الهاريين ، لولا أن وصل إليه في هذه
الأيام من إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي عامله بصنعاء كتاب يذكر فيه أن
الشريف قاسم بن جعفر العياني تقض العهد ، وأنه آخذ من تفتيش الجيش فرصة
للانتقاص على صنعاء ، كما جاء في هذا الكتاب أن الوالي إسماعيل هذا قد اشتد
عليه المرض ، وأن الحجازيين وأهل حراز قد وقع بينهم النزاع وساءت العلاقات .
تخاف المكرم أن ينال المخالفون من صنعاء ما سولت لهم أو هامهم . تخف مسرعاً

(١) عمارة / كاي ٢٦ .

(٢) رأس على الصليحي وأخيه عبد الله تقنهما من أمام دار شجار بزبيد إلى مكان

الدفن في صنعاء .

(٣) عمارة / كاي ٢٦ .

(٤) رسائل تسمى ٢٦ .

للمودة وسمه أمه الملكة أسماء والحرار الصليحيات . وفي رجوعها إلى قصرها
بسماء وخلصها من الأسر قال الشاعر عمرو بن يحيى الهيثمي^(١) :

أَوْبَةُ أَسْمَاءَ إِلَى قَصْرِهَا بَعْدَ فِرَاقِ الْمَلِكِ الْأَوْحَدِ
وَبَعْدَ عَوْنِهَا الْخَطُوبِ الَّتِي رَمَتْ بَنِي قَحْطَانَ بِالْمُؤَيِّدِ^(٢)
كَرْجَمَةِ الشَّمْسِ وَقَدْ جَنَّهَا دَجْنٌ وَسِرْبَالٌ دُجْنٌ^(٣) أَسْوَدِ
فِيهَا مِنْ نِعْمَةٍ أَصْلَهَا بَأْسُ ابْنِهَا بَانِي الْعُلَى أَحْمَدِ

ومن هذه الحروب نلاحظ ظهور الروح الوطني واضحاً جلياً عند العرب فأخذوا
يشيرون بحماسة العرب على العبيد . وكان الأحباش يشعمرون بأن العرب لن يتركوا
ثأرهم . يتضح هذا من خطاب جيش بن نجاح لأخيه سميد الأحوال بعد قتل علي الصليحي
ينصح له أن يفك أسر السيدة الملكة أسماء بنت شهاب ويردها إلى ابنها المكرم ،
قتل علي الصليحي ويعفو عن بقية آل الصليحي ، ويكتب للمكرم ما معناه :
«إنا أدركنا ثأرنا، واسترجعنا ملكنا، وقد أحسنا إليك وجلناك بصيانة والدتك
والعمو عن بني عمك » ، وإن فعل ذلك لم ينازعه أحد في ملك تهامة أبداً ، وإن خالفه
أغارت عليه قبائل العرب وطلبت بثأرها . فلم يجبه أخوه إلى ضنبه وتمثل بقول الشاعر :

لَا تَقْطَعَنَّ ذَنْبَ الْأَقْمَى وَرَسَامَا

إِنْ كُنْتَ شَهْمَا فَأَتْبِعْ رَأْسَهَا الذَّنْبِيَا^(٤)

وفاء إسماعيل بن أبي يعفر والى صنعاء

وصل المكرم إلى صنعاء ليلة السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر
سنة ستين وأربع مئة ، فوجد والي الأمير إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي قد اشتدت
علته ، ولم يمهل المرض غير عشرة أيام ، ثم وافاه الأجل . فحزن المكرم لفقده ،

(١) عيون ١٠١٧ .

(٢) تلويد السامية النسيبة .

(٣) الدجى جمع دجبة وهي ضلام الليل .

(٤) العرشى : بلوغ المرء ٢٥ - ٢٦

لأنه كان ركنا من أركان دولته ، وكانت قبائل يحصب وعنبر ورعين تدين
بولائه وتخاف بأسه^(١) ، ثم عين مكانه ابنه عبد الله ، وأطلق يده في كل ما كان
يضطلع به أبوه .

فسمع الفتن الراخلية

ثم أخذ المكرم بعد ذلك بعالج الأمور التي تعقدت في أثناء غيابه وبصاح
ما أفسده الظالمون . وكان أول هذه الأمور الفتنة التي قام بها الشريف القاسم
ابن جعفر العياني^(٢) ، لأنه نقض عهده ، واستمال ذيبان^(٣) وبنى جبير^(٤) وبنى الدعام^(٥)
وحرصهم على خلاف المنك المكرم ، ووعدهم بظهور عمه الحسين بن القاسم ، وكانت
همدان قد قتلته قبل ذلك الوقت بستين عاما^(٦) ، وأخفهمم بأنه سيظهر ويملا الأرض
عدلا ، فقال إليه فريق من الناس .

لذلك اتجه المكرم إلى ذيبان بجيشه وحاربها بحجة أنهم قد استولوا على
طعام له وفعلا أفعالا لا يمكن السكوت عليها ؛ وما زال بها حتى أصلح ما فسد منها .
وقدم له كبرائها الولاء فعاتبهم على سوء تصرفهم ، وقربهم وأحسن إليهم .
ولما كان يوم الجمعة الرابع والعشرون من شهر جمادى الأولى سنة ٤٦٠ عاهدوه على
السمع والطاعة ، وأن يخرجوا في كل مكان يخرج فيه المكرم لإتهامه ، فإنهم
بالخيار ، إن شاءوا خرجوا ، وإن شاءوا تركوا وقعدوا ، وأنهم لا يأوون الشريف
القاسم ولا يوالونه^(٧) .

(١) كان له حصن كحلان (عيون ١٠٢/٨) .

(٢) أنظر ص ٨٢ — ٨٣ ، ١٢٠ (زهناش ٤) .

(٣) هو بنو ذيبان بن عليان بن أرحب ، وبنو ذيبان وجبل ذيبان ووادي ذيبان من بند
همدان ثم من أرحب ، رضى بلد كثيرة الأعتاب كما ذكر الضماني (صفة ١١) . وما تزال هذه
القبيلة من أرحب تسمى بهذا الاسم .

(٤) بنو جبير ، مكندا ورد أسمهم في عيون ١٠٤/٧ ، والمعروف الآن بنو جبر بضم الجيم

وفتح الباء من حاشد .

(٥) الدعام مم من بي عليان بن أرحب من شمان (صفة ١١١ ، ٢٠١) .

(٦) عيون ١٠٤/٧ . (٧) نسه ١٠٥/٧ .

قام الملك المكرم لصلاح المغرب ، فاتتهى إلى اللومى^(١) حيث وافاه كتاب
والدته الحرة أسماء بنت شهاب نخبره بورود كتابين من أسعد بن عبد الله الصليحي
ومن علي بن سويد وعبد الله بن معمر ، قد جاء فيهما أن حسين بن مغيرة التميمي
وأبا العباس السخطى وأبا إسماعيل السكلاي زلوا إلى الحمراء^(٢) بجميع أهل
يحبب ورعين ، وأن سعيد الأحول طلع من تهامة بجمع عظيم عازما صنعاء ، وأن
أخوى الأحول في جمع آخر مقابلون لمسكر أسعد بن عبد الله الصليحي بذي أشرق ،
وأنهم يستمعون نهوض الملك المكرم . فلم يتمكن المكرم الرجوع من المغرب
وقد قارب جبل مسنور . فلذلك نهض من اللومى ، فنزل بقرية مدع^(٣) ، وقيمه
محمد بن إبراهيم الصليحي ، وحاشد بن كديس الصليحي عامل مسور ، ومشأخ أهل
لاعة ، ولحقه عامر بن سليمان الزواحي . ولما صار المكرم بالجبل وهو مقابل لجبل
حملان^(٤) المطل على كافة بلاد المغرب ، « فوجد أهل المغرب معتمدين فيه ،
لازمين لصياصيه »^(٥) . فوقف المكرم بالجبل إلى الليل ، ولما كان الصباح أمرجنده
بطلوع جبل حملان من غربى الوادى تحت قيادة عامر الزواحي ، ومن أعلى الوادى
تحت قيادة محمد بن إبراهيم وحاشد بن كديس ، وطلع المكرم بفرقة من جهة
وسط الوادى . فأقبل أهل الجبل من كل حذب ينسلون ويكروون ، وكان معظمهم
في الناحية التي كان فيها المكرم . فنزل المكرم عن جواده ، وصعد الجبل هو
في مقدمتهم لا تثنيه التبال والأحجار مما اضطر أهل الجبل إلى الفرار . فلما ملك
المكرم جبل حملان « جاءوا إليه من جميع المغرب مدعنين ، . . . فعفا وأحسن
عنيهم »^(٦) .

(١) واللومى يقع في جبل عيال يزيد من مديرية عمران .

(٢) الحمراء موضع معروف في جبل الشعر (هامش عيون ١٠٥/٧) .

(٣) عيون ١٠٦/٧ : قرية من قرى حمير .

(٤) في رسائل القمى ٦٠ ، قال : « وكان حملان معتلا للمغرب قديما ، وحصنا

يلجئون إليه عظيما » . وحملان على مقربة من حجة . وفي عيون ١٠٧/٧ تتلا عن سيرة المكرم ، قال :

« وما يؤثر عن هذا الجبل أنه لم يطلع أحد إليه قط ولا طمع فيه ، وأن الأجل الأوحده

(يعنى الملك علي بن محمد الصليحي) لما جاز مسور أطاعه أهله بغير قتال » .

(٦) عيون ١٠٧/٧

(٥) رسائل القمى ٦٠

واتصل الخبر بالمكرم أن سعيداً الأحول قد صار بالمخلاف ، وأن التبعي والسُّخْطى والسكالي ويعفر بن الكرندي ومحصب ورعين قد صاروا أبا واحداً في جموع عظيمة بالشوافي ، يهددون سيادة الدولة العليجية . فنهض المكرم إلى صنعاء ، ثم صار منها يريد المخلاف وأنهى إلى وادي بينون^(١) ، وأخضع بني صعب من عنس وبني الحارث ومدحج في طريقه حتى وصل إلى جبل الشعر الذي تحصن فيه التبعي والسُّخْطى في معظم محصب ورعين وعنس ، وهم أهل النجدة والبأس ، فقام المكرم بجميع عساكره بهجوم عنيف في الوقت المعين على رأس الجبل معلنين بالتكبير والتهليل ، فأجفل أهل الجبل مولين تاركين كثيراً من الغنم والمتاع ، وفرّ التبعي والسُّخْطى ، واعتصموا بحصن القراع^(٢) . فأمر المكرم بحصار الحصن وقتالهما . ولما جن الليل خرج السُّخْطى يريد النجاة ، فواقفه قوم من كحلان ، فسيق إلى المكرم ، فأكرمه وأحسن إليه . ولما علم التبعي بخذلان حليفه ، طمع في كرم الملك المكرم وعفوه ، وسلم نفسه ، فأعطاه الأمان .

وكان من أثر هذه السياسة المرنة أن أقبل الناس على المكرم يطلبون الأمان ، فأجابهم إلى ما أرادوا ، إلا أن ابن منيرة التبعي فرّ ولحق بسعيد الأحول . « وفي اليوم التاسع والعشرين من رجب سنة ٤٦١ توجه المكرم إلى صنعاء ، فدخلها في اليوم السابع من شعبان ، وهو يكثر من حمد الله والثناء على الإمام المستنصر الذي بركته ماتم له من فتوح »^(٣) .

الأثر بالتأثر من سعيد الأحول والمحبس

عم الهدوء أنحاء دولة المكرم بعد أن قضى على الفتن والثورات التي أقضت مضجعه منذ تولى الحكم في شهر ذي الحجة سنة ٤٥٩ إلى أن عاد إلى صنعاء في شعبان سنة ٤٦١ ، لأن الأعداء وجدوا فيه قائداً لا تلين قناته كما وجدوا في أنصاره قوة عزيمة وإيمان واستبسال في الحروب ، تدل على ثقتهم بملكهم ، ففكر في أن يثأر من سعيد الأحول وبني جلدته ليسترخ من شرورهم .

(١) بينون ، واد في بلاد المشرق عظيم الفيول ، كثير الزراع والأعاب (عيون/٧/١٠٨)

(٢) القراع ، حصن مطل على مدينة الطويلة ، شمال غرب صنعاء .

(٣) عيون/٧/١٠٩ .

فتح نهامة

كان المكرم يرى أن عدوه التقليدي لا يزال قائما ، وأن والده شهيد أم الذهب^(١) ، وأن ثاره بل ثار العرب جميعا ، لا يمكن أن تنام عنه أعين العرب . فالدلم في عرفهم لا يعوض عنه إلا الدم ، ولا جزاء لمهرقه غير القتل ، والتبعة الأولى تقع على عاتق الأقرين ، فلم يكد المكرم يستقر شهرا واحدا في قاعدة ملكه حتى قام يستنهض العرب من جديد للأخذ بالثار من العبيد . « فأمر برسالة قرئت على أعوانه في الوعظ والتذكير وفضل الجهاد وما فيه من الثواب العظيم ، واستبشر الناس بذلك وأجابوه بما أراد »^(٢) . وقام الشعراء بحرضون العرب على وجوب الأخذ بثار ملكهم العظيم علي بن محمد الصليحي ، ومن هؤلاء الشعراء الحسين ابن علي القمسي^(٣) الذي نظم قصيدة طويلة جاء فيها^(٤) :

أفحطان هُرِّيَ البيضَ واعتقل الشمرًا

ورُدِّي العوالي من دماءِ العدا حُمرا

ولا تُهدري ثارَ الظفرِ إته^(٥)

بني لكمُ مجندا وشاد لكم فخرًا

سَرَى نحو بيتِ الله ، لله قاصدا

يرومُ من الله المشوبة والأجرا

(١) أم الذهب ، موضع بمغربة من المهجم .

(٢) عيون ٧/١١٠ .

(٣) هو أبو عبد الله الحسين بن علي بن محمد القم . كان أبوه صاحب ديوان الخراج بتهامة ، وقد ظهر شأنه في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . ولد ابنه الحسين بزيد وتأدب بها ، وكان يعد من فضلاء اليمن ورؤساء شعرائها (الجندي : السلوك ١/ورقة ٨٨) . وقال عمارة عنه : « إنه كان شاعرا مترسلا يكتب عن المسئلة الحرة بنت أحمد » (الكتب انصرية ٢/٥٦٧) . وكان على صلة وثيقة بالسلطان سبأ بن أحمد الصليحي وأقام معه بمحسن أشيخ (عمارة/كافي ١٢٧) ، ومدحه وأسرته بفر قصائده . وتوجد في المتحف البريطاني أوراق مترجمة من ديوانه وشعره ، وقد أورد الداعى إدريس بعض قصائده في السبع السابع من العيون . وكان رئيس ديوان الإنشاء عند الصليحيين ، ويوجد في مكتبتنا المحمدية الهدانية نسخة خطية من مجموع المكاتب التي ألّفها على لسان السلاطين الصليحيين ، وأشرنا إليها في هذا البحث باسم « رسائل القمي » .

(٤) عيون ٧/١١٠ - ١١١ .

(٥) المراد من الظفر الملك علي بن محمد الصليحي .

ولما صحت عزائم العرب على القتال ، بعد أن استنهضهم الملك والشعراء والخطباء ، قام الملك أحمد المكرم من صنعاء في يوم الخميس غرة شهر رمضان سنة ٤٦٦ قاصداً سعيداً الأحوال في زيد ، فوصل إلى العمدة في يوم الأحد الخامس من ذلك الشهر ، وعرض عسكره في خارج القرية ، ثم وعظهم وحثهم على عدم النهب والسلب ، وتأمين الناس على أموالهم وأرواحهم ، وأنهم لا يريدون إلا قصد عدوهم ، فأطاعوه .

وفي صبيحة اليوم السابع من ذلك الشهر قصد المكرم زيد حيث جاءته الأخبار بأن سعيداً الأحوال قد تحرك في أول رمضان إلى المخلاف أو إلى عدن . فأرسل المكرم قائده عامر بن سليمان الزواحي في جُل من معه من جنب وسنحان وحمير إلى جهة نقيض صيد وأنجه المكرم بمن معه من همدان وأهل حراز نحو جبل الشعير حيث كان سعيد الأحوال وجيشه قد تملقوا بالجبل^(١) فلك الرعب قلوب الحبشة ، وأيقنوا بالهلاك ، فحمل المكرم عليهم حملة من يختار الموت على الحياة الفانية^(٢) ، وهزم العبيد هزيمة منكرة ، وأدرك رجل من شاكر^(٣) سعيداً الأحوال فقتله عند قرية مابة^(٤) ، وآتى برأسه إلى المكرم . وقتل بلال بن نجاح وأخوه مالك بجمعة نقيض صيد على يد عامر بن سليمان الزواحي . وعاد المكرم بعد ذلك إلى زيد ، وفي يوم السبت غرة شوال صلى بالناس العيد ، وخطبهم خطبة أفاض فيها بالدعاء لأبيه ، على ما قبضه له من الأخذ بتأره^(٥)

(١) وكان عدد جيشه ١٢ ألفاً وجيش المكرم سبع مئة رجل ، وذلك لأن معظم جيشه كان مع الزواحي بجمعة نقيض صيد (عيون ١١٢/٧) . (٢) قسه ١١٢ . (٣) شاكر بن بكيل قبيلة همدانية مشهورة تسكن شمال اليمن ولها فروع (سفة ١٦٩، ١٩٤) (٤) مابة ، قرية في رأس جبل بني الحارث ، ومتصلة بجبل الشعر مباشرة ، وكذلك بمخلاف جعفر وهي القفل الفاصل ما بين اليمن الأعلى والأسفل ، ويطل عليها حصن سلبة التي يقول فيه أعشى همدان :

.. يمدان أوريغان أو حصن سلبة دواء لمن يشكو السهائم بارد
وبالقصص من إرباب لو بت ليلة لجاءك مثلوج من الماء جامد

ومما قاله : « اللهم وتغمد بغفرانك ورحمتك ورضوانك عبد أمير المؤمنين وداعيه الأجل الأوحى ، واجزه أفضل ما جزيت داعياً عمن دءاه ، اللهم وأوزعنا شكر ما أنعمت به علينا من توحده لنا بإدراك ثاره من الظالمين والإدالة به من أعدائه الفاسقين ، حتى صاروا بأسيفنا حصيدا خامدين ، كما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين » (١) .

ترك المكرم زبيد بعد أن ولي عليها السلطان أباحمير سبأ بن أحمد الظفر الصليحي وأراد متابعة جيش بن نجاح ؛ فوصل إلى الهجر في صبيحة يوم الجمعة ٢٨ شوال سنة ٤٦١ ؛ وعلم فيها بأن جيشا هرب إلى بلاد الهند. ثم اتجه المكرم إلى الساعد بعد ما خلف على الهجر عليا ومحمدا ابني مالك بن شهاب الصليحي وجماعة من أهل الحجاز وأهل المغرب .

ثم وصلت في هذه الأثناء السجلات المستنصرية تتضمن تشریفات وزيادة في الألقاب ققرأها على الناس في يوم السبت السابع من ذى القعدة . وجاءته الشعراء مهئين بالنصر ، منهم الشاعر أحمد بن علي التهامي الذي قال قصيدة جاء فيها (٢) :

(١) عيون ١١٣/٧ ؛ وقد جاء عمارة/كأى ٣٠ برأى آخر في قتل سعيد الأحول ، وذكر أن قتله كان في سنة ٤٨١ في عهد الملكة الحررة أروى بنت أحمد . واتبعه في هذا الخرجي (كفاية ٥٣) ويحيى بن الحنين (أبناء/دار ٤٢) وابن الديبع (قرة ورقة ٢٤) . وهذا الرأي بعيد عن الصواب لأن قتله كان كما ذكرنا في سنة ٤٦١ . وقد ظل حسين بن مغيرة التميمي صاحب حصن الشعر طوال مدة حكم المكرم عدوا للدولة الصليحية ، بالرغم من أن المكرم قد أعطاه الأمان وأكرم مثواه ، إلا أنه فر ولحق بسعيد الأحول بزبيد كما سبق أن ذكرنا ذلك . وقد ذكر المؤرخون الأربعة أن حسين بن مغيرة قد انضم إلى الملكة الحررة ودخل في طاعتها وهو الذي رسم لها الحيلة التي قتل بها سعيد الأحول . إننا نستبعد أن يكون هذا المعاند المكابر في عهد المكرم ، وهو عهد قوة الدولة وسطوتها ، أن يصير حليفا اليوم للملكة الحررة ، فيساعد على قتل سعيد الأحول الذي كان يتخذها ملجأ له ، بل يده أكبر مساعد له ضد هذه الدولة الحصينة . ثم إن هؤلاء المؤرخين ، قد أجمعوا على أن الملكة الحررة قد كاتبت في هذه الأثناء ، أسعد بن شهاب وعمران بن الفضل اليايى ، وأمرتهما بالتوجه من صنعاء إلى تهامة . وهذا الأمر يخالف الواقع لأن أسعد بن شهاب كان قد توفي في شعبان سنة ٤٥٦ (عيون ٧٦/٧) . لذلك كله نرى أن هذا الرأي ، لا أساس له من الصحة ، وأن قتل سعيد الأحول كان في عهد الملك المكرم كما ذكر صاحب العيون .

(٢) عيون ١١٤/٧ - ١١٥ .

نَقَضَتْ غُبَارَ الْعَارِ عَنْ نُوْبٍ يَعْرُبُ
وَقَدْ سَجِيتَ أَعْطَافَهُ كُلَّ مَنْحَبٍ
بِشِعْوَاءِ فِي صَنْعَاءِ قَرَعِ طَبُولِهَا
وَرَبَّمَا نَهَا بِالْمَرْقِ دُونَ الْحَصْبِ (١)
أَدْرَتْ عَلَى دَرْبِ الْحُصَيْنِ مَعَ الضَّحَى (٢)
رَحَى ذَاتِ قَطْبٍ حَاشِدِيٍّ وَلَوْلَبٍ (٣)
فَأَضْحَوْا عَلَى الْأَبْوَابِ مَرَعَى كَأَنَّهُمْ
قِبَائِلُ عَادٍ فِي الصَّبَاحِ الْمَصِيبِ (٤)
وَجِئْتَ وَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ وَسِرُّهَا
كَزَيْبِ يَوْمِ الطَّفِّ حَوْلِ الْمُحْضَبِ (٥)
حَمَاهَا الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا كَمَا حَمَى
بَنَاتِ عَلَى مَنْ مَسُوخٍ وَأُكَلْبٍ
فَإِنَّ ذَكَرْتَ بِالْفَخْرِ يَوْمَ نَسَاهَا
قَرِيشٍ كَعَمْرٍو أَوْ كَعَمِيٍّ وَمَصْبٍ (٦)

أَوْ الْخَرَقِ عَتَابِ أَوْ الرَّءِ خَالِدٍ أَوْ الشَّهْمِ مِرْوَانَ الْخَطِيبِ الْمَهْدَبِ
وَإِخْوَتَنَا الْأَزْدِ الْيَمَانُونَ إِنْ أَتَوْا بِنَفْسِ بْنِ الْأَيَّامِ آلِ الْمُهَلَّبِ
أَتَيْنَا بِنَفْسِ السَّيْفِينَ أَحَدٌ إِنَّهُ يَفُوقُ عَلَى الْحَمِيْنِ أَدَّ وَيَعْرَبِ

(١) حاشية العيون : الحصب ، موضع بالمجاز .

(٢) الحصيب ، هو نفس مدينة زيد .

(٣) حاشية العيون : اللولب المستدير . قال الأزهرى : لا أدرى عربى أم سرب .

(٤) المصيب ، شديد الحر .

(٥) يريد به الإمام الحسين المحضب بالدماء .

(٦) عيسى ، هو عيسى بن موسى العباسى ، ومصعب ، هو مصعب بن الزبير بن العوام .

لقد طاهم نغرا ومجدا ونجدةً كما طال كَيون على كل كوكب
 أليس نظام المؤمنين أميرنا أباك وإن الفخر للمتسبب
 وأمك بنت القليل من آل جعفر فناهيك من أمّ وناهيك من أب
 ومكنك الباري على لوح عرشه طراز العلى في مفخر النسيج مذهب
 فدمُ لبني قحطان يارأس عزم ومهمهم في الحادث التعصب

نقل مبتى أبيه وعمه إلى صنعاء

ترك المكرم بعد ذلك قرية الساعد في نفس اليوم ، فبلغ المهجم وأمر بحمل
 جثتي والده وعمه في تابوتين إلى زيد ؛ ثم سار بهما إلى صنعاء ؛ فقبورها بما نى الجبانة ،
 وأمر ببناء مشهد جامع لها^(١) ، وكتب بعض الشعراء على قبر الصليحيّ أشعارا
 منها^(٢) :

في القبر ليثٌ وبحرٌ زاخرٌ وجدى جودٌ وطودٌ وضرغامٌ وصمصامٌ
 فاجبٌ بأن ضمَّ هذا كله جدت بداله في قلوب الناس إِعظامٌ
 فطُف به واقضِ حقَّ المجد إن له
 حقًا على كلِّ حرٍّ جدُّه سامٌ
 هذا الذي أمس رُجَّتْ خُوف سطوته
 نجده وبفدادٍ والأحساء والشامُ
 حتى إذا قيل هذا ماله مثلٌ
 من الأنام تولّت قتلَهُ حامٌ

ولما عاد المكرم إلى صنعاء بعد دفن الجثتين جلس في مسجد كان قد بناه أبوه ،

(١) يقول صاحب الميوز ١١٦/٧ : « مشهد الصليحي اليوم قد غنى المتغلبون الظالمون
 آثاره ؛ وهدموا مناره ... فإن عنايتهم في ذلك صكيرة ، وفي هدم القبور أفعال نكيرة ،
 وذلك شيء يتعاماه الكفار والمسلمون ، ويأفون عنه ، وهؤلاء يقدمون . »

(٢) نفسه ١١٦/٧ .

وأخذ الشعراء ينشدونه قصائدهم ، ومن بينهم عمرو بن يحيى بن الحسين الهيثمي
حيث قال قصيدة جاء فيها^(١) :

وكيف لا نبكى ملوكا عنت لهم ملوكُ الشرق والمغربِ
دارت رَحَى بأَسهمُ من قُرى البَحْرِ إِلا، نَجْدِ إِلى يثربِ
بِما حوى البحرُ وشادوا العُلَى وأدركوا ثارات آل النبي
لم تطلع الشمسُ على مثلهم من غيرهم جودا ولم تَغْرُبِ
ولم يَمُتْ بِجُدْمِ إِمَّا
غُيِّبَ الأَجْسَادُ فى التَّيْرِبِ^(٢)
وسعى ذى السيفين يُحْيِيهِمْ مَلاحَ فى الليل سَنا كوكبِ

وفاة الملكة الوالدة أسماء

استقر المكرّم بعد ذلك فى صنعاء ، وأخذ يصرف أمور دولته إلى أن توفيت
أمه أسماء بنت شهاب بصنعاء سنة سبع وستين وأربع مئة على ما ذكره الداعى
إدريس^(٣) ، إلا أن كتب التاريخ الأخرى ذكرت أن وفاتها كانت فى سنة ٤٧٩^(٤) ،
وهذا الزعم بعيد عن الصواب إذ لم نعد نسمع بذكرها فى الجزء الأخير من حياة
المكرم بعد أن صارت أمور الدولة والدعوة فى يد زوجته السيدة الحرّة أروى
بنت أحمد^(٥) .

(١) عيون ١١٧/٧ .

(٢) فى أصل : فى الثرب . ولعل ما أثبتناه هو الصحيح ، والتيرب والتورب من أسماء
التراب ، وبه يستقيم وزن البيت .

(٣) عيون ١٢١/٧ ؛ انظر الفصل عن فضائل السيدة أسماء ص ٦٧ .

(٤) أنباء ٤٢/١١ ؛ قررة ورقة ٢٤ ؛ بفيه ورقة ١٢ ؛ وذكر الخزرجى فى كفاية ٥٣
أن وفاتها كانت سنة ٤٧٤ .

(٥) عيون ١٢٢/٧ .

انتقال المكرم من صنعاء إلى ذي جيلة

وقدرات الملكة الحرة بثاقب فكرها أن تجعل ذي جيلة^(١) دار قراره فأشارت على زوجها الملك المكرم بذلك ، فقالت له : « يا مولانا ! أرسل إلى أعمال صنعاء ، ليجتمعوا أو يحشدوا » . فأمر الملك المكرم بجمعهم وحشدهم فلما حضروا الميدان أشرف عليهم من قصره ، فلم تقع عينه إلا على حامل سيف أو رمح . ثم انتقل الملك المكرم إلى ذي جيلة ومعه امرأته السيدة ، فسأته أن يحشد أهلها ورعاياها . ففعل ، وأشرف عليهم ، فلم تقع عينه إلا على حامل هدية أو ساقها . فقالت له : « العيش بين هؤلاء أفضل ، لأن ذلك أقر للملكة وثبوت قواعدها وأسهل جانباً في مصادر الأمور ومواردها ، وهي متوسطة بين اليمن الأعلى والأسفل ، وبها ينحصب العيش ويطلب المحل »^(٢) .

اغظف في مصن التعكر ونفويصه أمر الرولة لزوجه

ولما افتتح المكرم بوجهة نظرها جعل ذي جيلة له مقراً وبرز صنعاء بعد أن

(١) اختط السلطان عبد الله بن محمد الصليحي في سنة سبع وخمسين وأربع مئة مدينة ذي جيلة بمخلاف جعفر بأمر أخيه الملك علي بن محمد الصليحي (انظر ص ٨٨) . وجيلة ، على ما قبل ، اسم لرجل يهودي كان يسكن فيها ويعمل الفخار في الموضع الذي بنى فيه السلطان عبد الله دار العز الأولى . وهي تسمى مدينة النهرين لأنها مدينة بين نهريْن كبيرين جاريتين في الصيف والشتاء . ويقال في التل المشهور إن جيلة لا يدخلها أحد إلا طاهر وصباحها صباح عروس . ولما انتقل المكرم إلى ذي جيلة اختط بها دار العز الثانية في ذي بور وكان حائطاً فيه بستان وأشجاراً كثيرة ؟ وهو مقل على النهريْن وعلى الدار الأولى . وقال عبد الله بن يعلى الصليحي في وصف ذي جيلة :

هب انفسم فبت كالحجيران شوقاً إلى الأهلين والحجيران
مامصر ؟ ما يهدد ؟ ما طيرة كمدينة قد حفها نهيران
خدد لها شام وحب مشرق والتسكر السامى الرننج بيان

« وأمرت الملكة السيدة ببناء الدار الأولى مسجداً جامعاً وهو المسجد الجامع الثاني . وبها قد الملكة السيدة رحمها الله إلى الآن » كما حكاه عمارة / كافي ٣٠ . وأضاف عمارة قائلاً : « وكان بناء دار العز الثانية الكبيرة سنة إحدى وثمانين وأربع مئة » .

(٢) عيون ٧/١٢٢ .

وَلَّى عليها عمران بن الفضل اليامي وأبا السمود بن أسعد بن شهاب^(١) واستقرّا
بدار العزّ التي بناها بذى جبلة جميعاً^(٢). وأقام بها مدة، ثم اشتد به مرض الفالج
الذي أصابه بعد تخليص أمه أسماء من الأسر بزيب^(٣)، وأشار الأطباء عليه أن
يحتجب عن الناس لذلك السبب^(٤)، فترك ذى جبلة وطلع حصن التمكر بعد أن
فوض لزوجته شؤون إدارة الدولة.

ممراته بن الفضل اليامي وعزله من ولاية صنعاء

وكان الملك المكرم قد ولى على صنعاء القاضي عمران بن الفضل اليامي
المهمداني^(٥) أحد أقطاب الدولة الصليحية أيام سكون المكرم بذى جبلة، ثم عزله
عنها، وكان ذلك من الأسباب التي كانت بها المباحة بينه وبين القاضي عمران^(٦).
وفي ذلك يقول القاضي عمران يخاطب المكرم والأمير سبا بن أحد الصليحي:

ولا تجرحا بالمزّل أكبداً معشيراً إذا غضبوا عملّ القنا وتكسّراً
فلو أنّ مولانا ممّداً أنا كما بعزّل توّلى الكلّ منا وأدبرا
فلا تفرقا من لَفّة والدا كما وعودا إلى عقليكما وتدبرا
فإنّ أنّما أنكرتّما ما نظمتّه

فصِدقِ غدا من طلعة الشمس أزهرها

(١) في كفاية ٥٣ وأنباء / دار ٤٢ ورقة ورقه ٢٤ أنه ولي أسعدين شهاب. وهذا يخالف الحقيقة لأن أسعد خال المكرم قد توفي سنة ٤٥٦ (عيون ٧/٧٧) والذي ولاه المكرم على صنعاء أبا السمود ابن أسعد بن شهاب.

(٢) كفاية ٥٢.

(٣) عمارة / كافي ٢٥، ٢٦.

(٤) عيون ٧/١٢٢.

(٥) هو عمران بن الفضل بن علي بن أبي زيد بن العمرين صبغ بن الفضل بن عبد الله ابن سعيد بن الفوت بن ألفرن بن مذكر بن يام بن أصي بن دافع بن مالك بن جشم الأوسط بن جشم الأكبر بن حيران بن نوف بن همدان؟ ويتلقى نسبه من الصليحيين من جشم الأوسط. وقد اختارت همدان حفيده السلطان حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي بأمر صنعاء في سنة ٥٢٣، وملكها بعده السلطان علي بن حاتم. وضربت باسهما السكة وأقيمت لهما الخطبة.

(٦) عيون ٧/٢٣١.

وفي أثناء مرض المكرم وصل إلى باب التمكر المسمى بباب كُتَيْبِ القاضى
عمران وجماعة كبيرة من الناس يريدون مقابلة الملك^(١)، فتمعه القاعون على خدمة
المكرم من دخول الحصن، لما به من مرض، وصرقوا أمره إلى المنسكة الحرّة
بذى جيلة، ولكن هذا التصرف أغضب القاضى عمران^(٢)، وقال في ذلك قصيدة
جاء فيها :

أَبَابُ كُتَيْبٍ إِنِّي لَكَ هَاجِرٌ عَلَى أَنِّي دَاعٍ لِمَوْلَاكَ شَاكِرٌ

وهي قصيدة طويلة كما حكاه صاحب العيون، ذكر فيها أفعاله وسوابقه مع
الملك على بن محمد الصليحي، وظنّ أنّ سبب ردّه يرجع إلى سوء تصرف ابن هبالة
ونجم بن بشارة وكانا يتوليان خدمة المكرم، وذكرهما في قصيدته هذه :

فَلَمَّا بَدِينَ بِأَبِيهِ ابْنَ هَبَالَةَ وَمَاذُونَهُ نَجْمٌ فَعَمْرَانُ كَاغِرٌ !

والواقع أنّ الملك أحد المكرم لم يطلع بالتمكر إلاّ بمشورة الأطباء عليه
بالاعتكاف. ولكن ما لبثت أن عادت المياه إلى مجاريها مرة أخرى بعد وفاة الملك
المكرم، لأن القاضى عمران حارب النجاشيين في عهد الملكة الحرّة، وقُتل
في موقعة الكظّام سنة تسع وسبعين وأربع مئة كما سيأتى ذكره في الباب التالى.

(١) عيون ٧/١٣٥ .

(٢) وكان الملك المكرم إذا دخل عمران بن الفضل إليه ينزل عن السرير ويقوم لإقباله
ويأخذ يديه فيصمده إلى السرير معه . وقد دخل القاضى إليه ذات يوم مع سميه عمران بن
الشاعر العُماني وقد هجا الشاعر العُماني الملك على بن محمد الصليحي لما أتى - ميّدا الأحرار برأس
الملك زييد منصوبا على الراية . فكان الشاعر المطلوب بعد أن طفر الملك المكرم بسعيد بن نجاح .
فقال القاضى عمران : لا أصعد السرير حتى تقضى لى حاجتى . فقال له المكرم : هى مغنية ولو
كانت فى أمان العُماني . فقال عمران : ذلك أريد ، وهذا الفلام ولده . فقام الفلام وأنشد قصيدة
أبيه مطنعها :

مَازَا تَرَدُّ عَلَى الرِّكَابِ عَدْنَانُ إِنْ لَمْ تَجِدْ بِجَمِيلِ الصَّفْحِ قَطْعَانُ

فقال المكرم بعد تمام الإنشاد : إن صدقتى طنى فإنك تجد أبالك قد هلك . إنى لأجد هذا
الشعر من آخر نفسه . ويروى أن الشاعر قد مات قبل وصول ابنه إليه (المرجع نفسه
١١٩/٧ - ١٢١) .

أحمد المكرم ذو السيفين

وقد بلغت الدولة الصليحية في عهد الملك المكرم أحمد بن علي الصليحي أقصى انساعها، ولم تسكب أرضاً ولا نفوذاً أكثر مما كسبته في عهده، فقام الملك المكرم بأمر الملك والدعوة في جزيرة اليمن وفي الجهات المضافة إليها^(١). ولعل الظروف التي حاقّت بالدولة في عهده بعد مقتل أبيه العظيم الملك الأوحّد على الصليحي وذلك بما أحرزته في وقت قصير من انتصارات (Blitzkrieg) هي التي جعلت المؤرخين يصفونه بأنه « كان ملكاً شجاعاً شهماً جواداً هماماً وفارساً مقداماً »^(٢). وأبدي إمامه الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مسرته على انتصارات المكرم بقوله^(٣): « ... عرض بمحضرة أمير المؤمنين ملطف يبشّر بذكر سلامتك، ويسخر الأقدار لإرادتك، ومواجهتك وجوه الظفر في أبواب وجهتك ومقاساتك للخطوب بعد الخطوب، واصطلاك بنار الحروب، مما لو جرى في مثله في السنين لكانت قضيتها عجيبة، وحالتها غريبة، فكيف في هذه الأشهر القريبة؟ وإنك ما لقيت ذا بنى عليك وعتوّ، إلا وقصصك الله قيص ظفره به وعلوّ، قد جعل الله وله الحمد النصر للوائك عذباً، كما جعل الأعداء لنار سيوفك حطّاباً، فامتلاً إهاب أمير المؤمنين مسرة بك وفيك، وحمداً لله سبحانه كثيراً على نجاح مساعيك وإصابة مراميك، وكونك خير خلف لأبيك » الخ. فترى أن لقبى « ذى السيفين »^(٤) و « داعى السيف »^(٥) الذين منحهما الخليفة الإمام المستنصر أحمد المكرم قبل أن يكون سيد اليمن قد انطبقت عليه تماماً.

خطبة المكرم

وكان المكرم فوق ذلك، كما قال عمارة: « فصيحاً خطيباً مشهوراً بالثبات والإقدام، ولم يكن في زمانه من يتماطى حمل رمح وسيفه وقوسه وشدة قوته وعظيم خلقته ».

(٢) باعزيمة: نثر عددن ٢ / ٥٧

(٤) السجلات رقم ٣.

(١) عيون ٧ / ١٢٣.

(٣) السجلات رقم ٤٠.

(٥) عيون ٧ / ١٥٢؛ زهة ٨٣/١.

وقد لسننا فصاحة المكرم وقدرته الفائقة على الخطابة عندما أخذ يخطب أتباعه ويحثهم على وجوب تخليص أمه من الأسر في زيد ، فلاحظنا إيماننا صادقاً وعزيمة ماضية وشجاعة نادرة في دفع العرب نحو الهدف المنشود .

توحيد العملة

ولما رأى المكرم أن العملة تعتبر من مظاهر سيادة الدولة ، وأن توحيدها يعمل على رواج التجارة ، أمر بصك الدينار الملسكي الذي ينسب إليه ، وكتب عليه : « السيد المكرم عظيم العرب سلطان أمير المؤمنين » . وقال عمارة^(١) : « . . . وإلى اليوم الدينار على هذه السكة إلى أن ولى الداهي الملك عمران بن محمد الزريعي ، فسك ديناراً آخر كتب عليه : « أوحده ملوك الزمن ملك العرب واليمن عمران بن محمد » . ومما لاشك فيه أن المكرم سك الدينار لأنه وجد أن عدم توحيد العملة في البلاد يدعو إلى اضطراب النقد . وكانت الدنانير المستعملة قبل ذلك إما سميدية^(٢) أو عثرية^(٣) وغيرها^(٤) . وكان هذا يدعو إلى المضاربة بين قيمة العملة المستعملة المتعددة ، وإلى التعقد في التعامل ولا سيما في التجارة .

ثم إن المكرم يحتمل أنه قد طلب إلى الناس وجوب التعامل بهذه العملة الجديدة ، إما لرغبة في إزالة مظاهر سيادة الدول التي سبقته في حكم هذه البلاد ، وأنه حمل الناس على استقبال عهد جديد له سياسته ونظمه وأهدافه ، وإما أنه كان يقصد من ذلك أن يحمل الناس على بيع ما عندهم من عملة قديمة بأثمان رخيصة .

(١) عمارة / كافي ٢٣ .

(٢) نسبة إلى سعيد الأحوال بن نجاح .

(٣) نسبة إلى بلدة عثر وهي تقع شمال زيد .

(٤) أنباه / دار ٤٠ .

ومعنى ذلك أن الحكومة تعمل على أن تسحب عملة لها قيمتها فى نفوس الناس بشرائها منهم بأقل من قيمتها الحقيقية ، وهذا ما يعود على مالية الدولة بالربح .
وبلاحظ أن الملك الكرم أحمد بن على الصليحي برغم شجاعته وشهامته وفصاحته ومواهبه ، وبرغم مجهوده الجبار فى توحيد بلاد اليمن لم يستطع أن يستمر فى الحكم على الدولة التى أنشأها والده العظيم الملك على بن محمد الصليحي ، والتى استرجعها الكرم بعد أن أفلتت من يديه ، وذلك بسبب اشتداد مرض الفالج الذى لازمه منذ أن خلّص أمه السيدة الملكة الحرة أسماء بنت شهاب من أسرها بزويد . فاعتكف بحصن التمكر ، وترك — إلى حين وفاته فى شهر جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وأربع مئة^(١) — شئون الدولة والدعوة فى أيدى زوجته الملكة السيدة الحرة أروى بنت أحمد الصليحية .

(١) وقد اختلف المؤرخون فى سنة وفاته ، فزعم بعضهم أنها كانت سنة أربع وثمانين وأربع مئة (كفاية ٥٣ ؛ فرة ورقة ٢٤ ؛ عمارة / كاي ٣١ ؛ باخرمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٢٨ ؛ الكسبي : الطائف ورقة ٢٠) ، وقال إديس إنها كانت سنة سبع وسبعين وأربع مئة . وقد أثبت روايته السجل المنتصرى الموجه إلى الملكة الحرة المؤرخ فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٨) مما يدل على أن الملك الكرم قد توفى فى نهاية سنة سبع وسبعين وأربع مئة وأن الهدفة المنتصر أرسل عزاءه الشخصى مع الأمير أبى الحسن جوهر المنتصرى ، كما جاء فى السجل المؤرخ فى شهر ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربع مئة (السجلات رقم ٤٦) أن المنتصر أمر بإرسال كافة المراسلات إلى على بن الكرم بعد وفاة الكرم .

الباب السادس

عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية

(٤٧٧ - ٥٣٢)

السيرة الحرة الملكة

كان أهل اليمن يحاطبونها بلقب « سيدتنا الحرة الملكة » حبا فيها وإجلالا لها ، وهي أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي^(١) . ولدت سنة أربعين وأربع مئة ؛ وبروى أن أباهما أحمد بن محمد بمته الملك على الصليحي بعد استيلائه على حصن مسار مع الوفد اليميني إلى الخليفة المستنصر بالله بالقاهرة لكي يستأذن الخليفة الفاطمي في إظهار الدعوة في أنحاء اليمن ، وأنه مات في عدن بسقوط البيت الذي كان يسكنه ، وأن أروى كانت في هذا الوقت في طفولتها^(٢) .

(١) وقد اسميت باسم « سيدة » ، والواقع أن اسمها « أروى » ؛ وقد ذكر عمارة / كاي ١٦ اسمها وهو « الحرة الملكة السيدة أروى ابنة أحمد الصليحي » . ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب انفيون ٢٠٣/٧ -- ٢٠٥ حيث قال : « وكان (عبد الحميد) قبل ذلك يكتب الحرة الملكة ... » من ولي عهد المسلمين ، ابن عم أمير المؤمنين ، ثم كتب : « من أمير المؤمنين » ، فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولي عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ... الخ . واقطع أن نقطة سيدة لقب للملكة وليس اسمها ، لكنه أطلق عليها بكثرة استعمالها .

كذلك وقع الاختلاف في اسم جدتها لأجل . وروى عمارة / كاي ٢٨ أنها ابنة أحمد ابن جعفر بن موسى الصليحي ، واتبه المؤرخون الآخرون في هذا ببعض الاختلاف كما جاء في روايه الخدي والأزرعي أنها ابنة أحمد بن محمد بن جعفر (نفسه س ٢٨) أو لم يذكروا أسماء أجدادها . قد جاءت أسماؤهم في وصيتها (اطر المعلق رقم ٩) . وضبط صاحب الميون ٢١٨/٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ نسبها إلى أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي . فلذلك اعتمدنا في أسماء أجدادها على شهادة وصية الملكة نفسها وعلى رواية الميون .

(٢) تعليق كاي رقم ٢٩ .

وأما الرداح بنت الفارح بن موسى الصليحي . وقد تزوجت الرداح بعد موت زوجها من عامر بن سليمان بن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بسليمان بن عامر ، أخو الحرة لأما^(١) .

وقد قامت بتربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة الحرة أسماء بنت شهاب زوجة الملك على الصليحي ، فنشأتها تنشئة طيبة فاضلة ، وذلك لاهتمام على الصليحي بها ، فكان كثيرا ما يقول لأسماء : « أكرمها ، فهي والله كافة ذرارينا ، وحافضة هذا الأمر على من بقي منا » . ويحكى عمارة^(٢) أنها روت رؤيا لأسماء ، قالت فيها : « إنها رأت في المنام أن بيدها مكنسة ، وأنها تنكس قصر مولانا على الصليحي » . فقالت لها أسماء : « كآني بك والله وقد كنت آل الصليحي ، وملكت أمرهم » .

فضائل الملكة السيرة أروى

وكانت الملكة أروى على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة إلى جانب ما تمتع به من جمال الخلقة ؛ فكانت بيضاء اللون مشربة بحمرة ، مديدة القامة ، معتدلة البدن ، تميل إلى السمنة ، كاملة المحاسن جهورية الصوت ، قارئة ، كاتبة ، تحفظ الأخبار والأشعار والتواريخ وأيام العرب^(٣) ، ولها تعليقات وهوامش على الكتب تدل على غزارة مادتها . وكان يقال لها بلقيس الصغرى ، لرجاحة عقلها وحسن تديرها^(٤) . وكانت الحرة الملكة ، كما قال صاحب العيون : « متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الأئمة والرسول عليهم السلام . . . وكان الدعاء يتعلمون منها من وراء الستر ، وبأخرون عنها ويرجعون إليها »^(٥) .

وامتازت ملكتنا بالصلاح والتقوى والخبرة الواسعة ، والمعرفة الفائقة بأحوال الناس ، مما ساعدها على إدارة شئون بلادها في ظروف سيئة أحاطت بالبلاد . قال إدريس^(٦) : « وكانت امرأة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال عقل

(٢) نفسه ٢٨ .

(١) عمارة / كأي ٢٨ .

(٤) كغاية ٥١ .

(٣) عمارة / كأي ٥٩ ؛ كغاية ٥١ .

(٦) نفسه ١٢٢/٧ .

(٥) عيون ٢٠٨/٧ .

وعبادة وعلم ، تفوق الرجال فضلا عن ربّات الحجال ، وتستحق مدح الشاعر حيث قال :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نخر للهلال «
وقال أيضا^(١) : « وقد استحققت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال .
وكان الإمام المستنصر أصدر إليها أجل أبواب دعوته ، فأفادها من علوم الدعوة ،
ورفمت عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج » .

وفي ذلك قال أحد أقطاب الدعوة في عهد السلطان الخطّاب بن الحسن
الحججوري الهمداني^(٢) ردا على اعتراض المترضين أن الإناث لا يستحقن رتبة
الحجّية^(٣) : « تقول إن القمص البشرية الجسانية لا قول بها ولا عمل عليها . . .
إنا نحمد من هو ظاهر بقميص الإناث هو في أعلى الرتب وأشرفها كالزهراء
البتول . . . وخديجة ابنة خويلد . . . ومريم ابنة عمران . ونجد أيضاً بالعكس
من هو ظاهر بقمص الإناث وهو أسفل سافلين من رتب الاستحالة . . . إن
الذكر والأنثى من القمص البشرية لا يعرب عن حقيقته ولا يهتدى إلى طريقته ،
بل العرب والهادى الظاهر بها ، وهذا منها أعنى القمص البشرية الجسانية التي
يكشف لنا حقيقة باطنة حتى يقع على الحكم بأنه ذكر أو أنثى ، وهو ما يظهر من
الأفعال في الطاعات والقبول . . . ومن أفعال الخير . . . فإن ظهر عنه خير لا شرّ
فيه ، وطاعة لا معصية معها ، وولاية لا مكابرة بعدها ، وقبول لا يمازجه ردّ ،
ينجع فيه آثاره وتشمع منه وقع العلم بأنه قد رسخ عنده ما ألقى إليه وقبله وأمر
منه . . . ومن هذه الطريق يتبين المؤمن الوليّ من الجاحد الغويّ . . . فإذا كان
الظاهر بقمص الإناث قد أحرز جميع الخلال المحمودة فقد خرج من دائرة الاستفادة

(١) عيون ٧/١٣١

(٢) الحصن ما يأتي من رسائنه المسماة بفاية النواليد ١٣ — ٢٦ .

(٣) المصدر الصناعي من لفظ الحجّة . والحجّة في مصطلح الدعوة هي درجة من درجات
الحدود تلي درجة داعي الدعاة أو باب الأبواب ، وعادة يكون الحجّة ممثلا للإمام في بحر من بحار
الدعوة أو جزيرة من جزرها الإثنى عشرة ، ولا يراد من هذه الكلمة المعنى الفهم «حجة الله» .

وصار بمنزلة الذكور . . . وإذا كان الظاهر بقمص الذكور غير محرز لجميها ، فهو أبدا مستفيد بمنزلة الإناث . . . والأنثى والذكور لا من يكون قبل الأجسام التي هي القمص عندهم ، بل من قبل الإفادة والاستفادة فقط . »

ومما مدحت به الملكة الحرة الصليحية قول الخطاب بن الحسن الحجوري^(١) وهو لا يمدح أحدا إلا الحرة الملكة ، وذلك من خالص ولائه وعظيم إجلاله لها :

هم النفوس على النفوس مدارها وبها تبين كبارها وصغارها
 وإذا نفرس في الورى مُنفرس ببصرة لاحت له أخبارها
 إن النفوس فروع أجسام وما تُبديه من همم النفوس عمارها
 وحياة أفضلها التقى إذ بالتقى تحوى بها مما ابتغت آثارها
 كوحيدة الزمن التي أضحت التقى وشعارها من محضه ودثارها
 رضى الأئمة سَميها فتوطدت في الأرض دولتها وفر فرارها
 وتواصلت بركاتها ممدودة منها حبال ما استترم مغارها
 موصولةً بجبالها تبقى على مر الزمان وصرفه أسرارها
 وإذا الملوك أطاعت الرحمن لم

تُخذل وطالت في الورى أعمارها
 وجرت لها بيمين وسعادة موصولة بدوامها أطيأها
 أماعلاك فإنها مشهورة لاحت أدلتها وطال نثارها
 شهدت عداك بها فإنهم طالبوا
 إدراكها قصارها إقصارها

(١) عيون ٧/٢٢١ — ٢٢٢ . ولا توجد هذه الأبيات في نسخة د الخطاب الموجودة

في م . م . هـ . ولم يمدح الخطاب أحدا من معاصريه إلا الملكة الحرة وأستاذة المقيد . انظر ص ١٩٣

— ٢٠٤ من هذا الباب عن حياة الشاعر وبميزات شعره .

(م — ١٠ — الصليحيون)

أنتم بنو الأصْلوحِ جوهرِ يعرِبُ وسواكم أصدافُها وبخارُها
ولأنْتِ يا ابنةَ أحمدِ تَنميكِ من تلك اللآلئِ الفائتاتِ كبارُها
أَقَدَرْتِ من يَمِّ الضلالةِ أهلها كانوا بها طامِرٍ بهم تيارُها
كما مدحها الشاعرُ الحسين بن علي بن محمد التميمي^(١) في قصيدة أولها :

أعلمت أن من الرماح قُدودا ومن الصِّفاحِ مَحاجِرًا ومُهودا
ومنها :

أعلى الأنامِ أبا وأكرمَ طيبةً وأنتم أعراقًا وأصلبَ عودا
لو كان يُسبَدُ للجلالةِ في الورى بشرٍ لكانت ذلك المعبودا
أو كان في أتواها بلقيس ما هابت سليمانا ولا داودا
وإذا الوفودُ تأخَّرتُ، وفَدَتُ عطا ياها ، فكانت للوفودِ وفودا
هي نعمة الله التي ما ماؤها تُمددا ولا معروفها مجحودا
هي رحمة الله التي ما زال من فوق الرية ظلمها ممدودا

هذه الصفات الفاضلة ، التي لم تتجمع قط إلا في قليل من نساء العالم ، قد تجمعت في السيدة الملكة الحرّة في بلد كان - ولا يزال - الرجل ينظر فيه إلى المرأة نظرة أمة مملوكة لأنبيها إن كانت في عصمته . ولزوجها إن كانت في عصمته^(٢) .

(١) دأبى عبد الله حسين بن علي التميمي ورقة ٥ - ٦ .

(٢) يقول محمد حسن في كتابه قلب العين : « إن المرأة في اليمن لا قيمة لها في المجتمع إلا من حيث خدمة الزوج ، وإنتاج النسل والتبويض ، وغير ذلك من مظاهر تدبير النسل . فكانت نظرة الرجل إلى المرأة هذه النظرة القاسية أتر عميق في نفسها ، عاشت عليها دهرا طويلا حتى غدت ترى نفسها وضيفة مهملة مملوكة . وما يدل على قيمتها في نظر الرجال ، ذلك النسل السائر في هذه البلاد وهو : المرأة ناقة وإن هدرت ، وهذا النسل وحده يكفي مئونة الدموال عن قيمة المرأة الحقيقية في هذه البلاد . »

وهذا الظلم الذي فرضه المجتمع على المرأة اليمنية كبت شعورها وسلبيها تسكيرها الحر . ولو قدر لها أن تمش حرّة ، لما تخلّفت عن ركب الحضارة ، بل كان لها قصب السبق على كثير من نساء العالم . وقد أنبتت الملكة الحرّة والسيدة أسماء بنت شهاب صفة هذا الرأي ، ودلتنا على أن العقل النضجاني ثمين ، ويمكن أن يكون أحسن من كثير من العقول إذا تهافتت له الظروف .

افتراها بالزبير أحمد المكرم

وكان من الطيبى بعد ما عدنا كل هذا عن السيدة ، وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام السلطان على الصليحي ، وزوجته السيدة أسماء بنت شهاب وعنايتهما بها ، أن تختار زوجة لابنهما الأمير أحمد المكرم . وكانت السيدة قد اقترنت بالمكرم بعد أن تولى منصب ولاية المهدي سنة ثمان وخمسين وأربع مئة ، وكان لها من العمر ثمانى عشرة سنة^(١) . وفى هذا الزواج قال الشاعر الحسين بن علي القمي قصيدة مدح فيها المكرم ، جاء فيها^(٢) .

وكريمة الحسين^(٣) يكنف قصرها

أسد تخاف الأسد من سؤلاتها

وتكاد من فرط الحياء تنفض عن

ظفرت يداك بها ، فيخ إنا لك تذخر العلياء مَضنوناتها

وكان الصليحي أصدقها عدن حين زوجها من ابنه المكرم ، ولم يزل ارتفاع عدن من حين زواجها يرفع إليها وهو مئة ألف يزيد وينقص^(٤)

فأنجبت علياً ومحمداً وفاطمة وأم همدان . فأما على ومحمد فسنكلم عنهما فيما بعد ، وأما أم همدان فقد تزوجت من ابن خالها أحمد بن سليمان بن عامر بن سليمان ابن عبد الله الزواحي ، فرزقت منه بعبد المستعلي ، وتوفيت سنة ٥١٦ . وأما فاطمة فتزوجت من شمس المال على بن السلطان سبأ بن أحمد الصليحي ، وتوفيت فى سنة ٥٣٤^(٥)

(١) نظراً لأن الملكة عاشت اثنتين وتسعين سنة ، وأنها توفيت سنة ٥٣٢ . فتكون قد ولدت سنة ٤٤٥ ، كما ذكره صاحب الميون ٢٢١/٧ قلا عن صاحب المقيد . ويكون سنها عندما بنى بها المكرم سنة ٤٥٨ هو ثمان عشرة سنة .

(٢) الأصبهاني : خريدة الفص ٢/٢٥٤ .

(٣) رواية الخريدة : وكريمة الحسين ، والظاهر فيها تحريف .

(٤) عمارة كالى ٤٩ . (٥) عمارة / كالى ٢٩؛ انظر ص ١٦٤ هامش رقم ١ .

شاطر السياسي

بدأت الملكة أروى نشاطها السياسي في عهد زوجها الملك المكرم. وفي ذلك قل عمارة : « لما توفيت أسماء بنت شهاب والدة لفكرم ، فوَّض الأمر لزوجته الملكة السيدة الحرّة . فاستبدت بالأمر واستغفته في نفسها ، وقالت : إن البرأة التي تراد للفراش ، لا تصلح لتدبير أمر ، فدعني وما أنا بصدده »^(١) .

وكانت تستشير في هذه الأثناء القاضي عمران بن الفضل البجلي ، وأبا السمود ابن أسعد بن شهاب . ولما توفى زوجها سنة ٤٧٧ ، لاقت الملكة الحرّة وحدها عبء هذه المسئولية الجسيمة ، وأصبحت بتفويض من الخليفة الفاطمي المستنصر تتصرف في أمور الدولة والدعوة^(٢) في اليمن والهند وعمان ، فلاقت بسبب هذه المسئولية مصاعب كثيرة ، كادت تززع أركان الدولة الصليحية ؛ ولولا ما جبت عليه الملكة من حسن التدبير وحسن اختيارها للرجال ، لعصفت بها تيارات الفتن والحلافات الداخلية .

تولية علي بن أحمد المكرم

قل عمارة ، وإتبعه الآخرون^(٣) : إن المكرم قبل أن يتوفى « أسند الوصية في الدعوة إلى الأمير الأجل الأوحّد المنصور الظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمزة سبأ بن أحمد الظفر بن علي الصايحي » . وانفرد بدرس^(٤) نقلا عن السجلات^(٥) برأى آخر وهو الأصح « بأن المكرم عندما توفى كتبت الحرّة الملكة الأمر إلى أن جاءها سجل أمير المؤمنين المستنصر بالله بإقامة ولدها المكرم الأصغر عبد المستنصر علي بن المكرم أحمد » . كما أمر المستنصر بأن ترسل كل المراسلات إلى علي بن المكرم ، وكأنه بإقيام بمراقب الدعوة وأمور الدولة بقوله^(٦) : « . . . وقد رأى أمير المؤمنين أن يصطنعك وبلحقك برتبة آيبك وبنصبتك منصفه وير في بك درجته . . . وأمره (أي الأمير) أنا الحسن جوهر

(١) حمارة / كوى ٢٩ . (٢) عيون ١٢٣/٧ ؛ السجلات رقم ٥٠ .

(٣) حمارة / كوى ٣١ ؛ كناية ٥٢ . (٤) عيون ١٢٦/٧ - ١٣٠ .

(٥) السجلات رقم ١٤ . (٦) السجلات رقم ١٤ .

الستنصرى) أن يعاينك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر الهين وسائر الأعمال المضافة إليه برًا وبحرًا وسهلا ووعرا ونازحا ودانيا وقريبا ونائيا . . . حتى خصصك من ملابس الإمامة بشريف الجباء»^(١)

وقد ذكر هذا الكلام في السجل السنصرى الصادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٧٨هـ^(٢)، ولم يكتب السنصرى بذلك، بل دل على مبلغ اهتمامه بهذا الأمر بأن سبّر الأمير أبا الحسن جوهر السنصرى بهذا السجل، وكلفه بأن يقوم بتمزية الملك على بن المكريم في والده وأن «بشد أزره ويظهره بالشرىف على رءوس الأشهاد ليلتف حوله المؤمنون ويجمع أنف المخالفين وتجتمع كلمة الأمة تحت لوائه وتنممع نار الفتنة» .

ولم يقف حسن سعى السنصرى في هذا الأمر عند هذا الحد، بل أمدّ الملك على ابن الكرم بالتأييد وأوصاه بأن يهتدى بهدى أمير المؤمنين «حتى تتألف لك الضمائر وتوافقك القلوب والسراير وتستوثق الأمور لك في البادى والحاضر»^(٣)، كما أرسل السنصرى إلى الأمير محمد بن الكرم يأمره بطاعة أخيه الملك على «ومؤازرته وموالاته من بوالى أمير المؤمنين ومعاداة أعدائه». وأرسل كذلك إلى كافة السلاطين والمقدمين والمؤمنين بل وإلى الملكة الحرة نفسها يأمرها بضرورة طاعة الملك على عبد السنصرى والامتثال لأوامره، وأن تعول عليه في سرها وجهرها، وتبتمين بأهل الدعوة في الهين على من عاداهم وعاداهما^(٤) .

وفي سنة ثمانين وأربع مئة أرسل السنصرى سجلا آخر إلى الملك على لقبه فيه بلقب «سليل الدعوة ونجلها»^(٥). وقد قصد الإمام بذلك أن يشمر الجماعة في بلاد الهين بمكانة على من الدعوة ويبين لهم مدى تأييد الإمام له، وأنه قد اختاره في رئاسة الدعوة والدولة في الهين، لما كان لأبائه من فضل في رعاية الدعوة الفاطمية.

(١) انظر الباب السابع (ص ٢١٨ — ٢٢٠) فصل عن تبادل الهدايا. ولنا ترجيح أن الكسوة التى أرسلها الخليفة الفاطمى إلى على بن أحمد المكرم كانت من الثوب الدينى، وهذا النوع كان ينمبه على الأمراء وخدمهم (راجع القرزبى : خطط ١/٤٤٠) .
(٢) السجلات رقم ١٤ ؛ عيون ٧/١٢٩ . (٣) عيون ٧/١٢٩ .
(٤) نفسه ٧/١٣٠ . (٥) السجلات رقم ٣٧ .

ويدل على ذلك ما جاء على لسان المستنصر نفسه حيث قال : « وأعلمك أن دعاء أمير المؤمنين وأولياءه نجوم في سماءه ، إذا خوى نجم أطلع نجما ، وسيوف إذا أغمد حسام انتضى حساما »^(١) .

ثم إن المستنصر لكيلا يدع فرصة لمنافسة هذا الصغير الذي لم يتجاوز العاشرة من عمره بين في هذا الكتاب أن الخليفة قلَّده هذا المنصب بالرغم من صغر سنه ، وأنه لا ضير في ذلك فإن المستنصر نفسه قد تولى الخلافة وهو دون الثامنة من عمره ، ثم قال المستنصر : « وقد جاز هذا في الإمامة وهي الدرجة التي تلي النبوة ، فكيف في الدعوة التي لأمر المؤمنين أن يتصرف فيها على اختياره »^(٢) .

وهكذا دلَّت سياسة المستنصر على بمد نظره ، فقد رفض تولية السلطان أبي حمير سبا بن أحمد الصليحي بالرغم من وصية الكرم له ، وتولى على بن المكرم لأنه يعلم أن الملكة أروى من القوة والكفاية بحيث يمكن الاعتماد عليها في تنفيذ السياسة التي ترضى الفاطميين^(٣) ، ولا ريب فهي « سيدة ملوك اليمن . . . وولية أمير المؤمنين » . ولعله أدرك شيئا آخر هو أن المحافظة على مبدأ الوراثية في الابن الأكبر خير ضمان لهدم إثارة المنازعات ، وخصوصا أن هذا البدأ كان معمولا به في عهد الدولة الفاطمية إلى أيام المستنصر . ففضل تولي الطفل على بن المكرم بدلا من السلطان سبا ، بالرغم من أن الأخير كانت تؤهله لهذا المنصب سنه وشخصيته الممتازة وغيرته على الدولة والممل على رفع شأنها ، كما تؤهله أيضا موافقه الحميدة في عهد الملك المكرم ، ووصية الكرم له تمتع أحسن شهادة بذلك .

نشاط أبي حمير سبا

واقدم كانت مؤازرة الإمام للملكة الحرة وابنها على بن المكرم والعمل على جمع كلمة أهل الدعوة حولهم وتحرير جميع المسلمين على وجوب طاعتها ، سبا في أن تخلي السلطان سبا عن المطالبة بحقه . وعلمت الملكة الحرة بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لعواقب الأمور ، من أن تقضى على هذه الفكرة ، فجلت الأمير

(١) السجلات رقم ٣٧ .

(٢) نفسه رقم ٣٧ .

(٣) عمارة / كافي ٣٥ .

سبا نائبا عن ولدها وحاميا لدمار دولته من المعتدين . فأبلى في ذلك بلاء حسنا .
فدخل سبا في حروب متوالية مع جيّاش^(١) بن نجاح ، وذلك لأن
حصون^(٢) بنى المظفر كانت مطلة على تهامة وهي أقرب إلى تهامة من جميع الجبال .
فكان إذا برد النسيم ترح العرب بقيادة سبا إليها ، وارتحل جيّاش عن البلاد ،
ويقيم سبا يجبي خراجها ويبسط العدل فيها ، وكان يحاسب للمال ما قبض منهم
جيّاش في أشهر الصيف والحريف . فإذا انفصل الشتاء وانعزم الربيع ارتحل بمن
معه من العرب من تهامة إلى الجبال ، وملك جيّاش تهامة إما بالقتال وإما لشدة
الحرّ وانتشار الوباء في العرب . ويقول عمارة^(٣) : « وإذا عاد جيّاش إلى زيد
نشرت المصاحف ، وابتهلت له الرعايا بالدعاء ، وظهرت الفقهاء ، وتناولت العلماء ،
واحتسب جيّاش للمال ما قبضه منهم سبا ونوابه في مدة الشتاء والربيع . »

(١) وكان جيّاش شاعرا فصيحاً ، وله ديوان شعر ضخم وعدة مجلدات نثر . وهو
مؤلف كتاب « المفيد في أخبار زيد » . ومن قوله :
إذا كان علم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أنى وأروج

ولما انتقم الملك السكرم لقتل أبيه بأن قتل سعيداً الأحول بن نجاح سنة ٤٦١ هـ هرب
جيّاش إلى بلاد الهند . وما لبث أن عاد إلى اليمن متنسكراً حينما علم بمصر السكرم واضطراب
أحوال دولته . وكان قد اشترى في الهند جارية هندية تزوج منها وأحضرها معه إلى اليمن .
وقد أنجب منها ابنه المسمى الفاتك الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٤٩٨ هـ . فظل هو
وزوجته الهندية ووزيره خلف بن أمي الطاهر الأموي مخفيين بزيد حتى عرف جيّاش أن الوالي
أسعد بن عراف (والي زيد من قبل السكرم) حدث بينه وبين وزيره علي بن القم نزاع
اضطر الوزير أن يقول يوماً : « لو وجدت كلباً من آل نجاح للمسكتة زيد » (أنباء / دار ٤٣) ،
كما قال في مناسبة أخرى : « عجل الله لنا بكم آل نجاح » (قرة ٤٠) . فغضب جيّاش
من هذه الأخبار . وأخذ يعد العدة ، فالتص بالحبشة المتفرقين بالبلاد وأمرهم بالاستعداد
كما اتصل بوزير الوالي وهو علي بن القم ، وتماهدا على كتابان الأمر حتى يتخلصوا من أسعد
ابن عراف حاكم زيد . ولما استوثق جيّاش لنفسه أمر بضرب الطبول والأبواق ، ونارت معه
عامّة أهل المدينة وطردوا الوالي . ولم يمض شهر واحد حتى أصبح يركب في عشرين ألف حربة
من عبيده وبنو عمه (أنباء / دار ٤٣) . ويروى أن وزير الوالي علي بن القم لما تعرف على
جيّاش أمر أن تحل دار الأمير الأعز محمد بن علي بن محمد الصليحي ، ففرشت وحملت إليها زوجة
جيّاش الهندية ، فولدت له ابنه الفاتك في الليلة التي ملك فيها زيد .

(٢) ومنها مقرو وصاب وقوارير والظرف والشرف (عمارة / كافي ٣٣) .

(٣) حقه ٣٣ .

وقعة الكظام وهزيمة العرب

ولما طال ذلك على جيشاش وأتمبه حرب العرب وخشى منهم الغلب ، دبّر له وزيره خلف بن أبي الطاهر^(١) حيلة ، فأرسل من يشير على الأمير سبأ الصليحي بوصوله إلى زبيد^(٢) ؛ وقد كاتبه أعيان من فيها يبذل الطاعة وأخفوا الغدر ، فاطمأن الصليحي إلى قولهم ؛ وذهب إلى زبيد ، ومعه ثلاثة آلاف فارس وعشرة آلاف راجل . وكان جيشاش قد أعدّ الجموع ، واستنصر بالشريف يحيى بن حمزة بن وهاس^(٣) ، وكثير من زعماء جيوش جيشاش قد كاتبوا الصليحي غدرا وكيدا . فلما انتهى سبأ وفرقته إلى باب زبيد وكان الشريف وغيره ممن مع جيشاش كئيبا ، فظهروا على الناس بفته ووقعت بينهم موقعة الكظام^(٤) في يوم الجمعة الخامس من ذي الحجة سنة تسع وسبعين وأربع مئة حيث انهزم سبأ ومن معه . وقتل الأميران قيس بن أحمد بن مظفر (أخو الأمير سبأ) ومحمد بن مهنا الصليحيين ، وحمل الشريف

(١) « النسوب إلى زياد بن أبيه دعي أبي سفيان بن حرب الأموي » كما قال صاحب العيون ١٣٣/٧ . صحب هذا جيشاشا إلى بلاد الهند ، وعاهده على أن يقاسمه الأدر ولقبه « قسم الملك » وبه رجع إلى الملك (بالحرملة : ثمر عدن ٧٠/٢) ، وسبأت العلاقة بينه وبين جيشاش بعد ذلك فأقصاه عنه (الأصبهاني : خريدة ورقة ٢٧٦) .

(٢) هذا ما رواه إدريس (عيون ١٣٣/٧) . وقال عمارة / كاي ٢٣ : « أشار الوزير خلف بن أبي الطاهر على جيشاش بأن يتقله ويقبض على أمواله وأملاكه ويقبض محمد بن الفخاري وزيره له . ففعل ذلك . ثم إن خلف قب الحبس وهرب إلى سبأ . فحسن موضعه منه . فلم يزل يحسن لسبأ النزول إلى تهامة وضمن له من الخيل والمكابد ما يقنع به دائرة جيشاش لسبأ ما لا يقوم به مقام النصف وأن يشترط على سبأ إبعاد الوزير خلف من عنده . فلما فعل جيشاش ما أشار به الوزير استحكمت أطماع العرب في بلاد تهامة » .

(٣) نزهة ٦١/١ . هو من أشرف تهامة عبر تعرف بالتحالف اللبناني ، وهم يمتسبون إلى موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وهم أقارب لأشراف مكة ، وذريتهم لا تزال معروفة في تهامة عبر . ومن فرام صبا وأبو عريش وحرش وضمد والملا والقبه وغيرها . هذا ما أفاده لنا شيخنا القاضي محمد الحجري

(٤) كذا في نزهة ٦٢/١ ؛ عيون ١٣٣/٧ ؛ وفي رواية الأنباء/ دار ٤٣ : « القظام » . وترجع رواية العيون والنزهة ، ولعل هذه الوقعة حصلت بالقرب من الكظام التي قد تكون في نواحي زبيد . والكظام جمع كطيمة ؛ والكطيمة هي شبه بئر من سطح الأرض إلى بحري الماء الذي تحت الأرض ، تستعمل هذه لتنظيف مجاري الماء تحت الأرض ، وهذه الكظام منتشرة في أرجاء اليمن ، كما أفادنا شيخنا القاضي .

يُحْيِي بِنِ حِمْرَةَ عَلَى الْقَاضِي عِمْرَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْيَاقِينِي ، فَطَعَنَهُ طَعْنَةً مَاتَ بِسَبَبِهَا بَعْدَ أَيَّامٍ^(١) ، وَعُقِّرَ فَرَسَ الْأَمِيرِ سَبِيحًا ، فَاضْطُرَّ أَنْ يَسِيرَ رَاجِلًا فِي غَمَارِ النَّاسِ حَتَّى حَمَلَهُ بَعْضُ جِنْدِهِ عَلَى جِوَادِهِ^(٢) .

وَفِي قَتْلِ الْقَاضِي عِمْرَانَ بْنِ الْفَضْلِ الْيَاقِينِي قَالَ الشَّرِيفُ يَحْيَى بْنُ حِمْرَةَ مَفْتَخِرًا مِنْ شِعْرِ أَوْلَاهُ^(٣) :

أَبْلَغُ نِزَارًا حَيْثُ حَلَّ نِزَارُ

ومنها :

وَنَجَا الْحِجَازِيُّ الرَّئِيسُ بَطْنِيَّةً
تَجَلَّأَ لَهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ خُورًا^(٤)

ثُمَّ اعْتَذَرَ إِلَى السُّلْطَانَ سَبَّاحِينَ أَحْمَدَ فِيمَا كَانَ مِنْ نَصْرِهِ لِلْحَبَشَةِ فِي قَصِيدَةٍ أَوْلَاهَا^(٥) :

يَا رَاكِبًا جَسْرَةَ كَالْقَارِبِ الْقَطِيمِ
هُوَ لِقَارِبِيهِ السُّكْدَرِيُّ مِنْ أُمَّمٍ^(٦)

(١) يقول إندريس (نزهة ٦٣/١) : إن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي خرج ومعه أخوه الحسين يطلبان بنار أبيهما ، فنزلا تهامة وتعرفا على الإمام فقتلاه انتقاما لقتل أبيهما . وقد أيد هذا الخبر صاحب الأنباء/دار ٤٣ .

(٢) عمارة / كافي ٣٣ - ٣٤ ؛ عيون ١٣٣/٧ .

(٣) عيون ١٣٣/٧ .

(٤) نجال ، مقصور من نجاله لضرورة الشعر . وخوار وجوار أي صوت يسمع من الطعنة عند خروج الدم منها .

(٥) عيون ١٣٤/٧ .

(٦) الجسر الضخم من كل شيء ومؤنثه جسرته يريد فرسا أو ناقة . القارب قاصد الماء والقطم الذي يشتهي أي شيء ، يريد به الطشتان والسكدرى نوع من القطا أخضر اللون والأدم القريب . وفي الأصل ربه : بالياء الموحدة والأقرب لقاربة بالياء المثناة لأنه يصف طائرا من القطا السكدرى يطلب الماء ليروى طمأه . ولفظ السكدرى بدل من لفظ القارب . يقول : ياراكبا فرسا ضخمًا أو ناقة ضخمة تشبه في سيرها القطا السكدرى الذي يطلب الماء من قريب ليروى طمأه ، كما فسر لنا البيت الأستاذ مصطفي السقا .

إلى قوله :

وقد يمزّ علينا ما أصابكم منّا بغير رضا كف ولا قدّم
والله يعلم أنّى يومَ وقعتكم لم أمس إلا على جبرٍ من النّدم
وأنّ فيض دمٍ منكم كفيض دمٍ بكر بلاءٍ وثأرُ الطّف لم يرّم (١)

فأجابه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحي على لسان سبا :

يا راكباً راح لا يلبوى على أحد

لقيت داعية التوفيق والنم

إلى قوله :

فليس قيس وإن جلت رزبته وكان صنوى لحى لحه ودى
ولا الهمام أبو موسى وصاحبه محمداً وهما من أوثق المصم
بأول القوم منّا حمّ موههم بين الأستة والهندية الخندم
والسيف يا كلنا حيناً ونرتمه حيناً إذا شاء في الأعناق والقصم

وملك جيش زيد ، ولم يقدر العرب على أخذ تهامة بعد هذه الموقعة (٢) برغم محاولات الأمير المفضل بن أبي البركات لاسترجاعها ، وكانت هزيمة العرب ضربة قاسية على كيان الدولة الصليحية ، بل على فكرة وحدة البلاد اليمنية تحت راية العروبة . وذلك الأمر لم يتم فيما بعد بفضل مكابدة الوزير العربي ونصرة الشريف للأحباش ، ولم ينفذ الأخير الندم بعد فوات الآونة .

موقف الملكة من النزاع بين السلطانين سبا الصنهي وعامر الزوامي

وفي عهد الملك علي بن المكرم قام نزاع بين الصليحيين والزواحين ، وكان هؤلاء سداة الدولة الصليحية ولحمها . فشغل ذلك النزاع الملكة الحرة حقة من

(١) والطف ، موضع عند الكوفة (ق/طائف) .

(٢) عمارة / كاي ٣٣ .

الزمن ، لأن المخالفين انتهزوا هذه الفرصة ووجدوا في هذا النزاع وسيلة لذلك صرح الدولة الصليحية ، وإفسادها بالاسمى لدى المتخاصمين في توسيع شقة الخلاف ، مما دعا الملكة الحرة إلى أن تعرض الأمر على الخليفة المستنصر بالله الذى أسرع فى ردّه ، وكلّف الملكة بوجود العناية لفضّ هذا النزاع بين أبى حمير سبا ابن أحمد الصليحي وأبى الربيع عامر بن سليمان الزواحي ، وشدد عليها فى ضرورة وضع حد لهذا النزاع بين الاثنين حرصاً على سلامة الدولة . وفى ذلك يقول المستنصر : « وأما ما كان بين السلطانين الأجلين أبى حمير سبا بن أحمد الصليحي وأبى الربيع عامر بن سليمان الزواحي — أعزها الله — فقد عرف أمير المؤمنين ما تكررت به مكاتباتك مع نعيم الشاعر الهلالي ، ثم مع سمد الله ورفيقه الشيرازي ، وساقه رسولك أبو النصر — سلمه الله وحفظه — بما كان من تسديد السلطان أبى حمير فى جميع ما جرى بينه وبين السلطان أبى الربيع عامر ابن سليمان الزواحي من المشاجرة والمنافرة ، وما أفضت فيه على السلطان أبى حمير من الثناء والتزكية والإطراء ، وما ترضينه من حسن الطاعة ولين قيادة من المرافقة والمتابعة ، وإبقائه على ما طلب منه من المصانعة ، ولو كان مهضوماً فيه ، من غير اضطرار إلى ما اعتمده من حسن احتمالهِ وتفاضيه . وتلك سحجة تعرب عن السلطان أبى حمير سبا بتميز وسداد وخلص نية واعتقاد . ومعلوم أنه ليس يخبون من لطف وأجل ، ولا بهموم من سدد وتأنى واحتمل ، وتمجّل استيفاء حظه من رضا الله سبحانه ورضاً أمير المؤمنين بما يعود عليه فيه من جميل الذكر والثوبة وطيب الأجر ، ما ينوب له عن عظيم الظفر والنصر ، وما يحمّد العاقبة من سداد الحال ، ويرتق فتوق هذا الشعب والاختلال . وقد شكر له أمير المؤمنين ما طالمت به من هذه الأوصاف الحميدة والقامات الرشيدة ، وأسعده فى إجابته من هذه الجملة مما يحدوه على امتراء ما أكسبه فيه الرضا ، ومهد له دواعى الزلى »^(١) .

ولما كانت مسألة هذا النزاع تعتبر مسألة حيوية بالنسبة لبقاء دولة الصليحيين واستمرار نفوذ الفاطميين فى اليمن فإن الخليفة المستنصر لم يأل جهداً فى أن يتولاها

(١) عيون ٧/١٣٤ — ١٣٥ ؛ السجلات رقم ٣٦؛ وقد اتبعنا نص العيون لأنه أصح .

بمعانيته ورعايته لكي يقف تيار النزاع ويثبت قدم هذه الدولة ، فيادر في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٠ وأرسل إلى سلاطين الصليحيين وإلى الزواحين وإلى مشايخ الحجاز وكل رجال الدين وأهل الدعوة في اليمن رسالة^(١) يحثهم فيها على تناسي الأحقاد وبأمرهم بوجوب طاعة الملكة الحرّة وابنها الملك علي بن المكرم والتماضد والترافد في نصرة الدعوة . ويعتبر هذا السجل شهادة هامة على اعتراف الإمام بفضل الدولة الصليحية على الدعوة الفاطمية ، كما يعتبر من أهم العوامل التي ساعدت على تثبيت مركز الدولة في الصدر الأول من حكم الملكة الحرّة .

وكان من أثر إرسال هذا السجل أن انتظمت الأمور وأذعن المؤمنون هناك لأوامر الإمام ودانوا بالطاعة للملكة الحرّة .

وقد سرّ الخليفة المستنصر كثيرا حين جاءت الأخبار من الملكة بأن النزاع بين الصليحيين والزواحين قد انتهى على أحسن حال ، وقد وقفنا على ذلك الخبر من سجل أرسله المستنصر إلى الملكة الحرّة في شهر ربيع الأول من سنة ٤٨٠^(٢) ، ومن رسالة أخرى أرسلها إلى ابنها الملك علي في شهر ذي القعدة من سنة ٤٨١^(٣)

وفاة ابني الملكة محمد وعلي

وقد توفي ابن الملكة الأصغر وهو الأمير محمد بن أحمد المكرم في حياة أخيه علي بن أحمد . ولم تطل الأيام حتى قضى الله بوفاة الملك علي بن أحمد المكرم . فعاد السلطان سبا يطالب بحقه في تولى أمور الدولة والدعوة . ولكن الملكة الحرّة لم تتمكن من ذلك ، بل « قامت هي فكفلت كافة المؤمنين والدعاة اليامين والحدود المستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله »^(٤) .

(١) السجلات رقم ٣٨ .

(٢) نفسه رقم ٤٩ .

(٣) نفسه رقم ٢٢ .

(٤) عيون ٧ / ١٤١ .

السلطان سبا يخطب الحرة الملكة للزواج

فأخذ السلطان سبا سبيلاً آخر لإقناعها بأن طاب يدها للزواج . وقد ظن أنه يستطيع أن يصل بهذه الطريقة لتحقيق غرضه مع أنه كان يفهم تماماً أنها لن ترضى بهذا الزواج ، وكيف يتم ذلك وقد سبق أن استمعت زوجها الملك المكرم بقولها له : « إن المرأة التي تراد للفراش لا تصلح لتدبير أمر فدعني وما أنا بصدده »^(١) . حدث هذا في حياة زوجها الملك المكرم الذي كانت تشاطره الحكم . أما الآن وقد تولت تدبير شؤون الدولة الداخلية والخارجية وحدها ، بل وأمور الدعوة ، فإنه يبعد كثيراً أن تقبل هذا الزواج السياسي .

ولما رفضت السيدة الحرة ذلك وأنكرته غاية الإنكار جمع السلطان سبا بن أحمد جموعه وسار من حصن أشيخ^(٢) بجيشه إلى ذى جيلة ، لالهاربة الملكة ، بل أراد من هذا إظهار قوته وسؤدده . تجمعت هي أيضاً جموعها . فتناور الفريقان وتناوشا ، وكادت رحى الحرب تدور بينهما إلا أن سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي (أخو الملكة الحرة لأمها) أيقظ الموقف ؛ فقد أشار على السلطان سبا أن يتصل بالخليفة المستنصر بالله ليستعين به في فض هذه المشكلة . فقال له : « والله لا أجابتك إلى مرادك إلا بأمر المستنصر »^(٣) . فترك سبا المنهج المسكري ، ورجع إلى حصن أشيخ ، وسير إلى المستنصر رسولين ، هما القاضي أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل الأصبهاني وأبو عبد الله الطيب . وقد ساعدته في تحقيق مطلبه رغبة المستنصر في استتباب الأمن في اليمن ، وفي إقرار الوحدة بين أنصار الدولة الصليحية والدعوة الفاطمية . فلما وصل هذان الرسولان إلى القاهرة ولم يرض الخليفة

(١) عمارة / كافي ٢٩ .

(٢) من أعظم حصون الجبال في رأس جبال آنس (أبناء / دار ٤٣) . وكانت خزائن بني المظفر في الحصن ، وكان للسلطان المنصور أبي جبر سبا الصليحي ، والحصن واقع في مخلاف بنو سويد . وهو على مسافة مرحلتين من صنعاء ويسمى الآن حصن ظفار . راجع ياقوت : البلدان / أشيخ .

(٣) فرة ورقة ٢٥ .

(٤) فسه ٢٥ .

عن بقاء هذا النزاع بين أنصاره ، عمل على أن يجذب إليه الفريقين المتنازعين بزواج السيدة من السلطان سبا . فكتب إليها يأمرها بقبول أمر الزواج . وأرسل كتابه مع أحد الأستاذين ويعرف بحامل الدواة بين الدولة^(١) . فصار بصحبة هذين الرسولين حتى دخلوا على السيدة الملكة ، وهي بدار العز في ذى جيلة . فتكلم الأستاذ الرسول وهو واقف بين وزرائها وكتابتها وأهل دولتها قيام لقيامه ، فقال : « أمير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية وحيدة الزمن سيدة ملوك اليمن عمدة الإسلام ذخيرة الدين عصمة المؤمنين كهف المستجيبين ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين ، ويقول لها : وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا مُؤْمِنِيَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا . وقد زوجك مولانا أمير المؤمنين من الداعي الأوحيد المنصور المظفر عمدة الخلافة أمير الأمراء أبي حمير سبا بن أحمد بن المظفر الصليحي ، على ما حضر من المال وهو مائة ألف دينار عينا وخمسون ألفا أصنافا من تحف ولطائف وطيب وكساوي » . فقالت : « أما كتاب مولانا فأقول : إِنِّي أَلْقَيْتُ إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ ، إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَلَا أَقُولُ فِي أَمْرٍ مَوْلَانَا : أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَفْتُونِ فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونَ . وأما أنت ، يابن الأصهباني ! فوالله ما جئت إلى مولانا من سبأ بنبأ ييقين ، ولقد حرقت القول عن موضعه ، وَسَوَّلْتُ لَكُمْ أَنْ تُسَكِّمُوا أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ عَلَى مَا تَصِفُونَ » . ثم تقدم وزيرها زريع بن أبي الفتح والقاضي الأصهباني ونظراؤهما إلى السيدة الحرة ، ولم يزالوا بلاطفونها حتى أجابتهم إلى تحقيق رغبة الخليفة^(٢) . فمقدوا عقد الزواج ، ولم

(١) أبناء / دار ٤٣ ؛ عيون ٧ / ١٤٣ .

(٢) أبناء / دار ٤٣ - ٤٤ ؛ عيون ٧ / ١٤٣ ؛ ١٤٤ .

يلبث سبأ بن أحمد أن سار في أمر عظيمة إلى ذى جبلة ، فأقام شهرا والضيافات الواسعة تخرج إلى مخيمه كل يوم حتى أنفقت على عساكره مثل ما قدمه من المهر . ورأى أبو حمير من عالي همتها ما حقر نفسه معها ، وندم على خطبتها . وروى أنه أرسل إليها سرا يستأذيها في الدخول إليها بدار العز ليوم الناس أنه دخل بها ، ففعلت ذلك . وزعم قوم من أهل ذى جبلة أنه اجتمع بها ليلة واحدة ، ثم ارتحل في صبيحتها . وقال آخرون إنها بعثت إليه جارية شبيهة بها ، وعرف ذلك السلطان سبأ ، فباتت الجارية واقفة على رأسه ، وهو جالس لا يرفع طرفه إليها ، حتى إذا طلعت الفجر صلى ، وأمر بضرب الطبول ، ثم سار^(١) .

فضائل السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي

ومع ذلك فإن المسكة الحرة قد أقامت السلطان سبأ في الدعوة والملك . وكان هذا فضلا ورعا تقيا زاهدا^(٢) . قال عمارة : « . . ويقال إن الداعي سبأ بن أحمد ما وطئ أمة قط ولا شرب مسكرا ، وكانت زوجته الجمانة بنت سويد بن زيد الصليحي تقول : أنا لا أغير على مولانا سبأ ، لأنه لا يطأ أمة قط »^(٣) .

وكان فوق ذلك كريم الأخلاق طيب الأسباب والأعراق ، يقصده الشراء وطلاب الندى . وقد أقام معه في أشيخ الشاعر الحسين بن علي بن القم ومدحه وأمرته بفر قصائده ، منها^(٤) :

إِنْ ضَامَكَ الدَّهْرُ فَاسْتَمَعِي بِأَشِيحٍ أَوْ

أُزْرِي بِكَ الْفَقْرُ فَاسْتَمِطِرِي بَنَانَ سَبَا

مَا جَاءَهُ طَالِبٌ يَبْنِي مَوَاهِبَهُ إِلَّا وَأُزْمِعَ مِنْهُ قَفْرُهُ هَرَبًا

(١) عمارة كأي ٣٦ ، قال : وقال سبأ للجارية : « أعلمى مولانا أنها نطفة شريفة لا توضع إلا في مستحفا » ثم سار ، فلم يجتمعا بعد .

(٢) عيون ٧ / ١٤١ .

(٣) وأضاف عمارة / كأي ٣٦ إلى هذا : والريبات تقول ما نلت حواء مثل الجمانة غير أساء بنت شهاب .

(٤) عيون ٧ / ١٤٣ ؛ نزهة ١ / ٦١ .

تَخَالُ صَارِمَهُ يَوْمَ الْوَعَى نَهْرًا تَضَرَّمَتْ مِنْ دَمِ حَافَاهُ لَهَبًا
بَنِي الْمَظْفَرِ مَا امْتَدَّتْ سِوَاهُ إِلَّا وَأَلْفَيْتُمْ فِي أَقْفَاهُ نَهَبًا
إِنَّ امْرَأًا كُنْتُ دُونَ النَّاسِ مَطْلَبُهُ لِأَجْدَرِ النَّاسِ أَنْ يُحْطَى بِمَا طَلَبُهُ
وفيه يقول ابن القمم^(١) :

وما يلتقى صدقُ الودادِ وطاعة الـ

مذلول ، ولا جودُ ابنِ أحمدَ والجَدْبُ
كريمٌ إذا جادتْ فواضِلُ كَفِّهِ
تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْبَخْلَ مَا يَفْعَلُ السَّحْبُ
أَجَارَ فَلَ خَوْفٌ ، وَأَحْيَا فَلَ رَدَى

وجادَ فَلَ فَقْرٌ ، ورامَ فَلَ صَمْبُ
وبثى على قصاده فكأنه يجاد بما يجدى ويحجى بما يحجى
كُتِبَتْ إِلَيْهِ وَالْمَقَاوِزُ بَيْنَنَا

وكان جواي جود كفي لا الكُتْبُ

ومن شمره فيه أيضا^(٢) :

معاليك لا ما شيدته الأوائلُ ومجدك لا ما قاله فيك قائلُ
وما الجد إلا حيث يمتت قاصدا وما النصر إلا حيث نزل نازلُ
ملكٌ يفض الجيش والجيش حافلُ

وينجسل صوب المزن والفيث هارطلُ
سحاب غواده لجين وعَسْجَدُ وليث عواده قَنَا وَقَنَابِلُ

(١) عيون ٧ / ١٤٣ .

(٢) مه ٧ / ١٤٣ .

تَوَقَّى الأَعَادِي بَأْسِهِ وَهُوَ بِاسْمِهِ وَيَرْجُو المَوَالِي جُودَهُ وَهُوَ صَائِلٌ
وَكَانَ السُّلْطَانُ أَبُو حَمِيرِ سَبَا فصيحا شاعرا يَجِيبُ الشُّعْرَاءَ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ شُعْرِهِمْ ،
ثُمَّ يَجِيزُهُمْ وَيَزِيدُ فِي بَرِّهِمْ ؛ وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ التَّمِيمِ مَدَحَهُ فَأَجَابَهُ بِمِثْلِ شِعْرِهِ ، وَأَجَازَهُ
بِمَجَازَةٍ سَنِيَةٍ لَا تُصَدَّرُ إِلَّا عَنْ مِثْلِهِ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ الحُسَيْنِ التَّمِيمِيُّ (١) :

وَلَمَّا مَدَحْتُ المِزْبَرِيَّ ابْنَ أَحْمَدِ
أَجَازَ ، وَكَافَانِي عَلَى المَدْحِ بِالمَدْحِ
فَمَوْضِعِي شِعْرًا بِشِعْرِي ، وَزَادَنِي
عَطَاءً ، فَهَذَا رَأْسُ مَالِي ، وَذَا رِئِيسِي
شَقَقْتُ إِلَيْهِ النَّاسَ حَتَّى لَقِيْتُهُ
فَكَنْتُ كَمَنْ شَقَّ الظَّلَامَ إِلَى الصَّبْحِ
قُبَّحَ دَهْرٍ لَيْسَ فِيهِ ابْنُ أَحْمَدِ
وَنُزَّةَ دَهْرٍ كَانَ فِيهِ مِنَ القُبْحِ

الأوسر المفضل بن أبي البركات الحميري

وَوَظَلَ أَبُو حَمِيرِ سَبَا فِي حِصْنِ أَشْجِيحَ ، يَقْدُمُ المَسَاعِدَةَ إِلَى المَلِكَةِ ، فِي كُلِّ مَا يَبْعُدُ
عَلَى الدَّوْلَةِ بِالْخَيْرِ ، حَتَّى وَافَتْهُ المِثْيَةُ سَنَةَ إِحْدَى وَتَسْمِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ (٢) . وَتَوَفَّى بَعْدَهُ
السُّلْطَانُ عَامِرُ بْنُ سَلْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الزَّوَاهِرِيُّ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَتَسْمِينَ وَأَرْبَعِ مِئَةِ .
وَكَانَا مِنْ أَهْلِ السَّوَابِقِ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ ، وَمِنْ أَعْيَانِ رِجَالِ المَلِكَةِ
الصَّالِحِيَّةِ . وَلَمَّا مَاتَ السُّلْطَانُ سَبَا خَرَجَتْ صَنْعَاءُ وَأَعْمَالُهَا عَنْ مَمْلَكَةِ الصَّالِحِيِّينَ ،
وَارْتَفَعَتْ أَيْدِيهِمْ عَنْهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فِيهَا ذِكْرٌ . فَاسْتَوْلَى عَلَى صَنْعَاءُ وَأَعْمَالُهَا
يَوْمَئِذٍ السُّلْطَانُ حَاتِمُ بْنُ القَشِيمِ الفُلسِيُّ المِمْدَانِيُّ ، وَكَانَ نَاهِضًا كَافِيًا (٣) . وَلَمْ يَحْمَلْ

(١) عيون ١٤٣/٧ .

(٢) عيون ١٦٨/٧ ؛ وَفِي أَنبَاءِ / دَارِ ٤٤ ؛ وَكُفَايَةُ ٥٩ . جَاءَ أَنَّهُ تَوَفَّى سَنَةَ ٩٢٤ .

(٣) كُفَايَةُ ٩

الملكة إعادة صنعاء إلى مملكتها ، بل قبلت الأمر الواقع ، وأجمعت إلى تدعيم ما بقى من هذه المملكة . فأقامت المفضل بن أبي البركات بن الوليد الحميري على قيادة الجيش ، وإدارة شئون الدولة التي كانت بحاجة إلى شخصية قوية . وكان هذا يتوصف للملك المسكرم بذي جبلة ، وهو من صفار الدار ، الذين يدخلون على الملكة برسائل الملك المسكرم . وقد كان والده أبو البركات واليا على التمكر من قبل المسكرم^(١) ، ولما توفي بعيد المسكرم ، جعلت الملكة التمكر إلى ابنه خالد ابن أبي البركات نحو سنتين ، ولكن الفقيه عبد الله بن المصوع قتله^(٢) ، فخار له أهل الحصن بقتل الفقيه . جعلت الملكة ولاية التمكر إلى المفضل بن أبي البركات . وكان التمكر مقر ذخائر بني الصليحي التي صارت إليهم من ملوك اليمن^(٣) ؛ وكانت تطلع من ذى جبلة في أيام الصيف فتقيم به ، وإذا برد الجو سكنت بذي جبلة ، والمفضل يتصرف عن أوامرها ، ويدخل عليها مع خواص وزرائها والأمراء والأكابر من عبيدها . وهو رجل الدولة ومدبرها ، والمرجع إلى رأيه وسيفه . والحرة لا تقطع أمرا إلا به ، فمظم بذلك شأنه ، وعلت كلمته ؛ وغزاتها مرارا ، فتارة له وتارة عليه . وهبط عدن مرارا ، ولم يبق باليمن من يساميه . وقد قال للحرة يوما وهي في التمكر : « انظري ، يامولاتنا ! إلى ما كان في هذا الحصن من ذخائر ، فازلى به إلى دار المرز ، فاعزله في بعض هذه القصور . أما هذا الحجر (يعنى

(١) وكان التمكر للسلطان عبد الله بن محمد الصليحي كما ذكرنا سابقا . فلما قتل مع أخيه علي بن محمد الصليحي بالمهجم واستولى المسكرم على البلاد ، جعل أمر التمكر إلى ابن عمه أسعد بن عبد الله الصليحي . فقامت سيرته ، فنقله عن التمكر وعوضه عنه بمصون ريمة . وجعل أبا البركات الحميري واليا في التمكر وأعماله ، وولى أخاه أبا الفتوح بن الوليد الحميري حصن تمر (كفايه ٥٤) .

(٢) كان ابن المصوع المذكور فقيهاً فاضلاً سليماً ، وكان ذا دنيا واسعة ، وكان يواصل الأمير خالد بن أبي البركات لكونه الحاكم على بلدة ذى السفال . وكان الوالى يأمنه ويأمر أن لا يغموه عن الطلوع متى شاء . وكان الأمير لا يمتنع منه لا يعتقد فيه من الخير والصلاح ، فسولت له نفسه أن يقتل الوالى استغلالاً لدمه لكونه على مذهب الدعوة ... فلما خلا الفقيه بالأمير قتله . ثم صاح صياحاً بانزعاج ، فتبادر أهل الحصن ، فوجدوا الأمير مقتولاً ، فقتلوا الفقيه (كفايه ٥٤ - ٥٥) .

(٣) عمارة / كاي ٣٧ ؛ أنباء / دار ٤٤ .

التعكر) فتركه لي ، فلا طاعة لك على ما فيه بمد اليوم . « فقالت : « لولم تقل هذا القول ما أحوجتك إليه ، الحصن حصنك ، وأنت رجل البيت ، ولا حرج عليك مني فيما عاد لسمو قدرك ، وعلو أمرك » . ففجل منها وأطرق ؛ ووزلت الحرة إلى ذى جبلة ، وكان الفضل يترضاها في طلوع التعكر ، فلا تفعل ، وهي مع ذلك تواصل برّه بما يحسن عنده موقعه ، من الجواربي والماني والكساوي والطيب والبيد والأستاذين وغير ذلك ؛ ولم تسمع وشابة أحد فيه ^(١) .

مواقف الفضل

وله في نصرتها مواقف حميدة ، منها أنه بولى قيادة الجيش لمحاربة السلطان سبا بن أحمد الصليحي حين خطب الحرة الملكة ولم تجبه إلى طلبه ، كما حارب شمس المال على بن سبا بن أحمد الصليحي صاحب حصن قيصان ، وأخرجه منه سنة ٤٩٥ ، وملك حصون بني الظفر في نفس التاريخ المذكور ^(٢) ، وكان على ابن سبا بن أحمد هو زوج فاطمة بنت المكرم من الحرة . وحدثنا عمارة ^(٣) أنه تزوج عليها ، فكتبت إلى أمها تستنجدها ، فأمدتها بالفضل بن أبي البركات في عساکر ، ولبست فاطمة زى الرجال . وفصلت من حصن زوجها في عسكر الفضل ، فسيرها إلى أمها الملكة ، وأدار الحصار على شمس المال حتى أخرجه من حصنه بأمان على نفسه . فانصل هذا بالوزير شاهنشاه الأفضل مستنجدا به ، فلم يلتفت الأفضل إليه ، ولا الأمير شجاع الدولة الذي كان أغناه في اليمن ، فعاد إلى اليمن وملك بمد حصون أبيه ، ولكن الفضل دس عليه من قتلة بالشم سنة ٤٩٥ .

وحارب الفضل عمرو بن عرفطة الجنبي ^(٤) وغيره من سنحان وعتس وزبيد ،

(١) عمارة / كاي ٣٨ .

(٢) نفسه ٣٨ .

(٣) قه ٣٦ .

(٤) قه ٣٨ ؛ عيون ٧ / ١٨٤ .

واسترجع للملكة نصف خراج عدن^(١) من آل الزريع .

نصرة الملكة الحرّة لمنصور بن فائق على استرداد تهامة

وحدث في سنة ثلاث وخمسة مئة مالم يكن في الحسبان ، ذلك أن أولاد جيشاختلفوا فيما بينهم ، وكادت الفتن الداخلية تقضى على دولتهم ، ولما لم تكن الدولة الصليحية قادرة على حفظ كيانها في هذا الوقت ، لم تتمكن من انتهاز هذه الفرصة وتستردها تهامة . ولكن هذا الخلاف أدّى إلى خروج منصور بن فائق بن جيشا من زبيد فرارا من عمه عبد الواحد ، وسار في عبيده وعبيد أبيه ، ونزلوا في رحاب الملكة الحرّة ، فأكرمت مشواهم ، وتمهدوا للملكة بدفع ريع متحصل تهامة إذا هي ساعدتهم وتم نصرهم على عبد الواحد^(٢) ، فأرسلت المفضل بن أبي البركات بجيش كبير ، يساعده جيش آخر بقيادة زريع بن العباس وعمه مسعود بن الكرم الهمداني^(٣) .

تورة الفقهاء بالتمكّر وموت المفضل

وولّت على التمكّر من يحفظه في غياب المفضل الذي تمكن من الاستيلاء على زبيد بعد حصار طويل وطارد عبد الواحد . وما طل المفضل في تولية منصور

(١) لما تزوج المسكرم السيدة الحرّة أروى بنت أحمد سنة ٤٥٨ جعل الملك على الصليحي خراج عدن وهو مئة ألف دينار صدقا لها (انظر ص ١٤٨) . ولما قتل الصليحي تغلب بنوهم على عدن ، فخارجه المسكرم وأخرجهم منها . وولاه العباس ومسعودا ابني الكرم الهمداني . فجعل للعباس حصن العسكر وباب الروما يدخل منه . وجعل لمسعود حصن الخضراء وباب البحر وما يدخل منه . وزيه أمر المدينة . واستخفها الحرّة الملكة . فلم يزل ارتفاع عدن يحمل إليها كل سنة إلى أن توفي العباس بن الكرم ، خلفه ابن زريع ، وبقي مسعود على ما تحت يده ، وكل واحد منهما يحمل ما عليه . ولما فكرا في خلع طاعة الحرّة حاربهما المفضل واستخلص منهما نصف ارتفاع عدن (عمارة / كافي ٤٨ ؛ باعزيمة : مقر عدن ٢ / ٨٦) .

ولسامان المفضل تغلب أهل عدن على النصف الثاني . فسار إليهم أسعد بن أبي الفتوح وسالطهم على الريع . وتغلب أهل عدن على الريع الباقي بعد تورة الفقهاء بالتمكّر (عمارة / كافي ٤٩) .

(٢) باعزيمة : مقر عدن ٢ / ٨٦ .

(٣) وكانا والي عدن من قبل الحرّة وقد قتلا على باب زبيد سنة ٥٠٣ وتولى أمر عدن بعدهما أبو السعود بن زريع وأبو الغارات بن مسعود (نفسه ٢ / ٨٦) .

ابن فائق^(١)، ولكن لما جاءته الأخبار بأن التمكر قد استولى عليه جماعة من الفقهاء بمساعدة بني الزير الخولانيين، قفل راجما وحاصر الحصن مدة، ولكنه لم يقدر على اقتحامه، وذلك لأن الفقهاء السنيين بالإضافة إلى قبيلة خولان^(٢) التي كانت تظاهرهم، دافعوا عنه مجيدا. ومازال الحصار عليهم، ثم رأى الفقهاء أن خولان خذلهم^(٣)، فدبروا حيلة.

ويقول عمارة^(٤): «إن عمى إبراهيم بن محمد بن زيدان كانت له البيعة، وحلف الأيموت حتى يقتل الفضل، فعمد إلى حظاياه من السراري، وأخرجهم في أكل زى وأحسنه، وجعل بأيديهم الطارات وأطلعهم على سقف القصور بحيث يشاهدون الفضل، ويسمع هو وجميع من معه أصواتهم. وكان الفضل أكثر الناس غيرة وأناة، فقيل إنه مات في تلك الليلة^(٥). وكانت وفاته في شهر رمضان سنة أربع وخمس مئة. ولما مات الفضل طلعت الملكة من ذى جيلة، وحطت بالبادي^(٦) على باب التمكر، وكاتب الفقهاء بالنزول من الحصن، على أن يترحوا عليها ما شاءوا، فأجابوا إلى ذلك واشترطوا عليها شروطا وفت لهم بها. وولت التمكر مولاها فتح بن مفتاح.

مات الأمبر الفضل الحميري

وكان الفضل، كما ذكره الخزرجي^(٧): «حازما عاقلا شجاعا شهما، له عدة مكارم وجملة مفاخر، لكنها دون مكارم سبا بن أحمد. وكان جوادا ممدحا، قصده الشعراء من الأماكن البعيدة ومن جملة من قصده مواهب بن حديد المغربي، وامتدحه بفرق قصائد، يقول في بعضها:

يا مالك الدين والدنيا وأهلها ومن بعزته الإسلام متمسك

(١) يرى الخزرجي (كفاية ٥٦) أن الفضل لم أن يقدر به وبأخذ زيد منه.
(٢) الراد بخولان هنا هي طائفة من خولان العالية كما أفادنا شيخنا القاضي محمد الحميري (راجع صفة ١٠٧).

(٣) عيون ١٧٩/٧. (٤) عمارة / كافي ٣٩.

(٥) وقيل إنه امتص خاتما مسموما كان بيده، فأصبح ميتا والخاتم في فيه. وما هذا القول إلا خرافة، كما قال شيخنا القاضي، بل مات كذا لشدة غيظه وأنته.

(٦) الريادي، اسم الضفة التي منها التمكر. (٧) كفاية ٥٥.

قد قيل جاورز لتَسْنَى البحرَ أو ملكا

وأنت يا بنَ الوليدِ البحرُ والملكُ

وهو الذى جرَّ الفَيْلَ من خِنُوة^(١) إلى مدينةِ الجندِ ، ومدحه القاضى أبو بكر الياضى فقال^(٢) :

وأقلَّ مكرمة له وفضيلة إجراؤه للفيل فى الأجنادِ

شقَّ الجبالِ الشامخاتِ كأنَّما كانت [معالمها متون] وهادٍ^(٣)

وذلك أنه حفر فى الصفا حفرا عديده ، وخرق بعضها إلى بعض ، وأجرى الماء فيها فى مواضع لا يصدق بها إلا من رآها ، ثم لما جاء إلى موضع بين جبلين أمر الصناع فبنوا جدارا من الجبل إلى الجبل ، طوله مئتا ذراع ، وعرضه نحو من عشرة أذرع بالحديد ، وارتفاعه نحو من خمسين ذراعا ، بحيث إذا رآه شخص يقول ما فعل هذا إلا الجنّ ، وبني مسجد الجند وجدّد بناءه من المقدم والجناحين ما هو مبنى بالحجارة وسقفه على ذلك . وقال صاحب فلاة النحر^(٤) : « إن محمد بن زياد المأربى مدحه ، فوصله المفضل بألف دينار » .

وكان من صفات المفضل أنه عندما عظم أمره كان يحتجب عن الناس ، حتى لا يرحى لقاؤه ، ثم يظهر فيغنى من اجتمع ببابه من الوفود ؛ ويصل إليه الضعيف والقوى ، فينظر فى أحوال الأعمال والمهال ؛ ويحجب عن كل كتاب وصل إلى الباب ، ثم يغيب ، فلا يظهر ، ولا يوصل إليه .

(١) وخنوة من أخصب قرى اليمن ومى شمال الجند والفيل هذا لانزال . وجودا .

(٢) فى الأصل : إخرافه .

(٣) ورد البيت فى الأصل ناقصا بسبب الخزم مع وجود آثار تعمل على النظر أن شتمه

كما دونه بين القوسين الأستاذ على النجدى .

(٤) بحرمة : فلاة ٢/٢ ورقة ٦٦٥ .

تورات بنى الزر وخرولوه

وقد أدت وفاة الفضل إلى خروج بعض الجهات على الملكة الحرة . فاستولى مسلم بن الزر على حصن خدد^(١) ، وأخرج منه السلطان عبد الله بن يعلى الصليحي الشاعر الأديب . ثم أظهر ولاءه إلى الملكة ، بأن قدم ولديه عمران وسليمان كرهينة عندها ، فاهتمت الملكة بتربيتهما . ولما توفى مسلم ملك بعده ابنه سليمان حصن خدد ، وبقى عندها عمران الذى تولى على حصن التمكر سنة خمس وخمس مئة بعد أن تخلص من فتح بن مفتاح ، الذى شقّ عصا الطاعة على مولاته الملكة^(٢) . واحتال عليه بنو الزر . وذلك أنهم خطبوا ابنة لممران فزوجوه بها ، فلما كانت ليلة الزفاف وصل جماعة منهم فأخرجوه من الحصن^(٣) . فلما حصل التمكر بيد عمران واصل الحرة الملكة ببذل الطاعة ، فلم يلتفت إليه . فزاد نفوذ ابني الزر تبعا لذلك ، وامتدت أيدي خولان على الناس وعاثوا فى الأرض الفساد ، فكانت الحرة إذا رأتهم قد طمؤا أرسلت إلى عمرو بن عرفطة الجنبى سطرأ أو سطرين بخطها ، فيقبض على بلاد ابني الزر ، فلا يخلصهما منه إلا الضراعة إليها والسؤال لها فى صرف العرب عنهما .

قال عمارة^(٤) : حكى لى السلطان يزيد بن عيسى الوائلى قال : فكتبت لى بخطها إلى عمرو بن عرفطة الجنبى برقة فيها : « إذا وقفت على أمرنا هذا فارتحل عن بلاد بنى الزر مشكوراً » . فلما وقف عمرو بن عرفطة عليها نادى فى الناس بشمار الرحيل . فلم يمض ساعة وبقى منهم أحد . فقال عمران لأخيه : « هذا وربك المرّ والطاعة » .

أسعد ابن أبي الفروع الحميرى

وحرصا على سلامة الدولة أقامت الملكة مقام الفضل ابن عمه الأمير أسعد بن

(١) خدد فى الجيش شمال التمكر . ذكره الهمدانى فى صفة ٧٨ .

(٢) عمارة / كالى ٤١ .

(٣) كناية ٥٦ .

(٤) عمارة / كالى ٤١ .

أبي الفتح بن العلاء بن الوليد الحميري من القيام بدولتها والذب عن مملكتها والتوجه أبنا أمرته . وكان متوليا حصن تمز وصبر إذ كان أبوه قبله واليا عليهما . فأخذ هذا يدير شئون الدولة على أحسن حال حتى غدر به رجلان من أصحابه ، فقتلاه بين البابين في حصن تمز سنة أربع عشرة وخمس مئة^(١) .

الموفق ابن نجيب الرولة

ولما تقدمت الأمور على الملكة الحرة ، أرسلت إلى الحكومة المصرية تطلب منها إعادتها مستشارا ليساعدها في تدبير شئون دولتها . وقد شررت الخلافة الفاطمية بأن مركز الدولة الصليحية بدأ يتزعزع ، فبادر الوزير الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي^(٢) في سنة ٥١٣ بإرسال الأمير الموفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة يصحبه عشرون فارسا^(٣) مختارة منتقاة إلى بلاد اليمن ، ليقوم بهذه المساعدة . وكان ابن نجيب الدولة قد قدم من مصر قبل وفاة الأمير أسعد بن أبي الفتح الحميري . فقررت الملكة إقامته في مدينة جبلة للاستشارة والناورات الحربية . وكان متفهما في أصول الدعوة الفاطمية ، مستبصرا في مذهب الشيعة . وكان على خزائن الكتب الأفضلية بمصر . وكان نبيا ، حسن التدبير ، كثير المحفوظات ، قبا بتلاوة القرآن علي عدة روايات^(٤) ، ويلقب بألقاب تدل على سمو قدره ، منها : الأمير المتجرب ، عز الخلافة الفاطمية ، فخر الدولة العلوية ، الموفق في الدين ، ولي أمير المؤمنين^(٥) .

من هذا يتضح أنه كان موضع ثقة الخلافة الفاطمية ، ولا بد أن يكون هذا الرسول مكلفا أمورا هامة ، لعلها ترجع إلى رغبة الخليفة الأمر بالله بن السنطلي في أن يستفيد من نشاطه ومهارته في تمكين الدعوة المستعملة^(٦) في نفوس أهل اليمن ، وفي تعزيز مركز الملكة الحرة ، بعد أن طمع فيها زعماء البلاد ، واستقلوا بما تحت أيديهم .

إهارة الأيمن بفضل مبرور ابن نجيب الرولة

وقد كان ابن نجيب الدولة عند حسن ظن الدولة الفاطمية به ، فلما وصل إلى

(١) كفاية ٥٦ ؛ أنباء / دار ٤٦ ؛ باخرمة : نمر عدن ١٧ .

(٢) لم يرسله المأمون البطاحي كما قال ابن ميسر في كتابه أخبار مصر ٧٠/٢ .

(٣) عيون ١٨٠/٧ . (٤) كفاية ٥٧ .

(٥) عيون ١٨٠/٧ . (٦) نزه ١٤١/٧ .

جزيرة دهلك لقيه من عدن الداعي محمد بن أبي العرب من ولد صاعد بن حميد الدين، فكشف لابن نجيب الدولة أسرار اليمن، وأحوال الناس وأسماءهم وكنائهم، وتواريخ مواليدهم، وما تحت ثيابهم من شامة أو جراح أو أثر نار^(١).

لجاء إلى ذي جبلة، وتشرف بمقابلة الملكة الحرة، وتملته إمرة جيوشها. فاستخدم أربع مئة فارس من همدان وغيرهم، وقدم عليهم الطوق الهمداني^(٢). واشتد بهم جانبه، وقويت شوكته. وتمكن من وضع حد للخلافات الداخلية، وإعادة الأمن والطمأنينة إلى البلاد^(٣). وكان أول عمل قام به هو تأديب الخولانيين، لأنهم كانوا قد بسطوا أيديهم على الرعايا في البلاد، واستهانوا بالسيدة الحرة. فطردهم من ذي جبلة ونواحيها، وأوقع بمن بقي منهم حتى لم يبق منهم إلا ما كان منتسبا إلى الملكة. فلما رأت منه ذلك أمرته أن يسكن الجند. فضاقت الأمر به على سلاطين اليمن^(٤).

وقد أمنت البلاد، واستقرت الأمور، ورخصت الأسعار بحسن سياسته وتدييره، وأقام العدل، وعفا عما في أيدي الناس من الأموال، وأقام الحدود؛ وعزبه جانب الملكة، وانقمع أهل اليمن عن الطمع في أطراف بلادها^(٥).

وقد كان برنامج ابن نجيب الدولة مقصورا على إخضاع إمارات اليمن الصغيرة للسيدة الملكة الحرة، فتحسنت بجهوده الفذة مركز الدعوة في اليمن، كما ساعد الملكة على عدم انسحاب النزارية إلى هذه البلاد. وبذلك لم تتفرق كلمة الفاطميين فيها كما تفرقت في مصر.

تقوية الوزير المأمور لابن نجيب الرولة

ولم يقف نفوذ ابن نجيب الدولة عند هذا الحد، بل لقد بلغ هذا الشأن البعيد

(١) عمارة / كافي ٤٢ -- ٤٤ . (٢) عيون ١٨٣/٧ .

(٣) ابن محرمة : فلاة البحر ٢/٢ ورقة ٦٦٦ .

(٤) عيون ١٨٢/٧ ؛ وأبناء / دار ٤٦ . وهؤلاء الملوك هم سليمان ومهران ابني الزر

ومنصور بن المفضل وسبا بن أبي السعود ومفضل بن الزريع (عمارة / كافي ٤٣) .

(٥) عمارة / كافي ٤٣ .

النجاح في عامين اثنين بين سنتي ٥١٣ - ٥١٥ . وكان نجمه لا يزال في صعود لأنه بعد وفاة الأفضل بن بدر الجمالي في رمضان سنة ٥١٥ أمدّه المأمون البطائحي وزير^(١) الخليفة الأمر بأحكام الله ، بالمال والرجال ، فسيراً إليه أربع مئة قوس أرمني وسبع مئة أسود^(٢) وقبل ذلك بقليل تمكن ابن نجيب الدولة من أن يستخدم ثلاث مئة فارس من سنجان بقيادة الطوق الهمداني بالإضافة إلى من انضم إليه من أهل الدعوة . وقد ساعدت هذه العوامل على ارتفاع شأنه عند الملكة الحرّة ، وبخاصة بمد أن كتب إليه الوزير المأمون بالتفويض في الجزيرة النجبية ، وبسط يده ولسانه^(٣) وأوجب عليه تقديم المساعدة للسيدة الحرّة في كل ما تطلبه .

موقف زبير وهزيمة جيش ابن نجيب الدولة

ولقد أطمعه هذا المركز الحربى المتاز في محاربة الدولة النجابية في زيد في سنة ثمانى عشرة وأربع مئة ، والوزير يومئذ بها من الله الفاتكى أحد عميد بنى نجاح . وكانت عشرة رماة من الأرمن أصحاب ابن نجيب الدولة قد استأمنوا إلى أصحاب زيد . ولما تزاحف الرجال في الحرب ، رمى رجل من العشرة المستأمنة بسهم ، فلم يخط أنف الفرس الذى عليه ابن نجيب الدولة . فسقط على بن إبراهيم إلى الأرض وشبّ الفرس عن ابن نجيب الدولة نافرأ ، فانهزم عسكره ، فقتل السودان بأمرهم ، ولم ينج من الأرض سوى خمسين وكانوا أربع مئة قوس . وأما ابن نجيب الدولة فقاتلت عليه همدان أشد قتال ، حتى أردفه منهم رجل يقال له السباعى . وكان في همدان الطوق بن عبد الله الهمداني ، فأبلى هو وقوم معه . وعار^(٤) جواد ابن نجيب الدولة من الوقمة صلاة الظهر يوم الجمعة ، فأصبح يوم السبت بمدينة الجند ، وبينها

(١) وقد تولى المأمون البطائحي الوزارة من أول ذي القعدة سنة ٥١٥ إلى ٤ رمضان سنة ٥١٩ (انماط ٣٣٨) ، وكان ذلك في عهد الخليفة الأمر بالله بن المستعلى الذى تولى الخلافة سنة ٤٩٥ حتى قتل سنة ٥٢٤ .

(٢) عيون ١٨٢/٧ (٣) عمارة / كاي ٤٣ .

(٤) عار الفرس . أى انفلت وذهب مها وههنا (صح / عار) .

وبين زيد أربعة أيام . ولم يمس الخبر إلا بذى جيلة للة الأحد بأن ابن نجيب الدولة قد قتل . ثم وصل على بن إبراهيم بن نجيب الدولة إلى الجند بعد أربعة أيام . وركب إلى ذى جيلة ، واجتمع بالحرة^(١) .

خلاص ابن نجيب الدولة من حصار سلاطين العمرة

وعضدته الحرة الملكة وأعطته الأموال ، وجمعت إليه الرجال بعد فشله بزويد . فما زال يفرزو المدو إلى أقصى البلاد ، على أن ابن نجيب الدولة لم ينج من حسد منافسيه الذين أخذوا يوقعون بينه وبين الملكة الحرة . فأخذت علاقته بها في القصور منذ سنة ٥١٩ حتى إنه أثر عنه أنه رماها بالخيل ، فقال : « قد خرفت واستخق عندي أن يحجر عليها » . ثم اجتمع عليه سلاطين اليمن سليمان وعمران ابني الزر وسبا بن أبي السمود وأبي الغارات وأسعد بن أبي الفتوح والمنصور ابن الفضل في أثنى فارس وثلاثة آلاف راجل ، فأحاطوا به في الجند . وكانت الجند ذات سور ، وكان مع ابن نجيب الدولة من همدان أربع مئة فارس منتقاة كل فارس منهم بمد بمائة فارس ، منهم الطوق ابن عبد الله الهمداني ومحمد بن أحمد ابن عمران بن الفضل بن علي الياهي وعلي بن عبد الله الصليحي وعلي بن سليمان الزواحي وأبو التيث بن سامر ومحمد بن الأعز .

ولما اشتد الحصار على ابن نجيب الدولة ، وهو في أشد التعب يستغيث بها . كتبت الحرة الملكة على جاري العادة منها إلى عمرو بن عرفطة الجنبي . فأتاها ، فحيم بذى جيلة . وبمئت إلى وجوه القبائل ففرقت فيهم عشرة آلاف دينار مصرية ، وقالت للرسول : أشيعوا في المسكر أن ابن نجيب الدولة فرَّق في الناس عشرة آلاف دينار مصرية ؛ فإن أنفق السلاطين شيئاً من الذهب المصري ، وإلا ارتحلنا . فلما خوطب السلاطين بذلك وعدوا الناس . فلما كان من الليل ، ارتحل السلاطين ، كل واحد منهم إلى بلده ، وأصبحت الحشود من كل بلد بلا رأس ، فانفض الناس عن الجند . فقيل لابن نجيب الدولة : هل أبصرت هذا التدبير للتي

(١) عمارة / كاي ٤٣ - ٤٤ ؛ وعمون ٧ / ١٨٣ .

قلت إنها قد خرفت؟ فركب إلى ذى جيلة، وتنصّل واعتذر^(١).

ولكن هذا التصرف الذي أنقذ ابن نجيب الدولة ودلّ على حنكة الملكة الحرة في حرصها على إبقاء كلمة الفاطميين في اليمن هي العليا، قد أغضب سلاطين هذه البلاد، لإخفاقهم في التشنّي من منافسهم:

ولما رأى الخليفة الأمر الفاطمي أن سياسة ابن نجيب الدولة التي رسمها له الفاطميون قد حادت عن الخطة المرسومة، أرسل إليه يستدعيه إلى مصر. وبذلك انتهز سلاطين اليمن الفرصة، واتصلوا برسول الخليفة الأمر، فشوّها سمعة ابن نجيب الدولة لديه. وكان من سوء حظ ابن نجيب الدولة أنه لم يحفل بهذا الرسول. بل سفهه في مجلس حافل، مما ساعد على تبيد مؤامرة انتهت بالقضاء على ابن نجيب الدولة. وفي ذلك قال عماره^(٢): «ضمن الأمير الكذاب (رسول الأمر إلى اليمن) لهم هلاك علي بن نجيب الدولة بفصلين: أما أحدهما، فقال: اكتبوا على يدي إلى مولانا الأمر كتباً تذكرون فيها أنه دعاكم إلى تزار وراودكم على ذلك وامتنعتم؛ والفصل الثاني، اضربوا سكة تزارية وأنا أوصلها إلى مولانا الأمر بأحكام الله، فعملوا ذلك. وتصادف أنه عندما وصل من اليمن كانت العلاقة قد ساءت بين الخليفة الأمر ووزيره المأمون البطاحي، فقبض الخليفة على الوزير، فأوصل الأمير الكذاب الكتب والسكة إلى الخليفة الأمر»، وفيها ما يدل على انصراف ابن نجيب الدولة عن الدعوة المستعملة وانحيازها إلى طائفة التزارية.

القبض على ابن نجيب الدولة وتلجيمه إلى رسول الخليفة

وقد تركت هذه المؤامرة أثراً سيئاً في نفس الخليفة، فأرسل إلى اليمن الأمير الموفق ابن الخياط في مائة فارس للقبض على ابن نجيب الدولة. ولما وصل إلى الملكة الحرة في ذى جيلة طلب منها ابن نجيب الدولة، وكانت قد قبضت عليه بجيلة^(٣)،

(١) عماره / كاي ٤٥؛ عيون ٧/١٨٣ - ١٨٤.

(١) عماره / كاي ٤٦.

(٣) قال عماره ما معناه: إن ابن نجيب الدولة توجه إلى زبير عن كره منه. فدخل

أعداؤه على الملكة الحرة، ورجوا منها أن تحتفظ به، لأن الإمام لا يطلبه إلا منها، =

وامتنعت عن تسليمه ، وقات : « أنت حامل كتاب ، نخذ جوابه ؛ وإلا فاقمد حتى أكتب إلى الخليفة ويمود جوابه »^(١) . فخوفها وزرأؤها سوء السمعة ، وأفهموها بأنه ذاع لزار ، وأن هذا خطر على دولتها . ولكنها برآته مما نسب إليه ، وأظهرت طهارته ، ومع ذلك سلمته إلى الرسول سنة ٥٢٤ امتثالاً لأمر الإمام ، بعد أن استوفقت له من ابن الخياط بأربمين يمينا^(٢) . وكتبت إلى الخليفة الأمر وأرسلت إليه كاتبها محمد بن الأزدي^(٣) -- وكان أديبا منشئا للديوان مجيدا للألفاظ -- رسولا ، وسيرت معه إلى الخليفة بذرة من الجواهر تقوم بأربمين ألف دينار^(٤) . ثم خرج ابن نجيب الدولة من ذى جبلة وهو في قفص من الخشب ، واناس ينظرون إليه ، فقال لهم : « ما تنظرون ؟ أسد في قفص ! » .

نهاية ابن نجيب الدولة

ويختلف المؤرخون في نهاية ابن نجيب الدولة ، فبعضهم يقول : « إن السيدة الحرة سلمته إلى رسول الخليفة ، وبالرغم من شفاعتها للخليفة وأخذها الأيمان الغليظة على الرسول ألا يسه بسوءه ، تأمر أعداؤه مع الرسول على إغراقه ، وقد تم ذلك عند باب المنب ، كما أغرق معه رسول السيدة الحرة^(٥) . وبمضهم يقول : إنه وصل إلى مصر وشهر به في القاهرة في سنة ٥٢٤ كما قال ابن ميسر^(٦) ، وقيل إنه لا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن » .

= قمارضت الملكة ، وأرسلت إليه الشريف أسعد بن عبد الصمد بن محمد العوالي ، وكان ابن نجيب الدولة يثق فيه . فأدركه بعيدا عن أخذ بيلة ، وأخبره بأن الملكة مشرقة على الموت ولا تثق بأحد إلا بك . فرجع ، فاحتضت به ، وكيدته بريد من فضة زنته حسون أوفية (عمارة / كاي ٣٦ - ٤٧) .

(١) نفسه ٤٧ .

(٢) نفسه ٤٧ .

(٣) كذا ورد الاسم في كفاية ٥٨ ؛ وذكر في عمارة / كاي ٤٧ (الأزرق) ومصحفها

كاي (باب الأزدي) ، وفي الميون ٧/١٨٥ : ابن الأزدي .

(٤) عمارة / كاي ٤٧ .

(٥) نفسه ٤٨ . وقد أيد ما قال عمارة صاحب الميون ٧/١٨٥

(٦) ابن ميسر : أخبار مصر ٧٠ .

ومهما يكن من أمر ، فإن نجم ابن نجيب الدولة قد أخذ في الأقول منذ دبّ النزاع بينه وبين السيدة الحرة الملكة ، ومنذ أن أساء التصرف في أمور الدولة . أضف إلى ذلك حقد سلاطين اليمن عليه ومؤامراتهم ضده . ومع ذلك فإن الملكة أروى فقدت بخروجه من اليمن أنشط أنصارها ومساعدتها . فتجلى طمع السلاطين فيها في نفس اليوم الذي فارق فيه ابن نجيب الدولة مدينة ذى جبلة ، إذ دخل عليها سليمان وعمران ابنا الزر شامتين في ابن نجيب الدولة ، وخرجا من عندها وهما يقولان : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل نسمع الحديث من عائشة فلا نخرج حتى نعلم أنها امرأة » . فكان آخر دخولهما عليها ^(١) .

على بن عبد الله الصليحي

وبعد رحيل ابن نجيب الدولة اختارت الملكة الحرة السلطان علي بن عبد الله الصليحي ابن أخى السلطان علي بن محمد الصليحي ، للدفاع عن دولتها ؛ ونمت بفخر الخلافة ، وقد مدحه الشاعر محمد بن أحمد بن عمران بقصيدة جاء فيها ^(٢) :

يا غادياً مُزَمِّماً في السَّيرِ معترماً	لا يتقى الأئبن والوعثاء والألما
واحمل سلاى إلى المختار من كَشَب	فخز الخلافة والتم كَفَّه أَمَّا
وحاز من نسب الأصلوح ذروته	وحاشد واعتلى الهامات والقما
رئيس همدان بل كهلانَ أجمعِهما	بل قرم قحطان حازَ العلم والكرما
أوفى بنى الدهر في شام وفي يمن	قولاً وفعلًا وأعلى يعربٍ همما
ومتصبا ومعلا شامخا وعلا	عند الفخار وأسنى رهطه شيما
لسارأى الله ركن الدين منهدما	والعدل مهتظما والحق مخترما

(١) عمارة / كلى ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ١٨٦ — ١٨٧ وقد ورث هو وابنته الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله ممتلكات الملك المكرم بعد وفاة الملكة الحرة .

جاء بالرتبة العليا وشرّفه بدعوة الدين حتى عزّه وانتظما
ولكننا لا نعرف شيئا عما قام به على هذا من الأعمال ، لأن المصادر التي
تحت أيدينا لا تذكر شيئا عنه . ولكن يظهر أن الدولة قد أخذت في الانهيار
في هذا الوقت ، وهذا ما سنذكره فيما بعد .

القاضي ملك وبعثته الى مصر

ونظرا لأننا في صدد الكلام عن عهد الملكة السيدة الحرة ، نشير إلى بعض
ما وجدنا في مصادر الدعوة اليمينية عند الدعاء الذين حملوا لواء الدعوة الفاطمية
في عهدها ، ونشاطهم في تأييد الدعوة والدولة .

لعب قاضي قضاة اليمين ملك بن مالك الحمادي الممداني^(١) دورا هاما في تاريخ
الدعوة الفاطمية في بلاد اليمين . وقد عاصر الملك علي بن محمد الصليحي والملك
المكرم والملكة الحرة . وذكر إدريس^(٢) نقلا عن السلطان حاتم بن إبراهيم
الحمادي المتوفى سنة ٥٩٦ ، أن عليا الصليحي لما تمّ له فتح جزيرة اليمين بأسرها
أرسل إلى الخليفة المستنصر الفاطمي كتابا مع قاضي قضاة اليمين وجماعة من وجوه
الأولياء^(٣) ، يطلب منه أن يأذن له بالهج إلى مكة والمسير إلى مصر لزيارة الإمام
في القاهرة والهوض إلى المراق . ويمكننا أن نقرر أن هؤلاء الرسل قد وفدوا
إلى مصر في سنة ٤٥٤ ، ذلك لأن المصادر كلها قررت أن القاضي ملك أمضى
خمس سنوات في القاهرة ، ثم عاد إلى اليمين سنة ٤٥٩ أو ٤٦٠ أي بمسد
قتل الملك علي الصليحي بقليل . وبعد أن سلم سفير اليمين القاضي ملك إلى الخليفة
ما استودعه الملك علي بن محمد الصليحي من الرسالة والسفارة ، أزل الخليفة

(١) في الزهراء ١ / ٨٤ — ٨٥ قال : « وهذا الداعي ملك بن مالك هو من بني
حماد بن ممدان ، وحماد وحماد أخوان . وكان عمل ملك في لهاب من نواحي حراز ثم سكن في
قرار ملك بني الصليحي في صنعاء ثم في ذي جيلة » .

(٢) عيون ٧ / ١٠٣ .

(٣) ورد أسماؤهم في السجلات رقم ٥٥ (الموجه إلى السيدة أسماء بنت شهاب المؤرخ
في سنة ٤٦١) : قاضي قضاة اليمين ملك بن مالك وعبدالله بن علي ومحمد بن حسن وحسين بن علي
وعبد الله بن عمر وأبو البركات بن أبي العشيبة .

القاضي في دار المؤيد في الدين هبسة الله بن موسى الشيرازي^(١) باب أبواب الإمام^(٢) المستنصر بالله الفاطمي . وكان المؤيد يناجى الإمام بالفتح للقاضي فلا يجاب إلا بالقول : « كيف يستأذن وقد آن وقت الشتاء » ؟ وأقام لك بمصر خمس سنوات . ويقول حاتم بن إبراهيم الحامدي^(٣) : « وفي مدة إقامة القاضي الأجل ، كان لا يفارق المؤيد ، بل ظل بين يديه يسأله ويأخذ عنه ، ويكتب ما استفاده منه إلى أن استوعب ما عنده » . وأخيرا قدم إليه القاضي سبعا وعشرين مسألة ، فقال : « ما جواب هذه إلا من مولاك » . فدخل القاضي على المستنصر بالله فأجابه عنها جميعها ، وكساه عن كل جواب حلة من حلل الشرف^(٤) . وظاهر هذه البمثة ، كما ذكر الحامدي ، هي رغبة الملك علي بن محمد الصليحي في أن يسمح له الإمام بالحج وزيارة القاهرة وطرده العباسيين من بغداد ، ولكن هذا الأمر لا يستدعى إقامة القاضي خمس سنوات في القاهرة ، وخصوصا أن سرعة إنجاز ما يطلبه الملك على الصليحي من الخليفة الفاطمي كثيرا ما كان يحمل صواب الأمور . والذي يلفت النظر حقا ، اهتمام زعماء الدعوة في مصر بالقاضي لك . ونظرا لأن الملك عليا الصليحي كان على صلة برياسة الدعوة في مصر بتبادل الرسائل والرسول

- (١) راجع مقال حسين الهمداني في (JRAS (1932) من ١٢٦ - ١٣٦ ؛ د المؤيد ١٨٤ - ١٨٦ ؛ سيرة المؤيد ١٧ ؛ الباب التاسع من هذا البحث .
- (٢) كانت هذه الوظيفة في أول نشأتها سرية لا يعرف بها أو بصاحبها إلا رجال الدعوة المقربين . ولما تركر الحكم الفاطمي أعلنوا هذه الوظيفة ورفعوا الستار عن صاحبها ، فأصبحت الوظيفة خطيرة . فنهبا ينبعث التوجيه السياسي والديني والعلمي . ولا يمنح هذا اللقب إلا لمن سبق أن تدرج في مراتب الدعوة . ويعتبر داعي الدعاة انصلة بين الإمام وبين حدود الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول المؤيد في الدين عند كلامه عن داعي الدعاة القائم بن عبد العزيز بن محمد بن أبي حنيفة النعمان في عهد المستنصر : « وتوجهت بعد ذلك إلى المرسوم بالانقضاء والدعوة الذي كان باب حطنتنا ونحن بالعد ، والراضة بيننا وبين مجلس الإمامة » (سيرة المؤيد ٨١ - ٨٢) . ومن أعماله رياسة الدعوة الفاطمية وأخذ العهد على المريدن مباشرة أو بواسطة نوابه ... (خطاط ١/٣٩١) .
- (٣) عيون ٧/١٠٣ . ونقل هذا الخبر الحسن بن نوح البهروجي في كتابه الأزهار ٧١/٢ - ٧٥ . والشيخ شرف على في كتابه عيون المعارف ٥٦ ؛ .
- (٤) عيون ٧/١٠٣ .

في المناسبات المتعددة فلا بد أن رؤساء الدعوة كانوا على إلمام تام بحقيقة شخص
ملك ، ومدى مركزه في الدولة والدعوة في بلاد اليمن .

ومما لا شك فيه أن القاضي ملك بحضوره المجالس المستنصرية التي كان يلقيها
المؤيد في دار العلم ، وبملازمته باب أبواب الإمام هذه المدة الطويلة وقف على
التمهيلات المهمة التي أولاه إياها باب الأبواب . هذه التعليقات والإشارات التي سيكون
لها الأثر الفعال في توجيه الدعوة الفاطمية في بلاد اليمن ، ومما يدل على مبلغ اهتمام
الإمام وباب أبوابه المؤيد بقاضي قضاة اليمن وبدعوة اليمن ، ما جاء في سجل^(١) أرسله
المستنصر بالله إلى السبعة الحرة أسماء بنت شهاب والدة المكرم حيث يقول :
« . . . وساق إلى ولدك (المكرم) من التثريفات والألقاب ما شفقه بما هو
أزيد من ذلك محبة رسلكم : قاضي قضاة اليمن ملك بن مالك ، وعبد الله بن علي
ومحمد بن حسن ، وحسين بن علي ، وعبد الله بن عمر ، وأبو البركات بن أبي
المشير - سلمهم الله - فلقد جاهدوا وصبروا ، واجتهدوا في الخدمة
وما قصرُوا ، والله تعالى يبلغهم مقصدهم سالمين برحمته . . . » .

وكان المؤيد من أكبر الشخصيات الذين حملوا الواء الدعوة لا في مصر
فحسب ، بل في كثير من البلاد ، وبخاصة بلاد اليمن . وفي ذلك يقول إدريس^(٢) :
« فهو بالنسبة للدعاة القاطنين أب ، وكلهم إليه بعلمه منتسب ، لأنه سلم للداعي ملك
ماعنده » .

نفوذ الوزراء في مصر

ويجب أن نقرر حقيقة أخرى وهي : أن المؤيد لما حضر إلى مصر من بلاد
فارس ، ورتق في مناصب الدعوة حتى أصبح باب أبواب الإمام ، وجد أن أمور
الدعوة والدولة ليست في يد الخليفة ، بل وجد الوزراء قد سلّبوا السلطة ، لذلك
رأى أن مصير الدعوة بهذا الوضع ينحدر إلى الضعف ، بل قد يكون الزوال على يد
هؤلاء الوزراء . وقد أخذ نفوذ الوزراء يزداد لضعف نفوذ الخليفة ، ولا أدل من

(١) السجلات رقم ٥٥ .

(٢) عيون ٧/١٨٨ .

إقحام اسم بدر الجمالي^(١) في معظم مكاتباته إلى بحار الدعوة ، ومعظم رسائله التي بعث بها بعد سنة ٤٦٧ إلى الصليحيين قد ذكر فيها اسم بدر مشفوعا بالثناء والتقدير العظيم^(٢).

تحويل التراتب الأوربي الفاطمي إلى اليميني

ونخلص من هذا إلى الصورة التي ظهرت في مخيلة الداعي المؤيد ، أن الدولة على هذا الوضع مصيرها إلى الزوال . لذلك وجب تحويل آداب الدعوة إلى مكان يضمن حفظها ، ولم يكن هذا المكان إلا اليمن . وساعد على ذلك أن الدعوة الفاطمية الرسمية كانت قد استقرت في بلاد اليمن ، لأن دعوة اليمن هي الوحيدة التي ظلت موالية لدعوة الفاطميين الرسمية بعد أن فقدت تلك الدعوة نفوذها لضعف أمرها في كل من شمال إفريقية ومصر وسورية والعراق وفارس^(٣).

(١) هو أبو نعيم بدر الجمالي أمير الجيوش مملوك جمال الدين بن عمار ، تولى الوزارة للخليفة المستنصر بالله في يوم ٢٨ جمادى الأولى سنة ٤٦٦ ، وتوفي في شهر ربيع الأول سنة ٤٨٧ .

(٢) والمستنصر إذ يعترف لبدر في إنقاذ دولته بمدحه والثناء على جهوده في سبيل رفع الدعوة الفاطمية يطلب من الصليحيين أن يشاركوه هذا التقدير السامى ، ويتخذ من بدر وابنه الأفضل هداة يبتدون بهما ، وقد أمدتنا رسائله بصورة واضحة عن ثقة الخليفة ببدر حتى إنه وضع أمور الدعوة والدولة جميعها في يده . وقد ورد اسم بدر في رسائل المستنصر إلى الملك المكرم في سنة ٤٧٠ ، فيقول : ... ولم يكن له بد من ... أن يجعله محل الوالد ويجعل له مكان الملك وينزله في عقد خلافة الإمامة ... فول وجهك نحو هذا السيد الأجل ، واجعله قبله دينك في مصادر ومواردك (السجلات رقم ٣٤) . لما تمكن بدر من قس المستنصر وصار يؤلف الكتب في أصول الدعوة أخذ منه المستنصر بابا لدعوته ، ووضعه في مراكز لم يضع فيه وزيرا قبله ، وأخذ الخليفة يحتم على أتباعه وجوب طاعته . فأرسل إلى الملكة العزة سجلا مؤرخا في شوال سنة ٧٢٤ : يطلب منها أن تحذو حذوه وتسترد بشيخ الوزير بدر (السجلات / المهداني : ٣١) ، فأصبح المستنصر بهذا الوضع مسلوب السلطة والإرادة كما كان ابنه المستعلي . كذلك في عهد الأفضل بن بدر الجمالي ، فأصبح النفوذ والسلطان المطلق بيد الوزراء . وكان التحمس للدعوة ونصرتها أو إضعافها تابعا لرغبة الوزراء وميولهم . فالأفضل كان يميل ميل السنيين ، فألقى الكثير من الأعياد الفاطمية المحضة (حسن إبراهيم : الفاطميون في مصر ٢٧٩) .

(٣) انظر مقال حسين المهداني في J.R.A.S. (١٩٢٣) ص ٢٦٢ .

وقد بدأ هذا التحول بالفعل على يد القاضي لك بن مالك الذي عاد إلى بلاد اليمن يجعل تقليد المكرم ملكا خلفا لأبيه . ولما علم المكرم بأن لك كان بعد عودته من القاهرة مكلفا من قبل الإمام تنفيذ سياسة معينة ، كان لا يقطع أمرا من أمور الدولة والدعوة إلا إذا استشاره ، نظرا لمكانته العظيم في نفسه ، حتى إنه كان إذا لقيه في طريقه ترّجل عن جواده ، احتراماً لمقامه ، وحفظاً لأكيده ودّه^(١) . فكان القاضي لك بهاء عن ذلك بقوله : « إنك في الملك في مقام الإمام عليه السلام ، فلا ينبغي لك أن تتواضع عن منزلتك »^(٢) .

تفويض رئاسة الدعوة اليمنية إلى القاضي لك

وصفة القول أن المكرم جعل لك رئيس الدعوة في اليمن ، تحقيقاً لرغبة الإمام ، فكان المكرم « داعي السيف » وكان لك « داعي القلم »^(٣) ، وكان لك قبل ذلك قاضي القضاة^(٤) . وفي ذلك يقول إدريس^(٥) : « وأرسل الإمام عليه السلام الداعي الأجل لك بن مالك إلى اليمن ؛ فأقامه داعياً مع الداعي الملك المكرم ؛ وأمر المكرم بأن يقوم بالسيف والقاضي لك داعي القلم ؛ وجعل إلى الملك المكرم أمر الملك والسياسة ، وإلى الداعي لك إقامة القضاء ، ولكن لا يمكن أن يجزم بأن القاضي لك كان يقوم وحده بأمر الدعوة والمستنصر يقول : « . . . والدعوة الهادية المستنصرية ثبتها الله في الأعمال اليمنية بفضل سياسة المكرم الذي ضمّ شمل الأولياء ، وجمع الآراء على ما عاد بنظام الدين وإشراقه »^(٦) ، ويقول

(١) وقد تمشى في ذلك مع القاعدة التي اتبناها الخلفاء الفاطميون مع قضاة دولتهم ، فالخليفة المستنصر بالله ، كان إذا خرج القاضي البازوري من عندهم تمشى جميع أهل الدولة في ركابه (السنن: رفع الإصر ورقة ٨٣ — ٨٤) .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) ضمه ٨٣/٧ .

(٤) « كان يختار لهذا المنصب من يتوسم فيهم العلم بكتاب الله وسنة رسوله وكان يزيه لذلك أن يكون رجلاً عفيفاً ورعاً تقياً لا تأخذه في الحق لومة لائم » (مشرفه : نظم المسك بحصر في عهد الفاطميين ٢٣٢) .

(٥) نزاهة ٨٣/١ . (٦) عيون ١٢٧/٧ .

في موضع آخر موجها الكلام إلى الملك المكرم : « . . . وأمر أن يقلدك النظر فيما كان أبوك تقلده من الدعوة الهادية والأحكام في سائر اليمن وسائر الأعمال المضافة إليه » (١) .

ومن هذا يتضح أن المكرم كان الرئيس الأعلى للدولة والدعوة ، ولكنه ترك أمر الدعوة للقاضي ملك يتصرف فيها بالرجوع إليه . ومع ذلك فإننا نلاحظ أنه قد حدث تغيير جوهري في دستور الدعوة في اليمن ، فقد كان أول الملوك الصليحيين وهو الملك علي بن محمد الصليحي رئيساً للدولة ، كما كان رئيساً للدعوة ، أي أن أمور الدولة والدعوة كانت مركزة في شخصه ؛ فهو والحالة هذه أشبه بيمض شيوخ الجبل عند الترابية ، بحيث لا يفترق عنهم ، إلا في أنه يدعو لإمام ظاهر ، يظهر الولاء والطاعة له (٢) ، على حين كان المكرم رئيساً للدولة وبشترك معه القاضي ملك في إدارة شؤون الدعوة .

فصل الدعوة عن الرولة

في الشطر الأول من حكم الملكة الحرة منحها الإمام لقب حُجَّبة ، وقال صاحب العيون (٣) : « . . . فرفعت بذلك عن حدود الدعاة إلى مقامات الحجج ، وكففت كافة المؤمنين ، والدعاة اليامين ، والحدود والمستجيبين خير كفالة ، وأوضحت البرهان في ولاية الأئمة عليهم السلام ، وأظهرت معالم الدعوة للتابعين ، وأبانت وما وهنت لما أصابها في سبيل الله » . واستعانت في تمشيت قواعد الدعوة بقاضي القضاء ملك الذي لقب في عهدها بداعي البلاغ . واستمر القاضي بوظائفه العديدة التي ذكرناها آنفاً إلى أن وافته المنية في السابع والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة عشر وخمس مئة ودفن بلهbab (٤) .

(١) عيون ٧ / ١٢٩ .

(٢) مله شرف ، الترابية : ٢٧ .

(٣) عيون ٧ / ١٤١ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

يحيى بن ملك

ولما توفى القاضي ملك خلفه ابنه يحيى فى نفس الوظيفة التى كان يعمل فيها أُوهِمَ مع الملكة الحرة . « فاستمر ينصب الدعوة ، ويوضح معالم الدين ، ويحيى مراسمها ويبين شريعته ، ويفسر تأويله وحقيقته » (١) . وبفضل جهوده التى بذلها تحت رعاية الملكة الحرة ، تمكنت الدعوة الفاطمية المستعملة فى بلاد اليمن ، وما انضاف إليها عمان والهند (٢) ، وزادت ثقة الإمام بالصليحيين ، لأنهم برهنوا على صدق إخلاصهم لذههم وولائهم له . فلما توفى الخليفة المستملى سنة ٤٩٥ وخلفه ابنه الأمر ، قامت الملكة الحرة له بالدعوة خير قيام ، وساعدها فى ذلك الداعى يحيى . « فاستقامت بهما أمور الدين فى أقطار اليمن ، ووضحت بهما الفروض الشرعية والسُنن ، ومضت بهما الأحكام ، وأقيمت شعائر الإسلام ، وعرف الحلال والحرام » (٣) . واستمر يحيى يعمل فى وظيفة أبيه مع الملكة الحرة حتى توفى فى ٢٨ جمادى الآخرة سنة ٥٢٠هـ (٤) .

تولية الداعى الذؤيب بن موسى الوداعى أمر الدعوة

ولما تبين للملكة أن مملكتها أخذت تتزعزع أركانها للأسباب التى سنذكرها فيما بعد ، قررت بثاقب فكرها أن تفصل الدعوة عن الدولة فصلاً تاماً ، كما كان الحال فى مصر ، حتى تباشر الدعوة نشاطها العملى والدينى مستقلة عن تأييد الدولة ، ففصلت هيئة الدعوة كلية عن إدارة الحكومة ، فأصبح يقوم بأعباء هذا النظام الثنائى (Dual hierarchy) رؤساء مختارون لإدارة شؤون الدولة والدفاع عن الملكة ، وآخرون للدعوة .

فأقام الداعى يحيى والملكة الحرة الداعى الذؤيب بن موسى الوداعى الهمدانى

(١) عيون ٧/١٤٤ .

(٢) نفسه ٧/١٢٣ — ١٢٤؛ والسجلات رقم ٥٠ .

(٣) عيون ٧/١٤٤ .

(٤) صحيفة الصلاة ٣٣٩ .

في رئاسة الدعوة ، وفي اختياره رئيساً للدعوة يقول إدريس^(١) : « اجتمع عدة من سلاطين اليمن إلى قاضى القضاة وداعى الدعاة باليمن يحيى بن ملك . وكل من أولئك السلاطين يرى أنها ستقع إليه بإقامة الدعوة الشريفة الإشارة ، ومتطلع إلى أن يلى إيراد الأمر فيها وإصداره . والذؤيب بن موسى متواضع مع علو مرتبته لأبويه ، إلى ما يشار إليه من على منزلته . فحين اجتمعوا عند القاضى الأجل يحيى ابن ملك بن مالك أعلن بالتعريف بفضل الداعى ذؤيب بن موسى وعلى مقامه ، وأنه المعاضد له ، والخالف له بعد انقضاء أيامه ، وتلا على السلاطين والمؤمنين التقليدين من الحرة الملكة السيدة ولىة أمير المؤمنين ، وكافلة أوليائه اليايمين ، ومن داعى الدعاة وقاضى القضاة يحيى بن ملك ذى الحجة الماضية البراهين ، فسمع أهل الفضل والديانة قول الحرة الملكة حجة الإمام الأمر ، وقول داعيه يحيى بن ملك ، ولم يكن منهم جاحد ولا مكابر » .

وكان قد وقع في دستور الدعوة تغيير جوهرى ، بسبب اختفاء الإمامة من مسرح مصر ، مركز الدعوة الفاطمية ، ودخلت الدعوة في اليمن في عهد الملكة الحرة والداعى الذؤيب بن موسى مرحلة أخرى . وصارت الدعوة منظمة ديبية بحتة بعد سقوط الدولة الصليحية ، بموزها تعاون الدولة وتأييدها ، مع أنها كانت تحاول عدّة محاولات طوال القرون لإنشاء دولة مستقلة في المناطق التي قطنها أولو الدعوة .

استنار الإمام والطيب والدعوة اليمنية

فلنرجع إلى مصر برهة من الزمن . لسكى نعرف ما حصل هنالك من الانقلابات والحوادث التي أدت إلى هذا التغيير في نظام الدعوة باليمن .

أنجب الخليفة الأمر قبل مقتله بقليل طفلاً في الليلة المصححة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وسماه الطيب ، وكناه أبا القاسم

وكتب سجلات البشارة بهذا المولود والنص على إمامته ، ومن ذلك سجله إلى الملكة الحرة الصليحية^(١) ، فقال فيه :

« . . . أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا يحصى لها عد . . . ومن أشرفها لديه قدرا . . . بأن رزقه مولودا زكيا مرضيا ، . . . وذلك في الليلة المصيبة بيوم الأحد الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، . . . سماه الطيب . . . وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى . . . ولما كانك من حضرة أمير المؤمنين السكين . . . أشمرك هذه البشرية . . . لتأخذى من السرة بها بأوفى نصيب ، وتدعيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين ، إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد وقريب ، . . . » الخ

وأرسل الأمر إلى الحرة الملكة الشريف محمد بن حيدرة « بسجلات تتضمن السلام عليها ، . . . وكان ما سفر به إليها مندبل كم سمل ، وأمر الشريف ابن حيدرة بتسليمه إليها »^(٢) . فلما وصل الشريف وسلم إليها السجلات الآمرية وذلك المندبل فاضت عيناها بالدموع حين وقفت على المندبل ، « فعلت أنه نعى إليها نفسه »^(٣) . والمحتمل أن الشريف كان من الحاضرين حينما نص الأمر على تعيين ابنه الطيب للإمامة بعده ، ولذلك ندبه الأمر للسفارة إلى اليمن^(٤) . ومن المحتمل أيضا أن السجل الذى ذكر فيه المولود الطيب ، كان من ضمن السجلات التى أتى بها الشريف إلى اليمن .

فأذاعت الملكة بشرى المولود فى جميع أنحاء مملكته ، وقامت هى والذويب ابن موسى الوداعى بأخذ البيعة والمهد للطيب والدعوة إليه ، وأمرت الملكة عند قراءة مجالس الحكمة بالصلوات على الطيب بن الأمر^(٥) .

(١) عمارة / كالى ١٠٠ -- ١٠٢ ؛ عيون ١٩٢/٧ - ١٩٣ ؛ والمحقق رقم ٨ .

(٢) عيون ١٨٩/٧ .

(٣) نفسه ١٨٩/٧ .

(٤) نفسه ١٩٤/٧ .

(٥) نفسه ١٩٤/٧ .

وقد قتل الخليفة الأمر بأحكام الله في الثاني من ذي القعدة من سنة أربع وعشرين وخمس مئة^(١) بيد جماعة من الزرارية . فأظهر الوزير أبو علي أحمد ابن الأفضل مذهب أهل السنة ، بعد أن أقام الدعوة للخليفة الزعوم أبي القاسم المنتظر القائم في آخر الزمان المهدي حجة الله على العالمين . واستولى على أمور الدولة وقبض على ابن مدين صاحب الرتبة وقتله . وقتل من أصحاب ابن مدين الدعوة ابن رسلان والمزري و نسلان . وهرب قونص^(٢) إلى اليمن ، وعاد بعد ذلك ققتل . وأقام ابن مدين قبل مقتله في رتبته صهره القاضي أبا علي ، وأمره أن يخرج الإمام الطيب خوفا من عدوان الوزير ابن الأفضل . فاستتر القاضي صهر ابن مدين بستر الإمام الطيب وسافر معه . « وكان ابن مدين المنتصب بالدعوة إلى الطيب في الديار المصرية وأقامه الأمر بأحكام الله في الرتبة البابية ، وأشار الأمر إلى القاضي أبي علي صهر ابن مدين بحفظ رتبته . فتاب القاضي بنية الطيب . فلم يعرف إلا المخلصون أين مقصده ومثواه . وما زال الستر إلى هذا الأوان ، والإمامة جارية في الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين وعقبه الطاهرين في كل وقت وزمان » . هذا ما رواه صاحب الميون^(٣) .

فما قتل الوزير أبو علي أحمد بن الأفضل في نهاية فترة شغور^(٤) خرج عبد المجيد بن محمد بن المستنصر من سجنه ، وادعى إمرة المؤمنين والإمامة .

(١) في رواية الميون ٧ / ١٩٠ فك الزرارية بالأمر يوم الثالث من ذي القعدة سنة ٥٢٦ ، وكانت نقلته إليه بعد تحديد النص على ابنه الطيب . وهذا التأريخ يخالف جميع المصادر . فلذلك اعتمدنا على التأريخ المشهور بدلا من رواية صاحب الميون .
(٢) ميون ٧ / ٢٠٢ — ٢٠٣ : وقونص دون الثلاثة في المنزلة .
(٣) نفسه ٧ / ٢٠١ — ٢٠٢ .

(٤) فترة شغور من الثاني من ذي القعدة سنة ٥٢٤ يوم اغتيل الأمر إلى الخامس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ يوم تولى المحافظ عبد المجيد الخلافة الفاطمية بمصر . وكان عبد المجيد قائما بحفظ القصر وظاهر الملك وولاية عهد السدين ، لا يدعى الإمامة ولا يعرف بها عند الخاصة والعامة إلى أن ظهر الوزير أبو علي بن الأفضل الذي تقلب على الديار المصرية وقصد إلى القاهرة وسجن عبد المجيد . ومالا الوزير على ذلك ابنه الحسن بن عبد المجيد واعتقل أباه حتى قتل ابن الأفضل وبمعه الحسن بن عبد المجيد .

وذلك حين استمر من استمر من الدعاة مع الطيب، وقتل من قتل على يد الوزير أبي علي ابن الأفضل في هذه الفترة .

وذهب بعض المؤرخين^(١) التآخريين البعيدين عن مسرحي الدعوة - المصري واليميني - مذهبا آخر في أمر عقب الأمر والإمامة بعده، فقالوا ما معناه : إن الأمر لما اغتيل في سنة أربع وعشرين وخمس مئة خلف امرأته حاملا فبويع بولاية المهدي لابن عمه عبد المجيد بن محمد بن المستنصر ، ولم يبايع بالإمامة حتى يظهر الحمل . فلما وضعت زوجته أنثى ، عهد إلى الحافظ عبد المجيد بالخلافة . وأما القرظي فلم يقل إنها وضعت أنثى بل ذكر أن برغش وهزار الملوك أقاما الأمير عبد المجيد ، « وأنه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من أولاد الأمر » . ثم ذكر استبداد أبي علي بالوزارة والقبض على عبد المجيد وسجنه ، وخروجه من المعتقل بعد قتل أبي علي الوزير . فاستطرد القرظي قائلا : « وأخذ له المهدي على أنه ولي عهد كفيلا لمن يذكر اسمه » ، وأشار إلى الوزير رضوان الذي أخذ في إهانة حواشي عبد المجيد الحافظ ، « وهم بخلمه وقال : ما هو بإمام ، وإنما هو كفيلا لغيره وذلك الغير لم يصح » .

وقال ابن الفرات^(٢) : « إن أهل صنعاء يرون له (الأمر) ولذا يسمى الطيب ، وهم أمرية الذهب ، وبالشام جماعة من الأمرية » . والأمرية في اليمن هم في الواقع الذين يسمون بالطيبة ، لأن أتباع الأمر هم أتباع ابنه الطيب ، إلا من اتبع الإمامة الحافظ عبد المجيد فسموا بالمجيدية ، ولم يبق منهم أحد في اليمن حتى بعد مدة وجيزة من الزمن .

وإننا نرى أن سجل الأمر^(٣) الذي ذكرناه آنفا خير رد على من يذهب إلى القول بأن الأمر لم ينبج قبل موته . وقد أورد عمارة اليميني (وهو ليس من أهل الدعوة) هذا

(١) النويري : نهاية الأرب ٨١/١٦ ؛ أبو الفداء : المختصر ١١٤/٢ - ١١٥ ؛ السبي : عقد الجمان ٣/ورقة ٥٥١ ؛ السيوطي : حسن المحاضرة ١٦/٢ - ١٧ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ١٠/٣ . نرى أن ابن الفرات (المتوفى سنة ٨٠٧) غير مصيب في قوله إن جماعة من أتباع الأمرية لا يزالون بالشام ، حتى في القرن التاسع ، لأن قوادم كان سائدا في بلاد الشام لفترة من الزمن ، ثم أزاله الزاوية وأصبحت الشام مجالا حيويا للزاوية .

(٣) عمارة / كافي ١٠٠ - ١٠٢ ؛ عيون ١٩٢/٧ - ١٩٣ ؛ انظر المحقق رقم ٨ .

السجل، كما أورده صاحب العيون نقلا عن مؤرخي الدعوة اليمينية السابقين. ونحن نرجح قول عمارة اليميني والمؤرخين اليمينيين للإمامهم بالحقائق، وقربهم في الزمن والدعوة يستحق الترجيح.

وباختفاء الإمام الطيب دخلت الدعوة في اليمين دورا جديدا يعرف بدور الدعوة الطيبية، وانفصلت الدعوة اليمينية عن مصر نهائيا، وأصبحت اليمين هي المركز الرئيسي للدعوة الفاطمية المستعملة الطيبية. واستقلت اليمين عن الخلافة المصرية بعد اغتيال الأمر، وظلت الملكة الحرة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأمة الفاطميين من قبل. ومما لا شك فيه أن الملكة ورياسة الدعوة في اليمين كانوا يعرفون مكان اختفاء الإمام الطيب كما يظهر من تقليدها السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن عمر الصليحي بوصيتها إذا وافتها النية، أن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية، وأن يوصل كل ما ذكر فيها من مجوهراتها ومصوغاتها على باب الإمام الطيب وأن يأخذ عليها الخط الشريف الإمامي بوصول ذلك.

شخصية الطيب التاريخية

ويقول الدكتور محمد كامل حسين مستندا إلى التاريخ والعقل معا^(١): «قصة الطيب هذه أقرب إلى الأساطير الخيالية منها إلى الواقع التاريخي. فإن أحدا من المؤرخين [لم يد] ذكر وجود الطيب بن الأمر إلا ما زراه في كتب دعائه. فالصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم فقط الذين تحدثوا عن الطيب بن الأمر، بينما سكوت المؤرخون عنه ولم يذكروا حتى اسمه في كتبهم؛ بل ذهب المؤرخون إلى أن الجهة التي كانت حاملا عند موت الأمر بأحكام الله وضعت أنثى، ولكن الصليحيين قالوا بل وضعت الطيب، وإن السيدة الملكة الحرة كانت كفيئته وأنها سترته فلا يعرف أحد شيئا عنه! ونحن نتساءل عن سبب ستره مع أن الدولة

(١) وبعد أن حررنا ما سبق أرسل إلينا صديقنا الفاضل الدكتور محمد كامل حسين نقلا، وذلك بدعوة منا، عن «عقائد الدعوة»، فله منا الشكر على إجابة دعوتنا، ولنعرض على ما أبدينا من آرائنا خدمة للعلم والتاريخ.

كانت دوله الصليحيين والسلاطان في أيديهم . فلم قبلوا أن يدخلوا إمامهم الستر وأن يخفوه ما داموا يدعون له ويدبنون بطاعته وإمامته ؟ يخيل إلى أن الصليحيين وضوا قصة الأمر هذه ، حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الديني ، وأن يستقلوا بالنفوذ السياسي والديني معا . وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحقته الكبرى . وسار على نهجها كل داع مطلق في الدعوة إلى الآن .

وإننا نرى وجهة في رأى صديقنا الفاضل الذي ذكرناه آنفا ، وأن من حق الباحث أن يتساءل ويناقش ويشك ، حتى يصل إلى معرفة الحقائق أو ما قرب إليها . وإننا نرى أن ما روى عن الطيب بن الأمر يكتنفه بعض الغموض من حيث مسألة استتار الإمام واختفائه في ظروف خاصة ، كمسائل أخرى تملق باستتار الأئمة الفاطميين . ونقول إن استتار الإمام لا يبقى سترًا إذا كانت أحواله وأموره مكشوفة واضحة . والذي يدهشنا أن الأمر لم يملن ولاية عهد ابنه الطيب في دار الخلافة بمصر بالرغم مما روى اليمنيون أنه نص على تميم الطيب للإمامة بمده . ونحن لا نستطيع أن نفسر هذا إلا أن الإمامة يخصها رياسة الدعوة وأهلها ، وأما الخلافة فلم ير أنه جاء الأوان لإعلان ولاية عهده ، واعتيل نجاته .

وبالرغم من ذلك تؤيد وجهة نظر الدعوة اليمنية على أساس وثيقة معاصرة هامة - وهي السجل الأمري الوجه إلى الملكة الحرة . وهذا السجل أوردته المؤرخ الفقيه عمارة اليمنى الحكيمى (٥١٥ - ٥٦٩) في كتابه تاريخ اليمن . وقد عاش الفقيه في اليمن ، ثم انتقل في سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة في عهد الخليفة الفارز الفاطمى إلى مصر ، ورفض أن يتخذ مذهب الدعوة دينًا ، بالرغم من حبه للفاطميين ومغريات المنصب والمكاسب المادية . ولم يكن هذا المؤرخ طيبًا ولا مجديًا بل ولا فاطميًا في ميوله الدينية ، بل تمسك بمذهب أهل السنة ، ولكنه كان ملتمًا بحقائق الأمور في السرحين اليمنى والمصرى . ويزيدنا اعتمادًا عليه أنه تحدث عن الطيب بن الأمر وذكر سجل الأمر الوجه

إلى المسكة الحرة وهو بين أصحاب الدعوة المجيدة المصرية التي كانت تحارب الدعوة الطيبية بكل شدة . فلم يخف عمارة من إثبات الوثيقة في كتابه ، ولم يتملق أو يلفق ، بل ذكرها بكل بساطة كمادته . والظاهرة هذه أدت إلى مشتقة الأيوبيين . فزى أن علماء الدعوة الطيبية لم ينفردوا بالتحدث عن الطيب الإمام المستور ، بل تحدث قبلهم هذا المؤرخ السنّي الفقيه الثقة الجليل القدر .

والظاهر من رواية القرزى التي ذكرناها آنفا أن الأمر كان له أولاد غير الذي كانوا يتوقمون ولادته . ولو سحت رواية القرزى نستطيع أن نقول إن الطيب كان من هؤلاء الأولاد . ولم يذكر أحد من المؤرخين أسماءهم ولا نعرف شيئا عنهم إلا أن القرزى أشار إلى أن عبد المجيد « كان كفيلا لمتنظر في بطن أمه من أولاد الأمر » . ولو سحت رواية القرزى فإنه لجائز أن الأولاد كانوا أناثا ، ولكننا لا نعرف عنهم شيئا ؛ ويجوز أن الأولاد كانوا ذكورا . وليس الأمر بمبدا لأن الأمر كان كمثل من خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين لم يقتصر على زوجة واحدة . وإننا نتقد أن الأمير عبد المجيد كان كفيلا للطيب ، لا لمتنظر من أولاد الأمر . وذلك لأن القرزى ليس دقيقا دائما في تسجيل الحوادث .

ولم نعرف في كتب الدعوة التي تحت أيدينا ما يثبت أن الصليحيين قالوا إن السيدة المسكة الحرة كانت كفيلا للطيب وأنها سترته . ولم يذكر صديقنا المحقق مصادره . ولقد روى مؤرخو الدعوة اليمنية معلومات هامة عن هيئة الدعاة الذين كلفوا كفالته وستره ، وما لاقوا في هذا السبيل من القتل على أيدي الوزير أبي علي بن الأفضل الذي أظهر مذهب أهل السنة بعد أن أقام الدعوة للخليفة المزعوم أبي القاسم المتنظر القائم في آخر الزمان المهدي . وليس هناك تناقض بين كفالة ابن عم الأمر الأمير عبد المجيد بن محمد بن السننصر لخلافة الطيب وبين كفالة الدعاة لإمامته . فقد وجد الأمير بعد خروجه من المعتقل أن الدعاة قد قتلوا ، وأن الطيب قد استتر في فترة اعتقاله في السجن ؛ ومن المحتمل أنه لم يكن يعرف ملجأه ولا متواه ، فأصبح طريقه إلى الخلافة ممهدة ، وأظهر الخلافة والإمامة مما لنفسه ، مع أن هذا العمل يتنافى مبدا الإمامة منذ الفاطميين ويردها إلى القهقري .

وقد ذكرنا فيما سبق ما قال ابن الفرات عن الأمرية في الشام واليمن والطيب ابن الأمر ، ولكننا اعتمدنا في تأييد وجهة نظرنا على سجل الأمر نفسه وعلى تسجيل المؤرخ المعاصر القاضي الفقيه عمارة اليمني ، وبين هذا وذاك أوردنا تفاصيل ذكرها علماء اليمن .

هذا من الناحية التاريخية . وأما بقية الاعتراض فنقول إن الصليحيين كما أوضحنا لم يخفوا الطيب بل الدعاة في مصر أخفوه . وإن سلطان الصليحيين في أواخر عهد السيدة الملكة الحرة أخذ في الزوال ، ولم يبق في دولتها إلا بعض الحصون والمعاقل ، وانقرض أمرهم بعد وفاتها . ونسب الأستاذ العليم إلى الصليحيين وإلى ذكاء الملكة ودهانها وضع قصة الأمر هذه « على أن تجمع في يدها السلطتين السياسية والدينية إلى أن تقول بأنها كافل الإمام المستور وحقته الكبرى » الخ . إذا كانت مملكتها في أواخر عهدها أخذت تنهار ، فإننا نرى أن قبولها دعوة الخليفة الحافظ عبد المجيد يساعدها على استرجاع بعض نفوذها وفي تقوية سلطتها السياسية إلى حد كبير ، لأن الفاطميين في أيام الحافظ عبد المجيد كانوا لا يزالون يملكون أمبراطورية قوية الجوانب . وكان الملك سبا الزيربي استطاع أن يوطد مركزه في اليمن الأسفل بفضل مساعدات الخليفة الحافظ وسفيره المقيم باليمن . ولكنها لم تفعل هذا ، بل رفضت دعوى الحافظ ، وهي تعرف أنها تحسر صداقة دولة قوية ، وتعرف أن ما بقي من مملكة الصليحيين تنتهي بعد موتها إذا لم تسكب حلفاء أقوياء ، وبقية الملكة تحافظ على ولائها للإمام الطيب ودعوته والأئمة الفاطميين من قبله ، وتقول : « حسب بنى الصليحي ما علموه من أمر مولانا الطيب » كما رواه عمارة اليمني . فهذا يدل على أنها لم تكن ترمي إلى هدف سياسي لما فصلت دعوة اليمن من الخلافة المصرية .

وقد عرفنا من المصادر التاريخية أن ملكتنا السيدة الحرة كانت امرأة كسائر النساء إلا أنها امتازت بملها وفضلها وتقواها وعبادتها حتى فافت الرجال ، وأنه لم ينسب إليها الكذب والخديعة والندرة والخيانة وما شاكلها من الرذائل . ومن الطبيعي أن سيدة عظيمة كهذه يكون لها ولأمرها أولياء ومؤمنون

يحبونها إلى درجة العبادة ، ويكون لها أعداء يريدون القضاء عليها وعلى أمرها . أضف إلى ذلك أنها كانت ترأس مجتمعا يتمتع بقسط كبير من السؤدد والنسب والإباء والشرف والحرية حتى سميت باسم « سيدة ملوك العرب » . وكان في هذا المجتمع سلاطين بنى الصليحي وحولان ويام وهمدان واليعارب ذوو بأس وشهامة ، وبالرغم من ولائهم للملكة كانوا يعارضون أحيانا خططها السياسية والحربية ، كما شاهدنا في معارضتهم للأمير ابن نجيب الدولة مستشار الملكة المصرية ، وفي قول السلطانين الخولانيين ابني الزر شامتين في سقوط المستشار المصري ونصرتها له : « صدق الفقيه في قوله : قال عبد الله بن عباس : كنا ندخل نسمع الحديث من عائشة ، فلا نخرج حتى نعلم أنها إمراة » . وكان في هذا المجتمع اليمني علماء ومفكرون امتازوا عن غيرهم بمعارفهم الواسعة وتفكيرهم وخبرتهم بأحوال الناس أمثال الشيخ يحيى بن ملك الحمادي والحبر الذؤيب بن موسى الوادعي والسلطان الخطاب الحجوري والشيخ إبراهيم الحمادي وعلماء آل الوليد العنشمي . فإنا نستبعد أن إمراة مهما بلغت في الدهاء والذكاء تستطيع أن تخدع مثل هذا المجتمع بأسره ، وفي كل زمان . ولم نسمع أن أحدا من هؤلاء السلاطين والملوك والرؤساء والمشايخ والعلماء احتج أو أشار إلى اختراعها هذه « القصة » . ولم نسمع أن ملوك بني حاتم اليامين الهمدانيين الذين تحرروا من اختلاف انذاهب وانفصلوا عن الدعوة الفاطمية ، أو السلطانين الخولانيين سليمان وعمران ابني الزر اللذين اشتهدا بمعارضتهما للملكة ومستشارها المصري ، أو السلطان سبا بن أبي السعود بن زريع الجشمي صاحب عدن الذي استماله سفير مصر اتقاضي الرشيد أبو الحسن أحمد بن علي الفسائي الأسواني^(١) إلى دعوة الخليفة المحافظ عبد الحميد ، أو السفير المصري نفسه الذي كان يجارب الملكة ودعوتها إلى انطيط بن الأمر بتاله وعلمه ،

(١) هو أبو الحسن أحمد بن علي بن محمد بن الحسين بن الزبير الفسائي الأسواني . وكان من أهل الفضل والنباهة والرياسة ، كما كان أوحد عصره في الفقه والرياضيات والفنسة . وله كتاب « الجنان ورياض الأذهان » . وقد قال الجندي : « إنه قدم اليمن رسولا من صاحب الديار المصرية المحافظ ، وأقام فيها مدة واتفق به وبعلمه كثير من أهل اليمن (بالخرمة : نقر عدن ٤ / ٤٠) .

أو غيرهم تسكلموا أنها أو الصليحيين وضمو قصة الطيب هذه .

وقد حاول الأمير عبد المجيد (الخليفة الحافظ) بمد اختفاء الإمام الطيب أن يتصل بالملكة الحرة ، فراسلها ليستميلها إلى قبول خلافته ، وإعلان ولائها لشخصه ، ولكنه أخفق في جميع محاولاته . وفي ذلك يقول إدريس^(١) « .. وكان عبد المجيد يكتب الحرة الملكة ابنة أحمد حجة الأئمة في الجزيرة اليمنية ذات الرتبة النسبية ، من ولى عهد المسلمين وابن عم أمير المؤمنين » ، ثم كتب إليها : « من أمير المؤمنين » فقالت : « أنا أروى ابنة أحمد ، بالأمس ولى عهد المسلمين ، واليوم أمير المؤمنين . لقد جرى في غير ميدانه ، وادعى أمرا يبعد عن مكانه » . وأعلنت أهل دعوتها أنه قد نكث عهده وخالف رشده ، وادعى ما ادعاه الظالمون من قبله ، وارتقى لقام ليس من أهله » .

ولما عجز عن استمالها أرسل القاضي الرشيد داعيا له باليمن ، فاستطاع استمالة بعض السلاطين بالوعود والمال . ولم تقف عرقلة الحافظ للدعوة اليمنية عند هذا الحد ، بل اتصل ببني زريع^(٢) في عدن واستعان بهم في نشر الدعوة باسمه . وكان القائم منهم في هذا الوقت هو سبا بن أبي السمود بن زريع الجشمي الهمداني ، الذي نصبه داعيا له في اليمن . ويقول إدريس^(٣) : « وكان السلطان سبا بن أبي السمود يظهر الدعوة إلى الحافظ . . . وقد ذكر أنه لم يجب عبد المجيد وبدع إليه إلا تقيّة وخوفا . . . تخاف سطوته وصولته وعدوانه ، وإنه كان باقيا على طاعة الإمام الطيب » فاستاءت الملكة الحرة من عمل عبد المجيد هذا ، وفي ذلك يقول صاحب الأنباء^(٤) : « إنه وصل العلم بقتل الخليفة الأمر سنة ٥٢٤ بمصر

(١) عيون ٢٠٧/٢ .

(٢) هم رؤساء همدان وهم من جشم نم من يام بن أصبا . وكان لجددم زريع بن العباس جهاد واجتهاد في قيام الدعوة القاطمية في بلاد اليمن في عهد الملك علي بن محمد الصليحي وابنه المكرم ، وإليهم يرجع الفضل في مساعدتهم ضد الدولة النجاشية . ثم ظلوا على ولائهم للدعوة السطلية بعد وفاة السننصر (راجع بالخرمة : نثر عدن ٤٠) .

(٣) عيون ٢٠٤/٧ .

(٤) أبناء / دار ٤٧ .

وقيام الحافظ بعده ، فأضافت السيدة دعوته إلى الزريعيين » . ويقول صاحب الميرون : « ورأت أن الإمساك عنه ، والإغضاء أجدر ، ولم تظهر الإنكار عليه ، تقية من السلطان عبد المجيد .. على دينها ، ورعاية لأهل دعوتها ومملكاتها وأهلها »^(١) .

فإذا كانت الملكة الحرة هي التي اخترعت أسطورة الطيب ، فلماذا لم ينتهز القاضي الرشيد فرصة وجوده في اليمن لبيان حقيقة هذه الأسطورة ، فيسهل عليه المهمة التي أرسل من أجلها ؟ ولماذا لم يرسل الحافظ لسلطين اليمن - الناقلين مهم على الملكة - ليفهمهم مبلغ تجرؤ الملكة على مقام الإمامة ؟ ولماذا سكت المؤرخون اليمنيون المعروفون بكرهمهم للفاطميين والصلحيين عن هذه الأسطورة ؟

ومنها يكن من أمر ، فإن مجهود الحافظ عبد المجيد وسفيره باليمن قد نجح إلى حد ما ، فضمفت الدعوة الطيبية ، وتفككت أوصل الدعوة الصليحية بسبب هذه المناورات والخلافات .

وليس من المعقول أن الملكة السيدة تخدع الناس كلهم وتخدع نفسها في أواخر أيام حياتها . وذلك لأن الإمامة مسألة لها خطير وقداية عند جميع فرق الشيعة . ومما لا شك فيه أنها كانت تؤمن بإيمان صادقاً مخلصاً بوجود إمامها المستور ، بل تعلم هي وبعض أوليائها مثوى الإمام ومقامه . كما هو ظاهر في نص وصيتها^(٢) .

استغلال دعوة اليمن عن مصر

ثم إن دولة الصليحيين لم تكن في يوم من الأيام تابعة سياسياً للدولة الفاطمية ، بل إن حبهم وإخلاصهم لمذهبهم الديني هو الذي جعلهم يفرضون على أنفسهم تبعيتهم المذهبية للفاطميين . ولم تر طوال مدة حكم الصليحيين أن الخلفاء الفاطميين تدخلوا سياسياً في شئون هذه الدولة . وعلى ذلك فللملكة الحرة ومن سبقها من

(١) عيون ٧ / ٢٠٥ .

(٢) عيون ٧ / ٢٠٩ - ٢١٨ ؛ انظر المحقق رقم ٩ .

سلاطين الصليحيين كانوا مستقلين سياسيا ببلادهم ، ولكن ولاهم للاثمة الفاطميين في مصر يجعلهم يخضعون لرغبات أمتهم صاغرا وكابرا .

أما فصل الدعوة اليمينية عن الدعوة الفاطمية باسم الدعوة الطيبية ، فلم يكن الفرض منه كذلك هو الاستقلال الديني . ولم تكن الدعوة الطيبية دعوة جديدة ، كما يقول صديقنا الفاضل ، وإن كان هناك بعض الفوارق ، لأنه هو نفسه عاد ، فقال : « . . . إن آراء الفاطميين في التوحيد هي نفس آراء الدعوة الطيبية » . ثم قال في مكان آخر : « . . . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمي ، وعنهم أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغير وفيها شيئا » . فثبت أن دعوة اليمين بالرغم من أنها انفصلت عن الخلافة الفاطمية القائمة في مصر سياسيا بقيت مستمرة في عقائدها ومحتفظلة بأدابها على ما كانت عليه الدعوة الرسمية في مصر .

وكانت الملكة الحرة حجة إمامها الفاطمي في الجزيرة اليمينية ، فلذلك كانت تتمتع بسلطان كبير من السلطان المطلق في أمور الدعوة حتى قبل انفصال الجزيرة عن مركزها الرئيسي بالقاهرة . وقد نصبت الملكة الذؤيب بن موسى الوداعي في حد « الداعي المطلق » ، فأصبح مركزه بذلك عظيما ، لأنه ينوب عن حجة الإمام بل عن الإمام نفسه . وأصبح هو المصدر الذي تستقى منه علوم الدعوة ، فلا نجد داعيا من الدعاة يكتب في التأويل إلا بعد الرجوع إليه ، بعد أن كان هذا مباحا لعلماء الدعاة في دور الظهور ، وبعد أن كان باب الاجتهاد مفتوحا كذلك لهم بإذن الإمام وحججه . وأما الآن (دور الستر) فلا يسمح لأحد إلا بدراسة علوم الدعوة وجمعها وتنقيحها ، وذلك أيضا بإذن الداعي المطلق .

السلطان الخطاب بن الحسن المحجوري

عاضد الداعي الذؤيب بن موسى الوداعي في إقامة الدعوة مأذونه السلطان

الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري^(١) الهمداني ، ومركزه في الدعوة على الداعي المطلق الذؤيب . وفيهما قال إدريس^(٢) « وهما في العلم مناره وعلمه الذي لا تحبونه ناره » وقال أيضا^(٣) : « وكان الخطاب بن حسن أبا الملكة من الرضاع — ذا منزلة جليلة ، وهو أرفع الدعاة بعد الداعي الذؤيب بن موسى ، وعضده في إقامة الدعوة الآمرية والطيبية في أوان الحرة الملكة السيدة الصليحية وبمد وفاتها ؛ وكانت له عندها مزينة جليلة ومرتبته وفضيلة . وهو من دعاة أيام الظهور والستر » . وكان الخطاب معروفا بالفضل والعلم والشعر والحكمة ، وبالباأس عند الشدائد والإفحام في الحروب ، وبالورع والزهد ، وبالملك والسؤدد^(٤) .

وقال باعزيمة وإدريس نقلا عن صاحب المفيد^(٥) : « ومن شعراء اليمن المجيدين الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ » وله ديوان شعر^(٦) ، فهو من الشعراء المعروفين في اليمن . وقد شاركه أخوه الأكبر سليمان بن الحسن الحجوري في هذه

(١) حجور حى من همدان ، وهم ولد حجور بن أسلم بن عنيان بن زيد بن عريب ابن جشم بن حاشد . وحجور حى عظيم باليمن والشام والعراق قارب نصف حاشد . ومنهم بنو الصيحي بيت الأخرج ، وهم من بني عبيد بن أوام بن حجور (هامش الصيون ٧/٢٢٢) ؛ (كامل ١٠/٩٧ - ٩٩) والخطاب من ولد حرث بن شراحيل تم من ولد موله بن حجور تم من قدم من ولد عنيان بن زيد بن عريب بن جشم بن حاشد . ابن حيران بن نوف بن همدان (كامل ١٠/٩٧ - ٩٩ ؛ عيون ٧/٢٢٢ ؛ نزهة ١/٨٦) وذكر أبو محمد الهمداني في سنة ١١٣ بلاد حجور من جبال حاشد . وقال حجور أربعمون ألفا . وفي اقتسابه إلى حجور يقول الخطاب (د الخطاب ١١١) :

قوى حجور جناح في أمر به وأهل عزمى من دون الورى قدم
لا يسألون لرسم حين أرسمه ولا أهدن رسما غير ما رسموا

(٢) عيون ٧/٢٢٢ .

(٣) نزهة ٧/٢٢٦ .

(٤) وذكر إدريس (٧/٢٢٤) نقلا عن عمارة اليمن في كتابه السمعى بأغودج ملوك اليمن ما يروى من أحكام السلطان الخطاب صاحب مدينة الحريب وضلته وذكائه في معرفة القضاء التي كانت ترفع إليه .

(٥) باعزيمة : فلاة البحر ٣/٢ ورقة ٦٣٥ - ٦٣٦ ؛ عيون ٧/٢٢٢ .

والظاهر هو كتاب المفيد لعامة .

(٦) مخطوط ديوان الخطاب محفوظ بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وسنذكر مصنفاته

في أتاب العاشر .

الناحية الفنية . وقال إدريس^(١) : « إن ديوان سليمان معروف جيداً ولا يزال موجوداً »^(٢) . وقال إدريس^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما : « إن الخطاب وسليمان كانت لهما معرفة قوية حتى عرفا باسم «مقوكني قحطان» ، وأجيز لسليمان في ست مئة كتاب قراءة ، ولأخيه الخطاب في أربع مئة ، وركب سليمان أيامه في ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس » .

ومعظم قصائد الخطاب كانت في مدح آل بيت الرسول والأئمة ، وفي الحكم والحقائق ، وفي الرد على المعترضين على الدعوة ، والمفاخرة . ولم يمدح أحداً من معاصريه إلا الحرة الملكة ابنة أحمد « وصاحب الرتبة السابق » (ولم يذكر اسمه) ، وهذا على سبيل الاعتراف بالجليل وتلقى العلم . ولعله يريد بالسابق الذؤيب بن موسى الوادعي .

ونورد هنا بعض الأبيات التي تشف عن أسلوبه في الشعر ، وولائه للملكة الحرة وللأئمة الفاطميين بمصر ، وعقيدته في النظام الفكري الفاطمي ، وإخلاصه ومحاسنه للدفاع عن حوزة الدولة الصليحية ، والتي تلقى ضوءاً على شخصيته الفذة ، فلنقتطف من غير قصائده الأبيات الآتية^(٤) . قال :

مَلَيْتُ بدارِ الحِمْسِ طَولَ نَوَاطِي وَسَجَنِي وَتَمَذَّبِي بِهَا وَبِلَاطِي
وَجَمَعَ لَطِيفِي بِالكَشِيفِ وَزَّرَهُ إِلَيْهِ لِإِشْقَائِي وَطَولِ عَنَائِي
وَمَالِي سِوَى فِوزِ المَمَادِ إِرادَةَ وَخَلَعِي مِنَ الأَجسامِ كُلِّ غِشاءِ
كَلَمَلِي بدارِ القُدسِ أَرَجِعُ كَالذِي وَجَدتُ بِهِ مِنَ عِزَّةِ وَعِلاءِ

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) ذكر الأصبهاني في خريدة القصر (مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم ٣٣٢٩ ورقة ٢٧٥) سليمان بن أبي العضاظ من شعراء اليمن ؛ وأورد بيتين من شعره :

كُنْتُمْ تَحْمُونَ رِيحاً أَنْ يَهَبَ لَكُمْ مِنْ النِّسيمِ وَلَوْ يَوْمِينَ تَصَلُ
فِجَاءَكُمْ مِثْلَ مَا عَادَ بِهِ هَبْتُ مِنَ المَقيمِ الَّتِي عَادَ بِهَا هَلَكُوا

وقد بحثنا عن ديوان سليمان بدون جدوى .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٤) وقد لحس سنروطيان في Miscellany ١٣٨ - ١٣٩ موضوعات هذه القصيدة .

لآلاءِ نورِ واقتدارِ وغنيمةِ
 حننتِ إلى تلكِ المقاماتِ والتظلي
 أرى الموتَ جسراً والأحبةَ خلفه
 وهل يكره الموتَ امرؤٌ متعلقٌ
 غداراضياً في كلِّ أمرٍ مسلماً
 محضتِ لإخواني صريحِ نصيحةِ
 وأودعتها روحاً من القدس سارياً
 وذلكَ آتِي قد بَلَوْتُ فلم أجِدْ
 سرابٌ كما قالَ الإلهُ بقِيعةِ
 ولا نبيءَ إلاَّ ما علمتُم بحبِّله
 ألا واغسلوا من كلِّ حقدٍ قلوبكم
 ولا تجمّلوها للحسودِ أو انبأ
 وإياكمُ والكبرَ والحسدَ اللذَيْنِ
 دعوه وسوءَ الخلقِ والعجبِ أنهما
 فلا تستهينوا بالحدودِ وعظّموا
 تلقّوا بحسنِ السمعِ والطوعِ أمرهم
 ولا تسألوا لم ذلكَ، وارضوا وسلّموا
 فقلكِ صفاتِ المؤمنينِ وسمّتهم
 ورأى لكمِ أن لا تخجلّوا بشرطها
 بذلكِ لكمِ نصيحِ الأمينِ لأنني
 فن شاءَ فليأخذْ ومن شاءَ فليبدعْ

ومحضِ جلالِ باهرِ وسناءِ
 فؤادِي بجزرِ الشوقِ والبرِّ حَاهِ
 وعابِرَه من أسمدِ السّمداءِ
 بمرورةِ إخلاصِ وجبلِ ولاءِ
 لمولاهِ ديناً ليس فيه يُرأى
 تعرفهم أني من النصحاءِ
 إلى كلِّ داءٍ منهم بشفاءِ
 مذاهبِ هذا الخلقِ غيرِ هبَاءِ
 تراءى لقومٍ مُصْحَرِينَ ظهَاءِ
 وعروتهِ للمترَةِ النجيبَاءِ
 عليكمِ فداءُ الحقدِ أحيثِ داءِ
 فإنَّ إناءِ الحقدِ شرٌّ إناءِ
 هَدَاءِ من الإيمانِ كلِّ بِنَاءِ
 خلائقِ أعداءِ لكمِ أُمْنَاءِ
 مقاماتِ تلكِ الصفوةِ العظاءِ
 بما جاءكمِ لو جاءكمِ بِنَاءِ
 بغيرِ اعتراضِ منكمِ ومراءِ
 وسيرتهمِ تقلاً عن العلاءِ
 إذا كنتمُمُ مِمَّنْ يُصَوِّبُ رَأْيِي (١)
 على كلِّ خُلصانٍ من النصحاءِ
 نصائحٍ لم تبذلْ لأخذِ كفاءِ

ولا الذكر لى أنى من الفصحاء
لحيران فى تيه الضلالة نانى
إن استيقظت لى أنفس الجهلاء
بصقلى وتهذيبى بها وجلاى
صباغاً به تضحى من البلاء
بظلماتها فى جملة الجنايا
فتى لىس معدودا من العقلاء
به عقل طبع ذا عمى وعيأ
دفاع مصر واجتلاب غنايا
به فليلازم سنة الفضلاء
بذلك أزداداً من القديما
مقاماً وشهدوا أيدياً بهوايا
له من كتاب الله عدة آنى
فانى له من أبفض البغضاء
إليهم بمكر منهم ودهاء
وزوراً مبيحا منهم لدماء
كهمل معز فى الغلاء وشاء
رعاياهم فى جملة النظراء
فتضحى وتسمى فى كلاً وكلاء
أمين ويسقيها بمحوض رواء
تشيع من أشياعه برعاء

ولا طلباً للشكر من آخذ بها
لحبت بها الطموس من سبل الهدى
وأبقت من نوم الجمالة أنفساً
عسى تنجلى منهم نفس صديفة
فيصبع إكسرى مهياً ذاتها
وتخلص من سجن الهيولى الذى غدت
ولن يدرك الحال الذى أنا واصف
أريد به عقل المعارف ، لم أرد
شبهها بعقل فى البهائم همة
فمن كان مهترأ لما أنا واصف
ولا يعتمد خرق الشريعة تاباً
ومثوه ديناً عندهم وادعوا به
وأول كل منهم بقياسه
ألا كل من هذا السبل سبيله
وقالوا كذا قول الأئمة واعتروا
لقد قال إنكأ فى الذى قال عنهم
وأجفل عنهم ذا السواد الذى غدا
به امتدت الأيدى إليهم وأصبحت
نوافر من راع شفيق يصونها
ويوردها المذب الفرات وشربها
وما يتقى بطش المباع رعية

وما ذاك إلا زُبدٌ نخضهم الذى
 أبأ ليس من نسل ابن مرّة أصلهم
 عليهم شعار المؤمنين وكنيتهم
 أضلّوا بما جاءوا فريقيّ غواية
 فريقاً نحماً ما قد نحوه مقلداً
 وثانٍ رمام والإمام الذى اعتروا
 وأصبح من يدعو إليه لديهم
 تبادره الدهماء فى كلّ مشهد
 حلفت بمولاي الذى كفروا به
 لأهم بالقتل من كلّ حيّة

وقال يخاطب أهل الدعوة فى أنحاء اليمن (١) :

أبلغنا لى تحييتى واغما الشكر كثيراً يا أيها الراكان
 من نوى ساكننا بصنعاء فالبؤى نر ما بينها إلى نجران
 فبلى حازر فالبوادى فببؤى نر فمالي الذرارة من كؤوب كبان
 فشبام فبؤى فبلى الفسّر ب [فد] من حبر ومن همدان
 مؤمنها حصاً ذوى الاعتقاد ت التى لا تزول والأديان
 كل صافى اليقين مؤفّر بتاعا كهدّ الله مخلص الإيمان
 صنفو صفو الأفلاك لبّ الهبولى من قديم وزبدة الأزمان
 أن سلام عليكم أولياء الله حقاً يا شعيمة الرحمن
 هل أنا كم ما كان منى من الكشوف لأهل الضلال والظنّان

وقيامى بدعوة الأمر المنصور جهراً فى موضعى ومكانى
فنفقتُ الأصنام والجُثب والظا غوت عنها وسائر الأوثانِ
وأيضاً يذكر ما أقام من الدعوة إلى الأمر بأحكام الله الفاطمى وإقامة الخطبة
له وباسمه وضرب السكة حيث يقول (١) :

حرامٌ علىّ النوم غيرِ غرارى يلمّ بجفنى بمد طول نفايرِ
وأظهر أعلام الهدى مستطيلةً أشمة أثمار بها ودرارى (٢)
وأظهر للنصور مولاي دعوةً موطدةً فى مسكنى وقرارى
وأعلنها كشفاً بنفير تسرّ وأكشفها جهراً بنفير سرارى
أمتلى يلهيه فيلهو بلذّة ترنم أوتار وشرب عقارى
ويرضى بما يرضى به من معيشة من الناس فى دنياه كلُّ حمارِ
فمن مبلغ مولاننا ابنه أحمدٍ نهابتى القُصوى وقطب مدارى
سلاى وإلماي وزاكي تحيتى وإن بعدت دارى وشطّ مزارى
أمولاننا حقّت لديك نصيحتى حقيقة علم ليس فيه تمارى
وما كان من كشفى القناع لذهبي جهاراً فلم أخش العدا فأدارى
خطبت لمولانا وأظهرت سكةً عليها اسمه طارت بكل مطارى
لدى معشر جبل الضلالة عندهم منار وجبل الدين غير منارى
وفارقت أولادى وأهلى وما حوت جيمسا يدي من فضّة ونضارى
ورمت رضا المنصور فيما أتيته إذا فارقت درى قشور حمارى (٣)

(١) لا توجد هذه القصيدة فى نسخة ديوانه الموجودة فى مكتبتنا المحمدية الهمدانية ،
فقلنا هذه الأبيات من عيون ٧ / ٢٢٦ - ٢٢٧ .
(٢) وفى رواية : مستطبة أشمة أثمار لها البيت .
(٣) حمار ، بلد فى أرض حجور فى سرة المصانم (صفحة ٦٩ و ٧٢) .

فهل لي يا مولانا منك عاصد ممين به يضحي زنادى وارى
 أمولاتنا لا تتركيني بقفرة وحيداً لأعدائى تروم دمارى
 وقومى بأمرى والحظيى بلحظة فلحظك غادر بالسعادة جارى
 ولى غرض لا بدلى من مناله بلا رقبه منى ولا بحذار
 سامضى لها عزمى فإباً منية تحين بفك من وفاق أسارى
 وأن لا علّت بي دعوة أمرية بها وإلها نسبتى وشعارى

الحرب بين الخطاب وإخوانه

وكان الخطاب يسكن مع إخوته في مدينة الجريب^(٢) . وبعد وفاة أبيه حدث نزاع بينه وبين أخيه الأكبر سليمان الشاعر ، أدى إلى قيام حرب بينهما دامت مدة طويلة من سنى الخمس مئة إلى أربع عشرة وخمس مئة . فغلب الخطاب على الأمر وجعل الجريب مسكنه ومقر مملكته . ويذكر إدريس^(٣) نقلاً عن مؤلف ديوانهما أن « سليمان ركب أيامه في ثلاث مئة فارس ، وركب الخطاب أيامه في خمس مئة فارس . وانترج منه سليمان إلى قومه من حجور بنى أفلح بالمصرق^(٤) ، ثم إلى الأمير أبى الفارات على بن يحيى بن حمزة بن وهاس السلماى بالساعد^(٥) ، ثم إلى الحبشة آل نجاح بزيب وإلى قوادم الفواتك مفلح ومنصور بن مفلح ومن الله وإسحاق بن مرزوق وأبى محمد سرور وأحمد بن مسعود الجزلى ، فجيش مستنصر بهم على أخيه ، فاستمّار بفارات عليه » . ولكنه لم يتمكن من أخذ البلد الجريب ، لأن الخطاب تعلق بآل الصليحي بذى جبلة أيام الحرة الملكة السيدة ابنة أحمد .

(٢) عيون ٧ / ٢٢٢ : الحريث . والصواب الجريب كما جاء في د الخطاب ونزعة ١ / ٨٦ . وهو بلد في سرة قدم وسوقهم الأعظم يتسوقه يوم وعده ما يزيد على عشرة آلاف إنسان ؛ والجريب من بلاد حجور هي سوق لأهل تهامة وعثر وجميع بلد همدان كما ذكرها أبو محمد احمداز في صفة ٦٩ و ١١٣ .

(٣) عيون ٧ / ٢٢٤ .

(٤) كذا في عيون ٧ / ٢٢٣ . وفي صفة ٦٩ و ١١٣ : العرقة بلد في سرة قدم .

(٥) سبق أن ذكرنا نسب الأشراف السلمايين القاطنين بتهامة عبر في ص ١٥٢ .

وأخيرا تمكن الخطاب من سليمان فقتله غيلة ، رماه بحربة تسمى المريجة ، ولبث في الأمر بعمده وبعد قتل أخيه أحمد بن الحسن^(١) . وكان أحمد بن الحسن « قد قتل أختها جميعا ظلما وعدوانا ؟ وكانت امرأة مؤمنة سالحة »^(٢) . فيندل قول إدريس على أنها كانت تميل إلى الدعوة وتنسب إلى حزب أخيها السلطان الخطاب ، فلذلك قتلها أخوها أحمد بن الحسن . ويظهر أيضا أن أحمد بن الحسن احتضنه أخوها الأكبر سليمان لاجبه ، بل لبغض الخطاب . وذلك « ذنبه الذي فرق بينه وبين أخيه سليمان »^(٣) وأدّى هذا النزاع إلى الحرب بين الخطاب وإخوته وطرده إياهم من مقر مملكة أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري — الجرب . وهناك سبب آخر أكثر خطورة من قتل أختهم الحرّة البرّة . وهو انتساب السلطان الخطاب إلى الدعوة ومحاسه في تدعيمها ونشرها في اليمن . وفسر صاحب الميون حربه لإخوته قائلا^(٤) : « إنهم كانوا مخالفين له في المذهب والسياسة ، مباينين للدولة الصليحية مناصبين لها ، كثيرى البغى على الخطاب » . وقد تفاقم الخلاف بين الإخوة بسبب التجاء سليمان إلى أعداء الدولة الصليحية وخصوصا الألد منهم آل بجاح يزيد . ومع ذلك كان الخطاب متألما بهذا النزاع الدموى بينه وبين من ربطه الرحم حيث يقول متضرعا إلى الله^(٥) :

يا من رضيتُ مسلماً لقضائه ورضيتُ مُحكماً
وعلمتُ أنّ جميع ما يأتي به عدلٌ وحِكْمَةٌ
مولائى كم من نعمة أوليتنى في زى نعمة
فأفرجْ بِمَنِّكَ عن وليِّك مُسرِّعا ما قد أغمّه

(١) عيون ٧ / ٢٢٣ .

(٢) نزهة ١ / ٨٧ .

(٣) نفسه .

(٤) عيون ٧ / ٢٢٦ .

(٥) دالخطاب ١١٨ — ١٢٠ .

وارحُم تضرَّعه ونفَّس كَرَبَه عنه ونَمَّه
وانصره نصرأ يستقيده من المداغصى الأزمه
وأدله منهم إهم أعداء غدرٍ للائمته (١)
لا يحفظون لمؤمن عهداً ولا يرعون ذمته
فترى الوليَّ بهم حليف كآبئة وأخا مهممة
تطوى محامده بهم وتشيح الأنجاس ذمه
لو يعضدون بقوة لتقاسوا ذمه ولحمه (٢)
لا ينظرون له وشبيح قرابة وأكيد حرمة
قد صبروا إيمانه وولاه لله جرمة
فتألبوا غصبا عليه وأكثروا بالغيب رجمه (٣)
ورموه عن قوس العداوة طالبين بذاك ظلمته
متناصرين عليه يطباق كلهم بالكيد سبمه
فإليك يا مولاي يد عو رافعا يده ووجهه
متوسلا بين الرنفتيت من الهداة المستثمه (٤)

فترى أن السبب الحقيقي الذي أدى إلى الحرب بين الإخوة كان النزاع حول
« إرمهم » الجريب عاصمة بلاد أبيهم السلطان الحسن بن أبي الحفاظ الحجوزى .
أفسمت بالله رب الناس كلهم أن الجريب أشكأل لساكنها
لكنننا قد نراها أمها « إرم » (٥)

وقد اشتد الخلاف كما ذكرنا آنفاً بمقتل أختهم الصالحة ، ثم بالتجاءهم
إما إلى الصليحيين أو إلى النجاشيين ، فصار الخلاف سياسياً : ثم أخذ

(١) هادش الديوان : أداله الله من عدوه أى جعل له الدعوة عليه .

(٢) فى رواية : لم يعضدوه بقوة . (٣) تألبوا عليه أى اجتمعوا عليه .

(٤) المستثمه أى الداعية إلى الأئمة . (٥) د الخطاب ١١٣ .

صبغة دينية ، وقد تماهى الفريقان في حب الأبعد ونبض الأفاقر ، فيقول الخطاب
مفتخرا بموالاة الأئمة^(١) :

وأقصوا مناويهم ولو كان والدا
أو أبنا وخصوه بكل جفا ،
ووالوا مواليهم بصفو محبة
ولو أنه من أبعد البعداء

فهكذا نرى كثيرا من الحوادث في تاريخ اليمن ترجع إلى أسباب شخصية
أو سياسية ثم تنتهي إلى التحزب المذهبي والتعصب الديني وتآلب المسلمين
بعضهم على بعض . فياحبذا لو اجتمع الأخوان سليمان والخطاب - مقولا
قحطان - وأحدث قواهما وأتلفت مواهبهما في إعلاء كلمة قحطان !

وقد انتصر الخطاب على إخوته وكان الانتصار في الحقيقة فشلا وهزيمة .
وأراد أن يتدارك بعض ما فاته من أهل بيته وصلة الرحم ؛ فضم إليه أولاد أخيه
سليمان وآوام وقام بأمرهم ورباهم . فلما كبروا أظفاهم بعض الناس ودكروهم
مقتل أبيهم سليمان وإدراك النار . ففتكوا به على غرة وقتلوه عضجه^(٢) .

ووجدت بعد مقتله قصيدته اليمية^(٣) التي كان قد قالها وكتبها قبل وفاته . مطلعها :

الدهر يمتد ما يجري به القلم^(٤) والمرء يلحقه النماء والألم^(٥)

ومنها :

يا أيها الناطق الناهي يحذرنى إن الحذير من المقدر محترم

إن كان قد حلّ حقّا ما أحاذره فليس لي من قضاء الله معتم^(٦)

(١) د الخطاب ٥١ .

(٢) ولم يمت الخطاب في ميدان القتال ، كما ذكره سترومان في Miscellany ١٣٦ .

(٣) د الخطاب ١١٠ - ١١٥ ؛ نزهة ١ / ٨٨ - ٩٠ .

(٤) رواية نزهة ١ / ٨٨ : ينبغ ما يأتي به القلم .

(٥) كما في نزهة . ديوان: تحفظه . (٦) نزهة : إن كان حقاً قضى ما كنت أحذره .

كَمْ مُفْسِدٍ مُرِدٍ لَمْ يَدْرِ ذِي مَرَحٍ إِلَّا وَقَدْ حَلَّ مِنْ بَأْسِي بِهِ النِّقَمُ^١
 كَمْ مِنْ أَعَادِ ذَمَّرْتُ الْخَيْلَ نَحْوَهُمْ بِكُلِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمٌ^(١)
 حَتَّى تَرَكَتَهُمُ وَالنَّاسَ قَوْلُهُمْ^(٢) كَانُوا وَكَانَ لَهُمْ عِزٌّ لَهُ حَرَمٌ^(٣)
 فَإِنْ أَصْرٌ مِثْلَ مَا قَدِ صَبَّرْتَهُ يَدِي فَاللَّهُ أَكْبَرُ وَهُوَ الْعَادِلُ الْحَكِيمُ^٤
 وَلَسْتُ أَجْزَعُ مِنْ مَوْتٍ عَلَى كَرَمٍ وَذَلِكَ أَكْرَمُ شَيْءٍ فَاسَمَهُ الْكِرْمُ^٥
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ رَبِّ النَّاسِ كُلِّهِمْ بَارِي الْأَنْامِ وَمَنْ يُخَشَى بِهِ الْقِسْمُ^(٤)
 أَنْ الْجَرِيبَ لِمَشْكَالٍ لِمَا كُنْهَا لَكُنْنَا قَدْ نَرَاهَا أَنْهَا إِرْمٌ^٦
 هَذَا لِآخِرِ مَنْ مَنَّا مِنْ يَحِلُّ بِهَا^(٥) فَسَوْفَ يَبْقَى عَلَى أَفْعَالِهِ النَّدَمُ^(٦)
 يَا أَيُّهَا الدَّهْرُ كَمْ تَلَهُوْا بِفَرْتِنَا أَشْكُو إِلَى اللَّهِ دَهْرًا لَيْسَ يَلْتَزِمُ^(٧)
 وَهَكَذَا النَّاسَ دَنِيَامٌ تَبْدُدُهُمْ وَهَكَذَا قَدْ مَضَى مِنْ قَبْلِنَا أَمَمٌ^٧
 وَيَذْهَبُونَ شَتَيْتَا فِي الْوَرَى مِرْقَا بَيْنَ الْبَرِيَّةِ لَا عُرْبٌ وَلَا عَجَمٌ^٨

ويظهر أنه قال هذه القصيدة وكان ألمه أشد ما يكون بعد وفاة الملكة الحرة ، وكانت هي قطب مداره ، فوجد نفسه «وحيداً بقفرة لا تلحظه بلحظاتها ولا تقوم بأمره» . وظل الخطاب يماضد صاحب الرتبة السابق الذؤيب بن موسى الوداعي بعد وفاة الحرة الملكة في إقامة الدعوة حتى وافته المنية .

-
- (١) ذممه الرجل أى حضه على الأمر ليجد فيه . وفي رواية : زعمت الخيل نحوهم وكل أروع البيت . والأروع الشهم الذكي الفؤاد ومن يجبك بجهارته منظره .
 (٢) كما في نزهة . ديوان : حتى تركت يقول القائلون لهم .
 (٣) نزهة : له كرم .
 (٤) كما في نزهة . ديوان : بارى النفوس يحى به السقم .
 (٥) نزهة : من يقيم بها وسوف يبكى البيت . وفي هامش نزهة : قوله قس لآخر منا من يقيم بها فصل فيه بين المضاف وهو قوله لآخر وبين المضاف إليه وهو قوله من يقيم بها ، فصل بينهما بقوله منا .
 (٦) نزهة : وسوف يبكى البيت .
 (٧) كما في نزهة . ديوان : ليس ينصرم .

مآثر الملكة أروى الجليزية

وإذا كانت الدول الناهضة في العصر الحاضر تعمل على تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل ، لإسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لأكبر عدد من سكانها ، ورفع مستوى المعيشة بين أفرادها ، وهى بذلك لاتندع ناحية من نواحي الإنتاج إلا أولئها عنايتها المرموقة لتصل إلى هدفها المنشود ، فهتم بالزراعة والصناعة والتجارة والمواصلات . ويعتبر هذا العمل من قبل هذه الدول عملاً مشكوراً ، كما يعتبر من أهم الأسباب التى تساعد على تقوية مركز الحكومات فى نظر الرعايا . فإذا كان مدى تقدم الدول الآن يقاس بمقدار ما تقدمه الحكومات من إصلاحات فى سبيل رفع مستوى المعيشة للشعوب ، فإننا نقف معجبين عند ما نعرف أن ملكتنا الحرة السيدة أروى بنت أحمد ، قد سبقت الحكومات المتحضرة المعاصرة فى اهتمامها لتنمية اقتصاديات اليمن ، فقد اهتمت الملكة برعى المواشى وتحسين النسل لى توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والألبان ، بل توفر القوة والغنى . فقد أزرعها أنها وقفت أراضى واسعة فى نواحي جبلة وحقل قناب ، تصرف غلاتها فى شراء الفحول من البقر كما أوقفت أراضى كثيرة ثمينة خصبة لرى المواشى ، وهذه الأوقاف لاتزال موجودة إلى الآن ومعروفة باسم « صابة السيدة » . حدث هذا فى المصور الوسطى مما يدل على أن الملكة أروى سبقت فى تفكيرها ووعيتها دول العصر الحديث التى تعمل بشتى الوسائل على تنمية اقتصادياتها ، وتصرف الأموال الطائلة فى سبيل ذلك .

وشىء آخر لا يقل أهمية عما ذكرنا يدل على سبق ملكتنا فى تفكيرها لمصرها ، وهو الاستمانة بالمستشارين من الدول الأخرى ، على الرغم من وجود شخصيات وزعماء وسلاطين ممتازين فى بلادها . فقد أزرعها أنها أرسلت إلى الخليفة الأمر تطلب منه إرسال أحد رجاله المشهود لهم بالكفاية والقدرة ، وأجابها لذلك بأن أرسل إليها ابن نجيب الدولة^(١) ، وهذا ما تفعله الدول فى العصر

الحديث، فتستعين بالخبراء الأجانب، على الرغم من توافر رجالها الممتازين وتقدمها في مضمار الحضارة.

وعرفت الملكة كذلك أن التجارة تمتزج مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد الوطني، وأن هذا المرفق يعتمد على المواصلات التي تعتبر الدعامة الأولى لتسهيل نقل التاجر، فعبدت الطريق من رأس جبل سمارة (تقيل سيد في عهدها) إلى السياني على مسافة ثلاثة مراحل. ويعتبر هذا أول الطرق الزراعية الممهدة في اليمن ومن أفيدها إلى الآن.

وأوتت الملكة عنايتها للحركة التعمير والبناء التي تعتبر دعامة قوية من دعائم استقرار الحكم ورضا الشعوب، فأنشأت الكثير من المدارس، ومنها مدرسة لتدريس الصيحين بنى حيلة، وأنشأت المصالح العامة المتعددة. وبنيت المساجد، وهي التي سميت جامع صنعاء الجناح الشرق منه وصححت عمارته وزينته، وأمرت أن يكتب فيه أسماء جميع الأئمة من علي بن أبي طالب إلى إمام عصرها وأثبتت ذلك في الحائط القبلي من المسجد الجامع، وكان اسمها مكتوبا على الأحجار البيضاء التي بين أبواب الجامع، ولكن العصبية لم تترك من الكتابة غير الـسـمـلة^(١)، وأعيد يخصص وأشراس في دولة الملك حاتم بن أحمد الياحي الهمداني ثم كسـط في عهد دولة آل يحيى من الأشراف^(٢). وبنيت كذلك مسجد الضربة في بلاد يريم. والمسجد الجامع في حيلة؛ ولها علاوة على ذلك أعمال جليلة وآثار باقية لا تحصى على أحد إلا على أكمه لا يعرف القمر.

كان من نتيجة سياستها الرشيدة ومنحها لرعاياها حرية العقيدة أن أصبحت سمعة اليمن عالية، لعمل الخاكنم لصلحة الشعب وإتاحة الفرصة لجميع الكفاليات أن تشترك في بناء هذا الوطن. ولأن السيدة اعتبرت أن اليمن ماسكا للشعب لا لنفسها ولا لأسرتها فقط، فقامت «في أرض الله، لا لعلو، أو لما يستفاد».

(١) عيون ٧ / ٢٨٨ .

(٢) نفسه؛ اخر المصنف رده ٩ .

وصية الملكة

وقد أورد صاحب الميون في النسخ السابع من كتابه وثيقة هامة هي وصية السيدة الملكة^(١). كتبتها قبل وفاتها بسنة ، أى سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة، وعهدت بعدها . وأجرت علامتها ، وأخرجت جميع الأشياء التي ذكرت في الوصية ، وعابها شهود ، « وإنما فملت السيدة ذلك قربانا تفرّبت به إلى إمامها الطيب لما ترجوه من ثواب الله ، وتأمله من رضوانه ، ولأن تكون يوم الفزع الأكبر من الآمنين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم^(٢) . وجعلت السيدة الملكة ولي وصيتها ، والقائم بها والنفس لها ، السلطان أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم بن محمد الصليحي ، وأن يقوم بتنفيذ ما جاء في الوصية ، ويوصلها بمجملتها إلى باب الإمام الطيب ، ويأخذ عليه الخط الشريف الإمامي بوصول جميع ذلك . وقبل السلطان أحمد بن أبي الحسن ابن إبراهيم بن محمد الصليحي ما أسند إليه .

وفاة الملكة الحرّة

وفي غرة شهر شعبان من سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة توفيت الملكة الحرّة عن اثنين وتسعين سنة من العمر ، ودفنت في جامع ذى جبلة أيسر القبلة ، في منزل متصل بالجامع . وكانت هي التي تولت عمارة هذا الجامع ، وهيأت موضع قبرها فيه^(٣) . وذكر إدريس^(٤) : أن بعض ملوك اليمن أراد أن يخرج جثتها من قبرها حين ظن . بعض الفقهاء كونها في الجامع . ففتجوا عن قبرها حتى انتهى إلى التابوب ، فوجدوا فيه قفصا مقفلا مفتوحه ، فأصابوا فيه كتباً وأحكاما تشهد أنها استئنت فيه ذلك المنزل الذي دفنت فيه عن المسجد لقبرها فيه ، ووجدوا بذلك علامات القضاة وشهادة

(١) ميون ٧ / ٢٠٩ — ٢١٨ ؛ انظر الملحق رقم ٩ .

(٢) قفصه ٢١٨ . (٣) قفصه ٢٢٨ . (٤) قفصه ٢٢٨ .

الشيء الثاني عند الحكم . وردوا قبرها على ما كان عليه وردوا رتبته وحجارته إليه .
ويقول إدريس^(١) : « وقبرها إلى اليوم ، يزوره جميع فرق الاسلام ، ويعترف
بفضلها الخاص والعام ، ويأتى إلى قبرها من أصيب بظلم ، أو حاجة أو علة في بدنه ،
أو بليّة ، فينتعمون بها إلى الله تعالى في كشف ما انتابهم بفضلها » .

وقد روى الملكة الحرة بعد وفاتها كثير من الشعراء . فزار قبرها القاضي حسين
ابن عمران بن الفضل الياقبي في ذي جيلة ، وقال قصيدة جاء فيها^(٢) :

وقفت على قبر الوحيدة وقفة	وقد زين منها مسجد ^١ وستور ^٢
فقبلته واستنفت رياء تراه	وعاود قلبي رنة ^٣ وزفير ^(٤)
وسالت دموع العين منى كأنها	بشط مجارى القلتين سطور ^٥
ولله منها روح ^٦ قدس تميزت	فصارت بأعلى الدائرات نظير ^(٧)
خلا القصر في ذي جيلة من مكارم	يحن إليها بائس وفقير ^٨
ومن جود بحر بالعطايا نواله	على معنفيه عجد ^٩ وحرير ^{١٠}
ومن درس ماضم الكتاب وبمده	سلاة ^{١١} وتسبيح ^{١٢} ممأ ^{١٣} وطهور ^{١٤}
وما سمعت أدنى ولا راع ^{١٥} ناظري	تجاوب ^{١٦} قينات ^{١٧} بها وخمور ^{١٨}
ولو كان داعي الموت يقنيه دونها	قبيل ^{١٩} وينجى من سطاء ^{٢٠} عنبر ^{٢١}
أقام له من حمير ^{٢٢} كل ^{٢٣} أزعن ^{٢٤}	سحاب المنايا حيث حل ^{٢٥} مطير ^{٢٦}
وصارته من صيد ^{٢٧} كهلان ^{٢٨} جحفل ^{٢٩}	تسير ^{٣٠} الجبال ^{٣١} الثم ^{٣٢} حيث يسير ^{٣٣}
ولو حال دون الموت عنها منط ^{٣٤}	منيع ^{٣٥} يرد ^{٣٦} الطرف وهو حسير ^{٣٧}

(١) عيون ٧ / ٢٢٨ .

(٢) سه ٧ / ٢٢٩ .

(٣) ساف نسى . سوفة و سانه سوه وساووه واستافه كله شمه . والاستيف الاشتيام

(ل / سوف) .

(٤) يريد بدائرات أخرجت في المعاد .

لكان لها في حصن قِيْضان مَعْقِلٌ مُّ
تَقْصِرُ عَنْهُ فِي الْمَلِكِ طَبِيزٌ (١)
ولكن أبي إلا خَفِيًّا بِشَخْصِهِ
حَقِيرٌ وَمَا يَسْطُو عَلَيْهِ كَبِيرٌ

وقال القاضي محمد بن أحمد بن عمران بن الفضل الياحي يربتها :

نَاتَ رَبَّةَ الْقَصْرِ الشَّرِيفِ عَنِ الْقَصْرِ
فَأَيَّاسٌ رَاجِي النَّصْرِ فِيهِ عَنِ النَّصْرِ
إِذَا اجْتَثَّ دَهْرُ الشَّرِّ دَوْحَةَ رَوْضَةٍ
فَقَضْبَانِهَا لَا تَسْتَقِيمُ عَلَى الْمَنْصَرِ
سَخِطْتِ عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ أَعْمَلَهُمْ
حَقِيقُونَ أَهْلَ الْمَصْرِ يَارَبَّةَ الْمَنْصَرِ
فَصَارُوا بِلَانُورٍ يَتِيهُونَ فِي الْعَمَى
وَذَلِكَ تَمَثِيلٌ لِمَا كَانَ فِي مِصْرَ (٢)
فَكَمْ ظَلَمَةٌ يَفْشَوْنَهَا وَمَضَلَّةٌ
وَكَمْ إِضْرٌ ذَنْبٌ يَحْمَلُونَ عَلَى إِضْرٍ
رَجَوْنَا بِهَا بَدَأَ الظُّهُورَ وَنَشْرَهُ
فُعِدْنَا إِلَى السُّتْرِ الْحَقِيقِيِّ وَالْحَصْرِ (٣)
وَقَدْ يَنْقُصُ النَّيَّارُ مِنْ بَعْدِ مَدِّهِ
وَيُضْطَرُّ حَرْفُ الْمَدِّ حِينًا إِلَى الْقَصْرِ
فَذَاكَ كَسُوفِ الشَّمْسِ قَدْ طَالَ مَكْتَهُ
وَهَذَا خَسُوفٌ دَائِمٌ الْمَكْتُ لِلْبَدْرِ
وَذَاكَ سِرَارٌ لَا أَنْجِلَاءَ لِلَّيْلِ
وَهَذَا مِحَاقٌ لَيْسَ يُسْفَوُ عَنْ فِجْرِ
وَزَجْوُ فُرُوعًا ثُمَّ اللَّهُ نَبَتْهَا
وَأَيْدِهَا بِالنَّصْرِ وَالْفَتْحِ وَالْقَهْرِ

لَهُمْ وَبِهِمْ رَجَاؤُنَا وَسُلْمُونَا
لَأَنَّ رَجَاءَ النَّسْرِ فِي عَقِبِ الْعُسْرِ

وَأَوْرَثَ أَمْلاكَ الْأَنَامِ وَسَيْطَهُمْ
عَلَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى ذُرِّ الْفَخْرِ (٤)

(١) استولى على الحصن الأمير الفضل الحميري بعد أن طرد علي بن سبأ بن أحمد الصليحي سنة ٤٩٥ . فدخلت حصون بني الظفر في مملكة السيدة الحرمة (انظر ص ١٦٣ و ٢٤٠) .

(٢) يشير إلى اغتصاب الحافظ عبد المجيد الإمامة والخلافة في مصر .

(٣) يبدأ دور الترابخفاء الإمام أبي القاسم الطيب بن الأمر .

(٤) أغلب الظن أنه السلطان علي بن السلطان عبدالله بن محمد الصليحي . وعلى بن عبدالله هذا هو ابن عم الملك الكرم . فورت أملاك بيت الصليحي بعد وفاة السيدة . وقد قيل إن الأميرة أروى ابنة علي بن عبد الله كانت مقيمة في قصر الملكة الحرمة حينما طلقها منصور بن الفضل الحميري وتزوجها الملك محمد بن سبأ الزريعي (انظر ص ٢٤٠ — ٢٤١)

فصبراً على ريب الزمان وصرفه

فأوفر أهل الأجر حظاً أولو الصبر

ومما قاله السلطان الخطّاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجورى فى قصيدة يرثيها^(١) :

عليك سلامُ الله والصلواتُ ورحمته ما شاءَ والبركاتُ
وكافاكِ عنا بالذى لكِ عندنا إلهٌ لديه تُضعفُ الحسناتُ
كفلتِ جميعَ المؤمنين كفالةً علتُ لهمُ فى ظلِّها الدرجاتُ
وقتِ بأمرِ الله فيهم فأخلصتِ سرائرُ فى طاعته ونياتُ
أمولتنا يامن يباهر نورها تجلّينَ عن أبصارنا الظلماتُ
أجلكِ عن موتِ بروحكِ نازلِ وأنتِ لأرواحِ الأنامِ حماةُ
بصرتِ بأمرِ منك ما بصرتِ به عيونُ لهم فى غيبها وسناتُ
ولاحِ لى السرِّ الذى حجبتهمُ عقولُ لهم من نوره وذواتُ
فقالوا مقالِ الجهلِ ، غيبتِ بميتةِ عليهم فا الأنباءُ مشتبهاتُ
وهل غاب عنا أو يغيب الذى اغتدتُ

له رُبُّ فى الدين منحفطاتُ
أما نورُ د سارِ ، أما لحظاته
أليس لنا منه إليه محرّكُ
بنا وهوناهِ الدارمّصلاتُ ؟
ومنا وعنا تصدرُ الحركاتُ ؟
أما قال مولانا على سلامه
علينا مقالاً أسندته ثقاتُ :
نعدّمكم منكمُ وعنكم نفيديكم
أشياءُ سوى هذا المقالِ فهاتوا
وأزعم أن الأولياء تقدّمتُ
مقاماتهم كفرُ مقالى : ماتوا

فكيف بمن هم في كفاكه غَدَوًا وظلّوا بها مستكفّلين وباتوا ؟
فلا غرو أن ذكريات سيدتنا وملكتنا ستبقى خالدة في قلوب اليمنيين مدى
الدهور ، كما بقيت إلى يومنا هذا مآثرها وأعمالها الجليلة التي تنطق بمظمتها ، وستظل
وحيا ونورا في حياة الشعب مهما اختلفت الطرق واشتدت الأزمات وبعدت
المسافات وتخلّفت القوافل ، لأنّها وحيدة كلّ زمان وسيّدة اليمن والعرب
ولحظاتها متصلة بهذه البلاد العربية الغير السعيدة .

أما نوره سار ، أما لحظاته بنا وهو ناءِ الدار متّصلاتُ
أليس لنا منه إليه مُحرّكٌ ومناّ وعناّ تصدر الحركاتُ

الباب السابع

العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصلحية

مظاهرها وآثارها

الألقاب

حرصنا على أن يكون التسلسل التاريخي متصلا إلى حد الإمكان ؛ لذلك بقيت بعض المعلومات التي أفردنا لها هذا الباب . وبلا حظ أنه لم يكن هناك في أيام الخليفة المعز لدين الله تنافس على الألقاب من الوزراء وكبار رجال الدولة ، كما كان في أيام من أتى بعده من الخلفاء ، فقد تقب هؤلاء بالألقاب كثيرة . ولعل ذلك يرجع إلى حيطة المعز من أن تخلق هذه الألقاب طبقة ممتازة لها نفوذ سياسي واجتماعي . ولكن ليس معنى هذا أنه لم تكن هناك ألقاب للوزراء في عهد المعز ، بل كانت هذه الألقاب محدودة ، وتنسب إلى الدولة أو الخلافة أو الملة أو الإمامة . وبديل اهتمام الوزراء وكبار رجال الدولة بهذه الألقاب وحرصهم عليها فيما بعد على :

١ - ضعف الخلفاء ، ورغبتهم في استرضاء من يمنحونهم هذه الألقاب ، كما يدل على قوة من تمنح إليهم ونفوذهم :

٢ - أن الخليفة كان يمنحها للمقربين إليه إرضاء لهم إما تقوية نفوذهم أو تخدماهم ؛

٣ - أن الوزراء وكبار رجال الدولة كانوا يعتبرونها مظهرا من مظاهر علو شأنهم في نظر الرعية . بل دليلا على ثقة الإمام بهم ؛

٤ - أن هذه الألقاب شجعت الذين منحوها على الاستبداد بالأمر ، دون الخلفاء ، مما أدى إلى زوال ملكهم في النهاية

ولما كان سلاطين الصليحيين قد قاموا بخدمات جليلة للدولة الفاطمية وجد الخلفاء أن في منح الألقاب لسلاطينها وأمرائها خير وسيلة لاكتساب ولائهم . وكانت هذه الألقاب تطلق على أبناء هذا البيت كما كانت تمنح على الأمراء والوزراء في مصر . فالخليفة المستنصر لقب الملك عنى بن محمد الصليحي بلقب الأوحده (١) ، ومنحه لقب عمدة الخلافة تقديرا له على الخدمات التي قام بها في مكة وغيرها (٢) ، كما منحه لقب تاج الدولة (٣) ، وأول من تلقب بهذا اللقب في عهد الدولة الفاطمية الوزير بهرام الأرميني النصراني (٤) .

وكان الخليفة المستنصر يذكر في مكاتباته (٥) ألقاب الملك على الصليحي على النحو الآتي : « السلطان الأجل ، الملك الأوحده ، أمير الأمراء ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، ذو المجددين ، سيف الإمام ، الظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، شرف المال » .

ولما أمر الخليفة المستنصر بجعل الأمير محمد بن علي بن محمد الصليحي ولي عهد أبيه ، منحه الألقاب الآتية : « منتجب الدولة وصفوتها ، ذو المجددين ، الأمير الأعز ، شمس المال » ، كما لقب الابن الأوسط بلقب الأمير المكرم ، ولقب الأصغر بلقب الأمير الموفق (٦) ، وأرسل سجلا آخر إلى الصليحي (٧) ، لقب فيه ابنه الأكبر بلقب ذي المجددين ، ولقب الأوسط بلقب ذي السيفين ، ولقب الأصغر ذي الفضيلتين .

(١) عبون ١٦ / ٧ . وأول من لقب بهذا اللقب في الدولة الفاطمية هو الوزير أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني (الصغرى : الإشارة إلى من نال الوزارة ٣٥) ، كما تلقب به أبو محمد بن علي بن عبد الرحمن اليازوري سنة ٤٤٣ (نفسه ٤٠) . ولقب به كذلك الحسن ابن القاضي ثقة الدولة وسنانها المعروف بابن كدينة حين تولى الوزارة سنة ٤٥٥ (نفسه ٥١) ، كما لقب به الوزير أبو سعد منصور المعروف بابن زينون سنة ٤٥٨ (نفسه ٥٤) .

(٢) السجلات رقم ٤ .

(٣) عبون ١٦ / ٧ .

(٤) النويري : نهاية الأرب ١٦ ورقة ٥٠ .

(٥) عبون ١٦ / ٧ ، ٨٠ ، ١٥٢ ؛ السجلات رقم ٤ ، ٨ .

(٦) عبون ٧ / ٧ ؛ انظر الملحق رقم ٢ .

(٧) السجلات رقم ٣ .

ولما توفي الأمير الأعز في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ أرسل
المنتصر سجلا^(١) إلى الملك علي الصليحي في شهر جمادى الآخرة سنة ٤٥٩ ،
جاء فيه أن الإمام ولي المكرم وليا للعهد ، وزاد في ألقابه شرف الأمراء ، عز الملك ،
كما زاد في ألقاب أخيه الأصغر لقب شرف الملك .

ومما جاء من ألقاب المكرم في سجلات المنتصر نذكر : « الملك الأجل ،
الأوحد ، المنصور ، سيف الإمام ، عظيم العرب ، عمدة الخلافة ، شرف الأمراء ،
عز الملك ، منتجب الدولة وغرمها ، ذو السيفين ، تاج الدولة ، عماد الملة وغيث
الأمه ، أمير الأمراء . سلطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه » وغيرها^(٢) .

ورزق المكرم ابنه محمدا فأرسل المنتصر سجلا إلى الملكة الحرة
في ١٥ رمضان سنة ٤٦١ يهنئها بالمولود السعيد ، ويمنحه لقب الأمير نجيب
النجباء^(٣) ، كما لقبه في سجل آخر أرسله في ربيع أول سنة ٤٨٠ بألقاب : سليل
الدعوة ونجلها^(٤) .

وما جاء في السجل الذي أرسله المنتصر بإقامة الطفل علي بن أحمد الصليحي
ملكاً بعد وفاة أبيه الملك المكرم سنة ٤٧٧ الألقاب الآتية : « الملك الأجل
الأوحد ، المنصور ، العادل ، المكرم ، عمدة الخلافة ، تاج الدولة ، سيف الإمام ،
المظفر في الدين ، نظام المؤمنين ، عماد الملة ، وغيث الأمة ، شرف الإيمان ، مؤيد
الإسلام ، عظيم العرب ، ساطان أمير المؤمنين ، وعميد جيوشه »^(٥) .

(١) عيون ٧ / ٨٢ - ٨٦ ؛ انظر المحقق رقم ٥ .

(٢) نفسه ٧ / ٨٠ ؛ انظر المحقق رقم ٥ ؛ السجلات ٤٢ و ٦٠ .

(٣) السجلات رقم ٦٥ .

(٤) نفسه رقم ٣٧ .

(٥) عيون ٧ / ١٢٦ - ١٣٥ ؛ السجلات رقم ١٤ .

وقد أراد السنتنصر بهذه الألقاب الرنانة أن يشد عزم الملكة الحرة والدة هذا الطفل وأن يظهره أمام شعبه بأنه ملحوظ بالعناية .

وذكرت الملكة في السجلات الواردة إليها من مصر بالألقاب الآتية^(١) :
« الحرة ، السيدة ، السيدة ، الرضية ، الطاهرة ، المحلصة ، السكينة ، ذخيرة الدين ، عصمة المسترشدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، كافلة أوليائه الميامين ، ولىة أمير المؤمنين ، عمدة الإسلام ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن » .
من ذلك نستطيع أن نقرر أن هذا المظهر من مظاهر الملاقة بين الدولتين ، له ناحيتان :

أولا : أن خلفاء الفاطميين كانوا عادة يمنحون هذه الألقاب كبار رجال دولتهم . وقد رأوا أن السلاطين والملوك الصليبيين لا يقلون في نظرم عن هؤلاء ، لأنهم يظلمون بتأدية رسالة مهمة لدولتهم . لذلك كان الخلفاء يمنحونهم هذه الألقاب الرنانة تشجيعا لهم على الاستمرار في صدق وفائهم وإخلاصهم للفاطميين .
ثانيا : أن هذه الألقاب كانت تقابل من جهة الصليبيين بالارتياح والشكر للإمام على هذه العناية وهذا الاهتمام وكانت من جهة أخرى تظهرهم أمام رعاياهم بظهر القوة . فكان المخلصون للدولة والدعوة يتفانون في نصرتهم ، لأنهم رسل الإمام ودعائه الذين يعملون على إعلا كفته . وكان الآخرون من الرعايا ، كلما وجدوا اهتمام الخليفة بهذه الدولة ، وأنه يشد أزرها بما يعمل على بقائها ، يخافون الخروج عليها ، لأنها تستند إلى قوة دولة كبيرة ، كان لها من السلطان والجاه ما لم يكن لدولة بنى العباس في ذلك الوقت .

التعزية

تعتبر الجملات مظهرا من مظاهر حسن الملاقة بين الدولتين ، وقد تجلت هذه الجملات في مناسبات أربع ، هي : التعزية ، والتهنئة بالأعياد ، والتهنئة بالوليد وتبادل الهدايا .

(١) عيون ٧ / ١٤٣ ؟ عمارة / كى ٣٥ .

فعمد وفاة الأمير الأعز في الثاني والعشرين من شهر المحرم سنة ٤٥٨ هـ ، كما تقدم ذكره ، أرسل المستنصر إلى الصليحي سجلاً^(١) يعزیه في ابنه وولى عهدہ ، كما أرسل سجلاً آخر^(٢) يعزیه في ابنه هذا وابنته ميمونة^(٣) .

ولما سمع الخليفة بمخبر قتل الملك علی الصليحي استدعى القاضي الملك ، وكان بالقاهرة في ذلك الوقت ، وعزاه وسمح له بإقامة المراء على هذا الفقيد في حضرة الإمام^(٤) . وأرسل إلى المكرم سجلاً^(٥) تطف فيه كثيرا ، كما أرسل له سجلاً^(٦) آخر أظهر فيه أسفه الشديد لفقد الملك علی بن محمد الصليحي .

وكذلك فعل المستنصر ، عند وفاة المكرم سنة ٤٧٧ هـ ؛ فأرسل إلى ابنه علی بن المكرم سجلاً^(٧) يعزیه في والده ، ويدعو له بالبقاء .

ولما توفى الأمير محمد بن الملك المكرم أحمد ، جاء سجل الخليفة إلى الملك علی بن المكرم يعزیه في أخيه ، ويدعو للفقيد بالجنة ، ويمده حسن الثواب^(٨) . وبمسد قليل توفى الملك علی بن المكرم في نفس السنة ، فأرسل الخليفة إلى الملكة الحرة يعزیه في ابنها ، ويشد أزرها بالدعاء لها وبالتوفيق وحسن الثواب^(٩) .

التهنئة بالأعياد

وتعتبر التهنئة بالأعياد عنصراً آخر من عناصر المجاملة بين الدولتين ، وقد

-
- (١) عيون ٧ / ٧٩ ؛ انظر الملحق رقم ٤ .
 - (٢) نفسه ٧ / ٨٢ - ٨٦ ؛ انظر الملحق رقم ٥ .
 - (٣) توفيت بعد وفاة أخيها حزناً عليه (نفسه ٧ / ٧٨) .
 - (٤) نفسه ٧ / ١٠٣ .
 - (٥) السجلات رقم ٦٠ .
 - (٦) نفسه رقم ٤٠ .
 - (٧) عيون ٧ / ١٢٦ - ١٣٠ ؛ السجلات رقم ١٤ و ٤٦ .
 - (٨) السجلات رقم ٢٤ .
 - (٩) عيون ٧ / ١٤١ .

جاء في السجلات المنتصرة^(١) عدة سجلات إلى سلاطين اليمن تهنئة بالأعياد ،
ووصفا لهذه المناسبات السعيدة .

فأرسل المنتصر إلى الملك على محمد بن الصليحي سجلا يهنئه بالعيد ويكلفه
نشر هذه التهنئة في ربوع دولته ، وذلك في عيد الفطر سنة ٤٥١ ، كما أرسل إليه
في عيد الفطر سنة ٤٤٥ ، ويحوى وصف عظمة المنتصر عند ذهابه إلى المصلى
لأداء سنة هذا العيد ، ثم عودته إلى قصره . ووجه كذلك إلى الملك أحمد الكرم
سجلا بمناسبة عيد الأضحى سنة أربع وسبعين وأربع مئة ، يقدم فيه المنتصر التهانى
بالعيد ، ويذكر أنه صلى صلاة العيد بصحبة الوزير بدر الجمالي ، ويسأل الكرم أن
ينشر التهنئة في أنحاء اليمن .

التهنئة بالمواليد

وأما النوع الثالث من أنواع المجاملة فهو التهنئة بالمواليد . ولما رزقت الملكة
الحرية بابنها محمد أرسل المنتصر إلى الملك الكرم سنة إحدى وستين
وأربع مئة سجلا^(٢) أظهر فيه سروره بسماعه عن المولود الذ ذكر الذى أنم
الله به عليه ، ومنح المولود لقب الأمير نجيب النجباء ، وكتب بخط يده شبه
العوذة ليشد بها عضده ، داعيا له أن يجعله الله مبارك الناصية ، ويتولاه بالعيشة
الراضية بمنه .

وهكذا بعث المنتصر عند ولادة ابنه أحمد القاسم في المحرم سنة سبع وستين
وأربع مئة والذى لقب باسم المستعلي بالله فيما بعد إلى الملك الكرم سجلا^(٣) ،
يزف له فيه البشرى ، ويحتصه بهذا الخبر لما للملك الكرم من المثلة الممتازة عند
الخليفة ، ولأنه يرى إدخال السرور عليه بهذه المناسبة ، ثم يعرفه أن هذا الابن

(١) السجلات رقم ١ ، ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٦٤ .

(٢) السجلات رقم ٦١ .

(٣) عيون ٧ / ١٥٢ — ١٥٣ ؛ انظر للمحقق رقم ٧ .

هو الذى سيتولى أمر الإمامة والخلافة من بعده . وقد جاء فى السجل : « وقد وهب الله غلاما زكيا شديدا أزر الإمامة ودل على بقاء كنيته فى عتبه لى يوم القيامة ... » الخ

وقد أرسل الخليفة الأمر بأحكام الله عندما رزق بابنه الطيب أبى القاسم فى الليلة المصباحة باليوم الرابع من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة لى الملكة الحرة سجلا^(١) ، ينقل فيه هذه البشرى ، لتأخذ « من المرة بها بأوفى نصيب » . ويكافها أن تدبغ هذا الخبر « إذاعة يتساوى بالمعرفة بها كل بعيد منهم (أى المؤمنين) وقريب » .

الهدايا

ويعتبر تبادل الهدايا بين الدولتين مظهرا من مظاهر العلاقات الودية بينهما ، إلا أن الملك على بن محمد الصليحي والسيدة الحرة الملكة كانا يتباقتان فى تقديم الهدايا الثمينة والتنوعة ، ولم يأت من مصر إلا السجلات المنمقة والتشريفات والكساوى المحلاة بأسماء « الأئمة الطاهرين وآبائهم الأكرمين » ، مع ما كان الخلفاء الفاطميون يتمتعون به من ثروة لا تمد ولا تحصر .

ولما استقر أمر الملك على بن محمد الصليحي فى اليمن بعد وفاة نجاح ، فوجه إلى صاحب مصر المستنصر بالله فى سنة أربع وخمسين وأربع مئة « هدية حانية منها سيمون سيفا قوائمها من عقيق » الخ^(٢) . وعنبا يقول إدريس^(٣) : « هدية ... عظيمة القدر ، لم يسمع بمثلا ، كما ذكر أهل السير ، فيها فنون كثيرة من الذهب والفضة والسلاح والوشى والمسك والمنبر والكافور والعود الهندى الرطب والأستاذين والجوارى وكثير من الأمتعة ، يمد حصرها ، ويهظم أمرها » . فلما انتهت الهدية إلى أسوان أخذ سلطان العرب أخوابن حمدان ناصر الدولة فى شحن

(١) بمائة زكوى ١٠٠ - ١٠٢ ؛ عيون ٧ / ١٩٢ - ١٩٣ ؛ انظر المحرر رقم ٨ .

(٢) كشف ٤٣ ؛ كفاية ٤٨ .

(٣) عيون ٧ / ٦٦ - ٧٢ .

الهدية في المراكب ثلاثين يوما ، يظل راكباً فيها من الصباح إلى المساء .
ونقلت الهدية إلى القاهرة ثم إلى قصر المستنصر بالله بعد كثير من التنافر
والتكالب والفن التي حدثت بين الأتراك والبيد والسكتامين . وكان الصليحي
بث بالهدية ، كما رواه الخزرجي^(١) ، « رجلين من قومه أحمد بن محمد ، والد
السيدة الصليحية ... وهو الذي أنهدم عليه الدار يمدن ، والثاني أحمد بن المظفر ،
والد السلطان سبأ بن أحمد » . فأرسل الخليفة السفيرين منازل الإكرام . وأخرجت
إليهما الكسأ والتشريفات ، وأمر للصليحي برايات ، وكتبه الألقاب « وعقد
له الولاية على جميع اليمن^(٢) .

وفي سنة تسع وخمسين وأربع مئة لما عزم الملك على بن محمد الصليحي على
الحج وزيارة الخليفة في القاهرة استمد لذلك الأمر وعول على أن يقدم للإمام
هدية تليق بالمقام . وفي ذلك يقول إدريس^(٣) : « فجمل يضم إليه الأموال ، ويقدم
في ذلك الأحمال ، من خالص الورق والنضار ، والطرف الحسنة التي ترهى في أعين
النظار ، ويرتفع خطرهما على الأخطار » .

وكان الخليفة الفاطمي قد يرسل الكساوي إلى سلاطين اليمن وأمرأها .
وقد أرسل المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم ولي عهد الدولة الصليحية بعد موت أخيه
الأمير الأعز في عهد الملك الصليحي تشريفاً ، وكجاء في السجل الخاص بذلك المؤرخ
ربيع الأول سنة ٤٥٨ ، إلى الملك علي بن محمد الصليحي : « ... وقد أمر أمير
المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان ، وهو اليوم الأكبر حفظه الله ...
وأنشأ من التقليد ما يكون لغوادك مثبتاً .. وعزز بإنفاذ تشريف من ملابسه
يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله .. » الخ^(٤) .

(١) كفاية ٤٨ .

(٢) عيون ٧ / ٦٨ (ولم يذكر صاحب العيون أسماء الرسل) ؛ كفاية ٤٨ ؛ السكبي :

الاضائف السنية ١١ .

(٣) عيون ٧ / ٦٨ .

(٤) نفسه ٨٠ / ٨ ؛ انظر المنقح رقم ٣ .

وهذه التسكاسوى كانت تحمل عادة عبارات كهذه : « بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أنبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الأئمة الطاهرين » الخ^(١).

ويلاحظ أن ما يتم بالإيحاء والتلميح أبعد أثرًا مما يتم بالطرق الصريحة المباشرة. ولا ريب أن الخلافة الفاطمية ما كانت لتتفق نحو ست مئة ألف دينار سنويًا^(٢) في هذه الناحية إلا إذا كانت ترجو من وراء ذلك كسبًا أدبيا وماديا كبيرا من حيث استمالة الناس واجتذاب قلوبهم بمظاهر الإنعام والعطف ، إذ أن المادة والظاهر والمناسب ذات أثر كبير في حياة أغلب الناس ، تفعل في نفوسهم أكثر مما تفعل المثل العليا أو تواضع طلبية العلم وتشف المثاليين . ثم إن هذا الإنعام يجعلنا نميل إلى اعتبار ذلك العمل ضربا من الإنعام بالأوسمة والأوشحة التي يمنحها رؤساء الدول في العصر الحديث .

وقبل خروج الصليحي للحج ، يقول صاحب الأنباء^(٣) : « ... برز جهازه ، وما أعد من الأموال والذخائر إلى المسجد الجامع بصنعاء ، وجملة كالخزانة . ولقد كان ملء جانب المسجد الذي كان عليه السقف ، غريبه ، صناديق مملوءة من الذهب والفضة » .

وتعتبر وصية المنكة أروى ، التي تركت بمقتضاها كل ما تملكه من جواهر وحلى ، بل كل ما تملكه من ثروة منقولة ، إلى الإمام الطيب ، لتكون « لها قربانا وشقيقا يوم الفرع الأكبر » ، تعتبر هذه نوعا من الهدايا ودليلا واضحا على مقدار إخلاصها وولائها لإمامها المستور .

وكانت هذه الهدايا تقابل من خلفاء الفاطميين بالرضا التام ومنح الألقاب على أبناء الدولة النصايحية .

(١) Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٧ / رقم

القطعة ٢٥٠٦ / سنة ٤٤٦ . وراجع أيضاً المرجع نفسه ج ٧ / القطع : ٢٦٠٨ / سنة ٤٥٠ و ٢٦١١ / سنة ٤٥٠ و ٢٦٨٤ / سنة ٤٦٥ و ٢٧٥٣ / سنة ٤٧٨ .

(٢) الفرزى : خطط ١ / ١٢٦ .

(٣) أنباء / دار ٤٠ .

أثر العلاقات داخل اليمن

وقد يلاحظ أن السبب الرئيسي في سرعة انتشار نفوذ الصليحيين في اليمن ، فضلا عن سيرتهم الفاضلة وأعمالهم مرموقة فبائل همدان وحير تحت لوأمهم ، رجع إلى الفوائد التي كسبتها دولتهم بفضل اتصالحهم بالخلافة الفاطمية ومنظمة الدعوة بمصر ، لأن الدعاة أنفسهم كانوا يعترفون بأن المستجيبين لم يدخلوا حظيرة الدعوة إلا رغبة في تكوين دولة أهل بيت النبي . فترى أن ولاءه للأئمة الفاطميين واتصاله بالخلافة الفاطمية بمصر ساعد الملك علي بن محمد الصليحي عند ما قام بتأسيس دولته . فقد ساعدته الدعوة في امتداد نفوذه وتقوية مركزه حتى تمكن بهذه الطريقة بقوة هزيمته وبمظيم همته أن يكون سيد اليمن الكبرى . وكان هذا الاتصال بالخلافة المصرية في نفس الوقت نقطة ضعف لسكان الدولة وبخاصة ، وهذا سند كره في فصل عن سقوط الدولة الصليحية .

نفوذ اليمن خارج حدودها

(الحجاز) أما عن امتداد نفوذ الصليحيين في خارج بلاد اليمن ، فقد ذكرنا فيما سبق^(١) ما حدث بعد دخول الملك علي بن محمد الصليحي مكة سنة أربع وخمسين وأربع مئة من إقامة الخطبة للخليفة الفاطمي المستنصر ، وزاد بنى شيعة عن قبيل أعمالهم ، وتأديب الشريف ، وإصلاح ما أفسده بنو الطيب الحسينيون في الحجاز ، وترخيص الأسعار ، ونشر الأمن والطمأنينة في البلاد المقدسة ، ثم ترك البلاد للإشراف بعد ذلك ، وعودته إلى اليمن ظافرا غانما رضا المسلمين .

(عمان والبحرين والأحساء) فقد كان انتصاره في الحجاز وسياسته الرشيدة ومحاسنه للدعوة جعله ومن تولى رئاسة الدولة بعده موضع الثقة عند الخلفاء الفاطميين الذين كفوهم الإشراف على شئون الدعوة في البحرين والأحساء والهند والسند .

ففي عهد الملك أحمد المكرم ، لما علمت الدوائر الحكومية بضعف حكام عمان ، نتيجة للثورات التي قامت فيها على حكوماتها الموالية للخلفاء العباسيين ، وأن هذه البلاد كانت منذ أيام أبي طاهر الجنابي واقعة تحت تأثير القرامطة ، وأن حكم القرامطة لم ينته فيها إلا تحت تأثير ضغط العباسيين ، عولت على مد نفوذ الخلافة الفاطمية عليها . ففتح الملك المكرم رياسة بلاد عمان الدينية والسياسية معا ، على الرغم من أنها كانت خارجة عن نطاق حكمه ، كما عهد إليه بالإشراف على الدعوة في الأحساء والبحرين . ويتبين ذلك من السجل المستنصرى الوجه إلى الملك المكرم المؤرخ في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وستين وأربع مئة^(١) ، فيجمل فيه المستنصر « ولاية تلك الأعمال (الأحساء وعمان) جميعها ، دانيها وقاصيها . مطيعها وعاصيها » مردودة إلى المكرم ؛ ويأمره أن يكون الأمير عبد الله بن علي المنوي الملقب بمستخلص الدولة العلوية أمير الأحساء نائبا عنه فيها وأن يمدد من جهته . وذلك لأن له مواقف حميدة في إقامة الدعوة العلوية ونصرتها على أعدائها من الخوارج وانتزاع جل تلك الأعمال منهم .

ولما انصرف الداعي إسماعيل بن إبراهيم عن الدعوة في عمان في عهد الملكة الحرة باحترافه التجارة ، أخبرت الحرة المقام الإمامي بذلك ، واقترحت تعيين حمزة سبط حميد الدين المتوفى ، بأمر الدعوة في هذه البلاد ، فجاء سجل الإمام^(٢) إلى الملكة بتقرير وجهة نظرها ، وشكرها على حسن رعايتها لما تحت يدها من أقطار . (السند وشمال الهند) أما الدعوة في الهند ، فنظرا لأن هذه البلاد ستصبح بعد اليمن وارثة لهذا التراث الديني الأدبي ، وجب علينا الرجوع إلى الوراثة قليلا ، لكي نعرف متى وصلت الدعوة إلى تلك البلاد .

سبق أن عرفنا أنه في نهاية القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) أي قبيل

(١) الدجلات رقم ٥٤ .

(٢) عيون ٧ / ١٢٣ - ١٢٥ ؛ الدجلات رقم ٥٠ .

قيام الدولة الفاطمية في شمال إفريقية بقليل ، كان الأئمة الفاطميون يرسلون دعايتهم إلى كثير من البلاد ، ومن بينها الهند . فقد رأينا أبا القاسم منصور الهميني يرسل ابن أخيه المهيم داعيا إلى بلاد السند ، حيث استجاب له كثير من أهلها^(١) .

يقول عباس الهمداني ما معناه^(٢) : بدأت الدعوة في السند ، وأخذت من هذا الوقت تنمو تدريجيا حتى انضم إليها أهل ملتان وكجرات (البنجاب) ، وفي عهد الخليفة المزمك دخل المستجيبين في الدعوة ، كما يتضح ذلك من قول القاضي أبي حنيفة النعمان^(٣) حيث قال : « ودعوة الهميني فاشية في السند » . وكرر هذا القول ابن حوقل^(٤) ، وزاد عليه دي خويه^(٥) قائلا : « إن النفوذ الفاطمي وصل إلى بلوخستان (بلاد مكران) . وقال إدريس^(٦) : « إن الخليفة المزم أرسل إلى الهند داعيا تمكن من تحويل عدد كبير من الجوسية ، ولكنه سمح لهم بإبقاء بعض معتقداتهم الغير الإسلامية » ، ثم تولى داعيا آخر وهو جلم بن شيبان^(٧) ، ولقد أرسل إليه الخليفة المزم رسالة في رمضان سنة أربع وخمسين وأربع مئة^(٨) ، وقد تمكن هذا الداعي من قتل حاكم السند وهدم معبد هناك وبناء مسجد في مكانه^(٩) . وقد ذكر هذا الحادث البيروني في كتابه الهند^(١٠) حيث قال : إن حلم ابن شيبان هجم على ملتان ، ثم على حدود السند ، وخرَّب بلاده ، وحطَّم معبدا هناك ، وبنى مسجدا مكانه .

ولما غزا محمود الغزنوي الهند لأول مرة سنة ٣٩٢ أنجم نحو ولاية ملتان

-
- (١) راجع الباب الثاني ص ٣٨ ؛ افتتاح ١٨ ؛ عيون ٦ / ٣٨ .
 (٢) وقد استنبطنا محتويات هذا الفصل من رسالة الدكتور عباس الهمداني (جامعة لندن سنة ١٩٥٠) بيض التصرف وتركنا التفاصيل والمراجع الواردة فيها .
 (٣) افتتاح ١٨ .
 (٤) المسالك ٢ / ١٠٠ .
 (٥) De Goeje : Memoires, 176
 (٦) عيون ٦ / ١١٧ .
 (٧) نفسه ٦ / ١٠٠ .
 (٨) نفسه ٦ / ١١٤ — ١١٧ .
 (٩) نفسه ٦ / ١١٧ .
 (١٠) البيروني : الهند ٥٦ .

حيث كان يحكمها أبو الفتح داود بن ناصر الذي قام بالدعوة الفاطمية في أوائل القرن الرابع الهجري . ولما اقترب محمود الفزنوي هرب الأمير داؤود بجواهره إلى سيلان ، وقضى الفزنوي على الدولة الفاطمية هناك . وقد انتقم الفزنوي من أولى الدعوة شرًّا انتقام ، فقتل منهم آلافاً^(١) . وما لبث أبو الفتح داؤود أن رجع إلى بلاده ، فمزَّج به جانب الدعوة ، وانتمشت الفاطمية في ملتان بعد وفاة الفزنوي . ولما تولى السلطان ممز الدين الفزنوي عاد إلى اضطهاد الفاطمية مرة ثانية . مالم يثبت أن حدث في سنة ٦٣٤ في عهد السلطنة رضية أن تجمع الفاطميون من جهات الهند مثل فخرات والسند وغيرها في عدد كبير جدا ، ولكنهم فشلوا في محاولتهم لإعادة دولتهم .

(غربي الهند) هذا فيما يتعلق بانتشار الدعوة في الجهات الشمالية من شبه قارة الهند . وأما عن انتشارها في فخرات والدكن على الساحل الغربي ، فإن ذلك يرجع من غير شك إلى نشاط الدعوة البينية في عهد الصليحيين .

يرى عباس الهمداني أن داعي الدعاة المؤيد في الدين الشيرازي (المتوفى في شوال سنة ٤٧٥) باب الإمام المستنصر هو الذي أمده القاضي ملك بن مالك الحمادي الهمداني مدة إقامته بمصر (٢٥٥ - ٤٦٠) بالتعليمات التي تتعلق بضرورة نشر الدعوة في الهند تحت إشراف الدعوة البينية ، وأنه من أثر هذه التعليمات أن أرسل ملك داعيه عبد الله إلى الهند في سنة ستين وأربع مئة . وقد ذكر خوج بن ملك في مجموع الرسائل^(٢) ما منناه : إن وصوله (يعني

(١) الهمداني: الفري ٢٧٧

(٢) وشرح خوج من كبار حدود الدعوة بالهند توفي في سنة ١٠٠٢ . وقد أُنشئت أثناء رسائل ست وهي مرور الأوثياء ، وهدى شعبة والشفاء . وحديقة النعم المشهية ، وهدى البداية . وحديقة الخزان ، ورسالة في رسائل داؤود بن قاص شاه . ولجميعها وللحفا وربها سيمى عبد الله بن عبد القادر في كتاب سماه مجموع الرسائل الست لسيدى خوج بن ملك . وترجم الكتاب الأخر بلغة السكجراية بعنوان كوكب الملك .

عبد الله) كان بأمر من درّس عليه وأخذ عنه واقتبس منه ، وهو بعض علماء اليمن المسمى لك بن مالك الحمّادى . وروى خوج بن ملك أن مولاي عبد الله العربى (أغلب الظن كان يمنيا) وزميليه الهنديين بالم نات^(١) (مولاي أحمد) وروب نات (مولاي نور الدين) كانوا بمصر أيام إقامة القاضي ملك فى القاهرة ، وأسلم الأخيران بيد داعى الدعوة المؤيد . ثم وجّه المؤيد هؤلاء الدعاة إلى اليمن تحت قيادة لك ، وسيرهم لك بعد وصولهم إلى اليمن لنشر الدعوة فى الهند فى السنة المذكورة .

ويروى^(٢) أن الدعاة الثلاثة وصلوا إلى الساحل الغربى من نيجرات الهند بمينا كبايت . وتسرب عبد الله العربى فى المزارع والبساتين والقرى فى نستر شديد ، وتعلم اللغة المحلية السما بالكجراتى ، حتى تمكّن أن يقنع مضيفه الفلاح كا كا أكيلا (الم وحيد) وامرأته كا كي أكيلى (العمة وحيدة) ، ثم كاهن المبد ذا النفوذ الكبير ، ثم الوزير تارمل ، ثم عاهل ولاية فتن الملك سدھراج جيسنغ بن بهارمل ، يبطلان عبادة الأوثان . وقبل هؤلاء دعوته إلى الإسلام . فانتشرت الدعوة فى كثير من بلدان كجرات .

وتوجّه مولاي أحمد (بالم نات) ومولاي نور الدين (روب نات) إلى دهن كام ، وهى بلدتهما فى الدكن بمقتضى التعليمات التى أصدرها لها رئيس الدعوة اليمنية وقاضى قضاة اليمن لك الحمّادى . « فانتشر الإيمان من هذه القرية حتى عمّ

(١) وفى رواية : لام نات . وظهر أنه اسم مولاي أحد الهندوكى .

(٢) ولم نتر على هذه الرواية فى كتب إدرىس التاريخية ولا فى المصادر اليمنية إلا أن المصادر الهندية أوردتها تقلا عن رسائل خوج بن ملك بتفاصيل كثيرة يخالف بعضها بعضا وأدخلت فيها عناصر الأسطورة . وإننا لانك فى صفحة هذه الرواية عامة ، ومن الممكن أن إدرىس لم يكن يعرف تفاصيل هذه القصة ، فاعتمد على ما وجد فى الوثائق الموجودة فى اليمن وأهمها السجلات من معلومات ومن تعيين مرزبان بن إسحاق للدعوة بالهند حوالى سنة ٤٧٦ . ويرى عباس الهمدانى أن كتاب عيون الأخبار لم ترد فيه تفاصيل كثيرة . ويرى أيضا أن « عدة من الدعاة بعثهم الصليجون ورؤساء الدعوة اليمنية إلى الهند حتما ، ولكن ليست عندنا مصادر وزدت فيها أسماؤهم ، إلى أن نقل فى سنة ٩٤٤ مركز الدعوة من اليمن إلى الهند » .

الحى » ، كما حكاه خوج بن ملك ، فقد دخلت الدعوة في الدكن (الهند) سنة ستين وأربع مئة^(١) .

وكانت الدعوة الهندية متصلة اتصالا مستمرًا بمركزها في اليمن ، ورؤساء الدعوة باليمن كانوا متصلين ، كما يظهر من رسالة الملك المكرم أحمد الصليحي الموجّه إلى إمامه المستنصر ، يطلب من الإمام السماح والإذن لدعاة الهند بإظهار الدعوة جهرا . قال فيها^(٢) :

« . . . فالمملوك ينهى أن رسل داعي الهند عنده مقيمون . كانوا في هذه الفتنة قد عادوا من بلادهم بالأجوبة عن التشریف الصادر إليهم من الحضرة قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحده . فأخذت [يا] لأجوبة والزكوات من أيديهم . وكان مضمون الأجوبة لسؤال في الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر . وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن [من] المملوك لرغبته في انتشار أمر مولاه وعلوّ دعوته يسأل [في] تشریفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم في القيام [يا] إظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليّهم [و] ينصرهم على عدوهم . والسلام على مولانا وسيدنا [مع] دأبى تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين عليه وعلى [آبائه] الطيبين الطاهرين وأبنائه الأكرمين المنتجبين [أو] فضل الصلوة والتسليم . صدر غرة ذى الحجة سنة إحدى وستين [و] أربعمائة . . . » .

وقد أجب المستنصر عن إحدى رسائل الملك المكرم الصليحي في سجله المؤرخ في ربيع الأول سنة ثمان وستين وأربع مئة بقوله^(٣) :

« . . . وأما ما أوردته من شأن الداعي المقيم بالهند ومضيه لسبيله ، فالله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ، وقولك في دعاء الحاجة إلى من يسدّ مسدّه ، ويحفظ نظام المؤمنين بتلك الديار جاهدا جهده ، فأنت أقرب الناس من ذلك الخط ،

(١) عباس الهمداني : بحث ١٧٤ .

(٢) رسائل القمى ٧١ .

(٣) عيون ٧ / ١٢٣ ؛ السجلات رقم ٤١ .

وأولام بالقبض فيه والبسط ، فافسح في ذلك وفي سواه غاية الأمل والالحظ ، ولك من سكون أمير المؤمنين إليك أوفر الحظ . فدبر من يسد مسدّه ، وكاتب بذكر من يقع الاعتماد عليه لنمضده بالكتابة ونشده . . . » .

ولما وقع اختيار المكرم على تعيين مرزبان بن إسحاق بن مرزبان للدعوة بالهند ، سنّت القوانين بالقاهرة ، وأرسلت إلى اليمن ، على يد الأمير معز الدولة طوق بن ناسك في سنة ست وسبعين وأربع مئة^(١) .

وتوفى مرزبان بن إسحاق . فأرسلت الملكة الحرة تخبر الإمام بذلك ، فأجابها المستنصر في سنة إحدى وعشرين وأربع مئة بالموافقة على تعيين أحمد الابن الأكبر للداعي المتوفى بدلا من أبيه للقيام بالدعوة في بلاد الهند^(٢) .

ثم أخذت الدعوة في الهند تنتشر وتكسب أرضا وأعوانا ، وظلت تابعة للدعوة اليمنية ، حتى انتقلت في سنة أربع وأربعين وتسع مئة إلى الهند .

فالدولة الصليحية في اليمن وما انضاف إليها من بلاد أخرى صارت أداة فعالة لنشر نفوذ الخلافة الفاطمية ؛ أو بمباراة أخرى : إن هذه العلاقة التي قامت بين الدولتين كانت ذات فائدة مزدوجة لهما . فبينما كانت من جهة سببا في مدّ نفوذ الفاطميين إلى كل هذه الجهات ، كانت من جهة سببا في توسع رقعة نشاط الدولة الصليحية في داخل اليمن وخارجها ، وفي نفس الوقت كانت سببا من أسباب ضعف دولتهم ، كما سنذكره في باب سقوط الدولة الصليحية .

المعرفات الاقتصادية

بدأت علاقة مصر التجارية ببلاد اليمن منذ أيام الفراعنة لحاجة هؤلاء إلى حاصلاتها وخاصة البخور اللازم للمعابد ولتحنيط الموتى . وكان لهذه السلع سوق نافقة في ثغر ظفار على الساحل الجنوبي من جزيرة العرب . وزاد اتصال المصريين ببلاد بُسْت^(٣) ، وبالتالي ببلاد اليمن ، في عهد تسلط دولة معين عليها أيام الأسرة

(١) السجلات رقم ٦٣ .

(٢) نفس المرجع رقم ٥٠ ؛ عيون ٧ / ١٢٣ — ١٢٥ .

(٣) بُسْت ، هي بلاد الصومال والجهات القابلة لها من بلاد الحبشة .

الثامنة عشرة الفرعونية . ولما انتقلت السيادة في بلاد اليمن إلى دولة سبا ، أصبحت اليمن جسرا بين الشرق والغرب ، وكان لها مع بطليموس الثاني (٢٨٣ — ٢٤٥ ق . م .) علاقات تجارية خطيرة .

ولما سقطت مصر في يد الرومان سنة ٣٠ ق . م . حاول هؤلاء القضاء على تجارة حمير ، فأعاد الإمبراطور تراجان حفر قناة سيروس تريس^(١) التي كانت قد طمت بالعلمى في أواخر عهد البطالسة ، كما تحالف مع الأحباش ، وأصبح تنور البحر الأحمر ، وحاولت حمير المقاومة ولكن بدون جدوى ، فتدهورت العلاقات التجارية واضمحلت ، كما حدث لسبأ ومعين من قبل .

هذا ما كان من أمر علاقة مصر التجارية باليمن في العصور القديمة . أما في العصور الوسطى فإن العلاقات بين الدولتين العباسية والفاطمية كانت دائماً علاقات عدائية ، لأن الفاطميين لم يستطيعوا تأسيس سلطانهم السياسى والدينى إلا على حساب العباسيين . وقد نجح الفاطميون بالدعاية تارة ، وبقوة السيف ، وبذلل المال ، واستغلال مطامع الأفراد تارة أخرى ، في بسط نفوذهم على شمال إفريقية وصقلية ومصر والشام وآسيا الصغرى وعلى سواحل البحر الأحمر ، كما اعترف بسلطانهم حكام اليمن وأمراء الموصل وبلاد ما وراء النهر ومكة والمدينة ، بل وبنداد حاضرة العباسيين .

ولقد أخذ النزاع بين الدولتين مظاهر مختلفة . نخص منها المنافسة التجارية ، لأن الدولة العباسية كان يهتما دائماً أن تعمل على عرقلة سياسة الدولة الفاطمية في جميع نواحيها . ولكن نظراً لأن النزاع بين الدولتين لم يحدث في الفترة التي سبقت حكم الخليفة المستنصر الفاطمى فقد اعتمد كل من الدولتين في تجارتها الخارجية على ناحية معينة من غير التعرض لتجارة الدولة الأخرى . فكان اعتماد

(١) وسميت هذه القناة باسم قناة أمير المؤمنين عند فتح العرب بقيادة عمرو بن العاص ، وهو نسل النبي بالبحر الأحمر

الفاطميين على التجارة مع دول البحر المتوسط ، لأن الدول الغربية فضلت الطريق من الشرق إلى الغرب عبر مصر على الطريق المنافس له عبر بلاد الجزيرة والشام ، لأنه يستغرق وقتا أقل . ولذلك كانت تكاليف النقل أقل بكثير ، مما أدى إلى رخص أسعار السلع بالنسبة إلى السلع التي كانت تنقل عن طريق بلاد الشام . ومهما يكن من شيء ، فإن تجارة الفاطميين قبل القرن الخامس الهجري كانت رابحة مع المدن الإيطالية وفرنسا وأسبانيا وصقلية بل مع الدولة البيزنطية في حالة استقرار السلام بينهما . وقد أدى الاتصال التجاري بدول البحر الأوسط إلى إهمال طريق الجنوب ، بل إلى إهمال بلاد اليمن والهند .

ويمكننا أن نملل عدم اهتمام الفاطميين باليمن والهند بعد قيام دولتهم تعليلا اقتصاديا . ذلك لأنهم لم يهتموا بالتجارة في هذه البلاد اهتماما كافيا ، وقد دفعهم إلى ذلك أن الدولة المباسية لم تكن قد بدأت تنافس الفاطميين بصورة جدية في هذه الناحية ، لأن تولى البويهيين السلطة في بغداد أوجد بينهم وبين الفاطميين تفاهما يقوم على أساس اتفاقهم في الذهب الديني . ومع ذلك فإن التجارة بين مصر والهند والصين كانت قائمة في أيام ابن خرداذبه ، وذلك عن طريق البحر الأحمر ، إلا أنه لم تكن هناك عناية كافية بهذه التجارة . وكان هذا الطريق على ما ذكره ابن خرداذبه معروفا من قديم الزمن إلا أنه لم يكن حيويا ولم يكن مركزا ثغرا عدنا في الأهمية كما هو الآن .

ولما استولى السلاجقة على بغداد تغيرت الأوضاع في الشرق إزاء الفاطميين ، فقتل السلاجقة عددا من المرابطين للفاطميين في بلادهم ، كما قتل محمود النزوي عددا كبيرا منهم في السند ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل تحالف المسلمون مع الدولة البيزنطية ضد الفاطميين ، ومنع البيزنطيون القمح عن مصر .

وإذ قيل لنا إن الخليفة المستنصر الفاطمي « قد نظر إلى بلاد اليمن في عهد الصليبيين نظرا كليا ، وأظهر فيها البرهان جليا » لاعتبارات سياسية ودينية وأدبية ، فإننا نرى أن الناحية التجارية لم تكن في مقدمة هذه الاعتبارات ، مع كونها ناحية حيوية تتصل بصميم الحياة .

وأما المصادر والوثائق التي عثرنا عليها فلا تذكر شيئا عن النشاط التجاري أو التعامل المالى أو التعاون الاقتصادى بين مصر واليمن في عهد الصليحيين . بل كل ما نجد في السجلات ومصادر أخرى يمنية ومصرية هو اهتمام الفاطميين بنشر دعوتهم في اليمن والناطق التابعة لها . وكانت مصر قد اجتازت أزمة اقتصادية شديدة في عهد المستنصر ، فترعزت أركان الدولة ؛ ولكن المياه رجعت إلى مجاريها بعد أن تولى بدر الجمالى منصب الوزارة ، واثمشت اقتصاديات مصر مرة أخرى ، واستقرت الأمور ، وتوثقت الروابط السياسية والدينية بين مصر واليمن كما تظهر من هذه الوثائق ، إلا أننا نتفقد فيها بدون جدوى ذكر مسائل اقتصادية أو مساعدات مالية بين الدولتين الواليتين . وقد رأينا فيما سبق أن الملك على بن محمد الصليحي كان يبعث إلى إمامه بمصر « هدايا جليلة القدر لم يسمع بمثلها » ، ورأينا أن الملكة الحرة الصليحية تركت بمقتضى وصيتها كل ما تملكه من الجواهرات والمصوغات بل كل ما تملكه من ثروة ، منقولة إلى إمامها المستور أبى القاسم الطيب . وقد رأينا أيضا أن مصر لم تمنح الصليحيين ، إلا ألقابا نائة وجلايب فضفاضة من النوع الدقيق ، ولم نبعث إليهم إلا تشريفات ونهاني وتمازى وغيرها من المهملات ، بل لم تساعد الدولة الصليحية في أشد أزماتها وأنكد أزماتها بالمال ولا بالخيخيش ؛ وتركت أعباء الحروب في داخل اليمن وخارجها على عاتق حلفائها المخلصين . ولما طلبت الملكة في أواخر عهدها حينما تدهورت الحالة باليمن من إمامها مساعدات بعثت مصر إليها في سنة ٥١٣ الأمير الموفق على بن إبراهيم بن نجيب الدولة مستشارا يصحبه عشرون فارسا إلى اليمن ليقوم بهذه المساعدة . وأمد الوزير مأمون البطالمحي ابن نجيب الدولة مندوب مصر باليمن « بيمض المالى وأربع مئة قوس أرضى وسبع مئة أسود » . فهذا كل ما عرفناه من عون عسكري لليمن . وأغلب الظن أن هؤلاء الأرمن والسود كانوا مرتزقة أو عبيدا أراد الوزير أن يتخلص منهم . وإذا وجدنا أن الملك المسكرم أحمد الصليحي سكت الدينار المسمى أو أن الأمير الخطاب بن الحسن الحجورى ضرب سكة باسم الخليفة النصور أبى على الأمر بأحكام الله فهذا يدل على أمرين : أولا مدى ولاء الصليحيين للفاطميين . وثانيا

فوائد عميقة لرواج التجارة المحلية والنهوض بالحالة الاقتصادية بدون علاقة بالمعاملات المالية بين البلدين .

ولقد أفادت اليمن في هذا العصر لو تحولت طريق التجارة إلى جنوب جزيرة العرب . ولكن الخلافة الفاطمية لم تبذل باليمن عناية تامة ، لتكون علاوة على الاعترافات السابقة قاعدة تجارية تقع على الطريق بين مصر والشرق ، مع أنها اهتمت بأمر الهند لفرض ديني بحت ونشر نفوذ الدعوة الفاطمية في أقصى البلاد ، لا لإنعاش التجارة بطريق اليمن .

فيمكننا أن نقول إن إهمال الدولتين في إيجاد التعاون الاقتصادي والتعامل التجاري الذي يربط البلاد اقتصاديا ويقويها ويفدّيها كان سببا من أسباب ضعف الدولة الصليحية .

الباب الثامن

أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية

أسباب سقوط الدولة الصليحية:

لقد أصبح للدولة الصليحية بفضل مؤسسها علي بن محمد الصليحي مركز ممتاز في العالم الإسلامي . فقد تمكن الصليحي من جمع اليمن كله تحت لواء دولته ، كما مدّ نفوذها إلى البلاد المقدسة في الحجاز شمالا وحضرموت جنوبا . وفي عهد خلفه أحمد الأكبر صارت عمان والأحساء والبحرين والهند والسند تحت النفوذ الروحي للدولة الصليحية ؛ فبلغ هذا النفوذ أبعده غاياته في عهد الملك المكرم . وهذه الدولة التي حاولت أن تسعد رعييتها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا ، ما لبثت أن أخذت في الضعف ، شأنها في ذلك شأن كل كائن حي .

وإذا أردنا أن نعرف أسباب هذا الضعف ، وجب أن نرجع ذلك إلى أصول بعيدة ، لا يمكن أن نتفاضى عنها .

نظام الرقعات

والقد استغادت هذه الدولة من غير شك من الحالة التي سبقتها . وكانت اليمن ، كما ذكرناه في السابق ، تسود فيها الفوضى والاضلال قبل ظهور الملك علي بن الصليحي ، ويحكم عليها الأمراء والسلاطين وبخاصة أقوام بنو النجاشي في تهامة اليمن ، فبدستيلاءهم على حكم تهامة وما جاورها وجدروح التمرد والتدمير بين القبائل العربية التي عبرت عن عدم ارتياحها لهذه الحالة بالانضواء تحت راية ملك عربي ينتمي إلى صميم فحطان ، وقبول بعض القبائل الدخول في الدعوة الفاطمية مع كونها تخالف إلى حد ما عقيدتهم ، بعد أن رأوا من علو همة الصليحي واتصاراته

وحسن سياسته وحرصه على مصالح رعيته . ولعل انتشار نفوذ الصليحي في البلاد يرجع إلى رغبة تلك القبائل في التخلص من حكم العبيد ، بل من الحكم مطلقا . ولكن هل ارتاحت العرب واطمأنت بعد هذا ؟ وقد صير الصليحي شتات أمرهم وحدة يمنية جامعة ، وقضى على الدويلات وأطاع سلاطينها ، وأدخل نظاما من نوع آخر بدل الفوضى والانفرادية واستقلال النظام القبلي . بقدر ما ترتب على هذه الوحدة (وحدة اليمن) من منافع محققة للشعب ، وما بذله الصليحيون من جهد لإسماد شعهم طوال مدة حكمهم ، وما فعلته هذه السياسة من تثبيت مركز دولتهم ، فإن عوامل الانحلال والتذمر أخذت في الظهور مرة أخرى ، بعد أن وجدت هذه القبائل وزعمائها أنها فقدت ما كانت تتمتع به في ظل النظام القبلي المستقل ، الذي كان منتشرا في الجهات المختلفة وحلَّ محلَّه نظام الإقطاع في عهد الدولة الصليحية ، لتستعيز به عن الحكومة المركزية ابتغاء الحصول على قسط من الأمن . أضف إلى ذلك ما ذكرنا فيما سبق من إهمال الدولة الصليحية والخلافة الفاطمية في تحقيق التعاون الاقتصادي والتبادل التجاري بينهما ، بل استنزفت الدولة قسطا كبيرا من مالية الدولة في الحروب الداخلية والخارجية بسبب العداء القائم بين هذه الدولة وأصحاب المذاهب الأخرى .

ومما لا شك فيه أن الزراعة والفلاحة هما قوام هذا المجتمع ، وأن جمهور ذلك المجتمع يتكون من الفلاحين . وبذلك تكون طبقة من المستأجرين ضخمة العدد ، ولم تكن هذه الطبقة إلا من القبائل الفقيرة التي لم ترض بحكم الصليحيين . ولما كانت ثروة الدولة تعتمد الاعتماد الكلي على المتحصل من هؤلاء المستأجرين ، فإن عدالة سلطان الصليحيين كانت تقتضيه أن يسهر على مصلحتها ويضرب على أيدي الولاة المخالفين لتعاليمه ، ليحول بذلك دون انتشار روح التذمر بينهم . وقد رأينا أن الملك عليا الصليحي وعد عماله بالتنكيل إذا رفع إليه شيء مما يهينهم عنه ، كما أمر جميع الرعية أن يرفعوا إليه ما يكون من المال من فعل القبيح والحسن ، حتى ينزل بهم من إنعامه وعقوبته بحسب أفعالهم^(١) .

(١) عيون ١١/٧ ؛ انظر ص ٨١ من الباب الرابع .

وقد دعاه إلى ذلك خوفه من أن ظلم الولاة قد يشير حنق الرعية، وتعلم ذلك ممن سبقه إلى حكم اليمن فمرف أنه بسياسة اللين القرونة بالحزم يمكنه أن يحفظ دولته من أعاصير الفتن والثورات. وكان الصليحي قد وزع السلطة في البلاد بين من يثق فيهم من الصليحيين والزواحيين، فأصبح كل حصن يحكمه أحد أعوانه، غير أننا نرى أن هؤلاء الولاة كانوا مقيدين بسياسة خاصة، رسمها لهم الصليحي ليسيروا على نهجها، ولكن على الرغم مما يبدو في هذه السياسة من النافع لمصالح الرعية، ولحرص الصليحي على استقرار الأمن في ربوع دولته، مالت الأمور أن تغيرت بعد قتله في الهجوم سنة تسع وخمسين وأربع مئة، وذلك لأن مدة حكم المسكرم استنفدت كلها في الحروب، فلم يقدر أن يلتفت كثيرا لمصالح الرعية. فأخذ نفوذ حكام الحصون يزداد، وأخذ روح التدمير والاستياء من هذا النظام يزداد تبعا لذلك. هذا إلى ما استتبعه ذلك من الأعباء الثقيلة التي كان يقع غرمها على طبقات الشعب الفقيرة وحدها، ولم يكن هذا التدمير يرجع إلى عدم تمودم هذا النظام الجديد، وحده، بل كان يرجع إلى حرمانهم الامتيازات والمنافع التي كانت تتمتع بها طبقة رؤساء الإنقطاع الذين كانوا يجتارون من قبائل أرسطقراطية معينة كالصليحيين أو الزواحيين أو الياميين، تتضمن الدولة الصليحية تنفيذ سياستها. ولعل كثرة الحروب التي قام بها الملك المسكرم ترجع إلى الاستياء الذي جعل حكمه غير مستقر، مما استنفد كثيرا من الجهد والمال. وقد تمكن مع ذلك من حفظ دولته من هذه الأعاصير المضطربة، بفضل ما أوتي من شجاعة وعزم.

ولما توفي الملك المسكرم سنة سبع وسبعين وأربع مئة، وانفردت زوجته الملكة الحرة بالحكم، وأنس حكام القلاع ضعفها، تانت نفوسهم إلى الاستقلال بما تحت أيديهم. وعلى الرغم من أنها استعملت الحكمة والدهاء، وسيرت الأمور في الصدر الأول من حكمها، باعتمادها على رجال ذوى كفاية وعلى مماندة الخلافة الفاطمية لها، كانت عوامل الانحلال والضعف أقوى من هذه السياسة. فأخذت مظاهر الضعف تظهر بوضوح كلما تقدمت الملكة في السن، واستفعل أمر الولاة الطامعين.

عراء أهل المزاب

أضف إلى ذلك أن الصليبيين استطاعوا أن يكونوا دولتهم وسط بحر خضم من السنين، وأن هذه الدولة كانت تحكم مجتمعا يدين معظمه - ما عدا الزيدية - برئاسة الخلافة العباسية على العالم الإسلامي، وكان يحنق على نفوذ الخلافة الفاطمية ودعوة الفاطميين في اليمن، وأن الفقهاء والعلماء بالخصوص تبادوا بدون هوادة أن يثيروا الجماهير إلى تكفير أهل الدعوة، ونسبوا إليهم ظلما وعدوانا تحليل الحرام وتحريم الحلال^(١). فالتفت الجماهير بفضل مسعى الفقهاء حول بني النجاشي الذين صاروا في نظرهم رمزا للمذهب السنّي، وفضّلت حكم العبيد الحبشة على وحدة اليمن تحت ظل دولة الصليبيين العربية. وقد ساعد بني النجاشي وجود آلاف مؤلفة من الحبشة الذين استعمروا تهامة اليمن وبعض الجزائر الواقعة على الساحل الغربي من اليمن، والذين كانوا يتكثرون لمعاودة دولتهم في تهامة. وقد أهمل الصليبيون اتخاذ إجراءات حاسمة للقضاء على هذا الاستعمار الأجنبي، بعد تجارب عديدة من تكثفهم ضد العرب. ولا يمكننا أن نعزو هذا المداء كله إلى النظام الإقطاعي، الذي أوجده الدولة الصليبية وحده، بل إن رغبة النجاشيين في إعادة سلطانهم، ورغبة الأهالي في حكمهم، لأنهم يمثلون مذهب أهل السنة، كان سببا جوهريا في إثارة الحروب بين الفريقين وإضعاف الدولة الصليبية. وكان النصر في النهاية لبني النجاشي،

(١) راجع كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة تأليف الفقيه محمد بن مالك الحمادي من فقهاء أهل السنة باليمن في أواسط المئة الخامسة، وما نسب إلى أبي القاسم منصور اليمن وعلي بن محمد الصليبي وإلى الدعوة من الأكاذيب والأباطيل، من غير أصل ولا أساس، بعد أن ادعى أنه دخلها، وعرف أسرارها، واطلع على كتبها، وتصنع جميع ما فيها. وقد وقفنا على ما بلغ من حقد هؤلاء الأفاضل الفقهاء الذين ناروا على الأمير المفضل الحميري بالتعكر، حتى أخرجوا حظاياهم من السراري وجعلوا بأيديهم طارات وأطلعوهن على سفوف قصوره بحيث يشاهدن ويسمع أصواتهن، لكي يموت من الفيرة والنيظ، ووقفنا أيضا على ذهاب الملكة إلى باب التعكر للمفاوضة، وعلى إيفائها شروطا اشترطوا عليها. والمعروف إلى الآن أن الملكة وقتت أوقافا جليلة القدر تصرف منها على تدريس صحيح البخاري مع كونها فاطمية المذهب، وذلك لكي يرضى بهذا العمل الفقهاء ورعاياها السنون. فكأنها الفقهاء بمطالبة إخراج جثتها بعد وفاتها.

نخلص لهم حكم تهامة . ولم يتمكن الأمير الفضل ابن أبي البركات الحميري ، وبعده الأمير موفق علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة من فتحها ، واستمرت الدولة النجاشية في تهامة حتى سنة أربع وخمسين وأربع مئة ، حين استولى عليها علي ابن مهدي الحميري^(١) وبقى بها حتى أزال ملك بني مهدي السلطان توران شاه الأيوبي سنة تسع وستين وخمس مئة .

وكان أئمة الزيدية ورؤساؤهم ، كما كان الحبشة ، مثار اضطراب شديد في عهد الدولة الصليحية . فقد ظلوا في حالة حرب معهم طوال مدة حكمهم لليمن . وذلك يرجع إلى العاملين الديني والسياسي معا . وكان الأئمة الزيدية يتنافسون الخلفاء الفاطميين في الإمامة والحكم . وأيد الصليحيون دعوى الفاطميين برياسة المسلمين . فاحتكوا بالصليحيين برغم اشتراكهم في التشيع وحب أهل بيت النبي الذي كان يجمع الفريقين . وكان العامل السياسي أقوى من الاختلاف الديني ، لأن الدعوة الفاطمية وقفت من يوم حضور الإمام الهادي إلى الله بحبي ابن الحسين باليمن حجرة شجرة إزاء توسع الدعوة الزيدية باليمن . فما استطاع الأئمة نشر دعوتهم بالتالي هي أحسن . وذلك لأن الدعوة الفاطمية رمت إلى نفس الهدف . وهو إنشاء دولة موالية لأهل بيت النبي باليمن بعد ما كابدوا من ظلم واعتساف بأیدی الأمويين والعباسيين ، وأدركت مطالبها في أيام منصور اليمن^(٢) ، ثم في عهد الصليحيين بصورة أوسع وأقوى من المجهود الزيدي . فاشتبك الفريقان أو الدعوتان في صراع دموي ، للوصول إلى نفس الغاية . وإننا نرى أن هذه الغاية كانت سياسية أكثر من أن تكون دينية بحتة ؛ والدليل على ذلك ما رأينا من انضمام رؤساء الزيدية لدولة الحبشة العبيدانيين والتحاليف معهم ضد الصليحيين ، كما فعل الإمام أبو الفتح الذبيلي حين استولى الملك علي بن محمد الصليحي على صنعاء أو كما فعل أشراف الخلفاء المسلمين حينما دعوا الفز الذين احتلوا مصر أن يحتلوا اليمن .

(١) كان من حمير من قرية العبرة في قرب زيد . وكان ظهوره سنة ٥٣١ هـ . قضى على الدولة النجاشية في تهامة سنة ٥٥٤ حتى قضى على ملكه توران شاه الأيوبي سنة ٥٦٠ هـ .
١ جمادى / كتي ٩٢ - ٣٠ .
(٢) كتاب التاريخ من هذه الكتب .

وقد وقفنا على الحوادث التي حدثت بسبب احتكاكهم بالدولة الصليحية في عهد الملك علي بن الصليحي وفي عهد ابنه الملك المكرم ؛ وذكرنا ما كان من انضمام الشريف يحيى بن حمزة السليمانى إلى النجاشيين في موقعة الكفظام وما كان من هزيمة العرب تحت راية الصليحيين^(١) . وظلت صعدة نتيجة لهذا النزاع منطقة للتجادب بين القوتين ، حتى عهد الملكة الحرة سنة ٥١١ ، حيث تار الأمير المحسن ابن الحسن^(٢) داعى الإمام أبى طالب يحيى بن أحمد بن الحسين المازونى الديلى^(٣) واستولى على نجران والجوفين وانظاهر وحصن تلا ، وقتل الصليحيين حتى قتل السلطان سليمان بن عامر بن سايمان الزواحي في وقعة نشبت بين تلا وكوكبان في سنة ٥١١ . ولم يقو الصليحيون بمد ذلك على إعادة نفوذهم في اليمن الأعلى .

وهذا العداء الذى رسخ في قلوب أهل المذاهب يفسر لنا الأسباب التي جعلت حكم هذه الدولة لليمن حكما غير مستقر ، بل جعلت حكمهم كأنه قائم على فوهة بركان ، لا يستقر له قرار ، كما يفسر لنا الحروب المستمرة التي قامت بها الدولة الصليحية . وكانت الدولة النجاشية من جهة ، والفقهاء من جهة ، والأشراف من جهة ، من أهم العوامل التي أضعفت الدولة الصليحية ، لأنهم ظلوا طوال حكم الصليحيين (٤٣٩ - ٥٣٢) في حالة حرب معهم ، مما جعل الدولة تستنفد الكثير من جهودها في سبيل مقاومتهم .

عزم التعاون بين الحاكم والمحكوم

فإذا كانت الحكومات التي تمثل الأغلبية في الشعوب لم تتمكن من تحقيق العدل السياسى والاجتماعى في مجتمعاتها من أقدم العصور إلى الآن ، فإنه لا يفتقر من أقلية فاطمية المذهب بحكم أكثرية سنية أن يتحقق هذا العدل على يديها .

(١) ص ١٥٢ - ١٥٤ .

(٢) هو المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبد الله بن محمد بن القاسم المختار ابن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى ، قام بدعوة الإمام أبى طالب باليمن . ولم يزل على إمارة حتى قتله الجدادون بصعدة .

(٣) هو أبو طالب الصغير يحيى بن أحمد بن الحسين بن الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين المازونى من بلاد الجبل ، والديلم .

ولكن يمكن أن نقول إن بلاد اليمن كانت أحسن حالا تحت حكم الصليحيين مما كانت عليه قبل ذلك الحكم ، وذلك نتيجة للوحدة التي أوجدتها الدولة الصليحية ؛ بل إن الصليحيين عملوا إلى حد كبير على إسماع شعبيهم طوال مدة حكمهم ، بما خولتهم الظروف المحيطة بهم . ولكن إذا كانت هذه الدولة لم توفق إلى ما قصدته ، فذلك يرجع إلى أن معظم الرعية كانوا يمتقدون . في كفر رؤسائهم . وليس من السهل أن يتزع هذا الاعتقاد من صدورهم مهما قدم لهم الصليحيون من خدمات .

كما ينبغي ألا يفوتنا أن أمور الحكم إنما تستقيم حينما يكون التعاون والتضامن بين الحاكمين والمحكومين في الأصول التي يقوم عليها النظام . فليس يكفي أن يكون الحاكم نقي الضمير ، مؤثرا للعدل ، مصطنعا للمعروف ، حريصا على رضا الله ، كفايا بمد ذلك لشكالات السياسة ، خراجا منها إذا ادلمت ؛ وإنما يجب أن يكون لرعيته حظ من هذا الضمير الحى اليقظ ، ومن حب العدل ، وإيثار المعروف .

وهذه المشكلة واجهتها الدولة الصليحية في اليمن . فلم يكن هناك تضامن صحيح بين ملوك هذه الأسرة والكثرة الضخمة من رعاياهم .

مظاهر سقوط الدولة

على الرغم من أن هذا التضامن كان قائما بين السلاطين من آل الصليحي وبين الطبقة الأرستقراطية التي أوجدها النظام الإنطاعى في عهد الصليحيين من الزواحين والياميين وغيرهم ، وعلى الرغم من أن الملكة الحرة قد استماتت ببعض الشخصيات في إدارة شؤون دولتها ، إلا أن الحالة أخذت في الضعف والانحلال لأسباب ذكرناها آنفا .

فقد استقل التجاحيون كما رأينا بتهامة وزبيد بمد موقعة الكظالم سنة تسع وسبعين وأربع مئة . ثم استولى عليها على بن مهدي الحميري الرعيي^(١) سنة أربع وخمسين

(١) من غير من أهل قرية الغبرة من سواحل زبيد وحاصر ابن مهدي زبيد ، واستجد أهل زبيد الشريف الرسي أحمد بن سليمان صاحب منقذة ، فأجدهم طعما في الملك ، واشترط عليهم أن يملكوه عليهم وأن يقتلوا مولاهم فاتكأ فقتلوه . ثم عجز الإمام الشريف عن نصرهم وهرب « كما رواه عمارة / كافي ٩٦ .

وخمسة مئة ، وقام بعده ابنه مهدي بن علي وعبد النبي بن علي حتى انتهت دولة بني مهدي بهامة بزحف السلطان توران شاه الأبوي سنة تسع وستين وخمس مئة . وبعد وفاة السلطان أبي حمير سبأ بن أحمد الصليحي سنة اثنتين وتسعين وأربع مئة خرجت صنعاء من الدولة الصليحية . واستولى عليها السلطان حاتم ابن القاسم المنقلى الهمداني^(١) وناصرته قبائل همدان ، وصارت بعده إلى ابنه عبد الله بن حاتم ، ثم إلى أخيه معن بن حاتم . ثم خلعت همدان وولت مكانه كلا من هشام وحامس ابني القاسم الهمداني . ثم اختارت همدان السلطان حاتم بن أحمد (المجدي) بن عمران بن الفضل اليامي الهمداني^(٢) للقيام بأمر صنعاء وأعمالها في سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة . وملكها بعده ابنه السلطان علي بن حاتم . وضربت باسمها السكة وأقيمت لها الخطبة^(٣) . وانتصر علي بن حاتم اليامي في وقعة ذي عدينه على جيوش عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري نصر أعظما وفر عبد النبي إلى زبيد . فانسدت رقعة دولة الهمدانيين على معظم اليمن الأعلى في عهد السلطان علي بن حاتم ، حتى أزاله وأخاه السلطان بشر بن حاتم اليامي الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب عن صنعاء وذمرمر وغيرها من الحظون والماعل^(٤) .

وصارت عدن ونواحيها إلى تعز والجند وجبله وما يليها في ملك بني زريع ابن العباس بن السكرم الجشمي الهمداني إلى أن استولى عبد النبي بن علي ابن مهدي على التمكر والجند وتمز وجبله وغير ذلك من الماعل والمدن . فبقيت عدن في أيديهم حتى أزالهم عنها الملك العظيم توران شاه بن أيوب ، وتسلم بعده الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين بن أيوب الدملوة وحب بعد أن حاصرها أربعة عشر شهرا . وخرج منها جوهر المظلم والي بني زريع ، وكان معه فيها ابنا عمران ابن محمد بن سبأ الزريعي الصفيان .

(١) من بني المنقلى ثم من مذكر ثم من يام (عيون ٧ / ٢٣١) .

(٢) كان القاضي عمران بن الفضل اليامي جد السلطان حاتم بن أحمد واليا على صنعاء فزله الملك السكرم الصليحي ؟ ثم قتل في وقعة السكظائم في عهد الملكة .

(٣) نفس المرجع ٧ / ٢٣٢ .

(٤) عيون ٧ / ٢٣١ .

وكان سليمان وعمران ابني الزر من خولان قد استقلا بحصني خَدِدِ والتمسك سنة أربع وعشرين وخمس مئة ، وذلك بعد أن غادر ابن نجيب الدولة سواحل اليمن . ثم استولى عليهما بنو زريع ، ثم ابن مهدي إلى أن طوى الفز بلاد اليمن . وقد انتهت معارضة الصليحيين للدولة الزيدية بصعدة بعد وقعة ثلثا في سنة إحدى عشرة وخمس مئة . وبعد أن قتل الحدادون الأمير المُحَسَّن بن الحسن بصعدة قام بأمر الحسبة الأمير علي بن زيد بن إبراهيم^(١) في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة . وفي السنة التالية قام المتوكل على الله أحمد بن سليمان^(٢) بأمر الإمامة فصارت صعدة وما يليها لبني الهادي ، وشهارة وما يليها لبني القاسم العياني ، وتهامة الشام إلى وادي عين للأشراف من بني سايان^(٣) . ولما صار أمر المخلاف السليمانى بيد الشريف غانم بن يحيى بن حمزة قامت بينه وبين عبد النبي بن علي بن مهدي حروب كثيرة قتل فيها غانم بن يحيى سنة ستين وخمس مئة^(٤)

مصبر منصور آل الصليحي وأموالهم

وكان منصور بن الفضل بن أبي البركات الحيرى مستوليا على ذى جبلة وملك بني الظفر في أشيخ وحصونهم بعد وفاة أبيه المنفل سنة أربع وخمس مئة . وكان يدين بالطاعة إلى الملكة الحرة حتى وفاتها سنة اثنتين وثلاثين وخمس مئة . وبعد ذلك استولى على ما كان تحت يدها من حصون وذخائر وأموال . ولما تقدمت به السن وصار لا يقدر على حماية هذه الحصون من الطامعين ، وأعينته الشيخوخة عن التحرك ، باع حصون بني الصليحي ومدنهم سنة سبع وأربعين وخمس مئة^(٥) ، وهي ثمانية وعشرون حصنا ومدائن ، منها مدينة ذى جبلة وحصن

-
- (١) هو علي بن زيد بن إبراهيم الملقب بن المنتصر محمد بن القاسم المختار بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الصفي .
 (٢) هو أحمد بن سايان بن الظفر بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي يحيى بن الصفي .
 (٣) أبناء / دار ٥٢ .
 (٤) المقتطف ٧٣ .
 (٥) عيون ٢٠٧/٧ . وذكر صاحب العيون (٢٣٢/٧) أن بني في أهدى بني الصليحي حصن أشيخ وحسن قبضان إلى أن أزالهم عنها سيف الإسلام طفتكين .

التمكر وذى أشرق وإب . وقد ابتاعها المتوج محمد بن سبا بن أبي السمود الزريبي بمئة ألف دينار . وطلّق منصور زوجته الصليحية الأميرة أروى بنت علي بن عبد الله بن محمد الصليحي . فتزوجها الملك محمد بن سبا^(١) ، فانتقلت حصون آل الصليحي وذخائرهم وماورثت الأميرة أروى الصليحية من الثروة إلى محمد بن سبا الزريبي ، ثم إلى ابنه عمران ابن محمد بمدة وفاة أبيه في سنة ستين وخمس مئة . فقوى نفوذ الملك محمد بن سبا الزريبي تبعاً لذلك ، وطاش فرحاً لما صار إليه من المال والقوة والمائل والمقاتل^(٢) . ونزل منصور بن الفضل إلى حصن تمز وصبر ، ولم تزل صحته تتدهور حتى وافاه الموت سنة اثنتين وخمسين وخمس مئة . خلفه ابنه أحمد ، واستمر هذا مالكا لتمز وصبر حتى سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، حيث اشتراها منه علي بن مهدي . وانتقل أحمد إلى الجند فسكنها إلى أن توفي سنة ثلاث وستين وخمس مئة^(٣) . وبقيت هذه الحصون والمدن في أيدي ملوك بني زريع إلى أن استولى علي بلادهم عبد النبي بن علي بن مهدي وتملك بلادهم غير عدن ، فإنهم صالحوه في تركها في أيديهم^(٤) حتى أزالهم عنها توران شاه بن أيوب .

فتح الأبريين لليمن

وقد كان فتح الملك العظيم توران شاه الأيوبي لليمن سنة تسع وستين وخمس مئة بدعوة من الشريف قاسم بن يحيى بن حمزة بعد أن قتل سنوه الشريف غانم ابن يحيى وهزيمته في حروبه مع الملك عبد النبي بن علي بن مهدي الحميري « وقد استنجد الشريف قاسم صاحب بغداد الخليفة الناصر بن أحمد المستضيء العباسي على عبد النبي . فأمر الخليفة السلطان صلاح الدين بن أيوب بنصرته^(٥) . فانتصلاً

(١) عمارة / كاي ٥٦ .

(٢) نفسه ٥٦ .

(٣) قرّة ٢٧ .

(٤) عيون ٢٠٧/٧ .

(٥) المتنطف ٨٣ .

لأمر الخليفة أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه إلى اليمن ومعه ثلاثة آلاف مقاتل ،
وعندما وصل توران شاه إلى ناحية صيبا من بلاد تهامة انضم إليه الأشراف (١) .
وبعدئذ قصد زيد وأخذها عنوة وقضى على دولة بني مهدي ، وقضى على دولة
بني زريع ، وقضى على دولة الهمدانيين ، وقضى على الفوضى التي كانت باليمن بمد
اقراض أمر الدولة الصليحية . فلم يبق لآل الصليحي ولا للأشراف ولا لسيرم
نفوذ ولا سلطان . وبعضائه على ملك بني مهدي الحميري انقرض ملك العرب في اليمن ،
وصار للفرز ومواليهم . وخطب للخليفة العباسي في جميع البلاد التي فتحها . وولى
سيف الدولة مبارك بن منقذ على زيد ، وعز الدين عثمان بن الزنجبيلي على عدن ،
كما عين في كل قلعة من قلاع اليمن التي دخلت في حوزته نائبا من أصحابه .
وعكذا انتقلت السيادة في اليمن من أيدي اليمنيين إلى الأيوبيين ، الذين حرصوا
على إظهار ولائهم للخلفاء العباسيين ، وأقاموا الخطبة لهم في جميع أنحاء اليمن التي
دخلت تحت رايهم .

(١) المتنضب ٧٣ .

الباب التاسع

آداب الدعوة الفاطمية وتحولها إلى الدين

مميزات اخباة العلمية في القرنين الثالث والرابع

يمتاز القرنان الثالث والرابع بناحيتين متباينتين في تاريخ العالم الإسلامي ؛ فبينما كانت الحالة السياسية من جهة مضطربة جدًا ، لازدحام الأهواء والشهوات ، سلحت من جهة أخرى حياة الناس العقلية صلاحًا لم يعرف له مثيل من قبل .

ولعل ذلك يرجع إلى أن المجتمع الإسلامي لم يكن في حقيقة الأمر وحدة سياسية . وإعما كان شعوبًا مختلفة أشدّ الاختلاف ، متباينة أشدّ التباين ، جمعها الإسلام تحت لواء واحد ، وحاول أن يمزجها ويلبسها ما بينها من الفروق . فوفّق إلى تكوين حضارة إسلامية شاملة ؛ ولم يتسح له العمل على إنشاء مجتمع له منهج سياسي اقتصادي ثقافي واحد في جميع تفاصيلها وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي .

وكانت الحياة السياسية تتحسن بتحقيق العدل ونشر الطمأنينة بين الناس . وقد يحمل الظلم والحروب كثيرًا من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة أن يفرّوا من العمل السياسي إلى العمل العلمي ، لأنهم كانوا يجدون أن العمل السياسي يمرضهم إلى إزهاق أرواحهم ، وإلى أخطار مادية جسيمة ، على حين يحوّلهم العمل العلمي بجو خاص هادي .

والخلاصة أن الحالة العلمية في القرنين الثالث والرابع كانت في العالم الإسلامي أنضج منها في العصر الذي قبله ، فأخذ علماء هذا العصر مانقله المترجمون من قبلهم من علوم اليونان والفرس والهند ، فشرحوها وهضموها ، وأخذوا النظريات البعثة فرتبوها ، وورثوا ثروة من جاء قبلهم في كثير من فروع العلم ، ثم حاولوا أن يطبقوا معارفهم بالديانة الإسلامية ، وأن يدافعوا عنها بطريق العلم والتجربة

والعقل لا بطريق النقل فقط ؛ فنشأ فيهم علماء سمو بالمعتزلة والفلاسفة والتكلميين وإخوان الصفا، وأهل التصوّف وغيرهم من أصحاب المدارس العلمية والمذاهب الدينية .

تمسك علماء الدعوة بظاهر الشريعة

وقد دخل الأئمة الفاطميون ودعاتهم العلماء في هذا المضمار ؛ وذلك لأن الدعوة الفاطمية تقوم كثيرا على مباحث العلم والجدل والمناظرات ؛ وبها استطاعت الدعوة أن تنتشر في كثير من أنحاء العالم . وقد سبقهم المعتزلة في استخدام العلم في تفسير القرآن ، واستخدام بعض النظم الفكرية اليونانية في تكوين نظام فكري خاص ، يتفق مع آرائهم الدينية وعقائدهم الإسلامية . وقد اختلفت الأسباب والطرق التي أدت إلى هذا العمل ، من مزج الفلسفة بالدين وتطبيق العلم على العقيدة ، كما اختلفت نتائج محاولاتهم . وقد اختلفت العلماء المعتزلة أنفسهم أمثال النظام وأبي الهذيل والجبائي في مطابقة المحسوس بالعقول . وكان المعتزلة يعملون هذا للجرد التمهيدية ؛ بل دفاعا عن حرزة الإسلام . وكذلك ما استطاع الفلاسفة أن ينسكوا العقيدة الإسلامية ، فأثروا كثيرا في مباحثهم بكلام فلسفي ديني . وقد سلك العلماء الصوفية التمسك بنسب الرسول إلى غاياتهم ، بل بالغوا في السير حتى انظر المحافظون أن يفهم في حدود العقيدة . ونرى أن الصوفية والفاطميين اتفقا بوجه خاص على تقسيم المعرفة في الظاهر والباطن ؛ ففيه اعتراف منهم أن الظاهر هو الإسلام . وهو الأساس الثابت . فبذلك نرى أن الدعوة الفاطمية تتمسك كل التمسك بالشريعة وتكاليها ، ولا تترك أي مجال للهوادة فيها ، وتعتبر الاشتغال بعلم الباطن عبادة علمية ، لا وجوب لها إلا على من أرادها واستحقها بالطاقات ، وتقدم في العلوم الظاهرة . وأثبت الشيخ أبو يعقوب السجستاني في الإقليد الثالث والثلاثين من كتاب المقاليد أن « الوقوف على الحقائق في الشرائع لا يسقط الأعمال ؛ إذ أن الأعمال الشرعية من الدين ، وتاركها تارك الدين والدين عند الله الإسلام » . وقد ذهب علماء الدعوة إلى تكفير القرامطة وغيرهم من الجماعات التي حادت عن الدعوة الرسمية ، وفضلت الباطن على الظاهر ، وقالت بتعطيل التكليف الشرعية . ومما يدل على أن الباطن لا يحل محل الشريعة ، إذ لا خلاف فيها ، اختلاف علمائهم أمثال أبي حاتم

أحمد بن حمدان الرازي ، والشيخ محمد بن أحمد النسفي ، والشيخ أبي يعقوب السجستاني ، في تقديم القمدر على القضاء ، وفي بعض نظرياتهم فيما وراء الطبيعة ، ومحاولات الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى ، ومن أتى بعده من علماء اليمن الذين سذكروهم ومؤلفاتهم فيما بعد^(١) في التوفيق بين الآراء المتضادة المتباينة .

ومع هذا فقد اشتهر الفاطميون باسم الباطنية ، وأنهموا بتعطيل الشريعة ؛ وذلك يرجع إلى نشأة القرامطة أولا ، ثم الدرود ، ثم النزارية ؛ وخروجهم جميعا في أول الأمر على الدعوة الفاطمية الرسمية ؛ واتخاذ الناقضين مبدأ الباطن أساسا لمذهبهم ، وتعطيلهم الشريعة ونكاليها ، وغلوهم في أشخاص الأئمة الذين قاطعهم وحاربهم . فسب التعطيل إلى أهل الدعوة كآتهم ، وسموا بالباطنية ، إما جهلا أو ظاهرا . وقد رأينا أن الملكة الحرة حجة الإمام في الجزيرة اليمنية ، ورؤساء الدعوة اليمنية ، تمسكوا بأصول الدعوة الفاطمية القديمة الرسمية . ومن مبدأ هذه الدعوة القديمة احترام الظاهر قبل كل شيء ، وتأييد الأعمال الشرعية بأسرها ، واعتبار الحياد عنه كبقيا وخروجها عن الدعوة ، بل عن الدين الحنيف . وبالرغم من أنها أرادت قلب النظام السامى السيطر على الإسلام في أواخر القرن الثالث ، وبالرغم من أنها شجعت الجماعات السرية ، وأيدت الحركات الانقلابية ، كما بيناه في مقالنا عن مؤلفى الدعوة ومؤلفاتهم^(٢) ، أصبحت الدعوة بعد قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب في سنة سبع وتسعين ومئتين تحمى حى الإسلام ، وتتحصن في حصن الشريعة ، كما يتضح في كتب الشيخين أبي حاتم الرازي وأبى يعقوب السجستاني ، وتقوم بدعائم الإسلام ، كما فعل القاضى أبو حنيفة النعمان في عهدى المنصور بالله ، والمز لدين الله ، والشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى في عهد الحاكم بأمر الله ، والمؤيد فى الدين الشيرازى فى عهد المستنصر بالله ؛ ففرى أن رؤساء الدعوة صاروا ، بطبيعة الحال ، محافظين أشد المحافظه على ظاهر الشريعة ، بعد أن كانوا دعاة إلى قلب النظام السامى والفكرى ، وحاربوا الناقضين والخارجين عن حوزة الشريعة من القرامطة والدرود والنزارية .

(٢) راجع JRAS (١٩٣٣) ص ٣٦٧ .

(١) انظر الباب العاشر .

رأى عالم سنى عن عقائر الصليحيين

وقد أيدنا في هذا الرأى الدكتور محمد كامل حسين بمقال قيّم عن عقيدة الفاطميين والصليحيين^(١) فتطّفت منه بمض الفقرات . قال : « إن دعاة الفاطميين نادوا بالتوحيد ، وتوحيد الله عندهم ينفى جميع ما يليق بمبدعائه عنه ، فهم يزعمون الله سبحانه وتعالى عن جميع ما يوصف به خلقه من الصفات والنموت ، فهم يقربون في التنزيه من آراء المعتزلة ، وكنا أن المعتزلة أوّلوا الآيات القرآنية التي يشتهر فيها التجسيم والتشبيه تأويلا يتفق والتنزيه ، كذلك أوّل دعاة الفاطميين هذه الآيات لنفى التشبيه عن الله . وبذلك قال دعاة الدعوة الطيبية الحينية أيضا ، فإبراهيم ابن الحدين الحامدى يقول : « أوّل الديانة لله تعالى معرفته ، وكما معرفة توحيدِهِ ، ونظام توحيدِهِ نفي الصفات عنه »^(٢) . ويقول على بن الوليد في رسالة جلاء العقول : « وصفه تشبيه ، ونعته تمويه ، والإشارة إليه تمثيل ، والسكوت عنه تعطيل ، والتوهم له تقدير ، والإخبار عنه تحديد »^(٣) . وهكذا لا يقول دعاة التشبيه ، ولا بالتجسيم ، ولا بالتعطيل . وهم في ذلك على نحو مقال المؤيد في الدين :

نوحسُدُ اللهَ ولا نُسبُهُ قد انتفتت في ذلكَ عنا السُّبُه

« فالاعتراف بوجود الله تعالى ووحدانيته وتنزيهه أصل الدعوتين الفاطمية والطيبية ، وهم في ذلك يشتركون مع أكثر المسلمين من أصحاب الفرق الأخرى » .
« وهم يمتدحون بالأنبياء والرسل ، وسَمَّوا الأنبياء بالنطقاء ، والأنبياء عندهم معصومون في كل قول وعمل ، لأن الله اجتباهم فطهرهم ، حتى يقتدى بهم غيرهم من البشر وإيمانهم في القول بعصمة الأنبياء جعلهم يؤولون قصص الأنبياء التي وردت في القرآن الكريم تأويلا يتفق مع العظمة التامة الذاتية ، التي خصهم الله تعالى بها . ولهم الفصول الطوال في إثبات النبوة وفضل الأنبياء والرد على من ينكر الأنبياء من أمثال الراوندى وغيره ، وهم في حديثهم عن النبوة والأنبياء لا يبالغون

(١) من مقال أرسله لنا صديقنا الكريم في هذا الموضوع .

(٢) الحامدى : كثر الولد ورقة ١٥٩ (مخطوط بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين) .

(٣) مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن رقم ١٥:٣٣ .

فهم غلو أصحاب بعض الفرق والمذاهب ، بل الأنبياء من البشر ، خصهم الله بهذه المرتبة لهداية البشر إلى الصراط المستقيم ، فهم في ذلك أيضا يشتركون مع غيرهم من المسلمين . وفي اتباع الفاطميين للأنبياء يقول المؤيد في الدين :

فكيف شرعَ الأنبياء ندفعُ وما لنا إلا النبيَّ مَرَجِعُ
بنوره في الدرجات زرتق وبالكرام الكاتين نلتق
فالن إلى جاحدى الشرائع واررهمُ بِالْعَمِينِ الفواجع
فإننا لأهلُ علمٍ وعملٍ لله دَنَا بهما عَزَّ وجَلُ (١)

«فكل ما جاء به الأولياء والرسولون هو الحق والصدق ، والتصديق بالكتب السماوية ، وأنها منزلة من الله على أنبيائه ، كل ذلك قال به الفاطميون والعلويون . وها هو أحد دعاة الصليبيين ، وهو شرف الإسلام الخطاب بن الحسن بن أبي الحافظ (٢) التوفى سنة ٥٣٣ يقول في إحدى مناجياته :

يا عالم الغيب منّا والشهادة يا بارى البرية تركيا وتصورا
شهدتُ أنك فرد واحد صمدٌ شهادة لم تكن مينا ولا زورا
وجهتُ وجهى فى سرى وفى علقى
إليك حمدا وتهليلا وتكبيرا
عبادةً هى عين الحق خالصةٌ وكان ذلك فى القرآن مسطورا (٣)

«فإذا كان رأيهم فى الأنبياء بهذه المثابة ، فلا شك أنهم يؤدون الفرائض التى جاء بها الرسول الكريم ، وسموا القيام بهذه الفرائض بالعبادة الظاهرة ، تميزا لها عن العبادة العملية أو التأويل الباطن ، الذى تقول به الإسماعيلية على اختلاف فرقها وأحوالها . فالعبادتان الظاهرة والباطنة هما أسس المذهب الفاطمى ، وعنهم

(١) د المؤيد ، القصيدة الأولى .

(٢) انظر الباب السادس من ١٩٣ — ٢٠٤ .

(٣) د الخطابس ١٧ (م.م.هـ) .

أخذ الصليحيون هذه الأسس ولم يغيروا منها شيئا إلا ما نراه من بعض اختلاف في التأويل. والذي يهمنا الآن هو أنهم كانوا يقولون بالعلم والعمل معا، أى بالباطن والظاهر .

« وإذا نظرنا إلى آرائهم في العبادة الظاهرة ، رأينا أنهم لا يختلفون عن غيرهم من المسلمين من أهل السنة والجماعة في القول بأن الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله هي أركان هذه العبادة ، وعلى المسلم أن يؤديها حسب ما جاء في الكتاب والسنة ، ولا خلاف بين دعواتهم وعلماهم في ذلك ؛ فالقيام بأمر هذه القواعد فرض واجب ، لا يجوز إهماله بأي حال من الأحوال ، ويجب أن تؤدي هذه الفرائض في أوقاتها المعلومة التي رسمت لها ، ولمنوا كل من طرح الشرائع أو جردها .

« ويقول صاحب كتاب تاج المقائد^(١) : « الإسلام محمول على القول والنطق بالشهادة وترك المعصية ، وهو الباب المدخول منه إلى تطلب حقائق ما جاء به الرسول ، ومنه التعلق بجميع الطاعات ، وانطلاق النفس إلى الفكرة في أوامر الله ، والتزام ما جاءته شريعة الخالق » .

« وهكذا نرى الصليحيين ومن ورثهم من أتباع الدعوة الطيبية يقومون بجميع الفرائض الإسلامية التي فرضها الله على عباده ، وينهجون نهج السنة المحمدية؛ مثل غيرهم من المسلمين في كل البقاع . ولكن الشيء الذي خالفوا فيه أهل السنة ، وخالفوا فيه الشيعة ، على اختلاف فرقها ، هو القول بولاية الإمام من نسل محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، وأن ولاية هذا الإمام هو محور الديانة كلها ، فلا دين لمن لا يزال بإمامهم .

« والتقارب شديد جدا بين الزيدية والدعوة الفاطمية والصليحية في كل ما يتعلق بالتوحيد والعبادات الظاهرة ؛ ولكن الفرق شديد جدا في ما جاء به الفاطميون من تأويلات باطنية لم يقل بها سواهم ، فالتأويل الباطن وهو أخص

(١) الاعتقاد الثاني والسيون .

ما يتميز به الفاطميون ومن تبع مذهبهم من الصليحيين وغيرهم ، يختلف تمام الاختلاف عما قال به مفسرو فرق الشيعة الأخرى وعما قال به جمهور أهل السنة ، على أن بعض فرق الإسماعيلية ذهب في التأويل الباطني مذاهب أبعدتهم عن الإسلام وعن الخلق الاجتماعي العام ، وهذه الفرق أحلت المحارم بدعوى التأويل ، ولذلك ترى السلطان الصليحي الخطاب ابن الحسن يتبرأ من هذه الفرق ، فيقول :

دِينِي لَعْنُ الْبَاطِنِيِّ الَّذِي يَصُدُّ عَنْ نَهْجِ الْمُهْدِيِّ الْوَاضِعِ
وَكُلِّ مَنْ دَانَ بِمَنْ دَانَهُ أَحْلَجَ جَارِي دَمَهُ السَّامِعِ
قَوْمَ فُرُوضِ الشَّرْعِ قَدْ عَطَلُوا وَصَيَّرُوا هَزْأً لِمَزَاحِ

« من ذلك نستطيع أن نقول أن ما جاء في كتاب كشف أسرار الباطنية لابن مالك الحمّادي اليماني ولصق بالصليحيين هذه البدع إنما هي عن فوق أخرى غير الصليحيين » . وانتهى ما ذكره الدكتور محمد كامل حسين عن عقائد الصليحيين .

لماذا التجأت الدعوة إلى التستر

وسموا مع هذا باسم الباطنية ، ولعل ذلك يرجع أيضا إلى التستر الشديد الذي فرضته الدعوة على آرائها وعلومها وأهدافها وأعمالها ، خوفا من اضطهاد المضطهدين ونقض الناقضين . وقيل إن حركة قد قامت في التركستان لاستئصال شأفة الدعوة كان بين ضحاياها العلمان الشيخ محمد بن أحمد النسفي والشيخ أبو يعقوب السجستاني . وقد قتل انمايد العالم الصوفي حسين بن منصور الخلاج ، متهما بمزج الفلسفة بالدين وبارئذفة . وكان القرامطة في هذا الوقت يقومون بنشاط كبير في العراق والبحرين^(١) . ثم أعلن علي بن الفضل الجيشاني اليماني خروجه على تعاليم الدعوة ، ومال إلى اتجاه القرامطة في تمطيل الشريعة ، فحاربه ، كما ذكرنا فيما سبق^(٢) ، أبو القاسم منصور اليماني ، فخرج المهدي عبدالله بن الحسين ، الذي أراد أن ينشئ دولته باليمن ، بعد أن سمع بخروج علي بن الفضل على منصور اليماني ، وأتجه إلى المغرب حيث

(١) ابن الأثير: الكامل / حوادث سنة ٣٠٤ إلى ٣٠٣ ؛ البغدادي : فرق ٢٦٧ — ٢٧٧ .

(٢) انظر الباب الثاني من ٣٩ — ٤٦ .

هيا أبو عبد الله الشيعي الصنعاني سبيله لذلك الغرض . وقد شدت الدعوة هذا التستر ، بعد أن رأت العداء المستمر ، وتضييق الخناق على التفكير الحر ، ومقتل المفكرين العلماء من المعتزلة والزيدية والإمامية والصوفية والفاطمية ، وبعد أن رأت خروج القرامطة والدروز والزارية الحشاشين ، واستمالة مبادئ علم الباطن للمروق عن الدين ، وللتعطيل والفوضى الخلقية ، وبعد أن رأت تطرف بعض المتصوفين ، وغلو بعض فرق الشيعة .

فلما انتقل أمر الدعوة إلى اليمن في أواخر عهد الملكة الحرة وبعد مقتل الإمام الخليفة الآمر بالله ، التجأت الدعوة بمرور الزمن إلى التستر أكثر فأكثر . وذلك أنها فقدت تأييد الدولة ، وعاشت طوال هذه القرون تكافح بين الحياة والموت . ولقد كانت الدعوة تصير نسيا منسيا لولم يلتجئ أهلها إلى التستر بمآقلمهم النبعة في جبال حراز ونجران واليمن الأسفل ، وأخيرا وليس آخرا بمآقل عقيدتهم الراسخة وسيرتهم الفاضلة .

وقد استخدم العلماء الفاطميون — كما فعل المعتزلة والصوفية والمتكلمون والفلاسفة مع بعض الاختلاف — ما وجدوا من نظم فكرية كثيرة في الفلاطونية الحديثة ، وفي مباحث أنصار هذه المدرسة من المسلمين ، وفي كلام المانوية ، وفي نظريات الهند ، وأنشؤا نظاما خاصا يتفق مع آرائهم في التوحيد والإبداع والخلق والكون والبشر والنبوة والإمامة والقيامة والبعث ، وفسروا التنزيل تفسيراً يتفق مع عقيدتهم في إمامة سيدنا علي بن أبي طالب وإمامة أهل بيت النبوة ، فأطلقوا على هذا النظام الخاص اسم علم الحقائق ، أو علم الابتداء والانتهاء ، أو علم البدأ والمعاد ، وعلى تفسير التنزيل وقصص الأنبياء وأركان الشريعة اسم علم التأويل ، وسوا الاثنين علم الباطن وعلوم أولياء الله .

علماء الدعوة المؤلفون

ونظراً لأن الدعوة اليمنية ونشاطها العلمي ليست إلا استمراراً مجهود الدعوة الفاطمية في تكوين علومها ونشرها يحسن بنا أن نذكر لمحة عن بعض العلماء الذين كوّنوا هذه الثروة الأدبية مع ذكر مؤلفاتهم :

وقد حمل لواء العلوم المتداولة في القرنين الثالث والرابع علماء أجلاء من دعاة الفاطميين أمثال الشيخ أبي حاتم أحمد بن حمدان الرازي^(١) والشيخ أبي عبد الله النسفي^(٢) والشيخ أبي يعقوب السجستاني^(٣) وغيرهم ممن اتخذ الفيلسفة وسيلة إلى الإقناع . فقد بلغ نشاط الدعاة في نشر مبادئهم وعلومهم في بلاد فارس وما وراء النهر مبلغ التفوق على منافسيهم حتى طلب أهل طبرستان النجدة العلمية من بغداد^(٤) . وقتل الشيخ محمد بن أحمد النسفي صاحب كتاب المحصول وتلميذه الشيخ أبو يعقوب السجستاني في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة ، وقد انتشرت علوم الدعوة الفاطمية على أيديهما في خراسان وبحارى .

أبو حاتم الرازي

فأبو حاتم الرازي كان من أعلام النهضة العلمية الإسلامية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع . وكان بلجأ إلى الناحية العلمية الكلامية والفلسفية . ويعمل حيناً لنشر العلوم العربية . ومن أقدم آداب الدعوة التي احتفظت الدعوة اليمينية بها ، مؤلفات انشيخ أبي حاتم ، ومن أهمها كتاب الزينة في الأحرف ومعانيها^(٥) وهو كتاب جليل في الكلمات العربية والدخيلة التي نطق بها القرآن وسنها المسلمون والتي صارت المصطلحات الإسلامية . وله أيضاً كتاب أعلام النبوة^(٦) ويحتوى على ماجرى بينه

(١) هو أبو حاتم أحمد بن حمدان الليثي الورستاني الرازي المتوفى سنة ٣٢٣ من علماء الدعوة في بلاد الري ، ثم انتقل إلى بغداد (ترجمه الحافظ في لسان الميزان رقم ٥٢٣) ، واتهمه البعض بالباطنية والزندقة والثنوية والدهرية ، ولا نرى شيئاً من هذا في مؤلفاته . وذكره صاحب الروصاة من الإمامية ، ودعا له الإمام المتوكل على الله يحيى حميد الدين برضوان الله ، وينقل عنه السيوطي والعبيني من علماء السنة في تفاسيرهما . وكان على صلة وثيقة مع البردق وتطلب .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد النسفي أو النخعي البردعي ، قتل سنة ٢٣١ .

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن أحمد الجزبي أو السجستاني وينقب بدندان ، قتل سنة

٢٣١ .

(٤) نظام الملك : سياست نامه ٢ / ٢٧٤ .

(٥) فهرست ابن النديم ١٨٩ ؛ م . م . ه ؛ ونستعد الآن لنشر هذا الكتاب .

(٦) نشر جزءاً منه كراوس (Kraus) في Raziana II, Orient. V على أساس

النسخة المحفوظة الموجودة في م . م . ه .

وبين الفينسوف الشهير محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين^(١). ويعتبر كتابه المسمى بالإصلاح تهذيباً لكتاب المحصول للشيخ محمد بن أحمد السني ويقصد به إصلاح ما جاء في المحصول .

أبو يعقوب السجستاني

وقد نصر الشيخ أبو يعقوب إسحاق بن أحمد السجزي في كتاب النصر^(٢) أستاذه المفيد صاحب المحصول، وصار بمسحة قوله وسلامة آرائه شاهداً . فقد أخذ من الفاسفة سلاخاً شبيهة على أقرانه، فكان علماً من أعلام العلماء الفاطميين ، وأحد الفعكرين الذين نهضوا بتوفيق المسائل الفلسفية بالديانة الإسلامية . وفشل لذلك السبب هو وأستاذه السني بعد اضطهاد مؤلم بتركستان كما ذكرناه آنفاً . وكان كثير التأليف ، ونذكر منها كتابه البيانيع^(٣) ويحتوي على خطوط أساسية اتبها العلماء معه في مؤلفاتهم في تكوين النظم الفكري الخاص بالدعوة الفاطمية ، وهم أربعمون ببوعاً ، بنص من معنى النبوة المبدع ويبيان عالم العقل والنفس وأن العقل دائم بالقوة والنفس عرضة للقيل للتل والنفس كيفية اتصال فوائد العقل بالنفس وإن الأيسر لا يسير في النفس الإنسانية كلها ذوات غايات وأز أسؤال لم خلق الله العالم بحال متمم وإنشأت النفس الكلية وأن ما في البشر حوهره من النفس الكلية وأن الأفعال والآثار وحركتها في أفق النفس وبيان كيفية الاتصال وأن النفس الكلية لا تتحرك إلا عند التمدد الروحانية وأن الثواب الجزائي ومعنى الجنة والنار وكيفية تفاوتها بين الثقلين وبيان الشهادة ومعنى النبوة وحقائق المعصية مع الأفعال والآثار . أحسن التقدمة وكيفية التمدد التأييد

(١) كتاب الفينسوف الشهير محمد بن زكريا الرازي من مناظرة في مسألة النبوة وأمر الدين . ويعتبر كتابه المسمى بالإصلاح تهذيباً لكتاب المحصول للشيخ محمد بن أحمد السني ويقصد به إصلاح ما جاء في المحصول .
(٢) كتاب النصر .
(٣) كتاب البيانيع .

ومن أم مؤلفاته كتاب إثبات النبوة ، وكتاب الموازين ، وكتاب الافتخار وكتاب المقاليد ، وكتاب مسيلة الأحزان ، وكتاب سلم النجاة ، وكتاب سرائر المعاد والمعاش ، وكتاب كشف المحجوب . وهذه الكتب حفظتها الدعوة اليمنية^(١) ، وورد ذكر بعضها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول .

القاضي النعمان

ويعد القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حبيون التميمي المغربي التوفي سنة ثلاث وستين وثلاث مئة من أشهر أساطين الخلافة الفاطمية الذين خدموا الدعوة والدولة ، وشهرته قد عمّت العالم الإسلامي في جميع العصور ، وله مؤلفات كثيرة يقصر عن إحصائها الإلام هنا^(٢) . والفضل يرجع إلى الدعوة اليمنية لبقا . كثير من أم مؤلفاته . وقد كتب القاضي النعمان في الفقه الفاطمي كثيرا من الكتب والأبحاث ، نذكر منها : كتاب دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام^(٣) ألفه بأمر من الخليفة الإمام المزمّل لدين الله . وسبب تأليفه كما ورد في السبع السادس من العيون أنه حضر القاضي النعمان وجماعة من

(١) ومخطوطات معظم هذه الكتب موجودة في مكتبتنا المهدية المهدانية . وقد شرح الداعي علي بن حاتم بن إبراهيم الهامدي في رسالته روضة المسك الصافية بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبشارات . ولم نضّر على كتاب البشارات . وقال الشيخ إسماعيل في الفهرست ٢٧ إن كتاب سرائر المعاد والمعاش يشتمل على سبعة فصول غامضة الصور جدا . وينسب إليه رسالة خزائن الأدلة من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة تأليف الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني ، وقد ذكر الشيخ إسماعيل (فهرست ٢٠٤) أنها تأليف بعض الحدود في وقت الحاكم بأمر الله .

(٢) وردت في عيون ٣٦/٦ — ٣٩ أسماء مؤلفاته ، عددها يبلغ اثنين وأربعين . وأضف إلى هذا كتابين له ذكرهما الشيخ إسماعيل في القهرست . وترجمه ابن خلكان في الوفيات ١٦٦/٢ ، وحافظة في رفع الإصر ورقة ١٣٦ ، والداعي إدريس عماد الدين الأصف في الجزء السادس من العيون . وراجع ملحق Guest على كتاب الولاية والفضة للسكندى ٥٨٦ . ومقال Gottheil في JAOS ٢٧/٢١٧ ، ومقال حسين الهمداني في JRAS (١٩٣٣) ٣٦٨ — ٣٧٠ ، وتقديم محمد كامل حسين لكتاب المهمة ٥ — ١٥ . ومقال

آسف فيضي في JRAS (١٩٣٤) ١ — ٣٢ ، وإبوانوف ٣٧ — ٤٠ .
(٣) فهرست إسماعيل ٢٥ — ٣٩ ؛ م.م.م. ؛ وقد نشر أخيرا آسف فيضي النصف الأول من الكتاب .

العلاء الدعاء عند المزم . فذكر اختلاف المذاهب في الفقه وافتراق الفرق في مسأله
وذكر قول النبي « إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه » الخ . ونظر إلى
القاضي فقال : أنت الممتنى بذلك في هذا الأوان ، يا نعمان ! ثم أمره بتأليف كتاب
دعائم الإسلام ، وأصل له أصوله وفرع فروع ، فأمره ، فابتدأ ببيان ولاية مولانا
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وولاية الأئمة ، وأن الإمامة لا تكون إلا بالنص
والتوقيف ، والبيان ببراءة الأئمة من غلا فيهم ، ثم ذكر فرائض الإسلام من
شهادة وصلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد ، وهي سبع دعائم الإسلام . وعلى ذلك
في النصف الثاني من الكتاب ذكر الحلال والحرام والتقضايا والأحكام والأثرية
والبياعات والمأكولات والمشروبات والطلاق والمناكحات والموارث والشهادات
وسائر أبواب الفقه . وكان القاضي كما رواه صاحب العميون يعرض على الإمام الخليفة
المزم « فصلا فصلا وبأبوابها » فيثبت الثابت منه ويقيم الأود ويسد الخلل حتى
آتمه ؛ فجاء كتابا جامعا غنصرا على غاية الأحكام » . إذا كان التشريع من أساس
الدين اعتبرت الدعوة هذا الكتاب أساس حياة الأفراد والجماعة . ولا يقل من
اندعائم أهمية كتابه انسمى النبيوخ (١) ، وكتاب مختصر الآثار (٢) وكتاب
الإخبار (٣) ، وهي تشرح وتكمل بعض المسائل الفقهية الواردة في الدعائم . وله
أيضا في الفقه كتاب إلتصار (٤) سماه بهذا الاسم لاقصارد « على الثابت بما
أجموا عليه واختلفوا فيه بحمل من القول لتقريبه وتخفيفه » ، ونسيدة في رجز
مزودج سماها التنظية (٥) « التي أنتجها لمن أراد حذقها » ، والمدار والمرجع
هو كتاب دعائم الإسلام في الفقه (٦) . كما ترى من أمر الخليفة الحاكم بأمر الله
فدعائم بالدعوة في اليمن السامى هارون بن محمد بن قيس في قوله :

(١) فهرست ج ٢ : ٤٤٤

(٢) نسخة ٣٩ : م . م . هـ .

(٣) نسخة ٤٠ : م . م . هـ .

(٤) فهرست ج ١ : ٤٦ : م . م . هـ .

(٥) وفي الفقه أيضا له كتاب سر الإيضاح سماه به أبواب الفقه حتى بلغ زهاء

مائة آلاف ورقة . وهذا الكتاب الذي ذكره مؤلفنا في كتاب إلتصار غير موجود في
حزائى أهل الدعوة .

« ويكن فتواك في الحلال والحرام من كتاب دعائم الإسلام دون ماسواه من الكتب المتعلة^(١) » .

وله كتب في التاريخ والآثار والأخبار والسيره . منها كتاب افتتاح الدعوة وابتداء الدولة^(٢) . وقد أمره الخليفة المزمع بجمع أخبار الدولة ليقى ذكرها في الباقي ، فألف هذا الكتاب بدأ فيه بذكر ابتداء الدعوة باليمن والقائم بها وهو أبو القاسم منصور اليمن الكوفي وظهوره فيها حتى نفذ إليه الداعي أبو عبد الله الشيعي الصنعاني وخرج منه إلى المغرب بعد ما أخذ عنه وما الذي كان من أمره بعد وصوله إليها إلى أن هاجر إليها المهدي عبد الله بن الحسين وابنه القائم بأمر الله . ومن مؤلفاته في التاريخ كتاب شرح الأخبار^(٣) في أربعة مجلدات وستة عشر جزءا عرضه على الخليفة المزمع وأثبت فيه مما أثبتته ، وصح عنده ، ويتضمن تفسير الحديث « أنا مدينة العلم وعلى بابها » وعلى فضائل علي ومناقبه وجهاده الناكثين والقاسطين والمارقين ، ووفاة النبي ، وفضائل سيدتنا خديجة بنت خويلد وسيدتنا فاطمة الزهراء والإمامين الحسن والحسين ومن قتل مع الحسين من أهل بيته ، ثم ذكر فضائل الأئمة من ولد الحسين بن علي إلى جعفر الصادق ، وذكر إسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل والأئمة المستورين ، وذكر معالم المهدي وصفات شيعة علي .

ومن مؤلفاته في العقائد : كتاب الهمة في آداب الأئمة^(٤) ، وكتاب مفاتيح النعمة^(٥) ، وفي علم التأويل : كتاب أساس التأويل^(٦) وكتاب تأويل الدعائم^(٧) ، وفي علم الحقائق : كتاب التوحيد^(٨) ، وفي الوعظ والإرشاد : كتاب المجالس والسيرات^(٩) ، وفي المناظرة : الرسالة المصرية في الرد على الشافعي^(١٠) ، وكتاب

(١) فهرست إسماعيل ٤١ . انظر سجل الخليفة الأمر (الملحق رقم ١) .

(٢) فهرست إسماعيل ٨٦ — ٨٩ ؛ م.م.م .

(٣) نسه ٨٩ — ٩٦ ؛ م.م.م .

(٤) نسه ٦٣ — ؛ م.م.م ؛ نشره محمد كامل حسين (٥) نسه ٢٥٧ ؛ م.م.م .

(٦) نسه ١٨٧ — ١٨٨ ؛ م.م.م .

(٧) نسه ١٨٨ — ١٩٠ ؛ م.م.م .

(٨) نسه ١٥٤ — ١٥٦ ؛ م.م.م .

(٩) نسه ٦٥ — ٦٦ ؛ م.م.م .

(١٠) نشر عليها .

في الرد على أحمد بن شريح البغدادي^(١) ، ورسالة ذات انبيان في الرد على ابن قتيبة^(٢) ، وكتاب اختلاف أصول المذاهب^(٣) . وكتاب المناقب والثواب^(٤) . وغيرها من الكتب والرسائل التي توجد في خزائن الدعوة اليمنية .

جعفر بن منصور البهمه

وكان عهد الإمام الخليفة المرز لدين الله يمتاز بوجود الشخصيات البارزة أمثال قائده الأستاذ جوهري المتقلى^(٥) ، والشاعرين النابختين أمير تميم^(٦) وابن هاني^(٧) ، والمالين الحبرين الشيخ جعفر بن منصور اليمن والقاضي أبي حنيفة النعمان التميمي المغربي . وقد ذكرنا فيما سبق في باب الدعوة بعد وفاة أبي القاسم منصور اليمن نبذة عن تاريخ ابنه الحبر جعفر^(٨) ، وسموه درجته عند الخلفاء الفاضلين القائم والنصور والمرز . ولم ينسب جعفر إلى هذه الدرجة إلا بأجماع الميعة في الدعوة التاويبية . كيتضح ذلك من مؤلفاته . ومنها : كتاب الفرائض وحدود الدين^(٩) ، يبدأ بتفسير الآية : **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ مَخْرُجٍ مَنَسُونٍ** **وَكَجَانٍ حَقِيقًا** **مِنْ قَبْلِ** **مِنْ أَنْتُمْ** . ثم يورد ما تضمنه الكتاب الوارد إلى ناحية اليمن من الإمام هبة الله المهدي بعد زواله في المهدي . ذكر فيه المهدي أسماء أسلافه الآتية المنصورين الحقيقيين ، والحب الثاني منهم يأخذون لأنفسهم ألقابهم . ثم شرح قصة يوسف وتأويل سورة يوسف وتأويل سورة التكاثر ومنها : كتاب الشواهد والبرهان^(١٠) ، وأسرار النطق^(١١) ، وأسرار

(١) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(٢) ميراث النبوة ١٣٢ - ١٣٤ : ١٠٠ هـ .
(٣) غرر ١٤ : ١٦ : ١٠٠ هـ .
(٤) كتاب المناقب والثواب .
(٥) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(٦) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(٧) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(٨) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(٩) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .
(١٠) جامع الخليفة المرز (١) ذكره جوهري في PAS (١٩٥٤) ٢٢ : ١٠٠ هـ .

النطقاء^(١) في بيان تأويل قصص الأنبياء ، كما تعتبر مؤلفاته الأخرى مثل كتاب تأويل الزكاة^(٢) ، وكتاب الكشف^(٣) ، وكتاب الفترات والقرانات^(٤) ، وكتاب العالم والغلام^(٥) ، ورسالة في تأويل سورة النساء^(٦) ، وكتاب المراتب والمهبط^(٧) ، ورسالة في معنى الاسم الأعظم^(٨) ، ورسالة الرضاع في الباطن^(٩) من أهم كتب الدعوة في علم التأويل .

أحمد النيسابوري

ويوجد أيضا في خزائن الدعوة كتاب إثبات الإمامة^(١٠) ، ورسائل استنار الإمام^(١١) ، والموجزة الكافية في آداب الدعاة والحدود^(١٢) ، والظاهرة في معرفة الدار الآخرة من تأليف الشيخ أحمد بن إبراهيم النيسابوري الذي عاش في أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس في عهدى العزيز والحاكم .

رسائل إخوان الصفا

وقد أصبحت الفلسفة الكلامية بفضل أبحاث العلماء المتقدمين أمثال أبي حاتم الرازي وأبي عبد الله النسفي وأبي يعقوب السجستاني أساس النظام الفكري الخاص بالدعوة . وظهرت رسائل إخوان الصفا و خلالن الوفا بفلسفتها الكلامية ، ولا تدرى متى وأين ظهرت ومن ألفها ، إلا أن العلماء قد أثبتوا علاقتها بالدعوة

(١) لم يذكر الشيخ إسماعيل هذا الكتاب في فهرست ؟ مخطوط في م . م . م .

(٢) م . م . م ؟ مخطوط بمكتبة الجامعة بليدن (دي خويه : Leiden (De Goeje cod. 1971) ؟ راجع مقال حسين الهمداني في JRAS (١٩٣٣) ٧١٢ .

(٣) وقد نشره ستروثمان (Strothmann) في سلسلة منشورات جمعية البحوث الإسلامية ببومباني .

(٤) فهرست لإسماعيل ٣٩٤ : م . م . م . (٥) نفسه ١٨٨ .

(٦) نفسه ٢٦١ : م . م . م . (٧) نفسه ٢٥٨ .

(٨) نفسه ٢١١ : م . م . م . (٩) نفسه ١٩٣ : م . م . م .

(١٠) فهرست لإسماعيل ١٦٨ — ١٧٠ : م . م . م .

(١١) نفسه ١٢٢ : نشرها إيوانوف (القاهرة ١٩٣٩) .

(١٢) نقلها حاتم بن إبراهيم الحمادي الهمداني في كتابه تحفة القلوب (انظر ص ٢٧٩) .

الفاطمية^(١) . وبالرغم من أنها لم تذكر ولو مرة في الكتب التي ألفت في عهد الفاطميين - لأسباب ذكرناها في بحثنا عن مؤلفي الرسائل^(٢) - ، اهتمت الدعوة اليمينية بهذه الرسائل اهتماماً بالغا ، ابتداء من عهد الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي المتوفى سنة ٥٥٧ ، فهو أول من ذكرها والرسالة الجامعة من مؤلفي الدعوة في كتابه المسمى بـ «كبر الولد»^(٣) . ويلاحظ أن الرسالة الجامعة اعتبرها أهل الدعوة اليمينية جزءا من رسائل إخوان الصفا على حين ينسها غيرهم إلى مسلمة الهريطى^(٤) . وشرعت الدعوة اليمينية تدرس هذه الرسائل الإحدى والخمسين والرسالة الجامعة المشار إليها في الرسائل ، وحاولت أن توفق بين نظرياتها وأهدافها الكلامية وبين النظام الفكري الذي قدمه المؤلفون في عهد ظهور الأئمة .

أحمد حميد البربري الكرمانى

ظهر في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله عالم فيلسوف في أفق الدعوة وهو الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى نائب حجة العراقين . وكان مقاما في العراق في مرتبة حجة الجزيرة من قبل الإمام الخليل^(٥) بأمر الله . واستخدم الحاكم الشيخ أحمد الكرمانى وجمعه رئيسا للدار الحكيمة التي كانت معارضة منذ زمن . وقد استعداه ختسكين نصيف النائب بالصادق المؤمن داعى الدعوة بن مسر . عندما اشتدت الفتن انديسية وحشد النشاط العلمى ونسب التعاون الأتوهمية إلى الحاكم . فألف في سنة ٤٠٨ رسالته الشهيرة بالواقعة^(٦) في الرد على الحسن القرعائى الذى قال بتأييد الحاكم

(١) ونجح مقال لزابودا في RAS (١٨٩٨) ص ١٥١ وبمدهاء الضيقى : ص ٥٥٤
 (٢) مؤلفي السنة ٤٧١ : مؤلفي الرسائل (١٩٤٥) ص ٩٦ : عبد الكريم خليفة : ص ١٥١
 ص ٤٤ - ٤٥ : مؤلفي الرسائل (١٩٤٥) ص ٤٩ - ١٢٢ . وقد أنكر حميد جرون
 (مؤلفي السنة ١٧ - ١٦) : ص ١٢٢ : رسالة رسائل بربري .

(٣) راجع مقال حديثنا من رسالة الخليل في Dar Istari (١٩٤٢) .
 (٤) مؤلفي السنة ٢٧١ : ص ٢٧١ .

(٥) بيتك درويش : مؤلفي السنة ١٠٠ - ١٠١ . وانجروال من جامعة في خراسان دنيوة
 بين راق : ص ١٠٠ . ونفس جميل سببا جزء الأول منها بمؤلفي سنة ١٩٤٨ .

(٦) وهو من مجموعة الرسائل الثلاث عشرة من تأليف الكرمانى بالرسائلين الأخيرين ؛
 ترجمت في عميل ٢٠١ - ٢٠٢ : ومقال حسين قاسمى في RAS (١٩٤٣) ص ٢٧٢ ؛

وأبرأ فيها الحاكم من دعوى الألوهية قائلاً إن الحاكم إنما هو عبد الله ، له يسجد ولم تنفع هذه المحاولة والاحتجاج ، لأن حمزة الدرزيّ قاد الدروز في السنة التالية ، وانفصل عن الدعوة الرسمية وتمسك بمبدأ ألوهية الحاكم . والكرماني في رسالته مباسم البشارة^(١) وكتابه المصاييح^(٢) تمكن أن يثبت وجوب الإمامة وبالخصوص إمامة الحاكم ببراہین عده حتى من الكتب المقدسة^(٣) ، واستعمل آراء الفلاطونية الحديثة وأنظارها بمهارة لم يسبقه فيها أحد من الدعاة في توطيد صرح النظام الفكري الذي اشترك في بنائه علماء الدعوة السابقون ، بل حاول أن يرفع هذا الصرح الديني الفلسفي إلى قننه القسوي حتى لا يترك مجالاً للخلاف والنقاش . فذلك نراه في كتابه السمي بالرياض^(٤) يوجه عنايته إلى الحكم بين الصادقين ، صاحب الإصلاح (أبي حاتم الرازي) وصاحب النصر (أبي يعقوب السجستاني) ، بشأن كتاب النسق المتنازع فيه السمي بالمحصول ، لأن الذي تنازعا فيه لم يكن من « الفروع التي يجوز أن يختلف فيها مع سلامة أصولها » ، ولأن الذي تنازعا فيه « أمر كان مؤدياً في توحيد الله ومعرفة حدوده إلى نظام اعتقاد الموقنين » . ولذلك أيضاً نشاهده في كتابه المسمّى بالأقوال الذهبية في الطب النفساني^(٥) يتوجه إلى ما أهمل الشيخ أبو حاتم الرازيّ في مناظرته الفيلسوف الشهير محمد بن زكريا الرازيّ فيما يتعلق بوجوب أمر النبوة ، وأراد أن يكمل ما نقص في أعلام النبوة للشيخ أبي حاتم ويدافع عنه ، وجعل الكرماني كتابه علي بايين ، أحدهما في إبانة « الخطأ المستمر » على ابن زكريا في طبه الروحاني ، وفيما جرى بين الرازيّين ، وفيما أهمل الشيخ أبو حاتم ، وثانيهما في إبانة « الحق المستمر » فيما هو حق الطب النفساني .

(١) وردت في مجموعة الرسائل الثلاث عشرة .

(٢) فهرست إسماعيل ١٧٠ — ١٧٢ ؛ م.م.م .

(٣) راجع مقال بلول كراوس (Kraus) عن العبارات العبرية والسريانية في

مؤلفات الكرماني في مجلة Der Islam (١٩٣١) / ٩ / ٢٦١ .

(٤) فهرست إسماعيل ٣٨١ — ٣٨٣ ؛ م.م.م . ومقالة حسين الهمداني في المؤتمر

الثاني لدائرة المعارف الثمانية بميدراة أباد الدكن سنة ١٣٥٨ ؛ مقال حسين الهمداني في

JRAS (١٩٣٣) / ٣٧٤ .

(٥) فهرست إسماعيل ٢٤٠ — ٢٤٤ ؛ JRAS (١٩٣٣) / ٣٧٤ ؛ م.م.م .

وكان الشيخ أحمد رجعياً إلى حديث ما ، واستعمل نظم الفلاطونية الحديثة وآراء
 الشيخين الصادق الكلامية لتوطيد بناء الإمامة الفاطمية ، وبذل كل جهد في جميع
 مصنفاته لإثبات أمر النبوة والإمامة من الوجهتين الفلسفية والدينية . وفي
 هذا نستطيع أن نقرن الكرماني بحجة الإسلام الغزالي في استخدامه نظم الفلاسفة
 لتأييد التصوف والباطن . فأيد الشيخين بكل ما يملك من مهارة فلسفية فائقة
 في مبدأ التمسك بظاهر الشريعة والمبادئ العلمية : وقصر انبعاثه العلمية
 والاشتمال بالتأويل والكلام الفاسق على الحدود المأذونين . فهذه الظاهرة
 نشاهدها في مصنفاته الموسومة بالوضعية^(١) ، والمصاييح في إثبات الإمامة ، وتبنيه
 الهادي والمستهدى^(٢) ، وراحة العقل^(٣) . وللشيخ أحمد الكرماني فضل كبير
 في تطور النظام الفكري والكلام النظري الخاص بالدعوة ، لأنه أثبت في كتابه
 راحة العقل - وهو من الكتب الكبار في الأدب الفاطمي أنه سنة إحدى
 عشرة وأربع مئة - هذا النظام الفاطمي الذي قدم أصوله غذاء الدعوة السابقة .
 يدل على ذلك إشارة الكرماني في المشيخ المشرك من السور الأول فيما يجب
 أن يقرأ قبل قراءة هذا الكتاب إلى قوله كتب القاضى التتيمار بعد كتاب الله
 وكتب حمفر بن منصور البدن وكتب أبى حاتم الرازى ومحمد بن أحمد النسفى
 وأبى يعقوب السجستانى وقراءة آية الله التى ذكرها آتفا . «فقد بانه ما أتى بكتابه
 راحة العقل إلا بعد أن قرأ ما أتى به هؤلاء المدعىة» ثم انضاف إليه عناصر جديدة
 ووسع بعض موضوعاته ، وحدد ما كان غامضاً أو سائلاً أو قابلاً للتفسير والتناقض
 والتشابه . فلذلك سار كتاب راحة العقل في الأدب الفاطمى بمثابة كتاب إحياء تروم
 الدين لغزالي الذى قرأ فيه «سنة الأسس والمسول للتصوف الإسلامى» . فبمسند
 تأييد الدعوة الفاطمية من مساندة علم الصوفى لتتادهم في كتب
 دعائم الإسلام لتتأمن الدور في المسائل التوقية . وفيه قدم الكرماني مساهمة

(١) فهرست إصاعيل ١٢٩ - ١٨١ : ج ٥ . ص ٢٠٠ (٢) ف ٦١ : ج ٥ . ص ١٠٠
 (٣) ج ٥ . ص ١٠٠ والكتاب الذى ذكره فى راحة العقل هو «مجمع مصنفات فى سبيل
 معلومات الفاطميين رقم ٩ (العدد ١٩٥٢) .
 (٤) ج ٥ . ص ١٠٠

وهو مذهب الدعوة في الوجود ، وأيد علماء الدعوة السابقين في نفى الأيسية والليسية عن الله ، ومذهب الدعوة في التوحيد ونفى الصفات عن الله نفيا مطلقا ، ومذهب الدعوة في الأصلين الإبداع والانبعاث . لقد تأثر في هذا كله تأثرا شديدا بما أتى به الشيخ أبو حاتم الرازي والشيخ أبو يعقوب السجستاني وغيرهما من علماء الدعوة ، وقدّم نظم الدعوة وأنظارها في أسلوب منطقيّ بحث . ولم يقف الكرماني عند هذا الحد ، بل جمع لأوّل وهلة الأصلين الأوّلين العقل والفعال والنفس الكلية مع نظام العقول العشرة الفلوطينية التي عرضها العالم الثاني الفارابي بيمض الاختلاف ، وأبان المقابلة والمطابقة بين عالم الإبداع (وهو عالم العقول أو العالم الروحاني اللطيف) ، وبين العالم الجرماني (وهو عالم الأفلاك والكواكب) ، وبين العالم الجسماني (وهو ما دون فلك القمر) ، وبين عالم الدين (وهو معرفة مراتب حدود الدين) ، لأنّ العوالم كلها مرتبة تحت سياسة قانون «الميزان» حذو النمل بالنمل . فاتخذ علماء الدعوة اليمينية هذا الكتاب الجليل القدر وكتب علماء الدعوة السابقين ورسائل إخوان الصفا أساسا تدور عليها مباحثهم ودراساتهم .

المؤيد في العريضة الشيرازي

وكانت اليمن تواصل اتصالها بمركز الخلافة والدعوة الفاطمية بالقيروان والمهدية ثم مصر من أيام ظهور المهدي، حتى في أيام الحاكم رى أن سجلاته كانت ترد إلى رياسة الدعوة باليمن على الرغم من زوال الدولة الفاطمية الأولى منها ؛ وقد ازدادت هذه العلاقات بين اليمن ومصر في عهد الخليفة المستنصر حينما ظهر الملك على بن محمد الصليحي على مسرح اليمن . وقد ذكرنا فيما سبق وفي مقالنا في مجلة الجمعية الآسيوية اللسكية البريطانية^(١) أن الملك على بن محمد الصليحي أرسل قاضي قضاء اليمن لك في وفد من أوليائه إلى مصر مع رسالة خطيرة وأن لك أقام بمصر خمس سنوات . وفي مدة إقامته كان القاضي متصلا اتصالا وثيقا بداعي الدعاء وباب الأبواب المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي

وغير ذلك من افتخاره بطاعته أمته ومناجاته لله فحفوظ في ديوانه^(١). وأغلب الظن أن يكون القاضي ملك بن مالك الحمادى جمع قصائده وأتى بها إلى اليمن .

واحتفظت الدعوة اليمنية أيضا ببعض مؤلفاته ، ومنها مجموعة الأديعية والخطب التي قرأها المؤيد في الجمات^(٢) يضمها كتاب يسمى بالصحيفة اليانيسية^(٣) . وهذه الأديعية بحاجة إلى التحقيق والتمحيص ، لأن بعضها قد تكون نسبت إليه ، كما يظهر من الإشارة فيها إلى أسماء الأئمة حتى الطيب بن الأمر ، وربما أضيفت إليها أسماء الأئمة بعد المستنصر .

ومنها كتاب نهج الهداية للمهتدين^(٤) ويتضمن إحدى عشر بابا ، الأول في إثبات التوحيد وما يمكن أن يقال فيه وإن عظم ذلك إلا بعقد الإثبات المزه عن التشبيه والتعطيل ؛ والثاني في معرفة الإبداع والكلمة والوحدة والعقل والأمر ما يرجع هذه الأسماء مع اختلافها من معنى واحد ؛ والثالث في معرفة المبدع الأول وما يخصه من الأسماء مثل العقل الأول والعلم والسابق والمقول والمعلول الأول والشئ والوجه والعرش وغير ذلك ؛ والرابع في معرفة المخلوق الثاني والنبث من الأول وما يخصه من الأسماء مثل النفس واللوح والشانى والتالى والكرسى وغير ذلك ؛ والخامس في معرفة الهيولى والصورة والطبائع المفردة ؛ والسادس في معرفة الطبيعة الكلية والجزئية ؛ والسابع في معرفة الرسول والرسالة وكيف مجراها في الحكمة وما الموجب لها ؛ والثامن في معرفة الوصى والوصاية وما الموجب لها في الحكمة ؛ والتاسع في معرفة الإمام والإمامة وكيف مجراها وما الموجب في الحكمة ؛ والعاشر في معرفة مبدأ البشر ومعاده وما الفرض في وجوده وعدمه ؛ والحادى عشر في معرفة الثواب والعقاب . والظاهر من هذه العناوين أن الكتاب يحتوى على مصطلحات علم الحقائق التي اتبعها علماء اليمن في مؤلفاتهم .

(١) فهرست إسماعيل ٣٩ م . م . م . ٥٠٠ ؛ وحققه محمد كامل حسين وله تصدير مفيد

(القاهرة ١٩٤٩) .

(٢) م . م . م . ٥٠٠ .

(٣) إيوانوف ٥٨٥ ؛ م . م . م . ٥٠٠ .

(٤) م . م . م . ٥٠٠ .

وله كتاب الابتداء والانتها^(١)، وجملة فصول الكتاب ثلاثة وأربعون فصلاً، ويشتمل على ذكر الإبداع والملة والوحدة والكلمة والفعل والفاعل والمفعول والواحد والأحد والأمر والخلق وكن فيكون والعقل والنفس والحركة والسكون والمهيولى والفرق بين جميع ذلك، وذكر القائم وما يكون منه وما يفعله، وذكر الأنبياء عليهم السلام، وذكر الأئمة وعدددهم من دور سيدنا محمد صلى الله عليه، وذكر حجة القيامة وغنى باب التوبة واقطاع الدعوة، وذكر شهر رمضان وليلة القدر وعيد الأضحي والنحر والمنحاييا . وذكر الولد التام الذى يقوم مقام والده إذا تم ، وذكر خروج النفس من حد القوة إلى حد الفعل، وذكر النفس الناطقة وما كسبت من العلم والعمل، وذكر الثواب والعقاب . وذكر الملائكة بالفعل والقوة ، وذكر الماد ورجوع النفس الناطقة إلى مأمئها، وذكر النفخة والصور وكيفيئها ، وذكر مزدلفة والصلاة فيها . وذكر الثلاثة الأيام الشريفة بعد العيد فى النحر ، وغير ذلك من موضوعات الدعوة الحقيقية أو علم المبدأ والماد .

وربما أخذ علماء اليمن اسم ~~هذا النوع~~ من البحوث من اسم هذا الكتاب مع أن البحث يدور حول نفس الموضوعات التى قدمها العلماء السابقون . والغالب أن اليمنيين أطلقوا على هذا البحث اسم علم المبدأ والمعاد أو الابتداء والانتها ، نقلًا عن المؤيد فى تسميته كتاب الابتداء والانتها . وفى شرحه لمعرفة مصدق البشر ومعاده من كتاب نهج الهداية الذى ذكرناه آنفاً . وأشار المؤيد فى ثنايا كتابه إلى كتابه المسمى « إثبات الإمامة من بعد جعفر فى اختلاف الشيعا بعد موت إسماعيل فى حياة جعفر » ، واستطرد قائلاً : « وقد ذكرنا حالة الأئمة النبويين الثلاثة وسوانحهم واختلاف الدعاة وقد ذكرنا أسامئهم وكيف كان مشهور والكتاب شامس موجود لمن طلبه » . ولم يذكره الشيخ إسماعيل فى الفهرست وإنما عاينه أو على ذكره فى فهرس كتب الدعوة . وأشار فيه أيضاً إلى كتاب

(١) فهرست إسماعيل ٢٨٠ ٤ ٥٠٠ هـ .

تأويل الدعائم وكتاب أساس التأويل وكتاب تأويل الشريعة وكتاب حدود المعرفة وكتاب المعاد في خلاص النفوس وكتاب افتتاح [الدعوة] من تصنيف القاضي النعمان ، والظاهر أن المؤيد تأثر كثيرا بأراء القاضي في الدعوة التأويلية . ومن مؤلفاته في التأويل المسائل السبعون^(١) ويتضمن تفسير الآيات القرآنية والمسائل الدينية ، وكتاب المسألة والجواب^(٢) ، كتاب بنياد تأويل^(٣) وهي ترجمة فارسية لكتاب أساس التأويل^(٤) للقاضي النعمان .

وكان المؤيد كثير التأليف ووصلت مؤلفاته كلها أو معظمها إلى اليمن ، واهتم علماء اليمن بها اهتماما بالغا ، لأنها ذكرت كثيرا واعتمدها عليها مباحث اليمنيين . وقد ذكر صاحب كنز الولد المؤيد أكثر من أربعين مرة مقتبسا من مجالسه ومناجاةه وشعره ، وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد ثلاثين مرة^(٥) . وكان اليمنيون قريبي العهد بالمؤيد ، واتصل به شيخهم القاضي لك اتصالا مباشرا وأخذ عنه ، بالرغم من اهتمامهم بدراسة مباحث الدعاة أجمعين .

ومما يدل على مكانة المؤيد عند علماء اليمن واستفادتهم من علومه ومعارفه ما جاء في سجل الإمام الخليفة المستنصر المؤرخ في شهر رمضان سنة إحدى وستين وأربع مئة الوجه إلى الملك الكرم أحمد : « وأما ما سألت فيه مما يتعلق بالوفى شهر يار بن حسن فإن الشيخ الأجل داعي الدعاة المؤيد في الدين عصمة المؤمنين ، صنئ أمير المؤمنين ووليه أبا نصر هبة الله بن موسى - سلمه الله وأحسن توفيقه وتسديده - بفعل في ذلك ما يوجه حكمه ويقضيه »^(٦) .

(١) ٥٠٠م .

(٢) فهرست إسماعيل ٤٠٥ - ٤٠٦ ٥٠٠م .

(٣) ٥٠٠م .

(٤) انظر ص ٢٥٥ .

(٥) كما حكاه محمد كامل حنين (د المؤيد ١٨٦) .

(٦) السجلات رقم ٦١ .

شهریار بن حسن

وكان الشيخ شهریار بن حسن من علماء فارس وكرمان، فالتحق بالدولة الصليبية. وأوفده الملك المكبرم الصليبي إلى مصر فأخذ عن المؤيد علوم الدعوة حتى عاد إلى اليمن . وهو صاحب الرسالة في رد من ينكر العالم الروحاني، وهي تضمها مجموعة رسائل الكرمانى الثلاثة عشر ومجموع التربية للشيخ محمد بن طاهر الحارثى^(١). وله أيضا رسالة في معنى قول الله إنا فتحنا لك فتحا مبينا صنفها جوا باعلى مسئلة السلطان عامر ابن سليمان الزواحى^(٢)، وقصيدة أوردتها الداعى سليمان بن حسن فى كتاب النخب^(٣).

مصنفات أخرى

وتوجد أيضا فى خزائن كتب الدعوة اليمنية :

مجموعة السجلات المستنصرية، وقد ذكرناها فى مقدمة هذا الكتاب^(٤). وأشرنا إلى أهمية هذه الوثائق التاريخية التى حفظتها اليمن فى جبالها وخزائنها، واستفدنا منها كثيرا فى هذا البحث .

وكتاب المجالس المستنصرية^(٥) وهى خمس وثلاثون مجلسا أقيمت باسم الإمام الخليفة المستنصر عن المسائل الفقهية والتأويلية، ونسب الشيخ إسماعيل تأليفها إلى الوزير بدر الجمالى .

وديون حسن بن محبوب فى مدح الإمام المستنصر والمواعظ^(٦).

ورسالة الهداية الآمرية^(٧) تأليف الإمام الخليفة الأمر بأحكام الله فى تثبيت إمامة أبيه المستعلى والرد على الزارية .

(١) انظر ص ٢٥٨ (هامش ١٦) و ص ٢٧٢ .

(٢) إيداع رقم ١٦٧ .

(٣) نقلا عن رقم ١٦٩ .

(٤) انظر ص ٦ .

(٥) فهرست إسماعيل ١٩٠ - ١٩٣ : م.م.هـ : وحقق محمد كامل حبيب ونشرها

(مصر بدون تاريخ) .

(٦) فهرست إسماعيل ٥٦ .

(٧) فهرست ١٦٠ : م.م.هـ : ونشرها أحمد فيضى (بيروت ١٩٣٨) .

وكتاب المجالس للشيخ أبي البركات بن بشر الحلبي^(١) صاحب الرتبة البابية في عهد الإمام الخليفة الأمر ، وهي ستون مجلسا في المواظ والتفسير والعقائد . وقد ذكرنا في هذا الباب مشاهير علماء الدعوة وأهم مصنفاتهم ، ولا يستغرق البحث جميع ما حفظت اليمن من التراث العلمي الفاطمي أو ما ذكر من مؤلفاتهم الموجودة والمفقودة . وهذه الصفحة تكفيها أن نأخذ فكرة عن الثروة العلمية التي انتقلت إلى اليمن ، ومدى مركزها في تاريخ تطور آراء المسلمين ونظمهم الفكرية .

الباب العاشر

دعوة اليمن ونشاطها العلمى

من أواخر عهد المملكة الحرة إلى ظهور دولة آل رسول

الراعى الزؤيب بن موسى الوداعى الهمداني (٥٢٠ - ٥٣٦)

وقد سبق أن ذكرنا^(١) أن اليمن هى الوحيدة التى ظلت موالية لدعوة الفاطميين اقديمة الرسمية ، وأن القاضى لك بن ملك الحادى عند عودته إلى اليمن كان مكلفا من قبل الإمام الخليفة المستنصر وباب أبوابه التؤيد تنفيذ سياسة معينة بالنسبة إلى إقامة الدعوة ، ونقل آدابها وعلومها إلى اليمن . وأنه لقب باقب داعى القلم فى عهد الملك المسكرم أحمد الصابحى وباقب داعى البلاغ فى عهد الملكة الحرة . وقد اختار لك نخبة من التلامذة الأفاضل البعيدين عن أمور الملك أمثال ابنه يحيى ابن لك والذؤيب بن موسى الوداعى وإبراهيم بن الحسين الحامدى ، وسلم إليهم كل ما كان أخذه من عموم الدعوة أيام إقامته بمصر . ويقول صاحب العيون^(٢) ، نقلا عن الشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدى : ولم يسمع من حقائق علمه إلا بالشىء القريب للداعى المسكرم والحرة الملكة وأحمد بن قاسم بن دلى لا غيرهم ؛ وذلك لاشتغالهم بشئون الملك والإدارة والحروب المستمرة . فتحوّلت آداب الدعوة الفاطمية وعلومها بيدك إلى شيوخ اليمن العلماء الذين تفرّغوا لدراسة هذا التراث العلمى الدينى .

وظل الشيخ يحيى بن لك^(٣) يعمل بعد وفاة أبيه فى نشر علوم الدعوة وإيضاح

(١) انظر ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٢) عيون ١٠٤/٧ .

(٣) انظر ص ١٨١ .

معالم الدين وإحياء مراسمه حتى توفي في سنة عشرين وخمس مئة . وله كتاب يسمى بفصل في بيان الأرض وما عليها من المعادن^(١) .

فأقامت الملكة الحرة في رياسة الدعوة بدمه الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي ، ثم قررت الملكة - في فترة شغور بعد اغتيال الإمام الخليفة الأمر واختفاء ابنه الصمير الطيب من عدوان الوزير أنى علي بن الأفضل - إعلان استقلال اليمن من سيطرة مصر وانفصال هيئة الدعوة من مركزها بالقاهرة انفصالا باتا . ولما رأَت الملكة في أواخر عهدها أن دولتها أصبحت غير قادرة على حماية هذه الهيئة الدينية ، وازدادت مؤامرات الخليفة الحافظ عبد المجيد في شئون بلاده ، فصلتها أيضا عن شئون ملكها وإدارة حكومتها فصلانها تليا . فميت الشيخ الذؤيب بن موسى الوادعي داعيا مطلقا للإمام المستور . وذلك لأنها كانت حجة الإمام ، ومن حجتها أن تعين من يقوم بأمر الدعوة في جزيرتها - اليمن . وكان بقاء الدعوة بهما أكثر من بقائها أو بقاء أسرتها في الحكم . فكان الذؤيب أول الدعاة المطلقين في دور الستر الذي ابتداء باختفاء الإمام الطيب بن الأمر ؛ فالشيخ الذؤيب لذلك يعتبر من الدعاة المخضرمين الذين أدركوا عهدى الظهور والستر . وكان الذؤيب علما من أعلام اليمن الملاء ، وسمى « فراص الكتب » لاستخراجه دقائنها وفكّه رموزها ، كإحكامه صاحب النزعة^(٢) . وله رسالة تسمى رسالة النفس^(٣) ، وتتضمن بعض آراء إسكندر الأفروديسي التي تتفق مع مسائل الدعوة الحقيقية ومع الأساس أن لا يوصل إلى معرفة النفس إلا بعد معرفة الجسم ، ورسالة في معرفة الموجودات أوردها الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التربية^(٤) .

وعاضده وآزره تلميذه السلطان الخطاب بن الحسن بن أبي الحفاظ الحجوري المهداني^(٥) في إقامة الدعوة ، وبعد وفاة الخطاب آزره السلطان إبراهيم بن الحسين

(١) ابوانوف رقم ٣٢ و ٣٤ .

(٢) نزعة ١ / ٨٦ .

(٣) س.م.م .

(٤) فهرست إسماعيل ١٨١ - ١٨٧ ؛ س.م.م ؛ انظر ص ٢٧٢ .

(٥) انظر الباب السادس ص ١٩٣ وما بعدها .

الحامدي . ومن تصانيف الخطاب كتاب غاية المواليد^(١) ، ورسالة النفس^(٢) ،
وكتاب منيرة البصائر^(٣) ، ورسالة في بيان إيجاز القرآن^(٤) ، ورسالة التعميم^(٥) ،
وديوان شعره^(٦)

الراعي إبراهيم بن الحسين الحامري (٥٣٦ - ٥٥٧)

ولما توفي الذؤيب خلفه السلطان إبراهيم بن الحسين بن أبي السعود
الحامدي الهمداني^(٧) داعيا مطلقا للإمام المستور في اليمن وما جاورها من البلاد
والهند والسند^(٨) في سنة ست وثلاثين وخمس مئة . وكان مقره صنعاء ، وذلك
لأن رياسة الدعوة لم تجد بعد وفاة الملكة الحرّة حلفاء أقوياء يحمونها من اعتداء
المتدين إلا الدولة الهمدانية بصنعاء يرأسها الملك حاتم بن أحمد الهمداني الياشي
حفيد القاضي عمران بن الفضل الياشي وكان للقاضي سوابق حميدة وجهاد في تأييد
الملك علي بن محمد الصليحي والملكة الحرّة ، كما ذكرنا سابقا^(٩) . وقد مضت
علي الدعوة وأهلها أيام عصبية ، لأن منوك آل زريع الهمدانيين في عدن قد مالوا
إلى الدعوة الجعيدية التي انتشرت في أنحاء اليمن حتى في معاقل الدعوة - حراز
ونجران واليمن الأسفل ، ولأن منوك همدان الياشيين في صنعاء وبلاد همدان
قد تحرروا من جميع هذه المذاهب والدعوات ، وأرادوا تكوين دولة شعب همدان
واليمن ، ولم يتمكن لهم هذا بظهور الفرز علي مسرح اليمن . فاتبع الشيخ إبراهيم

(١) ٥٠٢ هـ .

(٢) ٥٠٢ هـ .

(٣) ٥٠٢ هـ .

(٤) يضاهي كتاب تاريخ الربيعة (انظر ص ٢٧٢) .

(٥) النصف منها موجود في م.م. هـ .

(٦) فهرست إسماعيل ٥٠ ؛ و م.م. هـ ؛ وصورة شمية من المخطوط المحفوظ

بمكتبتنا المحمدية الهمدانية موجودة في مكتبة الأستاذ كونس (kuentz) بالقاهرة .

(٧) الحامدي نسبة إلى أبي حامد ، وحامد وحامد أخوان من همدان (انظر ص ١٧٥ هامش ١) .

(٨) تطلق على هذه المناطق في مصطلح الدعوة كلمة « جزيرة اليمن » .

(٩) انظر ص ٩٥ - ٩٦ ، ١١٥ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ١٥٢ - ١٥٤ .

ابن الحسين الحامدي سياسة عدم التدخل والمواظبة على دراسة علوم الدعوة ونشرها ، تلك السياسة التي رسمتها الملكة الحرة ورؤساء الدعوة في أواخر عهدها وبمد وفاتها .

وقد جعل الحامدي الشيخ علي بن الحسين بن جعفر^(١) الأنف القرشي العبشي من آل الوليد مأذونا له ، فكان له معاضدا على أمره ، فأما بنشر الدعوة في سره وجهره ، كالحكاه صاحب الزهة^(٢) . ولم يممر على بن الحسين القرشي طويلا ، فقد وافته المنية في سنة أربع وخمسين وخمس مئة . فاستعان الداعي إبراهيم الحامدي بابنه حاتم حيث جعله مأذونا ، كما استعان بالشيخ محمد بن طاهر بن إبراهيم الحارثي^(٣) . وفي الشيخ علي بن الحسين القرشي قال الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قصيدة جاء فيها^(٤) :

أبا حسن أتقتت بالمعلم أنفسا وأمنتها من طارق الحدّثانِ
فجوزيت بالحسني وكوفيت بالنُسي ودمت سميدا في أعزّ مكان
عمرت . بصنما دعوة طيّبة جعلت لها أسا وشدت مباني

وكان الدعاة الأربعة من علماء اليمن الأعلام ، واشترك القرشي والحارثي وحاتم الحامدي مع أستاذهم إبراهيم الحامدي في نشاطه العلمي وجمع التراث العلمي والديني من عهد الفاطميين وفي بحوثه الكلامية والدينية . فترك كل منهم كتباً ومؤلفات لها شأن خطير في تطور آداب الدعوة اليمنية .

وقد ألف إبراهيم الحامدي كتابه الجليل في علم الحقائق الموسوم بـ "كتر الولد"^(٥) ، وذكر فيه لأول مرة في آداب الدعوة رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا والرسالة الأخيرة الجامعة منها ، وأشار إلى نظرية الشخص الفاضل

(١) ورد اسم جد الشيخ علي بن الحسين باختلاف : أحمد وجعفر (زهة ٩١/١ و ٩٢) .

(٢) زهة ٩١/١ . وكان الشيخ علي القرشي ابن عم الداعي علي بن محمد بن الوليد

القرشي .

(٣) من بني الحارث بن كعب ، وهو من بني محرز بيت رياستهم (زهة ١٠٤/١) .

(٤) زهة ٩١/١ .

(٥) م . م . هـ .

مؤلف الرسائل والجامعة ، فأخذ علماء اليمن بعد ذلك اتجاه الحامدي في درس الرسائل والجامعة وفي اعتبارهم إياها بمثابة القرآن بعد القرآن^(١) . وله أيضا كتاب الابتداء والانتباء^(٢) ، وكتاب تسمع وتسمعين مسألة في الحقائق^(٣) .

وأما رسائل الشيخ علي بن الحسين القرشي فقد وردت في كتاب مجموع التربية^(٤) ، وهو كتاب جامع ألفه انشيخ العلامة محمد بن طاهر الحارثي وقد أورد فيه مقالاته ورسائله وبحوثه ورسائل العلماء الدعاة من دورى ظهور الأئمة واختفائهم والمقتبسات من كتبهم ، نحو فصل في الفرق بين الملائكة بالقوة والملائكة بالفعل للنسفي^(٥) ، وفصلا في تأويل الصلاة من كتاب الشواهد والبيان^(٦) لجعفر بن منصور اليمن ، ورسالة في وجوب الإمامة للشيخ أبي الفوارس أحمد بن يعقوب^(٧) ، ورسالتين في المبادئ العقلية والحدود والرسوم من رسائل إخوان الصفا ، ومجلسا في بيان علة التكليف من مجالس المؤيد في الدين الشيرازي ، ورسالة في إثبات انعام الروحاني لشهریار بن حسن^(٨) ، ورسالة المطيع في الببدأ والمعاد للشيخ محمد ابن علي بن أبي يزيد^(٩) . ورسالة في معرفة الموجودات للداعي ذؤيب بن موسى الوادعي ، ورسالة في إنجاز القرآن والأعمال الشرعية للسلطان الخطّاب بن الحسن الحجوري ، ورسالة الداعي الحسن بن محمد المهدي^(١٠) إلى أهل الرى ، ورسائل معاصره والمأذون

(١) حسين الحمداني : بحث تاريخي في رسائل إخوان الصفا ١٥ .

(٢) إخوانوف ١٨٩ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٥٥ — ٣٥٧ ؛ م.م.هـ .

(٤) ١١١ — ١١٢ ؛ م.م.هـ .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد العسفي (انظر من ٢٥١ ، هامش ٢) .

(٦) انظر ص ٦٥ .

(٧) هو الشيخ أبو الفوارس أحمد بن يعقوب الداعي بجزيرة الشام في عهد الحاكم بأمر الله .

(٨) انظر من ٢٦٦ .

(٩) من علماء الدعوة في عهد الأمر بأحكام الله القاسمي .

(١٠) قال إخوانوف ٤١ : لعنه الميمني من مبيد المدينة الواقعة بين يزد وكرمان .

الشيخ علي بن الحسين بن الوليد الأنف القرشي في البسمة وفي البحث على الفرقة
النزارية وفي المبدأ والمعاد وفي إثبات إمامة الطيب بن الأمر ، ورسالة تحفة الطالب
وأمنية الباحث الزاغب (ونسعى برسالة الصلح) ، ومصيدة للشيخ علي بن الحسين
ابن الوليد في مدح الإمام الجادى والعشيرة بن الطيب . والرسالة الموسومة بملقحة
الأذهان تأليف الشيخ علي بن محمد بن الوليد القرشي . ويتضمن الكتاب
أقوال أرسطاطاليس وسيدنا علي بن أبي طالب ، والسجل التوارى إلى اليمن بالنبشارة
بالمولود الطيب بن الأمر . ولولا هذا الكتاب لما عرفنا بعض هذه الرسائل والمقالات .
ومن مؤلفات الشيخ محمد بن طاهر الرسالة الجامعة في الرد على بعض المارقين^(١) ،
وكتاب حدائق الأبواب^(٢) ، ورسالة في أربع عشرة مسألة^(٣) .

وظل الشيخ محمد بن ظاهر الحارثى والشيخ حاتم بن إبراهيم الحامدى
على ولائهما للدعوة ونشاطهما المعنى تحت إشراف الداعى إبراهيم الحامدى حتى
توفى الداعى إبراهيم بصنعاء ، في شهر شعبان سنة سبع وخمسين وخمسة مئة .

الداعى حاتم بن إبراهيم بن الحسين الحامدى الهمداني (٥٥٧ - ٥٩٦)

قام بالدعوة في جزيرة اليمن بعد وفاة أبيه . وكان عالما فقيها كثير الاطلاع
وكثير التأليف والإنتاج الأدبى . وقد عرف الناس فضله وبيان حجته فقال إليه
كثير منهم . والتفت حوله بعض قبائل حمير وهدمان ، وملكوه حصن
كوكبان^(٤) . ولما رأى السلطان علي بن حاتم الياهمى صاحب صنعاء وما يليها
ميل الناس إلى الداعى حاتم بن إبراهيم ، وإقبالهم عليه ، داخلته انفاضة ،
وخاف منه على ملكه ، وأخذ يستميل همدان ببذل المال ، وضاعف إليهم العطاء ،

(١) ٥٠٠م .

(٢) فهرست إسماعيل ٢٦٩ ؛ ٥٠٠م .

(٣) نقه ٢٧٣ - ٢٧٨ .

(٤) نزعة ٩٣/١ .

حتى دخل في طاعته أحمد بن الحبير الهبيري^(١) . وكان ممن يثق فيهم الداعي حاتم ،
ومن أخذ عليه أكيد أيامه وعهده . فطلب هذا إلى السلطان أن يقدمه على
همدان . وتمكن السلطان على بن حاتم من جانب الكثيرين ممن كان مع الداعي
حاتم في كوكيان . فخرج عن الحصن واتصل بمشأخ هبرة في لولوة وريمان .
فقصدهم الملك على بن حاتم اليامي لمحاربة الداعي وأنصاره من بني هبرة ، وكتب
في نفس الوقت إلى الداعي حاتم « بمانبه وبلاطفه ويقول له : أظهر دينك ، واجمع
أهل دعوتك ؛ ولا تفرق همدان وتحملهم على العداوة والشنآن . وضمن ذلك
شعرا^(٢) . فأجابه الداعي حاتم بقصيدة جاء فيها^(٣) :

أتانى من أبى زيد كتاب تضمينه من العُتبي فنون^(٤)
فكن في أمرنا حكما وعدلا فانت لكل مكرمة خدين
مقالك فيم تصدع عود يامر وأنت بلم شفتهم فين
أما والمصطفى إني ليام بمالى والذى أحوى أصون
وأنتم يا غطارف ثم يام مكانكم من العليا مكين
لكم في الدعوة الفراء قدما سوابق كلما نشرت ترين
ولكن حلتهم عنها فنكم لها الضد المعاند والقرين
فإن أنتم رجعتم واستقامت قد لاح الصباح المستبين
وواليتم إمام العصر صدقا صفا ما بيننا الماء المعين
وإن ينتم وعاندتم كما قد فعلم آل عمران فيبنوا^(٥)

ووجد الداعي حاتم أن همدان بعضاهمه وبمضاها عليه ، فحشى أن يكون افتراقهم

(١) آل هبرة من همدان (ترجمة ١ / ٩٤) .

(٢) وكان الملك على بن حاتم يرمى كآبيه الملك حاتم وعمه القاضي محمد رجده القاضي
عمران شاعرا مجيدا فصيحاً . ومع الأسف لم يأت لإدريس في الترجمة بكتابه المنظوم شعرا .

(٣) ترجمة ١ / ٩٤ - ٩٦ .

(٤) العتي والاعتاب : رجوع المتوب عنه إلى ما يرضى العاتب (ل / عتب)

(٥) عمران هو القاضي عمران بن الفضل اليامي .

على يديه ، وقصد صاحب بيت ردم وهو من بني شهاب وزَوْج ابنته ، واستقرَّ عنده بعض الوقت ، ثم أتجه الداعي إلى حراز . فوصل إلى موضع يسمى شعاف ، ووجد الناس هناك قد مالوا إلى الحافظ عبد المجيد ، فأخذ يدعوهم إلى ما يدعو إليه . ولما رأوا فضله وزهده وفصاحته وحسن موعظته وعدوِّبة قوله ، وما نشر عليهم من فضائل علي بن أبي طالب ، دخلوا تحت لواء الدعوة . وطلع من شعاف إلى الظَّهْرَة ، ثم تسلَّم حصن الحُطَّيْب ، وهو من معاقل حراز الرِّفِيعَة ، وحصونها المنبِعة . وهناك توالى عليه أهل دعوته ، وكان زعيمهم السلطان سبأ ابن يوسف اليَمْعُورِي ، الذي ساعد الداعي حاتماً على فتح حصن شبام^(١) .

وفي ذلك يقول القائل^(٢) :

أَنْصَارُ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الطَّيِّبِ	مَنْ كَلَّ لَيْتَ شَمْرَى* أَغْلِبِ
فَتَحَّتْ سِبَامًا بِالْمَوَاضِي جَهْرَةً	وَسَمَّتْ لَدَرْوَتَهُ بِكَلِّ مَشْطَبِ
لَهُ دَرٌّ عَصَابَةٌ يَمْنِيَّةٌ	فِيهَا الْيَعَابِرُ كَلَّ عَالِي النَّصَبِ
قَوْمٌ لَهُمْ فِي الْمَكْرَمَاتِ أَوَائِلُ*	مَشْهُورَةٌ وَشِجَاعَةٌ لَمْ تَنْقَلِبِ
فَاسْتَبَشِرُوا يَا مُؤْمِنِينَ وَشَمِّرُوا	مَنْ فَتَحَ مَوْلَاكُمْ بِأَيْسَرِ مَطْلَبِ

ثم أتجه سبأ بعد ذلك إلى حصن لهاب ففتحه . وفي ذلك قال الشاعر^(٣) :

حَلَّتْ بِسُوحِكِ رَحْمَةُ الْفَقَارِ	فَاسْتُخْدِمَتْ لَكَ نَاقِدَ الْأَقْدَارِ
النَّهْبَتَ نَارًا فِي لَهَابٍ فَأَحْرَقَتْ	عُصْبَ الضَّلَالِ مَعَا بَتَلِكِ النَّارِ
وَبَعَثَتْ نَحْوَهُمْ بِجَيْشِ أَغْلِبِ	تَرْجِي النُّونَ وَجَحْفَلَ جِرَارِ
مَنْ صِيدَ هَمْدَانَ بْنِ زَيْدٍ خَيْرٍ مِنْ	بِرْجِي لِشَيْدِ عُمَلَا وَمَنْعِ زِمَارِ

(١) أحكم الداعي حاتم الهامدي بعد هذا الفتح عمارة حصن شبام اليعابر وبني في القفلة السفلى وحصنها لأنها كانت القفلة العليا التي بنيت في أيام الملك علي بن محمد الصليحي . وأما الجرحوب فكانت عمارته بعد (نزهة ١/١٠٣) .

(٢) نزهة ١/٩٧ .

(٣) نزهة ١/٩٨-٩٩ .

الطائمين لأحمد ووصيّه وبني البتول السادة الأطهار
والناصرين دعاة آل محمد والقاطمين أوامر الفجّار
والشمّ من جنب وعنّس والذرا من يهْبُر ويحْيح وكرار
ثم حارب حصن حمزة حتى مسكه عنوة وهو أرفع طود في لهاب . وفي ذلك
قال حنظلة بن علي قصيدة جاء فيها^(١) :

أبا طيّء يا داعي اليمن الذي به أمنت من كلّ خوف ومن دعر
حراز بفضل من آياديك أحرزت حظوظا فقد صارت على قمة النسر
وحصن شبام قد سما بك طوده فأسفله يسمو علواً عن القدر
بسمك قام اليمبريّ ابن يوسف وأقوام صدق لا تميل إلى القدر

وما زال سبا اليمبري يرمي أعداءه الداعي حاتم بالموت حتى فتك به بنو حكم
وقتلوه . وفي ذلك قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف قصيدة يخرض فيها
على وجوب الأخذ بثأره جاء فيها^(٢) :

فيا أيها الفادي تحمّل الوكّة إلى يهرب طرا وبلغ مقايسا
وخصّ أباه الضميم أبناء يعب وصيد حراز انفر أسيح ندائيا
أجدوا طلابا للعدوّ فإنهم على غدزم لا يظفرون معايبا
وشنوا عليهم غرة يعبريّة تصيرهم بالرهفات أناسيا

فتحمّس اليعارب وقاموا واحتشدوا لأخذ الثأر من بني حكم . وانضمّ إليهم
انداعي حاتم . فأخذ يحرفهم . وأوساهم بالصبر لينالوا ثأرهم . وقصدوا أكمة
العلو^(٣) بهوزن حيث كان بنو حكم ، ووقع القتال بين الطرفين واشتدّ ، وتأسد

(١) نزهة ٩٩/١ — ١٠٠ .

(٢) نزهة ١٠٠/١ — ١٠١ .

(٣) في نزهة ١٠٢/١ قال: أكمة العلومى إلى نوم خراب يباب .

اليعابر حتى دخلوا على الأعداء دورهم قهرا ، وأحصوهم قتلا وأمرا .

وفي ذلك النصر قال الشيخ علي بن محمد بن الوليد قصيدة جاء فيها^(١) :

أجل هكذا تقنى الملا والفاخر
وتنقم أوتاراً ويثأر ثائر
فلا شرف إلا الذي حيزَ بالظبا
ولا مجد إلا ما حوته اليعابر

وكان مقر الداعي حاتم في الحطيب ، وكان يماضده في إقامة الدعوة الشيخ محمد بن طاهر الحارثي ، فمينه رئيسا للدعوة في صنعاء ، وجعل في كل قمع من أصقاع اليمن مأذونا . فواصله أهل الدعوة من السند والهند وأقطار اليمن . وكان يجتمع بأهل دعوته في كهف كبير يقع تحت حصن الحطيب يزودهم بمله .

وكان الشيخ محمد بن طاهر الحارثي قد توفى في شهر شوال سنة أربع وثمانين وخمس مئة . فأقام الداعي حاتم بعمده الشيخ علي بن محمد بن الوليد الأنف القرشي مأذونا وصير إليه أمر أهل الدعوة في صنعاء . وكان يسافر إلى الداعي حاتم بحراز وإليه يرجع الفضل في تعليم ابن الداعي حاتم علي بن حاتم حتى بلّغه مرتبة أهله لأن يوليه داعيا مطلقا من بعمده^(٢) .

وقد رأينا أن الداعي حاتم بن إبراهيم حاول بدون نجاح أن ينشئ ملسكا في بلاد همدان ثم في حراز ، وأراد أن يحمي الدعوة بالدولة كما كان الحال في أيام الصليحيين . فقد وجد الداعي حاتم نفسه أمام عقبات ما استطاع أن يذللها . والأمم منها انقسام همدان بين تأييد السلطان علي بن حاتم اليايى الهمداني ملك صنعاء وما يليها وبين مناصرة الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي الهمداني فترك الداعي منافسة الملك علي بن حاتم اليايى نظراً للأخطار التي واجهتها الدعوة من كل صوب وبالخصوص من تهامة حيث استولى الملك عبد النبي بن علي ابن مهدي الحميري على معظم الحصون والمعاقل التي كان يملكها أهل الدعوة . ثم انسحب الداعي حاتم عن الميدان تماما ، واكتفى بنشر علوم الدعوة من كهفه

(١) نفا ١٠٢/١ - ١٠٣ .

(٢) نرمة ١٠٤/١ .

الواقع تحت حصن الحطيب بعد أن مات قائده السلطان سبا بن يوسف اليعبري وبعد دخول بني أيوب اليمن تحت قيادة توران شاه ثم طفتكين ، فتغلبوا على اليمن وقضوا على جميع الممالك والدويلات والقبائل .

فتفرغ الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي للتأليف ، « ونقل الروايات على سحتها من المحدثين ، وله في الدعوة السهم المملّى ، وكتبه وتأليفه مشهورة »^(١) .
ومن أهمّ مؤلفاته التي ورد ذكرها :

كتاب تنبيه الغافلين^(٢) في الأخلاق ودمّ الرذيلتين ، التحاسد والتباغض ، وضمن الكتاب رسالتين من رسائل إخوان الصفا في آداب الإخوان وحسن المعاشرة ، وفصلاً من مجلس العزيز بالله الفاطمي .

ورسالة النقد على أهل الخاط فيما ارتكبوا من الفسق والخباط^(٣) في ذمّ المنكرات واتباع الشهوات وقد اقتبس فيها المؤلف من الرسالة الموسومة بالواعظ لأبي يعقوب السجستاني ومن أقاويل سيدنا علي بن أبي طالب وألفاظ المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعاة وقصيدة الخطاب بن الحسن الحجوري مطلعها « إن صحّ ما قالوا وما شعرا »^(٤) .

وكتاب المجالس^(٥) والموجود منه اثنان وخمسون مجلساً من المجلس السابع والسمين في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب وشيء من قضاياها وغزواته .
وكتاب جامع الحقائق^(٦) وهو تاليف للمجالس المؤيدية وهي ثمان مئة مجلس وجعل كتابه هذا في ثمانية عشر باباً في مجلدين .

وخمسة عشر مجلساً^(٧) تعالج مسائل مختلفة مثل الخنة والامتحان وشأن

(١) نزهة ٩٣/١ .

(٢) فهرست إسماعيل ٥٩ — ٦٠ م.م.هـ .

(٣) فهرست إسماعيل ٦٧ .

(٤) لم ترد في نسخة د الخطاب الموجودة في مكتبتنا المحمدية فمدنية .

(٥) فهرست إسماعيل ٨٩ .

(٦) فهرست إسماعيل ٢٤٦ م.م.هـ ؛ انظر ص ٢٦٢ .

(٧) نفس ٢٦٢ م.م.هـ .

العلماء ومعنى النفس وحقيقتها ووجوب الإمامة في كل زمان والولادة الدينية وامتثال أمر أولياء الله والنصائح وتفسير بعض الآيات والأحاديث وغيرها .
ورسالة التذكرة^(١) تشتمل على آراء المؤلف وأفكاره عن المبدأ والمعاد والثواب والعقاب والوصول إلى ولاية أولياء الله ، ثم يتلو ذلك فصول ومقتسات من مؤلفات الدعاة السابقين . ومنها فصل للداعي يحيى بن مالك في بيان الأرض وما فيها من طيب وخبيث .

ورسالة زهر بندر الحقائق^(٢) ، وتشتمل على ثمانى عشرة مسألة في علم الحقائق . وكتاب تحفة القلوب وفرجة المكروب^(٣) في الحقائق ، وهو كتاب جليل ، وفيه فصل « في بيان جزيرة اليمين حبسها الله تعالى وكيف كان قيام الدعاة فيها من أول الزمان إلى وقته مختصر من القول » . وفصل في أسماء حدود وقته الذين ألف لأجلهم الكتاب .

وكتاب مفاتيح الكنوز^(٤) ألفه جوابا على المسائل التي وردت عليه من بعض الإخوان ، مثل دور الكشف ، والرد على من قال إن المهدي عبد الله من ولد الحسن ابن علي بن أبي طالب ، وانتوحيد جوابا على قول السائل « أجزلى يامولاي عن الله هل هو في الدار أم الدار فيه » ، وتسمية العقل عقلا وما شابهها من المسائل . هذه الكتب ورد ذكرها في فهرست الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول . وله مؤلفات أخرى لم يذكرها الشيخ إسماعيل ، ومنها كتاب الشموس الظاهرة^(٥) في الحقائق ذكره الشيخ حسن بن نوح البهروزي الهندي في كتابه الأزهار .

وظل هذا العلامة الباحث حاتم الحامدي تتقدم به السن حتى توفي في حصن الحطيب في يوم السبت السادس عشر من شهر المحرم سنة ست وتسعين وخمس مئة^(٦) ؛ وكان قبره تحت حصن الحطيب بحراز من بلاد اليمابر يزوره الناس إلى وقت قريب ثم هدم - فلا أثر له الآن .

(٢) نفسه ٧٨ ؛ ٥٠٠ م .

(١) نفسه ٢٧٦ ؛ ٥٠٠ م .

(٣) نفسه ٣٨٨ ؛ ٥٠٠ م .

(٥) ٥٠٠ م .

(٤) نفسه ٥٠١ ؛ ٥٠٠ م .

(٦) نزهة ١٠٦/١ .

صورة خربج حاتم بن إبراهيم الخامدي بالخطيب أخذها في سنة ١٩٣١ .
وأما الآن فالبالغ أن عمال حزار ساءوا، فحل القلوبت بنى صنعة، ثم وضع القلوبت
في الجراح الشرقي من جامع صنعة :



تصوير : حسن حمداني



صورة : حسن الحمداني



الداعي علي بن حاتم بن إبراهيم الحامري (٥٩٦ - ٦٠٥)

قام بأمر الدعوة بعد أبيه وأخذ يرسل دعواته لنشر الدعوة في الأصقاع .
وافترقت عليه أمور أهل دعوته بحراز من اليمابر وسوام وخالفوا أمره مما دعاه
إلى ترك حراز والذهاب إلى صنعاء . وبينما كان سلاطين همدان من بني حاتم مقيمين
على حمايته والدفاع عنه وأهل دعوته كان أهل حراز قد عصوا نائبه وزعيم اليمابر
السلطان حاتم بن سبا بن يوسف وخالفوه وحالفوا أعداءه . وما زال الشيخ علي
ابن محمد بن الوليد يرسل إليهم رسله ويعرفهم سوء العواقب ويناشدهم الانخلاف .
فكتب إليهم شعرا بهائم عن الاختلاف جاء فيه ^(١) :

ليوث الشرى البانين أعلى الفاخر	نسيم الصبا ألم بسُوح اليمابر
وأسرة ذى العلياء عمرو بن عامر	ذؤابة فحطان بن هود وليتها
أفي الحزم أن رضوا بهذا التشاجر	وقل يا أبا الضيم يا صيد يمبر
عن إصلاحه أتم بصفقة خادر	وإن تهملوا إصلاح ما أن غفلتم

ولكن لم ينفعهم الوعظ والتذكير ، ووقع بينهم الخلاف ، وأعرضوا عن
حراسة الحصون ، حتى قتل السلطان حاتم بن سبا بن يوسف اليمبرى .

وظل الداعي عليّ مقيماً للدعوة في صنعاء وأعمالها غير مكترث بملوك الفرس
وما يطرأ من أهوالهم مصادقاً لملوك همدان . ثم طلع حصن ذمرمر إلى سلاطين
بني حاتم مفتقداً لأحوالهم : ثم أدركته الملة فأنزل محمولاً إلى صنعاء ، وتوفي
في يوم السبت ٢٥ من ذي القعدة سنة خمس وست مئة . ويقال إنه مات
مسموماً ^(٢) .

وله رسالة روضة الحكم الصافية وبستان العلوم الشافية ^(٣) ، وهي تتضمن سبيع

(١) نزهة ١٠٨/١ - ١٠٩ .

(٢) نفسه ١٩١/١ .

(٣) فهرست إسماعيل ٣٦٤ ؛ م . م . م .

عشرة مسألة في الحقائق . وفيها شرح بعض أقوال أبي يعقوب السجستاني من كتابه المسمى بالبيانات وشرح بعض مناجاة المؤيد في الدين الشيرازي .

الداعي على بن محمد بن الوليد الأنثى العبشمي القرشي (٦٠٥-٦١٢)

تقلد مراسم الدعوة في بلاد اليمن وما انضاف إليها ، بعد وفاة الداعي على ابن حاتم الحمدي . وكان له مع الداعي حاتم وابنه الداعي على الرتبة السامية واليد الطولى . وقال عنه حاتم الحمدي^(١) : « ... أما أشرف النسب فإنه من أشرف أهل الوقت نسبا ، وأعلام حسبا ، وأقدمهم في الدعوة الهادية ، وأسبقهم إلى الأفعال المرضية ، وذلك أن جدّه إبراهيم بن أبي سلمة لسبقه وشرفه سقره على بن محمد الصليحيّ إلى الحضرة الشريفة المستنصرية . . وإنهم من أشرف قریش وأعلى العرب من بنى عبد مناف ، بن قصي . وأما الطهارة والورع والعبادة والعفة والنسك والولاية والآداب ، فلا يقاس أحد به من أهل زمانه . . ولذلك أضفت أمر الدعوة الهادية سلام الله على صاحبها في الجزيرة اليمنية إليه . » وكان جدّه إبراهيم يلقب بالأنثى « لتقدمه على أضراجه تقدم المارن على الوجه »^(٢) وهو جدير بما وصف الخطيئة قومه من قبل :

قومٌ لهمُ الأنثى والأذنانُ غيرُهمُ

ومن يُساوى بأنف الناقة الذنبا

وكان الشيخ إبراهيم بن أبي سلمة بن الوليد العبشمي القرشي الأنثى من كبار رجال الدولة الصليحية ، فدحه الشاعر الحسين بن علي العمري بقصيدة ، جاء فيها^(٣) :

فياشبهه الخليل ندىً وتقوى لخالفه وحلما واعتراما

(١) نزعة ١/١١٣ .

(٢) نفسه ١/١١٣ .

(٣) نفسه ١/١١٣-١١٤ .

فإبراهيم إبراهيم أضحت به صنماؤه البلد الحراما
 فيا نجل الوليد ورتت مجدا من الآباء يتسق انتظاما
 فإنت يكن الخليل أتاه وحى^١ فقد أصبحت في العلياء إماما
 وقال أيضا بمدحه^(١) :

وأعريف من اليمّ لآماء كما زعموا لكن درّا ومرجانا وياقوتنا
 جُددًا بالسلام عسى نارُ انفرام به تعود برّدا إذا حُيئت حُبنا
 أنت الخليل وصنماك الحرامُ ووا م ديك السرار بها لو كنت نبينا
 يا سيّدا مانسينا عهد صحبته أنسيت في أجل هل كنت أنسيتا

ولم يزل الداعي على بن محمد بن الوليد قائما بأمر الدعوة ، فالتقت به أمورها
 وتحسنت أحوال أعمالها ، واجتمعت على تأييده ونصرة دعوته بمض السلاطين
 والرعاء من همدان . وكان الحبر العالم على بن حنظلة بن أبي سالم المحفوظي الوداعي
 الهمداني من المعاضدين للداعي والمؤازرين له ، بل كان النائب منابه في كثير من
 الاحيان ، وأقام الداعي الشيخ عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي الفتح
 على أهل الدعوة في الحقل حقل يحصب وذمار وأصاب وما ينضاف إليها
 ومخلاف جعفر والجند وأعمالها وبلاد ذخر والمافر ولحج وأيين وعدن وتهامة
 وما يليها بعد أن عزل الشيخ محمد بن أحمد الأحوري^(٢) من ولاية هذه البلاد .
 وقد ساسهم الداعي جميعا سياسة حاسمة حازمة لها شأن ، مع ما نالوا من قوة
 الفز . وظل الداعي مقبيا بصنماء ، ويتردد إلى ذمرمر والعروس وبهما السلاطين
 من آل حاتم الهمدانيين .

وكان الملك المعز إسماعيل بن طقتكين قد قتله عماليكه من الأتراك في سنة ثمان

(١) نزهة / ١١٣ .

(٢) وكان الأحوري من كان له باع في الدعوة وقت الداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي
 وولده على بن حاتم الحامدي . حُبنا أفضيت الدعوة إلى الشيخ على بن محمد بن الوليد داخنته
 النافسة والحسد ، وكانت صهباب موضع استقراره .

وتسعين وخمسة مئة بمدينة زيد . وقام بعده الأتابك سنقر نياية عن الملك الطفل الناصر بن طنتكين . ولما توفى سنقر سنة إحدى عشرة مئة قام الملك الناصر بأمر الملك ، وطلع إلى صنعاء ، ولكنه توفى فيها مسموما سنة إحدى عشروست مئة . وبقي أمر اليمن على غير نظام .

فقوى موقف الإمام عبد الله بن حمزة النصور^(١) ، ورام كل مرام ، كما يظهر

في قوله من قصيدة :

لا تحسبوا أن صنمنا كلٌّ مأربتي

ولا تَعِمَّرْ ، ولا أشجيتُ حُسَّادِي^(٢)

واذْ كَرَّ إذا شئت تلهيبي وتطربني^(٣)

كرتى الجهاد على أبواب بغداد

فاستولى على صنعاء وما يليها . وحارب فرقة من الزيدية تدعى بالمطرفية وكفروهم وعمر مسجدا بظفار^(٤) ، وكتب فيه :

لا يدخلنك ما بقيت مطرفي

(١) قال ياقوت في معجم البلدان / ورور : هو عبد الله بن حمزة بن سليمان ، زعم أنه من ولد أحمد بن الحسين بن القاسم بن إسماعيل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب . ورواة الأنساب يقولون إن أحمد بن الحسين لم يقب اه . وذكر القاضي عبد الله الجرافي في المنتظم ١١٦ النسب الصحيح للإمام وهو : المنصور بالله عبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب اه . وكان الإمام المنصور شاعرا فصيحاً ذا لسان عالماً لا يسمع باختلاف الرأي قائدا طموحاً ذا شخصية جبارة ؛ دعا في بلاد الجوف وسكن بها ، وفتح صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان عند طلوع ابن فليت إلى اليمن الأعلى ، ودفن بظفار .

(٢) في رواية ياقوت : جل مأربتي ولا ذمار ولا شمت حسادي .

(٣) في رواية ياقوت : تشجيني وتطربني .

(٤) وفي نزهة ١٢٠/١ قال : أظنه بظفار اه . والظاهر هو حصن ظفر ذي بين

ويقال له ظفار داود في شمال صنعاء على نحو ثلاث مراحل .

فأحابه بعضهم بشعر يقول فيه :
أوما علمت بأن كدل مطرفي عمّا عملت من الكنائس مكتفي
أنهم وقيانتكم ومسجدكم ممّا كذبا لقي وسط مصباح طفي
فلما حاربهم واتبعهم^(١) خرج ابن النّساج^(٢) إلى بغداد وخطب الخليفة
العباسي بقصيدة مشهورة مطاها :

لشئ الملك ذي الماسكوت حمدي رداء الحمد أفضل ما ترُدّي
ومنها قوله :
نيامٌ يا بني العباس أنم وهذا ثوب أسرتك تُرُدّي
ویرمیكم ببغداد بجيش أحشّ متبعا برقا برعد
ينادي يا لثارات بفخ وبأخنرا ووقعة يوم مهدي
ويدعو أين إدريس ويحبي وعبد الله أين أبي وجدي
فكتب الخليفة العباسي إلى الملك الكامل الأيوبي صاحب مصر يحرضه
على حفظ اليمن ، وأن لا يهاون بأمره . فأرسل الملك الكامل ولده السعود وأتابك
جمال الدين ابن فليت إلى اليمن . فوصل الأخير زيد في مستهل سنة اثنتي عشرة وست
مئة . وقبض على الملك الأعظم سليمان الأيوبي الذي تولى الحكم بعد وفاة الملك
الناصر الأيوبي^(٣) ورجع به أسيرا ، فأرسله السعود إلى مصر ، وسلت إليه الحصون

(١) يقال إن عددا ضخماً من الطرفية تلهم الإمام المنصور بالله حتى أيدت الفرقة
جما ودورم وبلدانهم وهي خربة لى الآن .

(٢) هو حسن بن محمد بن النساج من الطرفية من بلاد آنس . وقام الأمير محمد بن
منصور بن الفضل المشرق أخو الأمير محمد الضيف الوزير بصرة الطرفية ضد الإمام المنصور .
هذا ما رواه صاحب القنطف ١١٨ .

(٣) وكان قد تزوج سليمان هذا والدة الملكين الأيوبيين المنز إسماعيل والناصر ابني
الملك العزيز منسكين بعد وفاتهما ، ولقب بالملك الأعظم .

والمدن باليمن الأسفل ، وابن فليت مقدم عسكريه . ثم طلع ابن فليت إلى ذمار . وكان الإمام المنصور أخرج دور الغز في صنعاء ، ثم انحاز إلى حصن كوكبان . ووصل ابن فليت صنعاء في عساكر جمعة فدخلها في جمادى الأخرى من السنة المذكورة . وكانت ثقته بنوحاتم في همدان . فتلقاهم بالإجلال والإحسان . وأقام ابن فليت بصنعاء بجهز المساكن حتى اجتمع له من أهل اليمن البادية والحاضر .

وكانت وفاة الداعي علي بن محمد بن الوليد القرشي بعد دخول الغز صنعاء بشهرين في شهر شعبان سنة اثنتي عشرة وست مئة . وكان عمره قد أوفى على التسمين عاما وهو صحيح الجوارح يؤلف الكتب ويقوم بالعبادة ويشغل بالدرس والتدريس وكان الداعي علي من أنشط الدعاة يذب عن حمى الدعوة ويكافح عنها بقلمه ولسانه في ظروف غير ملائمة . وكان الكفاح مريرا منذ سقوط الدولة الصليحية ، ولم تجد الدعوة معينا ولا ناصر من سلاطين اليمن يحمها من وطأة الحروب القاعة بين ملوك الغزو السادة الأشراف . فتمسك الداعي بسلاطين آل حاتم اليامين الهمدانيين الذين كانوا يطفون على أهل الدعوة ، لامن أجل عقيدتهم ، بل احتراما لانصال جدهم القاضي عمران بن الفضل الياحي بالصليحيين وبالذعوة واحتراما لحقوق الجوارح . وفي هذه الظروف الثقيلة استطاع رؤساء الدعوة جمع شمل أهل الدعوة باليمن . وذلك بفضل عدم تدخلهم في سياسة البلاد ، وتحسينهم بالمقابل والخضوع أحيانا . والتوجه بهم إلى التسخر الشديد أحيانا عند عدوان المعتدين ، وأخيرا وليس آخرا بفضل نشاطهم الفعالي وحفظ التراث الأدبي والديني السابق وضبطه . وهكذا وضعت أسس متينة لإسعاد الدعوة . فاستطاعوا أن يدخلوا بها مكارهم وموفونهم في المجتمع اليمني . وكان علي بن محمد ابن الوليد القرشي قد شارك الدعوة السابقين أمثال الداعي إبراهيم بن الحسين الحامدي والشهيد محمد بن طاهر الخازني والداعي حاتم بن إبراهيم الحامدي ، فاستطاع بتوسط واقف في وضع الأسس للحركة العامة داخل منظمة الدعوة . ويدل على ذلك مؤلفاته المديدة التي تذكر منها :

كتاب تحفة المرتاد وغصّة الأضداد^(١) في الرد على الفرقة المجيدية وإثبات إمامة الطيب بن الأمر وذكر تسلسل الإمامة. وفيه نبذ من علم الحقائق . رسالة جلاء العقول وزبدة المحصول^(٢) ، وهي تنقسم ثلاثة أبواب تحتوى على ثمانية وعشرين فصلا . الباب الأول في التوحيد والخلقة الجسمانية وكيفيتها ، والباب الثانى في الخلقة النفسانية وكيفية تربيتها ، والباب الثالث في تسلسل الولادة الدينية وتأويل بعض الآيات من القرآن يتضمن ذكر الثواب والعقاب . الرسالة المفيدة في إيضاح ملغز القصيدة^(٣) . وهي شرح القصيدة التي يروى أنه قالها الحكيم أبو علي سينا مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تمرّز وعمّس
وأورد فيها من رسائل إخوان الصفا فصلا في علة كراهية الجميع الموت ومحبتهم البقاء بتمامه وكأله .

كتاب ضياء الألباب المحتوى على المسائل والجواب^(٤) ويشتمل على اثنين وثلاثين مسألة والجواب عنها . وهذه المسائل أثارها الفقيه محمد ابن إبراهيم بن أبي عمر من أهل الدعوة المخلصين في عهد الحرة الملكة الصليجية . وقد ذكر الداعي يحيى بن ملك بن مالك الحمادى « هذا الفقيه ذات يوم وفود عدة المؤمنين بصنماء شاهدا بفضله وربته السامية في الدعوة »^(٥) . ويتضمن الكتاب على بيان التوحيد والإبداع والسابق والتالى ومعرفة الابتداء والانهاء ودورى الكشف والستر وما شاكلها من مسائل علم الحقائق الخاصة بالدعوة . وقد عالج فيه بعض المسائل التي ردها الشيخ أحمد حميد الدين الكرمانى على صاحب المحصول ، وشرح فيه ما أورد الشيخ أبو عامر^(٦) من المسائل في أرجوزته السماة بالشجرات .

(١) نفة ٢١٠ م . ٥٠٠ م . ٤٠٠ م . نشره ستروطمان (Strothmann) تحت عنوان «أربعة

كتب إسماعيلية» . (٢) نفة ٢٧٧ م . ٥٠٠ م . ٤٠٠ م .

(٣) فهرست إسماعيل ٢٧٨ م . ٥٠٠ م . ٤٠٠ م .

(٤) نفة ٣٤١ م . ٥٠٠ م . ٤٠٠ م . (٥) نفة ٣٤١ م .

(٦) من الدعوة المعاصرين للداعي على بن محمد بن الوليد .

ديوان شعره^(١) في مدائح الداعي حاتم بن إبراهيم الحمادى وأستاذه الشيخ محمد بن طاهر الحارثى . وفيه أرقام في الرد على الفرة الهيدية وفي عتاب المشايخ اليمبريين لما وقع بينهم من التنافر وفي مدح الأئمة وإمام زمانه الطيب بن الأمر وفي أجوبة الكتب المرسلة من أهل الدعوة وفي المراني وغيرها .
كتاب دامن الباطل وحتف المناضل^(٢) في الرد على الفزالي في كتابه المستظهرى^(٣) .

كتاب مختصر الأصول^(٤)، ويشمل شرح المقالات وكيفية انقسامها ، والرد على فرق الحشوية والجبرية والمعتزلة والفلاسفة .

كتاب تاج العقائد ومعدن الفوائد^(٥) يتضمن مئة مسألة في معتقدات مذهب الدعوة ، « فإنها قواعد الدين، وما وجد خارجا عن هذه العقيدة فإنما هو اختلاف على هذا المذهب » . هذا قوله .

كتاب مجالس النصح والبيان^(٦) ، والموجود منه أربعون مجلسا من المجلس الأول والمئة إلى الأربعين والمئة ، وسمى به لأنه ابتداء في كل مجلس منها أولا بالنصائح ثم بالبيان وهو صميم الموضوع . وتشمل الابتداء والانهاء وغيرها من مسائل علم الحقيقة والدعاء والمناجيات إلى الله وتأويل الآيات من التنزيل الكريم .
رسالة الإيضاح والتعيين في كيفية تسلسل ولادى الجسم والدين^(٧) في علم المبدأ والمعاد وإثبات إمامة الطيب بن الأمر .

(١) فهرست إسماعيل ٥٠ : ٤٠٠ م . هـ .

(٢) نفسه ١٢٩ : ٤٠٠ م . هـ .

(٣) نشره غولد نصير (Goldziher) في كتابه Streitschrift des Gazali

gegen die Batinija - Sekte ١٩٦ .

(٤) ٤٠٠ م . هـ . (٥) فهرست إسماعيل ١٧٣ - ١٧٩ : ٤٠٠ م . هـ .

(٦) نفسه ١٩٥ : ٤٠٠ م . هـ .

(٧) نفسه ١٠ : ٤٠٠ م . هـ . ؟ نشرها ستروطمان (Strothmann) في مجموعة « أربعة

كتب إسماعيلية » .

رسالة لب المعارف^(١)، وهي سبعة مسائل: الأولى عن القائم وعن الشريعة في دوره، والثانية عن الهيولى والصورة، والثالثة عن قول الله تعالى يخرجون من الأحداث الآية، والرابعة عن قول الإمام المرزبادي كانت هذه السموات والأرض فانية فما ظنك بما دونها، والخامسة عن قول الإمام المستنصر في القائم بأنه سابع النطقاء، والسادسة عن الإمام وحدوده الداعين إليه، والسابعة عن قول القاضي النعمان في كتاب أسرار التأويل إن النطقاء يأخذون عن الحدود وعن قول الشيخ أحمد حميد الدين الكرماني في كتاب راحة العقل إن النطقاء يأخذون من حد جسماني، فكيف المخلص من كلامهما .

رسالة باب الفوائد وصفو العقائد^(٢) في المبدأ والمعاد .
كتاب الذخيرة^(٣) يتضمن بحثاً عن التوحيد والإبداع والانبثاق والنبوة والإمامة والقائم والانتها والمعاد وغيرها من المسائل في عقائد الدعوة . ويعتبر هذا الكتاب من أمتهات الكتب في هذا الفن .

وله بحوث ورسائل أخرى مثل رسالة ملحقة الأذهان أوردها أستاذه الشيخ محمد بن طاهر في كتاب مجموع التريية، ونظام الوجود في ترتيب الحدود في أسماء حدود الدعوة باليمن في عهده . وقد تنسب إليه رسالة في معنى الاسم الأعظم . ووصلت الدعوة اليمنية إلى أوجها في النشاط العلمي في مؤلفات الشيخ علي ابن محمد بن الوليد القرشي ، وتمتاز بسمعة الاطلاع، والتحقيق الذي لا يخلو من الجدة والابتكار .

الراعي علي بن مظفر بن أبي سالم المهنظلي الراعي (٦١٢ — ٦٢٦)

قام بالدعوة بعد داعي علي بن محمد بن الوليد ، وله في الدعوة الاجتهاد القديم . وكان بقصد القصاد طلباً للعلم المشهور . ولا يختلف في تقدمه من همدان اثنان .

(١) فهرست إسماعيل ٣٦٥؛ م.م. ه .

(٢) فقه ٣٨٣؛ م.م. ه .

(٣) لم يذكره الشيخ إسماعيل بن عبد الرسول في الفهرست؛ م.م. ه .

وكان مقامه في صنعاء أو في ذمرم . وكان على المنزلة عند بني أيوب وبني حاتم
اليامين . وقد بعث إلى أصقاع اليمن والهند والسند الدعاة وأقام فيهم شريعة
الإسلام^(١) . واتبع في عهده السياسة المرسومة وهي عدم تدخل الدعاة في شئون
البلاد السياسية .

وكان الأتابك ابن فليت تمكن من عقد الصلح في سنة ثلاث عشرة بين الملك
المسعود الأيوبي والإمام عبد الله بن حمزة المنصور على أن يقدم الإمام للسلطان
عشرين حصانا وعشرين جلا . وقد توفي الإمام بعد ذلك في سنة أربع عشرة
في حصن كوكبان ودفن في ظفار . فقام ولده محمد عز الدين بن عبد الله
ابن حمزة فخارب ابن فليت أياما لأن ابن فليت مات في السنة المذكورة . ثم إن
الملك المسعود تقلد إمرة الجيوش وطلع بعد وفاة قائد قواته ابن فليت إلى حصن
كوكبان وتسلمه وصالح الأشراف ثم عاد إلى اليمن الأسفل . وكان تارة يجارب
الأشراف وطورا يصالحهم . وخرج الملك المسعود إلى مصر لزيارة والده الملك
السكامل في سنة ثمان عشرة وست مئة وولى على البلاد رجلا يدعى الحسام لؤلؤ
أقامه في زبيد ، وفي صنعاء الأمير الحسن بن علي بن رسول . وقد قامت الحرب بين
قوات ابن رسول والأشراف مدة حتى حطّ الأشراف في صنعاء ، ففرج الحسن
ابن علي بن رسول إليهم من باب السَّبْحَة^(٢) ، ووقع القتال وغشيم المماليك بالدبابيس ،
وانهزم عسكر الأشراف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأصيب عز الدين محمد بن الإمام
عبدالله في علية وعقر حصان أخيه شمس الدين أحمد بن الإمام ، فعاد الأشراف مهزومين .
وكان الفرز إذا ملكوا صنعاء ، كما ذكر الداعي إدريس^(٣) ، شملوا أهل الدعوة
بالأمان . وكان لهم لديهم المرتبة والمسكان . ووصل عز الدين إلى ثلا وافترق عسكره .
وفي ذلك يقول عز الدين (ع)^(٤) وأخوه شمس الدين (ش) ارتجالا وقد تعارضا:

(١) نزهة ١/١٢٣ .

(٢) نفسه ١/١٢٤ . وكان الباب في الجانب الغربي من صنعاء وتسمى هذه المنطقة السبحة
والتداول على الألسن الآن باب السبح الموصل بين صنعاء وبئر العزب .

(٣) نزهة ١/١٢٦ .

(٤) نفسه ١/١٢٧ .

ع : فلو نظرُتنا يا بنة الممِّمِ أعين
 ونحن بيوم ابنِ الرسولِ استهلتِ
 ش : عشيةً أرى جمهم بلبانة
 ونفسي قَد وطنتها فاطمأنتِ
 ع : فقل لأمير الدين صبرا فإنها
 صروف الردى مهما اذلمت تجلّت
 س : وما دام عزُّ الدين فينا فإننا

على ذروة في المجد أشرف ذروة
 وسأل الأمير الحسن بن علي بن رسول السلطان مدرك بن بشر بن حاتم
 الياى الحمدانى شعرا في هذه الوقعة . فقال مدرك على لسانه ، فكتب بها إلى الملك
 المسعود في مصر^(١) :

سلا ذات سمط الدرِّ والمارن الأفتى
 لدى عصير من أمدق الضرب والطمنا^(٢)
 ومن شهدت صنعاء لولا بلاؤه لما فارقت رعبا ولا رافقت أمنا
 إلى قوله :

فلا زالت الأخبار عنكم تسرنا كما سرَّكم في مصر مخبركم عنا
 فقال السلطان الكامل لابنه الملك المسعود : يا يوسف ! من هذا الذى
 يخاطبك بنون المظمة ؟ فقال : هذا أميرى . قال أبوه : ما هو أمير ، بل هو
 نظير ، إن لم تثب عليه وثب عليك . فأسرَّها الملك المسعود فى نفسه حتى دخل
 اليمن فى سنة أربع وعشرين وست مئة . فنزل الأمير بدر الدين الحسن بن على

(١) نزهة ١/١٢٨ .

(٢) عصر بفتح العين وضم الصاد ، اسم قرية وجبل غربى صنعاء على مسافة أربعة
 كيلومترات تقريبا .

ابن رسول للقاء الملك ومعه أخواه شرف الدين موسى بن علي وفخر الدين أبو بكر ابن علي قبض عليهم الملك وأرسلهم إلى مصر^(١). وقرر خاطر أخيه نور الدين عمر ابن علي وطمانه قائلاً: لا بد بمد أن يصلوا مصر من إطلاقهم والإحسان إليهم. ورفع قدر نور الدين عمر. ثم عزم على السفر إلى مصر في سنة ست وعشرين وست مئة وولّى، بمد أن اعتذر الحسام لؤلؤ، نور الدين عمر بن علي على اليمن. وقال الملك السمعود لنور الدين، كما روى الخزرجي^(٢): «إني قد عزمت على السفر، وقد جعلت نائبي في اليمن. فإن مت فأنت أولى بملك اليمن من إخوتي لأنك خدمتني وعرفت منك النصيحة والاجتهاد، وإن عشت فأنت على حالك. وإياك أن تترك أحدا يدخل اليمن من أهلي ولو جاء الملك الكامل والدي مطوباً في كتاب». وقال إدريس^(٣): «وقال (الملك السمعود) لعمر بن علي بن رسول: «قف في اليمن عاملاً حتى يأتيك أمرنا». فأجابه عمر بن علي بالقبول». ويروى أنه عاد إلى مصر، لأن عمه الملك العظيم عيسى بن الملك المادل أبي بكر أيوب توفي، وكان يومئذ صاحب دمشق، فكتب الملك الكامل إلى ابنه الملك السمعود يوسف يستدعيه إليه ليعطينه دمشق. ففرح فرحاً شديداً حتى أنه سافر وقد ابتدأ به المرض^(٤).

فلما انتهى الملك السمعود إلى مكة وافته المنية بها في يوم الاثنين من جمادى الأولى من سنة ست وعشرين وست مئة. ووصل العلم بوفاته إلى أبيه الملك الكامل وهو خارج الديار المصرية. فأعلن الأمير نور الدين عمر بن علي ابن رسول استقلال اليمن لما أتاه خبر السمعود، وعيّن لدولته الأمراء والرؤساء والجنود، واتخذ مدينة تمز عاصمة له، وتلقّب بالملك المنصور. وابتداء مملكته

(١) جاء في ترجمة ١٢٨/١ شمس الدين الحسن بن علي. وقد ذكر الخزرجي (عقود ١/٣٩) أن السمعود تقدم من تمز إلى الجند وأنه وثب على بني رسول وقبض على بدر الدين بن علي ونظر الدين أبي بكر بن علي وشرف الدين موسى بن علي، فقدم وأودعهم السجن. ولا يذكر الخزرجي أن الإخوة أرسلوا إلى الديار المصرية.

(٢) عقود ١/٤٠ — ٤١.

(٣) ترجمة ١/١. أرى أن رواية إدريس أقرب إلى المطلق من تجويد الخزرجي

لآل رسول.

(٤) عقود ١/٤٠.

من جمادى الأخرى من سنة ست وعشرين وست مئة ، فكان هذا ابتداء دولة بنى رسول . فلا غرو أنهم كانوا أحق بملك بلادهم من غيرهم ^(١) .

وكان الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوداعى فى أثناء هذه الأحوال المضطربة قائماً بأمر دعوته ، وأقام الشيخ أحمد بن المبارك بن الوليد القرشى والشيخ الحسين بن على بن محمد بن الوليد القرشى لمعاذته فى نشر مبادئ الدعوة وعلومها وإصلاح أمور أهلها ، وكان قد وجد فى أثناء مدة دعوته مجالاً لتأدية واجبات منصبه وتشجيعاً وأماناً من قبل الأمراء الأيوبيين وبالخصوص من أمراء آل على ابن رسول . وكان سلاطين بنى حاتم اليايين ومشائخ همدان يحمون أهل الدعوة من عدوان المخالفين . واتبع الداعى على بن حنظلة وأعوانه سياسة عدم التدخل فى الخلاف القائم بين الملك المسعود وأعوانه آل على بن رسول وبين الأشراف ، وعلى الرغم من هذا لم ينجح الداعى وأهل دعوته من مخالفة الأشراف . فكان الداعى مثل من سبقه من رؤساء الدعوة مضطراً أن يلجأ إلى حماية السلطان وأمراء آل رسول طبقاً لقانون المحافظة على البقاء .

ونذكر من مؤلفات الداعى على بن حنظلة المحفوظى الوداعى :

قصيدته الموسومة بسمط الحقائق ^(٢) وهى تحتوى على ست مئة وثلاثة وستين

بيتاً تبدأ بقوله :

الحمد لله الملى السامى	عن صفة الكمال والتمام
إذ التمام والكمال صنعته	سبحانه تقدمت هويته
فوصفه كما أتى تشبيهه	وحده ونفته تمويهه
والمعجز عن إدراكه إدراكه	والنقى تعطيل به الهلاك

(١) آل رسول ينتهى نسبهم إلى الملك جفنة بن عمرو السامى الذى رحل من اليمن إلى بلاد الشام بعد خراب سد مأرب . وكان جددهم رسول واسمه محمد بن هارون من أعوان الدولة الأيوبية وأعيانها . وقد وفد أولاد على بن رسول من مصر إلى اليمن مع بنى أيوب .
 (٢) فهرست إسماعيل ٢٧٢ ؛ م. م. ه ؛ وقد حققها الهامى عباس عزراوى ونشرها المعهد العلمى الفرنسى بدمشق سنة ١٩٥٣ .

جَلَّ عن البحث بهلِّ وَمَنْ ولمْ وعزَّ أن يحصِّره لفظ الكَلِمِ
ويتلو الحمد أبيات في التوحيد والصلوات والنصيحة في محاسبة النفس بالنفس
وإطاعة أولى الأمر والحسدود وذكر مفيديه السابقين الداعي السلطان حاتم
ابن إبراهيم الحامدي الهمداني وابنه الداعي علي بن حاتم والداعي علي بن محمد
ابن الوليد القرشي وفيهم يقول :

مستسما لطاعة الحـدود

في عصره كحاتم في عصرنا

داعي الإمام الطيّب الزكيّ ونجمله من بعده عليّ

طوّد الفخار الشامخ المنيف وابن الوليد الطاهر العفيف

عليّ ذى الفضل الشريف المحتدِ نجم الهدى نجل الرضى محمد

ثم أنى بسؤال السائل حيث يقول :

سألتَ وُفِّقْتَ إلى الرّشاد عن أصل بدءِ السّكون والإيجاد

وكيف كان الأمر في البداية وما إليه ينتهى في النّاية

وما الذى أوجب للنفس ورباطها في العالم المعكوس

حتى اغتدتْ لابسَةً بالجسم مَبْلُوءَةٌ فيه بطول الهمِّ

وما الذى ينزع ما عراها من ظلمة الجهل الذى أنساها

مَحَلَّمًا بالعالم الروحاني فاستفرقت في العالم الظلماني

حتى تنقّى إلى جوار ربِّها راجعة تائبة من ذنبيها

راضية إذ ذاك مطمئنَّة مسرورة فائزة بالجَنَّة

ثم يرد السؤال بالكلام عن التوحيد : وعالم الإبداع ، والأفلاك ، والأركان ،
والمزاج والمنتزج ، وأدوار الكواكب السبعة ، وأهل الجنة الإبداعية ، ودور
الكشف وأهله ، ودور الستر وأهله ، والمعاد المحمود ، والناسوت واتحاده

باللاهوت ، والمعاد المذموم ، والبعث والحساب ، والخلود في الثواب والعقاب .
وكانت هذه الأرجوزة تقدم في نظم سلس مستساغ خلاصة ما أورده المؤلفون الدعاء
في علم البدأ والمعاد .

وله رسالة تسمى بضياء العلوم ومصباح العلوم^(١) ، وقد ذكرها الشيخ إسماعيل
في الفهرست من الكتب الكبار في علم البدأ والمعاد . وهي مبوبة على أربعة
أبواب : الباب الأول في التوحيد ، ومعنى التنزيه والتجريد ؛ والباب الثاني
في مسائل البدأ مثل إبداع العالم الروحاني لا من شيء ، ووجود العالم الجسماني
من الهيولى والصورة ، ووجود المواليد الثلاثة ، ووجود القامة الألفية ، وقيام
الدعوة الزكية ، وتسلسل الذرية الإمامية ، ودور الكشف ، ودور الجرم ، ودور
الستر . والباب الثالث في المعاد المحمود ، واجتماع المقامات بالأفق البين ، وظهور
قائم القيامة ؛ والباب الرابع في معاد الصور النافرة المضرة المستكبرة ، وكيفية
العذاب الأدنى والعذاب الأكبر وما شا كلهما من مسائل المعاد المذموم . وهذه
الرسالة لا تختلف في موضوعاتها عن محتويات أرجوزته سمط الحقائق إلا أنها
أكثر شرحا وإيضاحا من المنظوم .

وتوفى الداعي علي بن حنظلة المحفوظي الوادعي في يوم السبت الثاني
والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ست وعشرين وست مئة . وذلك قبل أن
يستقل اليمن عن حكم الفز تحت قيادة الأمير نور الدين عمر بن علي بن رسول بشهر .

الفرقة العلمية الفاطمية في اليمن

نرى أن دعوة اليمن مضت من يوم وفاة السيدة الحرة الملكة الصليحية إلى
انتهاء الدولة الأيوبية في اليمن في مرحلة تمتاز بنشاط علمي وجمع شتات التراث
الفكري وتسجيلها في كتب ومؤلفات وحفظ مآثره المؤلفون الدعاء في عهد
الخلفاء الفاطميين . وقد بدأت هذه الحركة العلمية في حياة الملك المكرم
والملكة الحرة بعد عودة قاضي قضاء اليمن لك بن مالك الحمادي من الديار

المصرية إلى مقر الدولة الصليحية . وقد سبق أن ذكرنا أن داعى الدعوة المؤيد في الدين الشيرازى قرّر في أواخر عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى خطوط برنامج الدعوة العلمى ، وكلف القاضى لك تنفيذ هذا البرنامج ؛ ونقل القاضى كتب الدعوة وما احتوته من العلوم إلى اليمن . ثم قرّرت السيدة الملكة الحرة بعد وصول القاضى إلى اليمن فصل الدعوة من شئون الملك ، وعينت الملكة ويحيى بن ملك الداعى الذؤيب بن موسى الوادعى للإشراف على تنفيذ هذا المشروع العلمى البعيد عن التيارات السياسية . فابتدأت الدعوة تعمل لهذا الغرض فى عهد الداعى الذؤيب ابن موسى الوادعى ومأذونه السلطان الخطاب بن الحسن الحجورى ، ثم أظهر الداعى إبراهيم بن الحسين الحامدى ومأذونه الشيخ على بن الحسين بن جعفر ابن الوليد القرشى والشيخ محمد بن طاهر الحارثى نشاطا بليغا فى هذا الصدد ، وبلغ الداعى حاتم بن إبراهيم الحامدى والداعى على بن محمد بن الوليد من إنتاجهما الأدبى مبلغا لا يستهان به . وأثبت الداعى على بن حنظلة خلاصة بعض علوم الدعوة فى رسالته وأرجوزته . وقد واصل علماء اليمن هذا النشاط العلمى فى القرون التالية إلى عهد الداعى إدريس عماد الدين الأنف القرشى المتوفى سنة اثنتين وسبعين وثمان مئة ، بل إلى أيامنا هذه . ومن هذا العرض السريع نأخذ فكرة عما يوجد من الثروة الأدبية والعلمية فى خزائن كتب الدعوة اليمنية .

قسم الملاحق

تضم هذه الملاحق سجلات تاريخية ووثائق ذات قيمة ، ولذلك
آثرنا أن نثبتها في هذا الكتاب ، بعد أن بذلنا الجهد في
تحقيقها ، وإن لم نصل إلى القراءة الصحيحة لبعض عباراتها ،
لغلبة التصحيف عليها ، واعتمادنا في أكثرها على مخطوطة واحدة .

ملحق رقم ١

سجل الخليفة الحاكم بأمر الله إلى هارون بن محمد القائم بالدعوة باليمن
(عيون الأخبار ٦ / ٢٧١ - ٢٧٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المنصور بالله أبي علي
الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين إلى هارون بن محمد . سلام الله عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو وبسأله أن يعلى على جده محمد حاتم النبيين وسيد المرسلين صلى الله
عليه وعلى آله الطاهرين وسلم تسليماً .

أما بعد ، فالحمد لله الذي نعمه لا تحصى على من أطاع وعصى ، فذو الطاعة لما به من
نعمة علا ، وذو العصية إلى حد ماله علا . يستفيد هذا بشكره رحمة ورضوانا ، كما يستريد
ذلك بكفره إثمًا وعدوانا ، وكل سوف يؤتى كتابه ثم لا شك يوفى حساباه . فأما من أوتى
كتابه يمينه فسوف يحاسب حساباً سيراً ، وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو
نبورا ويعلى سميراً .

وإن الذي كتبت به باهارون بن محمد عنك وعن المؤمنين بأرض اليمن على يد المعروف بأبي
الخير بن محمد بن يوسف بتاريخ يوم الاثنين ثمان ليال خلون من شهر شوال سنة تسعين وثلثمائة
قد وصل ، فأما ما شرحت من خبر من طلبت ما لم يكتب له ويقسم فأمره لا بد أن ينقم وذكره
بعار له سوف يوسم .

وأما ما ذكرت إنفاذه على يد رسولك من قرابين المؤمنين فهو من الذهب وزن سبعين
درهما ومن الورق ألفا درهم . فانه يتقبل لمن عمل ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران
لسعيه وإناله كاتبون . وعليك أن تسلك بالمستجيبين الواجب ، وتتجنب بهم كل طريق مجانب ،
لكتاب الله وسنة نبيه جدنا محمد ، والمأخوذ عن آباؤنا الأئمة المهديين صلوات الله على النبي ووصيه
وعليهم أجمعين ، والمسموع من أفواه المحققين ، لا المأخوذ عن اللسن المنخرصين ، وليسكن فتواك
للمستفيدين في الحلال والحرام من كتاب الدعائم دون ما سواه من الكتب المتعمدة .

وأما ما سألت إنفاذه إليك من الدواء المبارك فسأيتك منه ما يجب في وقته على يد من
يوتق بتأديته وأمانته . وقد كتب إلى الحضرة مفقر بن زياد كتابا ذكر حامله أنه ضاع منته
في طريقه . وسئل عما تضمنه شكى أن الذي يخفظه منه استدعاء من يأخذ عليه من الحضرة ،
فأجيب إلى الرجوع إليك في هذا إذ كنت منه قريبا ، ولما هذه سبيله منصوبا . فاعرف ذلك ،
واطلع ما عند مفقر وقته الله ، وطالع الحضرة إن شاء الله . والسلام عليك ورحمة الله .

وكتب لعشر ليال خلون من ذي القعدة من إحدى وتسعين وثلثمائة . والحمد لله رب العالمين .
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم عليه وعليهم أجمعين .

ملحق رقم ٢

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك علي بن محمد الصليحي
(عيون الأخبار ٧/٨٦) .

« ولما بلغ الأمير محمد بن علي الصليحي مبلغ الرجال ، ورأى فيه والده دلائل الفضل والكمال ، أقامه لينوب عنه في جميع دعوته ، وجعله الخلفاء ، واستند إليه في وصيته ، وكتب بذلك إلى الإمام المستنصر بأمره عليه السلام ، واستورد أمره فيه ، وبركة رأيه ، والإذن له في ما يرتجيه ، فورد إليه سجل من أمير المؤمنين المستنصر بأمره عليه السلام يقول فيه :

« وما نظر إليك أمير المؤمنين نظر مثله ، ممن ينظر بنور الله لك ، ممن ياخلاس ولانته يستظهر ، أن يتخذ ذلك منتجب الدولة وصفوتها ، ذا المجدين ، خليفة لك ، يخلفك في حياتك ، ويكون خلفا صالحا عند حضور وفاتك ، وأن يصطنه لنفسه ، ويلبسه من لباس الأكرامة ما يرتقى إلى ذروة الشرف بلبسه ، ويفيض عليه من خاس الملابس ما يفيض عليه الأقدار بإذن الله سعودها ، وتتجز له أفاضى الأمان وعودها ، ويسميه بالأمير الأعز شمس المال مضافا إلى قديم ألقابه ، ويأذن أن يدعو في تراجم كتبه ويدعى به ، ويصح أن يذكر به على فرق منابر بلادك في أبحاز ذكرك وأعقابك ، وأن يلقب أخويه بلقبين زائدين في ألقابها المتقدمة ، لينالا بهما مزيدا من الاصطناع والكرامة . فالأوسط منهما الأمير المكرم ، والأصغر الأمير الموفق ، والله تعالى يدد كلا منهما ويوفق » .

فكان وصول هذا السجل إلى الداعي علي بن محمد الصليحي وهو في مدينة صنعاء في رجب سنة ست وخمسين وأربعمائة .

ملحق رقم ٣

سجل الخليفة المستنصر بالله إلى الملك علي بن محمد الصليحي بمزيه في وفاة
ابنه الأكبر محمد الأعز وتولية ابنه الأوسط أحمد المكرم ولي عهد لأبيه .
(عيون الأخبار ٧/٧٩ - ٨٠) .

« إن أمير المؤمنين يعزيك في ولدك الأكبر الأمير الأعز شمس المعالي منتجب الدولة
وصفوتها ذي المجدين رحمه الله ، الذي اخترت له خير الأولى ، واختار الله له خير الأخرى ، وألحقه
بالملا الأعلى ، سوى أن أمير المؤمنين يألم مما ألم بك ، وما اعترى قلبك من الحرقة بسببه ،
وحكم الله سبحانه الذي لا ينال ، والهمم الذي لا يتجو منه هارب ، وأنت ربط الله على قلبك
بالصبر ، وأجزل لك حظك من الثواب والأجر ، أرجح في ميزان العقل وزنا ، أن يدخل عليكم
الهم فيما لا ينفع الهم به وهنا ، فاتق سلاح البلوى بجنة المالكين للصبر القادرين ، وانتظم
في ذلك من عنام الله بقوله : « فا وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضفوا وما استكانوا
والله يحب الصابرين » . وقد أمر أمير المؤمنين بالرجوع إلى ولدك الأوسط كان وهو اليوم
الأكبر ، حفظه الله تعالى لكسر في أخيه رحمه الله عليه ، يجير في ولاية عهدك ، وسد مسدك
ميننا ، وأنشأ من التقليد ما يكون لفؤادك مثبنا ، فلينتشر في المحافل والمحاضر ، وليقرأ على
فروق المنابر ، ليكون لداة الناكبة دواء ، أو لذهب نار الحزن إطفاء ، وعزز بإغاثة تشريف
من ملايه يظهر عليه بين الأولياء رونق جماله ، ويكون له جنة يوم حشره ومآله . فاعلم ذلك
من رأى أمير المؤمنين ورسنه ، واعمل عليه بحكمه ، وطالع حضرته بذكر ثبوت مراسي صبرك ،
بما تبرج به عن مكاتك من الحلد ومفرك ، ويسرى عن نفس أمير المؤمنين فسكرها بتقسيم
فسكرك ، إن شاء الله تعالى ، وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٨ هـ » .

ملحق رقم ٤

سجل الخليفة المستنصر إلى الأمير أحمد المكرم بن علي الصليحي .
(عيون الأخبار ٧ / ٨٠ - ٨١) .

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير المكرم شرف الأمرء منتجب الدولة وغرسها ذى السيفين أحمد بن الأمير الأوحى أمير الأمرء عمدة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام المظفر فى الدين نظام المؤمنين على بن محمد الصليحي .

أما بعد ، فالحمد لله البعيد من حيث تناوله بيد الأوام ، وهو بيدائع قدرته دان ، الباقى وجهه الكريم سبحانه ، وكل من عليها فان ، لا إله إلا هو كل يوم هو فى شأن . وصلى الله على من رفع فى النبوة مكانه على كل مكان ، محمد المبعوث إلى الإنس والجان ، وعلى وصيه أشرف ترجان ، على بن أبى طالب خير صاحب تأويل وبيان ، وعلى الأئمة القائم منهم إمام فى كل زمان ، هداة يبشرهم برهم برحة منه ورضوان . وقد كان رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه أن ينصب أختك رحمة الله عليه ولّى عهد لوالده نصرم الله ، وأظفروه فى حياته ، وارتأله بعد مماته ، جماعته لشمسك ، ووصلامنه لجلبكم ، وحفظا لبيتكم المبارك ، المتبرج بزينة الإيمان ، المنتهج منهاج بيت أسس على التقوى من الله ورضوان . وكان من قضاء الله السابق فى الاستئثار به ما ليس عليه معترض ، ونزل به نازلة ما كل جسم له عرض . فآلم أمير المؤمنين ما لم به ، وضاق ذرعا بسببه ، ونزع فى التسليم لمن بيده ملكة البسط والقبض ، ذلكم الله سبحانه فاطر السموات والأرض . ولما كانت الصورة هذه ، أجمع هذه الرتبة إليك ، وشرح شعاع شمس الاصطناعة فيها عليك . فاتق الله فيما قدك من هذه الأمانة حق تقاته ، وشمر لا يفتاء مرضاته ، وقم بالمحافظة على سائر أركان الشريعة ، وتحصن بمحصونها المنية ، وابسط بساط العدل والإنصاف ، واقصص جناح الجور والاعتساف ، واسهر لترقد رعيتك رقاد الأمن ، وانزل عليهم من سماء عدلك شبه السلوى والمن ، وكن من أبر الناس بالوالدين ، واحمل الكلف عن قلوبهما بكتنا اليدين ، وارقب من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وانل قول الله تعالى : « يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تفرنكن الحياة الدنيا ولا يفرنكن بالله الفرور » ، واليس ما شرفك من ملابسه التى تحوز بها فى الدارين المنى والسرور . هذا عهد أمير المؤمنين إليك فاقبله (١) بقبول حسن ، وأقبل عليه إقبال أمين على شرائضه مؤتمن . والله يوفقك ويسمك ، وإلى صالح الدارين يرشدك ، برحمته إن شاء الله تعالى . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب فى شهر ربيع الأول سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . والحمد لله رب العالمين ،
وصلواته على جدنا محمد خانم النبیین ، وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين .
وحسبنا الله ونعم الوكيل .

(١) فى الأصل : فقبله .

ملحق رقم ٥

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك علي بن محمد الصليحي

(عيون الأخبار ٧ / ٨٢ - ٨٦)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عند الله ووليه معد أبي تميم الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين إلى الأمير الأجل الأوحيد أمير الأمراء عمدة الخلافة شرف المعالي تاج الدولة سيف الإمام العلي في الدين نظام المؤمنين أبي الحسن علي بن محمد الصليحي نصره الله وأظفروه واحسن توفيقه ومعونته .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين يعتمد عليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصل على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين وسلم تسليماً .

أما بعد ، فالحمد لله المقصود جناح الفكر دونه في هبوطه وإصعاده ، حائل عالم كونه وفساده ، سلماً إلى محل رضوانه ودار معاده ، يحمده أمير المؤمنين أن مهد له من مجد الإمامة في خير مهاده ؛ ويسأله أن يصل على غوث عباده وغيث بلاده ، محمد جده المقلد من شرف النبوة أشرف نجاهه ، المصطفى الهادي صفوة أعواره وأتجاهه ، وعلى أخيه وأبي أولاده ، المنضوية روضة الحكمة اخضرار الروض بصوب عهاده . على بن أبي طالب مفترس الفرسان يوم الضراب والطلعان تحت سنايك جواده ، وعلى الأئمة من ذريته أكارم الدهر وأجواده . الذين من اقتدى بهم فقد هدى لرشاده .

وكان عرض بمحضرة أمير المؤمنين كتابك الوارد على أيدي رسلك ، وعم عبد الأعلى ابن عبدالمجيد ومحمد بن علي وعبد الواحد بن بشارة ، وكتاب جماعة المؤمنين قبلك ، كثرهم الله ، بذكر استئثار الله تعالى بولديك الأمير الأعز شمس المعالي وأخته ، رحمهما الله ، وأن العجيبة بهما وهنت منك العظم ، وأنحلت الجسم ، فألم أمير المؤمنين ما أملك ، ونلم في جسم نشاطه مائلك ، وترحم على الماضين ترهما بفضي بهما الله معه إلى الروح والريحان ، ويرفهما إلى غرف الجنان ، ودعا يالهمامك حسن الصبر والاحتساب ، زبا يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب ، ولي أمير المؤمنين فيك لتداء دعوتك ودعوة المؤمنين قبلك في رد ولاية عهدك والخلافة لك في حياتك ومن بعدك إلى أخيه الملك المكرم ، شرف الأمراء ، عز الملك ، منتجب الدولة وغرسها ، ذى السيفين ، أمد . ولاشك في وصول ما أصدره أمير المؤمنين من سجله ، ووقوع الإحاد لمسابقة السؤال بفضله . ويلي ذلك وصول كتابك على يد القاضي عمران بن الفضل ، ونجيب بن عفير ، ويوسف بن محمد ، وعنتر بن غنم ، العرب عن ديانتك التي تسفر إسفار الصباح ، وتقضى بمواجهتك في مساعيك انصر الله والفتح ، وانتدابك لما يرفع الله به راياتنا أهل بيت النبوة إلى منطقة الجوزاء ، ويسمع منتفقه سكان السماء ، ووقف عليه أمير المؤمنين وقوف ملتفت إليك بقلبه ، ملتف عليك بحبه ودعا بحسن التوفيق لك ربا يسمع دعاه ويحجب نداءه ، ودعا لولدك ومن في جلتك بالإسعاد والإرشاد ، والتوفيق لك بصلاح البدأ والمعاد ، وهو ولي الإجابة عنه . وأما ما أتهيته من ظهور

(م — ٢٠ — الصنجيون)

الفساد في الحرم المعظم والمقام المسكرم ، بالحلف والتحارب بين الفريقين والتنازع ، حتى صارت الدماء فيه تسفك ، وأستار قول الله تعالى : « أولم يروا أنا جعلنا حراماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم » تهتك ، إذ صارت الأرواح فيه تتخطف ، وعاصفات النهب والظلم تصف ، وما سألت فيه من إذن أمير المؤمنين أن تصالح فساده ، وتقوم متأده ، وتقيم للعدل عماده ، وتعلم طرقه للسفار ، وتطهرها من دنس الفسدين والزعار ، فقد عرف . وعزير على أمير المؤمنين ما يجرى في ذلك البلد الأيمن ، وهو منسك من مناسك الدين ، لاجرم أن الأرض راجفة كلها برجفانه وهو قلبها ، ومتألمة بألمه وهو صفوتها ولبها . وحقيق أن يقبض الله صلاحه — وهو خير لبقاع — على يدك . وأنت خير من لحفانه عين الإمامة بالأصطناع ، سوى أن أمير المؤمنين يشفق من وقوع جرح على جرح ، وقرح على قرح ، بتصدى قوم لقتلك ، إذا رأوك عابيه مطلا ، فيحدث حادث فساد ، قتالا وقتلا ، وما يؤثر أمير المؤمنين أن يوجد من ذلك منقال ذرة ، ولا أن ينال طالبيا خاصة وخز إبرة . وإن أمكنتك ذلك المكان ، بتأليف القلوب ، وتجنب سورة الحروب ، فوايرد ذلك على الأكباد ، إنه لآية المراد ، وغاية قصد القصاد . فتأمل أحسن الله توفيقك هذه الحالة تأملا شافيا ، واعمل فيها بما يكون ناشقة في ديك وبقيتك موافيا .

وأما ما أتهيته من حال رسل غرس الدين يوسف بن حسين الضمري ، وحصولهم عندك منذ سنة ، متوسلا بك إلى حضرة أمير المؤمنين ، باستخدامه في الدعوة الهادية ، آدمها الله في بلاده ، واعتماده في الاصطناع مكانسة وتلقيا وتشريفيا ، بما يكون مقيا لعباده ، فقد أجاب أمير المؤمنين سؤالك ، وحمد فيه أقوالك وأفعالك ، وبركانك في أفصى البلاد وأدانيها منتشرة ، ووجوه سعادتك ضاحكة مستبشرة ، وعناية أمير المؤمنين فيك بتواليها وتتابعها ببشرة بمشئة الله تعالى وعونه . أما إزعامك — قرن الله الحبر بعزمانك ، وبتاك النجح في نصرته — التوجه إلى حضرموت لتنج أغلقتها ، وتشر دعوتنا في آفاقها ، والله يمدك بانفوعة واردا وصادرا ، ويعمدك من سيب نصرته ما يكون لأعدائك قهرا . جنة . وأما تجديك السؤال في الإنعام بنا ، إذا قضيت من أمن الحرم الشريف وطرا ، وانفتح لك فيه بما يكون لغرس قديم عنايتك ثمرا ، فلا شيء أحب إلى أمير المؤمنين من أن يشجع إلى أولياته منلك نظرا ، لكن الشقة بعيدة ، ومتاعب ذنانها فيها شامة شديدة . وأمير المؤمنين يرجع ما يراه من الصلاح في مقامك ، على ما يهواه من قدومك وإبلامك ، إجمالا لنفسك أن تسكح وتتع ، واشفاقا على ما تحبته وراهك أن يضطرب ويذهب . وسوى هذا فأنت بين أن ترد في كثير لا تحبهم الضريق ، أو قل تمنعك عن التعرض للقر في إيمانك ببر الشفيق . والذي تأمل بلوغه برأى العين ، فإنك بالغه بحمد الله برؤية القلب ، ونائله من إمام زمانك على طهر العيب . فاحمد الله على ما قدره في ذلك لك من الخير وقضاه ، وقل : « رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي ، وأن أعمل صالحا ترضاه » . وأما تكرير سؤالك في معنى ولدك ، حفظه الله ، وأن تسدبه مسد أخيه ، رحمه الله ؛ فقد تقدم القول بأنه سابق فعل ذلك من أمير المؤمنين سؤالك ، وإنه كتب في الكتاب بما ينعم بالك ، وأصدر ذلك على أيدي رسلك مقرونا بالتشريف والتقليد له بالسجل الذي يرقبه إلى المحل الشامخ الشريف ، لتعلم أن اهتمام أمير المؤمنين بشأنك مثل اهتمامك ، واعتزازه على ما تنال به سعادة الدنيا والدين موف على طلبتك ومرامك . وإن أمير المؤمنين ، لمكانتك من نفسه ، ووقوع

ما يرفئك ويطلبك في أهم موقع منه وأسمه ، رأى تشريفك بالتمكينة في المكاتبه ، ناليا انعونتك
وأثابك الراتبه ، وأن يزيد في نعمت ولدك الأكبر شرف الأمراء عز الملك ، مقرونا بجلابس
تجدد ملابس الفخر ، وتشيد مناقب عزه باقي الدهر ، وفي نعمت أخيه الأصغر شرف الملك ،
وفي نعمت عقبتك الصالحة أم الأمراء المنتجين . والذي يعتقد أمير المؤمنين فيك فهو على
ما ظهر زائد ، وسائق إليك خير الدارين وفائد ، بمشيئة الله . فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين
ورسمه ، واعمل عليه بحكمه . وطالع حضرته بأنيابك ، وما ينشده من تلقائك . والسلام
عابك ورحمته وبركاته .

وكتب في شهر ربيع الأول من تسع وخمسين وأربع مئة .
والحمد لله وحده ، وصلواته على جدهنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى آله
الطاهرين الأئمة المهديين وسلامه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

وقال صاحب العيون :

فوصل إليه الرسل بهذا السجل وهو في قرية من فرى حراز ، تعرف ببيت جميع ، وذلك
في جمادى الآخرة من تسع وخمسين وأربع مئة ، وما زالوا معه حتى وصل صنعاء ، لست بقين من رجب
من هذه السنة .

ملحق رقم ٦

رسالة من مجموعة رسائل الشاعر المنشى . حسن بن علي القمى ، على لسان الملك
المكرم أحمد بن علي الصليحي ، وهي موجهة إلى الخليفة المستنصر الفاطمي

(رسائل القمى ٣٦ - ٧٢)

بسم الله الرحمن الرحيم . سلام الله وصلواته ، وبركاته الطيبات وتحياته ، على ينبوع العلم
والحكمة ، وولى الإحسان والنعمة ، ووارث الأنبياء والأئمة . المقترض طاعتهم على الأمة ، باب
العصمة المقصود ، ومنهل الرحمة المورود ، ومطلب الفوز الموجود ، ومصدر الفصل والجود ،
وحل النجاة الممدود ، وسدر الهداية المحضود ، وبيتة الذي أوحى فيه إلى والد ومولود ، « وأن
طهر بيتي للطائفين والمعاكفين والركع السجود » . سماء الله الواكفة على العالمين ، وينها الباسطة
لبريته أجمعين ، وسلسبيله المعين ، لسان الصدق في الآخرين ، ووارث أصحاب اليمين ، الشرة المحبذة
من شجرة النبيلين . المكثي عنه بجنة عرصها السموات والأرض أعدت للمتقين ، مولانا
وسيدنا معد بن أبي تميم المستنصر بالله أمير المؤمنين . صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ،
معالم الإيمان . ومعادن البيان ، وسناهي البرهان . وأسباب الرضوان ، وأمناء الرحمن ، وقرناء
القرآن ، وسادة الأنفس والجنان ، وعلى آبائه الأكرمين الذين جعلهم لآفاق النبوة صوما مضيقا ،
ووهب لهم لسان صدق عليا ، وعناهم بجنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالنيب إنه كان وعده
مأثيا ، ما أورد غصن . [و] وكف من (١) .

والحمد لله القدير القديم ، الرحمن الرحيم . المنشى البديع ، انقوى الرفيع . الفرد الأحدث .
العزير الصمد ، الذي جل أن تدركه الظنون ، وعلا أن تبلغ أدنى صفاته الواصفون ، (٢)
بالإلهية نفسه وملائكته القربون . واحتج باستحالة ما ادعاه المشركون . بقوله
الذي عجز عن الإتيان بقتله القاتلون : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا فيحان الله رب
العرش عما يصفون » . فاصم كل جبار عنيد ، وقامع كل شيطان مريد . وبالغ كل ذي أيد شديد .
الذي (٣) لم يبتل أولياءه بما ابتلاههم تفتنا ولاهضا ، بل اختارا وإن كان قد أحاط بكل شيء
علما ، ووسع أعداء دينه أمانه وحماها : . ليحتملوا بلا استدراج حوبا وإثمًا ، كما قال جل جلاله
تباركت أسماؤه : « ولا يصيب الذين كفروا آثمًا على لهم خير لأنفسهم إنما على هم ليزدادوا إثمًا » .
وصلى الله على محمد نبيه سيد المرسلين . وخاتم النبيين ، ورسوله إلى الجن والإنس أجمعين ،
وشفيعة الشفيع يوم الدين . هادي المهتدين . ومرهدي المضلين ، الذي قرن بفرض طاعته (٥)
فرض حبه ، وحتم لأولياته الطيبين به ، وعفر له ماتقدم وما تأخر من ذنبه . وأنزل الفرقان

(١) في الأصل : وكف مرثيا . وأنها محرفة عما أثبتناه .

(٢) كلمة مكشوفة .

(٣) في الأصل : الذين .

(٤) في الأصل : وحدا . (٥) بضاعته في الأصل .

على قلبه ، وأسكن من اتبعه جنات عدن ، وجعله بيتاً أخص بأمنه ، وداعياً إلى الله ياذنه ، وأوجب ولاده على إنسه وجنه ، وعلى أخيه ووصيه على بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، وأسدد الدين وزيره وخليفته ، ووصيه [و] محي شريعته ، وأمينه وأمأمونه ، وصهره (١) وهارونه ، ابن عمه الذي [قام] في أمره ، ووزيره الذي شدبه عن أزره ، ثم الشريعة وشتمها . وعماد الإمامة وأسبها ، وذروة الملة ورأسها ، ساق شيعته من حوس عترته (٢) بكأسها ، « يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها » ، وعلى عرسه فاطمة الزهراء المتصلة بحر الوصائل . مقدر رحمة الله الذي يعقد به كل عاقل ، وسدة كل حاف (٣) وناعل ، والحجة التي أنبت سبع سنابل ، وعلى ابنها الحسن والحسين فلذتي كبد المصطفى ، وثمره شجرة طوبى . اللذين أوجب الله لها المودة في القرين ، وعلى الأئمة من ذرية الحسن النقولين إلى محل الرضوان ، والنازلين في غرف الجنان ، سدة التزييل وخزنة التأويل ، وسلام عليهم أجمعين إلى يوم الدين .

الصلوة ينأجى حضرة الإمامة ، وينتهي سدة الخلافة ، جعل الله عزها بأقبا على الأيام ، ومجدها غير منقطع الدوام ، علماً أنه يلبس بذلك شرف الدارين ، ويستولى به على الحسين . شأناً من مولاته برقا مضياً ، ومستظلاً من شعاب الإكرام ودقاروبيا ، ومتبوتاً من رتب الاختصاص مكاناً علياً ، ومعرضاً لمحنة من أدناه وقربه نجياً ، إنه قد كان قدم خدمة بطالم بها بآباء جزيرته ، وينهى أخبار دعوته وما جرى عليه أمرها من الفتن ودارت فيها من دوائر الخن التي ملأت (٤) قلوب أعداء الدين سرورا ، وازداد بها الكافر طغيانا وكفورا ، وأظهر كل منافق ما كان من غدر [ر] كما كنا مستورا ، « وقال الذين في قلوبهم مرض ما وعد الله ورسوله إلا غرورا » ، حين سطر الأجل الأوحى أبو الأمراء عمدة الخلافة شرف العالي تاج الدولة سيف الإمامة المظفر في الدين نظام المؤمنين ، كان قدس الله روحه ونور رضامولاه مضربحه ، إلى مكة حرسها الله فاصدا الحج [إلى] البيت (٥) الحرام ، راضيا بمشاعره العظام ، وتسهيل الحج لاطالى قصده في كل عام ، « ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام » ، وعمارة مدارس من آثاره ، وإبانة ما عفا من مناره ، وأمان فاصديه وزواره ، وإجراء مارقاً من أنهاره ، وحط المؤن عن سفاره ، ومواساة من قطن في قطن (٦) من مال مولاه ، الذي أكسبه إياه وأمانه ، بسعادة تولته وأثره ، طالبا بذلك رضاه ، وسالكا سبيل هداه . راغباً أن يتجر فيه بأربح التاجر ، ويجوز في الدنيا شكر الوارد الصادر ، ويستولى في الآخرة على الأجر الكامل الوافر ، ويكون من الداخلين بقوله سبحانه : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » . ونهوضه في يوم الاثنين السادس من ذي القعدة ، لا يتطلع علما ولا يجاوز جددا ، ولا يطوى بلدا ، ولا يجوب سهلا ولا جلدا ، ولا يقبض ولا يعد بدا ، إلا وعليه من خوف مولاه شعار لا ينزع ، وييده من طاعته حبل لا تنفيه الأيام ولا تقطع (٧) ، وأما (٨) من رضاه غصنا مورقا ، وشأناً من نواه نوى ممدقا ، ورأثا من رحمته روضا موتقا ، طامعا أن يكون من الذين استقاموا على الطريقة «أستقيت ماء غدقا» ، فنزل بقرية الصمد في منقطع السهل من تهامة على جناح الدعة ، وكنت السلامة ، يوم الخميس تاسمه . وكان قد ورد إليه قبل نهوضه من دار دعوته ومستقر حوزته (٩) أن جماعة من العبيد كانوا بمحاضرة زيد قد جانبوا

-
- (١) في الأصل : صهرته . (٢) بغير قطع في الأصل . (٣) في الأصل : حافل .
 (٤) في الأصل : ملبت . (٥) في الأصل : البيت . (٦) كذا في الأصل . ولعلها
 في قصده . (٧) في الأصل : تقطعه . (٨) في الأصل : والمأ . (٩) في الأصل : حوزتهم .

الائتلاف ، وتمرسوا للخلاف ، فأقاموا فيه عبدا من بقايا دعاة الدولة الطاغوتية ، وأسأهوا [إلى] السيوف المنتصرة . فأعطوا صفقة إيمانهم المباحة سرا ، وأضرموا سبية من أموالهم ومكرا ، ودسوا دسائس الفساد ، إلى من كان معهم بصنماء منهم من القواد ، والحرابة والأجناد، وحلوم على كاهل العناد ، فسادفوا منهم لين مقاد ، وسرعة اتياد . فلما تمت إليه نواى أخبارهم ، واتصلت به قبائح آثامهم ، أحسن الظن فيمن كان منهم بمحضرتة ، وبث منهم عبدا كان مختصا بمحضمتة ، للقبض على ابن نجاح وجماعته ، وكل من دخل بيئته ، فدخل العبد مدخلهم ، وصافقهم في الضلال وعاملهم ، فظهر لمن كان بزويد من المؤمنين ، وأوثقوه تقييدا (١) ، وحلوه إلى الصمد مصفودا ، فأمر الأجل قدس الله روحه بقتله ، وأحل له محل مثله ممن ساءت (٢) محافظته على عهده ، وقبحت آثاره في تقض عهده .

وسار من العمد يوم الخميس ونزل سررد يوم الجمعة العاشر من ذى القعدة ، ما معهم غيرهم إلا جماعة من بني عمه وذويه و[منه] (٣) الأمير الموفق رحمه الله برحمة ومواليه لثقتهم بهم أنهم أحب الناس لدولته ، وأرضيهم في بقاء دعوتهم (٤) ، وأشد هم ذبا عن مهجته ، لما قدم لهم من نعمته ، وطوقهم من إحسانه ومبرته . وقد كان قدم أمامه قبل نهضته طوائف شيعة وأنصار ملته ، وأبجاد أسرته ، وبني عمه وعشيرته ، الباذلين (٥) أنفسهم في محبته ، والمتمسكين (٦) بعهد أئمتهم ، من رجال الدهوة ذوى البأس والشدة ، والقتال والنجدة .

واختصر عبيده دونهم لصحبته . فكاهم قلبه بالفش مدغول ، وصدره بالفعل مذحول ، وزندولائه بالحسد والبغض مغلول ، يقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيتت طائفة منهم غير الذى تقول . فلما اتصل بالعبد ابن نجاح ، لابل الله رمسه ، ولارحم نفسه ، أن الله عز وجل قد أبان فضيحته ، وكشف سريرته ، عزم على الفرار ، وسار معارضا لبحر . خائفا أن تعفر به أطفار الدين ، وأن تنشب به آنياب المؤمنين ، فخرج مع من ألف إليه من عصابة القدر ، وأوباش الشر ، بعد أن عملوا على جماعة من المؤمنين بزويد حيلة ، فقتلوهم خدعة وغيلة . فلما اتصل بالأجل الأوحى فراره ، وارتعاجه من فراره ، أخرج له من كان بمحضرتة من عبيده ، وأعلمهم بمقصوده ، لحادوا عن طريق العبد عمدا ، وجازوا عن مواجهته قسدا . إذ كانت أمواتهم ماثلة [إلى] هواد ، جارية في القدر بحراه . فلما سار بإزاء سررد خرج لاستقباله ، وتخلف العبيد عن الخروج لقتاله . فوافوه عنها معرضا محبنا ، ولنازل القضاء متخوفا مترقا ، فثنوا عن الحرب هم ، وردوا إلى قصد سررد عزمه ، وأعلموه بإفراد الأجل الأوحى ، قدس الله أظيفه ، من أعوانه . واتحاده عن المؤمنين من إخوانه ، وأنها فرصة إن فاتته وقع في أضرار الندامة . وعدوهوا أسباب السلامة .

- (١) في الأصل : تقييد .
- (٢) في الأصل : ممن ساءت .
- (٣) مكشوفة في الأصل .
- (٤) في الأصل : دعوتهم .
- (٥) في الأصل : الباذلون .
- (٦) في الأصل : والمتمسكون .

فقدم على الإقدام ، وقادوه إلى الأتبار والاعتنام ، ووع [مدونه عند قن] (١) أهم وعدا جيلا ، وأوسعوه ترحيبا وتأهيبا ، وجاءوا به على ظهر النجم والتهور محمولا ، ليقتض الله أمرا كان مفعولا . فلما سبق الخبر إلى الأجل الأوحى بقى أن يصول بيد عز قوية ، أو يتحيز فينسب إلى الخوف من النبي ، فيسقط [إلى] الله عز وجل يده ، وسأله أن ينصره بنصر مولاه ويؤيده ماضيا على يقينه الذي اعتقده . نالوا قوله عز وجل : « أيها تكفونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » ، فبرز مجاهدا عن حرمة ودينه ، طالبا الرضاء من ربه ، مستشيرا بوفاء بيته عند قضاء محبه ، آخذا بقوله سبحانه : « فاستشروا بيكم الذي بايتم به » ، راجيا أن ينال بمجاهده أفضل ما ناله المجاهدون ، ويدرك يبذل روحه في طاعة وليه ما أحرکه الباذنون ، مقدما على بصيرته حيث يحجم المصلون ، ليقوز بالحياة الأبدية التي فاز بها الضعيفون ، ويسمى اليها الطالبون ، ووعدها بأولياء الله التتون ، إذ يقول تعالى : « ولا تحزن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين » . فاستشهد رحمة الله عليه ومن معه من المؤمنين ، فلما أخذ من الأرض مضجعه ، ونبأ قاترا بالرحمة مصرعه ، عاد الأمير الموفق رحمه الله تعالى ومن اتبعه ، ممن لم يرزق الشهادة معه ، إلى سردد لحاية والدته ، أمة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، الحرة الثقة الزكية الفاضلة السكاملة السالحة ، كافة المؤمنين ، الساعية في مصالح الدين ، أم الأمرأة المنتجين ، ومن معها من بنات عمها الصليحيات ، وقراباتها من المؤمنات ، فلتت بمجاهد فيهن ويمان ، ورحمى ويدافع ، إلى يوم الأربعاء الخامس عشر من ذي القعدة ، ثم قضى الله سبحانه باقتضاء المدة ، وحكمه بالشهادة بالفرج بعد الشدة ، فاستشهدوا أجمعين .

حيتخذ أسر الحريم ، وانهب المال الحميم ، وتزل البلاء العظيم ، وطارت طوائف الأخبار ، في جميع الأقطار ، ونمت نواى الأنباء ، إلى كافة الأحياء ، فثاروا مجلجين ، وقاموا متأنين ، وهاجوا متحزين ، وغرروا مستكبين ، يشنون نيران الفساد ، ويشيرون كوامن الأحقاد ، ويخفون أمن البلاد ، ويمدون أحناف العناد ، يرقون على أولياء الله ويرعدون ، ويقومون بالمناذرة ويقعدون ، ويبددون ما كانوا يخفون ويكتمون ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم واقه مته نوره ولو كره الكافرون . وخرج أمر الدعوة كله من اليمن خروبه وسهوله ، وأجلب الشيطان برحاله وخيوله ، وظنوا أن الأمر غائب لا أوبة لقفوله ، وأذن كل منافق ينقض عهده وينبذيله ، وكيف يكون للشركين عهد عند الله وعند رسوله ؟ ولم يبق غير التمسك ، وقد حصره العبد بمجموع كثيرة من العبيد والمشيئة (فيهم أخواه) لا يرحمهم الله ؟ وحصن مسور (وفيه عم الملوك) قد أحاطت الأعداء عليه ، وتجمعت الرعيان حوالبه ؟ وكحلان وهران وحوالبهما جمع كثير من الرعيان ، وهى غنس وزيد ويحصب ورعين (٢) ؛ وحصن مسار ، وهو مقل استطار من فجر الدعوة ، وانتشر فيه ضياء الدولة ، وقد مالت الأعداء إلى [حصره] (٣) ، واجتمعوا على اغتصابه وقصره . وبلغ الخلاف إلى مدينة صنعاء والملوك بها مقيم ، ولما يقضى الله سبحانه مستقلم مقيم : في عصابة قليلة المدد من خصماء المؤمنين ، وحنفاء الماهدين ، ينتهب على الدين ، وينذركم ما وعد الله به عباده الصابرين ، ويتلبهم بما تلبى به موالئهم الطيبين الصاهرين ، صلوات الله عليهم أجمعين ، ويتلو عليهم ما أنزل الله في كتابه المين : « أستم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

(١) الأصل ممزق في هذا الموضع .

(٢) في الأصل : ربعس . (٣) ناقصة في الأصل .

ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين». وجعل الملوك يذروهم شرقا وغربا، شأما ويمنا، والله تعالى يعطيه النصر على إغلاء الدين (١). ويبسط يده على المجاهدين، لما علم من نيته، وأضامه من سريره، في المضي على سنة والده في اتباع أمته، والذب عن دين وليه ودعوته. فأوقع في بلاد حضور وقعة، تولاهما الملوك سبأ بن أهد ابن الظفر الصليحي، سلم فيها منازعهم، والتزم الطاعة بها خا [ل]هم، واستقام حادهم، وفاء شاردم، وبيلاذ خولان أخرى ركب جوعهم فرقا، وملاّت أكبادهم فرقا، وبناحية كلان وهران أخرى تولاهما إسماعيل بن أبي يعفر، تولى الله رحته، وأناله برضا مولاه مفقرته. وبينما الملوك على مثل حاله من قلة الأنصار، وتبوء القرار، وانتظار الفرج واستبطائه، وارتقاب الموت واستنباؤه، إذ ورد إليه البشير بسلامة عامر بن سليمان الزواحى، ومدافع بن حسن الجنبي، وموسى بن أبي حذيفة الجنبي، ويوسف بن زائد السجاني، وجماعة من معه من المؤمنين، الذين كانوا متقدمين أمام الأجل الأوحى قدس الله روحه. وقد أوقصوا في طريقهم سبع عشرة وقعة، في كلهما عتقوا النصر، على من عاداهم والظفر، ببركة مولاهم، نخر الملوك به ساجدا، وشكروه ووليه صلوات الله عليه قائما وقاعدا، وأنتى عليه بادئا وعائدا، وقام في طاعة ولى أمره مجاهدا، وحمد من كان عنده من المؤمنين عنصرهم. وشكروا الله عز وجل على حسن عاقبة أمرهم إذ عاد لهم إخوانهم ونصرهم، وثبتهم على دينه ووقرهم، وشد أزرهم، وكانوا قليلا فكثروهم، وشكروه عز وجل إذ كف عنهم كربا، وجعل بلاده إلى مرضاته لهم سببا، وتبوأ من أخبارهم عجبا، وقالوا: «لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا».

فسير الملوك عامر بن سليمان الزواحى إلى بلادهم، فاستصلح بعضها مسلما، واقتر الباقين عسبا، وعاد ناجحا أماله، كاملا عماله. فحين أسفر تواترت الأخبار وتمت (٢)، وتواصلت عن صحة وتواترت وتناصرت أن رجلا يسمى حمزة بن هاشم ادعى النسب إلى ولد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام والإمامة على رأيه، ورأى من النصف إليه من الطعام، الذين يبيعوه على القيام، وتابوه على هدم شريعة الإسلام، واستحلال الحرام، وارتكاب الآثام، فقام تحليا بالوحيد، وهو معتقد للتعطيل ومدع للإمامة، وليس هو من أهل بيت الرسول. لما أراد الله به من حلول عذابه النوبيل، وزحف إلى مدينة صنعاء في خمس مئة فارس وخمسة عشر ألف رجل من همدان وغيرها من العربان حتى إذا كانوا بالموى (٣) في سواد المدينة. برز إليهم جند الله، وظهرت لهم أنصاره كالأسود الضاربة والذئاب العادية، وهم دون ثلثهم في العدة، وأكثر من ضعفهم في الناس والشدة. فما كان أسرع من ليج العين حتى ولوا مدبرين، وأنزل الله سكينته على المؤمنين. وعثر بعس الأولياء بالمدعى بما ليس له واحتازه وقتله ووفى به صنعاء، وقتل ولده، وتفرق عنه عدده. وأحل الله به ما أحل بسواه من المعتدين، الذين ادعوا مراتب الخلفاء المهتدين، وهو ما لم ينالوا من ميراث النبيين، وازداد المؤمنون بذلك يقينا وتصيرا، ونلت قلبهم فرحا وسرورا. «وكان يوما على الكافرين عسيرا»، وكانت أفئدة الضغاة له متوقفة، ونفوس الغواة لا يكون متطاعة، ولما يحدث متوفرة معتدة، وأعتاقهم إلى استسراهم ممتدة. فلما أحل به ما استوجبه، وأحاط به ما احتقه، أنجدع أنف الضلال وسكن شيطانه، وهدأ ضلال الباطل وخذت بترانه، وانقسم فقار البنى وانبت أقرانه، وانقطع (٤) شره ونفرت

(١) في الأصل: يمينا... من على إغلاء الدين. (٢) في الأصل: تمت.

(٣) في الأصل: النبوى. (٤) في الأصل: انقطعت.

أعوانه ، وثلت عروشه وانهدت أركانها .

وسير (١) الملوك حده أحمد بن المظفر الصليحي وعامر بن سليمان الزواحي إلى حصن سار ، فقلوا من فيه من الحصار ، وحلوا إليه عدد العاقل ، واستصلحوا من حوله من القبائل . وساروا على وجهتهم تلك إلى ناحية بكيل ، وكانت شوكتهم تلك على المناهضة جديدة ، ووصلتهم على المحاربة شديدة ، وشدتهم على الجلال عتيدة ، وآمالهم في الضلال بعيدة . فأوقعا بينهم وقعة اعتبر بها من شاههم من المخالفين ، وتكفل بسبها من كان بعيد الإنابة من العاندين . وانصل بابن عم الملوك في التمكن بأى هذه الوقائع المشهورة ، وعلاو رايات الصورة ، فقويت على قتال من تحت حصنه منه ، وأجعت لزلهم عزمته . فواقهم بنى أشرف (قرية من قرى المخلاف) ، وم في جموع كثيرة ، وكراديس خيل كبيرة ، وأعداد جمعة صغيرة ، من عبيد وفوارس وعشيرة ؛ فولوا عنه منهزمين ، واقتلوا خائبين ، بنصر الله عز وجل ووليه أمير المؤمنين . ونجا أخوا العبد اللعين ، واقتلوا مطرودين ، لا بلويان على أحد ولا بمرجان على حال ولا مال (٢) وقد عاد عزيزهم بقدرة الله ذليلاً ، وكثيرهم (٣) بنصر العزيز قليلاً ، وجمعهم بعد القوة مهزوما مغلولاً ، وأتينا تقفوا أخذوا وقتلوا وقتلوا . واتصل بالملوك بالؤمنين نأ هذا الفتح العظيم الذى يضع ركن الشرك وهدمه ، وأعز دين الحق وأذل ضده ، فأكبر المؤمنون شكراً لله سبحانه وحده ، وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده .

فجد غزم الملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة وليه صلوات الله عليه على المسير للعبيد إلى مدينة زيد ، حين علم أنه قد أصلح صنعاء وحاط أكنافها ، وحصن من الصاد مخلافها ، وهذب أشياحها وأطرافها ، وأزم الطاعة من ارتكب خلافها . وافق عند سيره وصول عمر [إن] بن الفضل الياي وحسين بن عمرو السنجاني ونصور بن محمد (٤) الياي بمجماعة كثيرة من العرب استصرخوا بهم للملوك . فسار منها يوم الجمعة التاسع عشر من شهر صفر سنة ستين وأربع مئة ، وسار معه المؤمنون أجمعون غير من استخلفه (٥) على صنعاء مع (إسماعيل بن أبي يعفر) (٦) ر٤٣٣ لله تعالى . فورد مدينة زيد يوم الاثنين التاسع والعشرين منه . وقد سبق النذير إلى العبد ، وألقاه الملوك صافاً على باب الشارقي (٧) أحد أبواب المدينة ، قد تفتح الشيطان ريح الطغيان في أهله ، وأراه الحياة في حنقه ، قد عصت برأسه من الكبر تاجاً ، طن أن الله لا يستطيع له نزعاً ، وتجلب من الجحوت بثوب لا يروم له ، ما عاش ، خلفاً ، فقطع بالدارة لنفسه على الله قطماً ، ولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكبر جما ، فذلف (٨) إليه الملوك في جماعة من المؤمنين قاموا به أنصاراً ، واتخذوا الصر شطاراً . والله عز وجل جار التسكين بسبب الله الذى لا ينقطع من تمسك بسببه ، جائدين بأفسهم في ابتغاء رضاه وطلبه ، وخوف سخطه وغضبه ، حنفاء لله غير مشركين . فلما ترائى الجمعان ، وتنادى الفريقان ، ماجت الصفوف ، وسالت الزخوف ، ولعت السيوف ، وكفت الختوف ، وترزلت الأقدام ، وصالت الحمام ، وانعبر القمام ، وجنا القيام ، وتداعت الأبطال ، وتداخت الآجال ، وكثبت الرجال ، وانقطعت الآمال ، واجر الحلق ، وفانس العرق ، وشخصت الأبصار ، وألحت الشفار ، وطلبت الأوتار ، وقم النار ، وأعوز

(١) في الأصل : وميز (٢) الأصل مضطرب . (٣) في الأصل : كثير .

(٤) في الأصل : عمر . (٥) مكشوفة في الأصل . (٦) بن جعفر في الأصل .

(٧) في الأصل : الشارقي . (٨) في الأصل : فرأف .

انفرار ، فإملأنا بالرماح ، واصغرينا بالصباح ، وتجاوزنا بالأرواح ، وتدافنا بالراح ، ودعونا
 لتركنا ، فأترى الله سكينته على المؤمنين ، وأوقع الرعب في قلوب الكافرين ، وجعل كلمة
 الذين كفروا الخفى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم . « وطفت سيوف الحق تلتحمهم ،
 وأيدي المؤمنين يتسبهم ، فتركوهم بين ضريح يدمه ، وهو ليديه وهه ، وشارد لم يتجه سمي
 قدمه ، ونادم لم يتفتح شدمه ، وطريح قد أنقضته الرماح المعدية ، وجريح قد خذله [ال]سيوف
 المستنصر . « ومعنور تظليح ، ومضون جريح . فدعادوا فرصة لسكن وانب ، وأكلمة لسكن
 ناهب ، مصرعين مصارع أمثالهم الكافرين ، وواردين موارد أعمالهم خاسرين ، قد قطع
 الله أوصافهم ، وبث من جباهه (١) جباههم ، وسلط عليهم أولياه ليبيدهم بعدادهم ، وحل بهم
 نكالمهم « ذاك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم . « وفلت اللعين بمن معه
 وقد أذن الله قومه ، ورد كيدهم فدفعه ، وألبه الحزى والعار ومن اتبعه بشلوا مأكول ، وجسم
 مبدول ، وجمع مفول (٢) ، وعسكر مخنول . وكان سبب نجاته ، والموجب في ذلك لحياته ، أت
 المملوك جعل أكثر همته ، من كان في الدار من حرمة والدته ، أ [أ]مه . ولأن أمير المؤمنين صلوات الله عليه
 عبده ، فلم يتبع العبد أحدا ، ولا أزعج له ضررا . ولا أقام له في ذلك صدا ، فظلم المملوك
 إلى والدته ببركة مولانا أمير المؤمنين وسعادة دعوته ، ونصر رايته ، وإقبال دولته . وعاد المملوك
 شاكرا لله ولوليه ، صلوات الله عليه ، على ما أهده من النصر إليه ، وفتح له من الظفر على يديه ،
 حامدا له عز وجل على نصر أوليائه الأبرار . وقتل أعدائه الفجار ، « والله يؤيد بنصره من
 يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار . « وبرز المملوك من الدار بولادته والمؤمنات .
 لأنه قد كان أحرقها بالنار ، على جماعة من الكفار ، فأوا فيه إلى الحصار ، وغنم المملوك من
 الغنائم ما لا يمكن نعت ولا تأنر وصفه . وحل العبد لارحمه الله بدنو بمن بق معه من المدينة
 وبيعه ، ويرث بغير قوة بأس ويرعد ، ويقوه في غير عائدة ولا تأخير ويقعد ، يوم أنه اهزم عن
 المملوك قصدا ، وحاد عن أماله عمدا ، وأنه قد أحل المملوك بحيلته سجننا ، ويظهر أنه قد امتلأ
 بذلك فرحا وقد ملأه الله حزنا ، ويركب في الإحلاب سهلا وحزنا ، والمملوك يسمع جمعة
 ولا يرى ضحا . وأقام المملوك رسم الدعوة الهادية . عندية يزيد على العادة الخارية . وسار إلى
 العبد وهو على مسافة يوم والمساكر بالغنائم موقرة مثقاله . وشرقيهم بالأفقال والأدياء متغلطة
 متصلة ، حين دنامته المملوك راغ منه ينة . وقصد حيث هو فراغ يسيرة .

وورد إلى المملوك كتاب وهو في تلك الحال من مخالفة بضمناه ، يذكر أن إسحاق بن أبي يعفر
 رحمه الله رحمه . وولد أمير المؤمنين قد أشتى على ضربه . وأنس من سلامة روحه . وأن رجلا آخر
 ادعى النسب إلى وند الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام والإمامة على رأيه ورأى من التلف إليه
 ممن يعتقد اعتقاد أخشوية ويتحل تحلة الزيدية ، ويُدعى موالاة أهل البيت عليهم السلام وهو
 لهم حرب ، ويعتري إلى شيعتهم وهو عليهم ألب . اسمه فسم بن جعفر قد سم جموعا من
 أبياعه ودعائه ، واغتر بجم الله وأمانته ، وادعى مراتب كتيبه وأمانته ، والله أعلم [حيث يجمل
 رسالته . فبقي المملوك بعد خيرة الله تعالى وخيرة أبيه صلوات الله عليه أن يصرّف وجهه
 إلى أشدهما عادية . وأسرعهما بأديه . وترك نفرا قد أذن صلاحه إلى سر نخاف من افتتاحة .
 فصار إلى صنعا قصدا . وخالفه المد إلى زيد شاردا . فقدم المملوك صنعا أول يوم في شهر

(١) في الأصل : راية . (٢) في الأصل : مفول .

ربيع الآخر سنة ستين وأربع مئة ، فحين استقر بها توفي إسماعيل بن أبي يعفر ، رحمة الله عليه برحمة مولاة ، ورزقه برضا وليه رضاه ، وخلف الملوك بها عامر بن سليمان الزواحي ، وسار لقاسم بن جعفر الرسي ومن معه وهم بسيرة لايشعرون ، فدنا منهم والمؤمنون ، فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون ، فأقام الملوك بناحيته أياما يصلح منها ما أفسده ، ويجمع من سيل الطاعة ما بدده ، حتى استقام المائل ، وارتدع الجاهل ، وأطاع الخالع ، وسلم المانع . وعاد الملوك من هنالك إلى جبل حلمان ، وهو معقل للعرب قديم ، وحصن يلجأون إليه عظيم ، فوجد أهل المنرب حيا ممتصين فيه ، فلما لم يزلوا يصبون ، فحل الملوك لجوارهم ، وقصد إلى عقر دارهم ، فأوقع فيهم وقعة كانت قطعاً لأديبارهم ، وحسباً لأنارهم . وعاد الملوك إلى مدينة صنعاء ، وقد أكد الأعداء ، وسر الأوبياء ، وسكن الدماء ، وحقن سفك الدماء ، فأقام بها ونهض أول يوم من جمادى الآخر إلى بلاد عنس وزيد ويحصب ورعين ليصلحها إصلاحاً يأمن بعده الخلاف ، ويثقف أمرها تثقيفا يعد بعده الاختلاف ، فأقامهم بين متحصن في ذروة جبل صعب ، ومتوطن في واد ضيق المسلك أو شعب ، فأوتم فيهم وقعات عظيمة اشتدت بها التكاية فيهم ، وفاء من كان من أقاصيمهم إلى الطاعة وأدانيهم . وأسر الملوك التبعي والسخطي والكلالي والحوالي واستوتق منهم بالأمان المأجسة ، على الطاعة اللازمة ، وأقر من آمن بناحيته ، ولم يخش من نسكته ، وتابيعه على مثل حالته ، وهرب التبعي بعد عهوده وأذمته ، وإعطائه أ كيد صفقته ، فنجح بالعبد وشيعته ، وتقدم الملوك إلى مخاليف جند . فلقبه ابن عمه بالتعكر فقوى الملوك عضده ، وشديده ، وكثر عدده ، وأصلح له بلده . وعاد إلى صنعاء فدخلها في اليوم الخامس من شعبان ، والعبد في هذه الأشغال يستصرخ في السهول والجبال ، ويجمع حشود الحيل والرجال ، ويعد من معه من الأبطال والمخاض . فكان [في] يوم من هذه الأيام من أبي السعود بن أسعد بن شهاب الصليحي ، وهو ابن خال الملوك ، غارة على العبيد المخاضيل (١) ، فقتل منهم رجلاً ، وصرع منهم أبطالا . فلم ير الملوك بعد خيرة الله وخيرة وليه صلوات الله عليه إلا أنه جد عزمه ، وأجمع همه ، على قصد العبد المخذول حيث استقر ، وأتباعه والضلال من أشياعه أنبأ مروا ومر ، حين لم يبق وراء الملوك ثغر يثقيه ، ولأمر يخاف العاقبة فيه . فلما كان في يوم الخميس أول يوم من شهر رمضان ، نهض الملوك بأعين طائر رآه ، ونهس عند إطاعته مولاة ، وشمر تشمرا رجاء أن يقبله وليه منه ويرضاه ، ويرفقه به إلى رتبة من اختاره واصطفاه ، ويحبوه بأثرة ممن (٢) اختصه واجتباه ، فسار الملوك إلى زيد قاصدا العبيد . وقد سبق التذير إليه قبل نهوض الملوك بأن الملوك عازم عليه ، فخرج الاعمين من زيد بمن معه لصنعاء بزعمه ، وأخذ طريق الحبل مقرا بخيف وهمه ، قد غره التبعي بفروره ، ووعدته بمواعيد زوره ، وأن العرب كلها (٣) تقبل بالطاعة والنصرة إليه ، وتسير إلى صنعاء لديه . وصح عند الملوك ذلك وهو بقرب مدينة زيد ، فطوى المراحل ، وطبق المناهل ، سالكاً طريق الخلاف ، راكباً ظهر الإعناق والإيجاب ، يصل الأصيل بالفرج ، وينظم التهجير بالدهوب . لما أراد الله عز وجل ووليه صلوات الله عليه من لعنف الصنع لأولياته ، ومن الهلاك لأعدائه ، بطوى الأخبار دونهم طياء ، وبلوى أعتاق الأنبياء عنهم ليا ، حتى كان يوم السبت السابع عشر من شهر رمضان ، ووقع أول السكر المقصور على قلوبهم فقدموه واتهموه ، ومن وجدوا مع الأتقال من الرجال قتلوه وسلبوه . وجاء

(١) في الأصل: للعائذيل . (٢) في الأصل: من . (٣) في الأصل: كلما .

إلى العبد اللعين الخمر ، فظن أنه عسكر ابن عم الملوئ من التمكر ، فلم يئن إليه وجهه استقلالا ، ولا رد إليه عزمه استخفافا واستردالا . وتواترت الأخبار إلى الملوئ من عسير أصل أنه مضى هاربا بطريق (١) صيد ، غير الطريق إلى صنعاء ، يريد تهامة ، فأمر الملوئ عاصم ابن سليمان الزواحي وسبا بن أحمد الصليحي ومقدمات رجال الدعوة من جنب : عليهم مدافع ابن حسن الجنبي ، وسنحان وعليهم حسين بن عمر [و] السنحاني ، وحمر وهندان بالمسير إليه في ليلة السبت من طريق أخرى ايقضوا عليه . فلما أصبح الملوئ بكرة يوم الأحد إذا وهو في جماعة دون أثنى راجل أو يزيدون ووراءهم خمسمائة فارس بدودون ، ما يرى منهم غير العيون ، صفوفهم زاحفة ، وعتبانهم عاكفة ، والأرس بهم راجفة ، فجمع الملوئ من يق معه من المؤمنين وحرصهم على الجهاد ، وأمرهم بالصبر والجلاد وحرصهم على الاستظهار والاستعداد ، وأعلمهم أن الله سبحانه قد وفى لهم بالعاد ، وأوتق أعداءهم في موارد الهلاك والقتاد . « ولو نواعدم لاختلفتم في البعاد » حين بصروا بالملوئ زحفوا زحفة الجلاد ، وزأروا زئير الآساد . وجالوا على ظهور الحيات . فكاتوا أطوادا على أطواد ، فلم يكن إلا ربما دعى الملوئ باسم مولاة مستعينا مستنجدا ، متضرعا إلى وليه صلوات الله عليه مستصرا مستعدا ، حتى لحق أولنا بأخروهم ، فولوا شذر مفر (٢) عباديد ضير ، قد [ازدحت] بهم الشباب ، وامتلأت منهم الرحاب ، والتحصتهم سيوف الحق . واقتسمتهم أنصار الصدين ، ومثلت منهم بطون الأودية ، ومتون الأصفية ، وظهور الغارب ، ونجود المقارب . وتواترتهم أيدي الختوف بمواضى السيوف ، فمن هاو من قبة جبل وعر ، ومقتضى عليه من شدة دعر ، ومعلولوا على سخرة صباء ، برتكس في حرة رجلاء ، قد عادوا لسيوف جزرا ، ولأولياء الله عبرا ، دماؤهم جاريا ، وأجسادهم عارية ، وديارهم خاوية ، وأرواحهم في الحميم هاوية : فدأقوا عاقبة مكرهم وخاتمة غدرهم ، ذلك بما قدمت أيديهم ، « وأن [الله] ليس بظلام للعبيد » . وولى العبد اللعين يروم سلامة نفسه بسبعه . وما علم أنه مولى عليه بمجال بغيه ، يروم المجاعة والله طالبه ، ويحاول الفات والله غالبه ، قد أسلمه أعوانه ، وأزله شيعانه . وأحاذ به طغيانه ، وأوثقه بهتانه . فلما أدركته سيوف الدين ، وتناولته أيدي المؤمنين ، وأحاطت عليه محيطات ضلاله ، فأوقفته في مهاوى أعماله . استكان ضارعا ، واسترحم خاضعا . وجعل يعصم بعير عصمة . ويستندم ولات حين نمة . فوفاه الله ما اجره . ونفاد ما قدمه . ونشيتته المنية ، وحلت به (٣) وانقصت أنفاسه . وأحجر رأسه . وغاد قسما بين أقسام ثلاثة : حنة مائة للأبصار ، ورأس يضاف به في الأمصار . وروح تهوى به إلى النار ، عبرة لسامعين ، وآة للناظرين ، ونسكلا للعاملين . وخرا في القابرين . وفيل من معه من إخوانه أربعة . وأمر الملوئ بإشاعة هذه الأخبار ، وإداعة هذا اللب السار . في كافة المدن والأمصار . وجميع النواحي والأقطار . وغاد الملوئ من هالك إلى مدينة زبيد ، فدخلها يوم العيد . بعد أن أقام بها الدعوة الهادية ، على العادة الخارية . وسار يوم الثلاثاء راكب العيد إلى الشام ليستأصل شأفة من يق منهم ، فلم يزل ينمهم ويفزروهم ويفردهم ويتلوهم حتى أخرجهم إلى أقصى البلاد ، وأبعدهم عن مطافهم (٤) والبلاد . وشنت الله شعهم . وفرفق جمعهم . وغاد الملوئ فدخل زبيد يوم الجمعة الثالث عشر

(١) في الأصل : طريق .

(٢) في الأصل : حيدر .

(٣) في الأصل : طائف .

(٤) في الأصل : بهم .

من ذى النعمة وقد توطأت الأحوال ، وسكن الرال . ويرت عيون المؤمنين . وسعت عيون الملحدين ، فله الحمد أن صار (١) الدين إلى رب العالمين . ومن عجائب صنع الله سبحانه أن جمع من قتل من المؤمنين . واستشهد من أنصار الدين في هذه الوقائع أحد وثلاثون رجلا . منهم في وقعة زبيد ثلاثون . وفي وقعة الشمس التي قتل فيها الأحرار رجل واحد لا غير ، سعادة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وبين دعوته ، وعز دولته ، لازالت دائمة السعادة ، باقية الريادة . وقد كان ورد من الحضرة القدسية أدام الله جلالها . وحرس سعادها ، وكنت ضدها انشريف بالملطفات . عن يد الأمير حسام الدولة ناصر المستنصرى . بما شد أثره ووفاه .

وجدد عزمه في جهاده عن دين مولاد . وقرأه على المؤمنين أجمعين . وعلى والدته والسابعة في مصالح الدين ، فسنت بما فيه من المواظف النافعة السابعة ، والحكم الخلية البائنة ، وأحاب المؤمنون أمر مولاهم بالسمع والطاعة ، وبدلوا في نصره جهد الاستنضاع . وانلوك بشكر موصلها ، وحسن سعيه في أداء أمانته ، وحرسه في الخلوص برسائه . وعظايرته بهجته . بشق الأعداء شقا ، ونحوش المتالف غربا وشرها (٢) ، والله عز وجل يضي (٣) عليه بما أطاعه من بيته سترا ، ويجعل له من كل عسر يسرا ، حتى ورد عازاد القلوب مسرة ، وأهدى إلى الميون فرة ، والملوك يسأل من مولاه ولى النعم وممدن الكرم إمداده بدعائه ، المألوف من معروفه المعروف بأن نصره الله على أعدائه ، ويؤيده تحت ظل لوائه ، فبدعائه سلوات الله عليه كشف الكرب . وتسهيّل كل صعب ، ولوالديه وللمؤمنين والمؤمنات قلبه من مضى باللعف والرضوان ، ومن بق منهم بالسعادة في ظل دعوة الإيمان ، والنصر على أعداء الرحمن ، وأحزاب الشيطان ، لا أزال الله عن كافة الممالك ما مده عليهم من ظل مولاهم الظليل ، ولا سلبهم ما قسم لهم من فضله العامر الجليل . فنلوا علم الملوك تطلع الأولياء إلى ما يرد من جزيرته من الأنباء لاختصر ما شرحه وقبض ما بسطه . ورأى الحضرة . حرس الله عزها على الأيام ، وجعل علوها مقرونا بالدوام ، في تهيد عثر الملوك بصوبه وإمنايه . وسطه وإسهابه ، مزيد الطول . والملوك متطلع إلى ما يرد عليه من تشريفه بإعادة أجوبته . وإكمال سعادته بها ومسرته ، أيتها بجزية جلالها . ويجير أذيال حملها . وقد ورد المملكات إلى الملوك ، عن يدي أبى القاسم بن أبى النور وسجاح بن أبى العسكر . فتاله من الاعتبار بها والفرح بسببها ، ما جاوز صفته ، وتعدى تحديده ومعرفته . وجمع من قبله من المؤمنات إذا كان يستجد بها لقوة قلب وشهد . وكثرة عز وعدد . ولم يتحدث بعد ورودها أمر يجب المنانعة به فينيه . ولا خير يقضى تقديم الإنهاء فيه . وقد كان ورد مملوك مولانا صلوات الله عليه ، الأمير حسام الدولة ناصر المستنصرى .

التمن إلى الملوك وإلى الأجل الأوحدهدس الله أظينه ، موجد له خيرة شريفة لتربيته بالحرم النبوى . وخدمته بالموقف الأشرف الركنى . وصدرت على يده شفاعة مع مكاتبه . تقتضى السؤال له في الارتقاء إلى أشرف الرتب وأعلى المحال (٤) ، فتعرف لذلك السؤال بالنتيق والتأمر

(١) فى الأصل : أنصار .

(٢) فى الأصل : شرنا وغربا . والله . بل يقتضيه سياق السجع .

(٣) فى الأصل : يضى .

(٤) فى الأصل : لا حال

والتلقب ، والملوك بضرخ بنى ولى أمره فى أن يزداد مرتبة على ما تقدم من حاله ، وتميز على أمثاله وأشكاله ، ليكون سؤال الملوك تأثير ، كـ (١) سؤال الخلوك أبيه ، ونباهة تطهر لموضع نشغفه فيه ، ولول الأمر صلوات الله أسى (٢) الآراء وأمضاها ، وأعلى الأوامر وأقصاها . والملوك يرتقب الأجوبة العرفيقة عن يده بما ينتهى إليه ، ويستكمل السرور بالوقوف عليه ، وعن أبدى سفراته المقيم تحت ظل الحضرة الطاهرة . ضاعف الله أنوارها ، وأعلى منارها ، مقرونا بمراسمها العالية ، وأحكامها الماضية . لازالت الأيام جارية بأرسامها ، منصرفه على مقتضى أحكامها . والملوك ينهى أن رسل داعى الفتنة عنده مقيدون ، كانوا فى هذه الفتنة قد عادوا من بلدهم بالأجوبة عن التصريف الصادر إليهم من الحضرة ، قدسها الله ، عن يد الأجل الأوحد ، فأخذت الأجوبة والزكوات من أيديهم ، وكان مضمون الأجوبة السؤال فى الإذن بالقيام وإظهار الدعوة بالقهر ، وأما باللسان فقد سبق لهم الإذن . والملوك لرغبته فى انتشار أمر مولاه وعلو دعوتها يسأل تصريفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والإذن لهم فى القيام بإظهار الدعوة جهرا . والله سبحانه يؤيدهم بتأييد وليم وينصرهم على عدوهم .

والسلام على مولانا وسيدنا أحمد أبى تميم الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين ، عنيه وعلى آباءه الطيبين الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين المنتجين ، أفضل الصلاة والسلام .
صدر غرة دى الحجة سنة [إحدى و]ستين وأربعمائة . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد الذى وعلى مولانا على بن أبى طالب وليه ووصى نبيه ، وعلى الأئمة من ذريته الطاهرين ، وسلامه عليهم أجمعين . حينما الله ونعم الوكيل .

(١) فى الأصل : كان سؤال .

(٢) فى الأصل : استاء .

ملحق رقم ٧

سجل الخليفة المستنصر إلى الملك الكرم أحمد بن علي الصليحي
(عيون الأخبار ٧/١٥١ - ١٥٣) .

الظاهر أن هذا السجل يبشر بميلاد أبي القاسم أحمد « الخليفة المستعل » .
وذلك لأن تاريخ ميلاده أى سنة سبع وستين وأربع مئة يتفق مع التاريخ المعروف المجمع
عليه . وأما السجل رقم ٦ الذى ورد فى مجموعة السجلات المستنصرية فيختلف عن هذا
السجل فى محتوياته ، وفى اسم المرسل إليه ، وفى تاريخ ولادة المولود « أحمد أبى القاسم » .
ولا يبقى لنا بعد هذا السجل ، الوارد فى العيون ، إلا أن نتبر ما جاء فى السجل رقم ٦ من
اسم المولود خطأ من الناسخ . وقد يكون مولودا آخر غير المستعل ، أراد المستنصر فيه
إبلاغ خبر ميلاده إلى الملك على بن محمد الصليحي . ويؤيد ذلك ما ورد فى السجل رقم ٨
من شرى ميلاد المحسن أبى الفضل فى سنة ٥٨٠ هـ ، وفى السجل رقم ١١ (المصنوع به
الجزء الأخير) من خبر ولادة ابنه الحسن أبى محمد . لذلك يمكننا أن ننتبر هذا السجل
قد أرساه الخليفة أيرف إلى الملك الكرم بشرى ميلاد أحمد أبى القاسم (المستعل بالله)
فى سنة سبع وستين وأربع مئة — حسب الهداني] .

وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه معد المستنصر بالله أمير
المؤمنين إلى الملك الأجل الأواحد المنصور العادل المسكرم ممددة الخلافة تاج الدولة سيف الإمام
الظفر فى الدين نظام المؤمنين عماد الأمة وغياث الأمة شرف الإيمان مؤيد الإسلام سلطان أمير
المؤمنين وعميد جيوشه أبى الحسن أحمد بن الأجل الأواحد أمير الأمراء عمدة الخلافة أبى الحسن
على بن محمد الصليحي ، أدام الله ملكه وعلمه ، وكبت حسده وعدوه .

سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يعص على جده
محمد حاتم النبيين وسيد المرسلين ، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين .

أما بعد ، فالحمد لله موالى نعمه بمحضرة أمير المؤمنين وآلته ، ومظاهرها بالطاهرين
النجباء من أبنائه ، ومظهر دينه على الدين كله بتكبير عدد أوليائه ، الذين هم دعائم بيت النبوة
والرسالة ، ووسائل من ابتغى إلى ربه سبحانه بهم الرسالة . محمده أمير المؤمنين أن زين سماء
مجده بزهر النجوم ، فرجم بهما الشياطين كل الرجوم ، ويسأله أن يعص على جده المصطفى ،
الشجر الطيب الزكى الذى هم أغصانه ، والجبل الشامخ العلى الذين هم أركانه ، محمد الفاخر به كل
مفاخر ، والظاهر من نجس الشرك به كل مظاهر ، والظاهر منه بقائم النجاة كل ظافر ، وعلى

وصيه على بن أبي طالب ، انذى آتاه الله ما لم يؤت أحدًا من العالمين من فضله ، جعل ذرية الأنبياء من نسلهم وذرية محمد من نسله ، وعلى الأئمة من ذريته ينابيع العلوم والمعلوم ، وحلة سر الله المكتوم ، وتحقيق قوله سبحانه : « فلا أقسم بمواقم النجوم » .

وسجل أمير المؤمنين إليك : وقد وهب الله غلامًا زكيا شديده أزر الإمامة ، ودل على بناء كلته في عقبه إلى يوم القيامة ، مولودا أصبح بمولده كوكب الهدى ضيئا سفرا ، وعود المني مورقا مشرا . أكل الله بحلمه المعائم ، وجل بحلوه المواسم ، سماه أحمد ، وكناه أبا القاسم ، فالسرة به نعم الدنيا والدين ، وتحصن بحضرة أمير المؤمنين . والحمد لله الذى وهب له ذرية طيبة يطول لهم برأفته الأعمار ، ويمعلمهم لحرمه العمار ، ويقصم بيأسهم الفجار ، ليكونوا « كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه . يجب الزراع لينبسط بهم الكفار » .

وكانت ولادته في المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة في أسعد ساعة من ساعات الليل والنهار وأصحها ، ليسرى الخير بمساعدة الأقدار . وبمضاعفة العز والاعتدار . أمحك أمير المؤمنين بهذه البشرى تتأخذ بمحكك بها من السرور . وتواصل لله تعالى ذكره الشكر على ما جدد فيها من إحسانه الموفور . وأحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

ملحق رقم ٨

سجل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى السيدة الملكة الحرة الصليحية

عيون الأخبار ٧ / ١٩٢ - ١٩٣

عمارة / كاي ١٠٠ - ١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . من عبد الله ووليه الآمن ، المنصور ، أبي علي الأمر (١) بأحكام الله ، أمير المؤمنين ، إلى الحرة ، الملكة ، الطاهرة (٢) ، الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الإسلام ، خالصة الإمام (٣) ، ذخيرة الدين ، عمدة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، عصمة المترشدين ، واية أمير المؤمنين ، وكافة أولياتها المؤمنين (٤) ، أدام الله تمكينها ونصبتها ، وأحسن توفيقها وموئنتها . سلام عليك . فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله (٥) الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين (٦) وسلم تسليما .

أما بعد ، فإن نعم الله عند أمير المؤمنين لا تحصى بعد ، ولا تقف عند أمد (٧) ، ولا تنتهي إلى الإحاطة بها الظنون ، لكونها كالسحاب الذي كل ما انقضى منها سحاب أعقبه (٨) سحاب هتون . فهي كالثمس الساطعة الإشراق ، الدائمة الانتظام والاتساق ، والقبوت المتابعة الاتصال ، المتوالية في القدو والأصال ، ومن أشرفها (٩) لديه قدرا ، وأعظمها صيتا (١٠) ، وأسنائها جللا وفخرا ، الموهبة بما جرده الآن بأن رزقه مولودا ركيسا رضيا (١١) مرضيا برا تقيا . وذلك في الليلة المصححة بيوم الرابع (١٢) من شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وخمس مئة

- (١) في رواية عمارة (عم) : ووليه المنصور أبي علي الأمر .
- (٢) عم : الملكة السيدة الرضية الطاهرة .
- (٣) عم : خاصة الإمام .
- (٤) عم : أولياتها الميامين .
- (٥) عم : بحمد الله .
- (٦) عم : المهتدين .
- (٧) عم : لا تحصى لها بعد ، ولا تقف عند أمد ولا حد .
- (٨) عم : أعقبها .
- (٩) عم : من أشرفها .
- (١٠) عم : صيتا وذكرها .
- (١١) رضيا ناقص في عم .
- (١٢) عم : بيوم الأحد الرابع .

ارتاحت إلى طيب ذكره المنابر (١) ، وتطلعت إلى مواهبه آمال كل باد وحاضر ، فأضاعت بأنوار غرته (٢) وبهجته طلعة ظلم الدياجر ، واتطلعت به الدولة (٣) الزاهرة الفاطمية عقود الفضائل (٤) والمفاخر ، استخرجه من سلاله النبوة كما يستخرج النور من النور ، ومنع أمير المؤمنين منه ما (٥) قدح به (٦) زناد السرور . وسماه الطيب لطيب عصره ، وكناه أبا القاسم كنية جده نبي الهدى المستخرج جوهرة من جواهره . وأمير المؤمنين يشكر الله تعالى على [ما] (٧) من به من اطلاعه كوكبا منيرا في سماء دولته ، وشهابا مضيئا في فلك جلاله (٨) ورفعته ، شكرا يفضى باستدامة نعمته ، وإدراك سحاب طوله ورأفته ، ويسأله أن يلفه فيه كنه الآمال ، ويصل به حبل الإمامة ما اتصلت الأيام والليال (٩) ، ويجعله عصمة للمسترشدين ، وحجة على الجاحدين ، وغوثا للصطرخين (١٠) ، وغيثا (١١) للستجيين ، ووزرا للخائفين ، وسادة للعارفين ، لتلال الدنيا بسعاده أوفى حظوظها وقسمها ، وتصبح الأيام مفخرة عن ناجذ مبسها . ولسكانك من حضرة أمير المؤمنين المسكين ، وعملك عنده الذي ارتفع (١٢) عن المائل والقرين ، أشمرك هذه البشرية الجليل قدرها ، العظيم فخرها ، المنتشر سيتها وذكرها ، لتأخذى من السرة بها بأوفى نصيب ، وتذبيها فيمن قبلك من الأولياء المؤمنين (١٣) إذاعة يتساوى (١٤) بالمعرفة (١٥) بها كل بعيد منهم (١٦) وقريب ، ليتظم بها عقد السرور ، ويتضوع عرفها تضوع المسند للربط في البادين (١٧) والحضور . فاعلم هذا وأعلمى به إن شاء الله .

والسلام عليك ورحمة الله (١٨) . وكتب في اليوم المذكور (١٩) . والحمد لله وحده (٢٠) .
وصلى الله على جدنا محمد رسوله وآله الطاهرين وسلم تسليما . حسبا الله ونعم الوكيل (٢١) .

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------------|
| (١) عم : أسرة المنابر . | (٢) عم : عزته . |
| (٣) عم : لدولة . | (٤) عم : أمقاصل . |
| (٥) عم : بما . | (٦) به ناقص في عم . |
| (٧) كذا في عم . | (٨) عم : جلالته . |
| (٩) عم : لأبيته بآبائي . | (١٠) عم : غوثا للصطرخين . |
| (١١) عم : غوثا . | (١٢) عم : وعملك أئبى امتته . |
| (١٣) عم : من الأولياء والستجيين . | (١٤) كذا في عم . وفي الأصل : تساوى . |
| (١٥) عم : في المعرفة . | (١٦) عم : منها . |
| (١٧) في البادين : نازر في عم . | |
| (١٨) ناقصة في عم . | |
| (١٩) عم : كتب بتاريخ المذكور . | |
| (٢٠) ناقصة في عم . | |

(٢١) وفي عم : وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وعلى آله الأئمة الطاهرين وسلم وشرف وكرم إلى يوم الدين .

ملحق رقم ٩

نص وصية الملكة الحرة الصليحية أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم
(عيون الأخبار ٧/٢٠٩ - ٢٢٠)

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .
هذا ما أوصت به أمة الله تعالى وأمة أوليائه السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، وعهدت أنها
تحمد الله تعالى على آلائه المتواترة ونعمه الباطنة والظاهرة ، وتشهد أن لا إله إلا الله تعالى
مدع المبدعات وخالق الخلوفا ، جل وعلا أن تناله صفة أوتدركه معرفة ، وأن الخلائق في قبضته ،
والأشياء صانعة عن أمره وإرادته ، لا معقب لحسبه ، ولا راد لأمره ، وأنه الصمد الذي
لا يجوز ، والحكم الذي لا يخيف ، والصادق الذي لا يخلف ، والغفور الذي لا يؤاخذ ، خالق
السماوات والأرضين ، وإله الأولين والآخرين ، ذو الأسماء الحسنى والصفات التامات صدقا
وعدلا ، وتشهد أن له ملائكة انتخبهم من برئته ، وانتخبهم لسفاره بينه وبين المصطفين من
أمته ، يسبحون الليل والنهار ولا يفترون ، ولا يذيقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين
أيديهم وما خلفهم ، ولا يشفقون إلا لمن ارتضى ، وهم من خشية مشفقون ، وتشهد أن الجنة حق ،
خلفها الله للمضيقين من برئته ، الخائفين من سطوته ، المؤمنين به المصدقين لوعده ، الوافين بهده ،
المتبعين لرساله ، العالمين بمتضمن آياته وكتبه ، وتشهد أن النار حق ، أعدها الله لمن جحد أنبياءه
وحال أوليائه ، وأنكر آياته وتعدى حدوده ، وأخذ في سبيله وتمادى في غيه ، وأسرف في أمره
وأصر على كبره ، وأدى معه سبحانه إليها آخر ، لا إله إلا هو ، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا ، وتشهد أن البعث حق وأن القيامة حق والحساب حق والصراف حق وأن الله
يبعث من في القبور ، ويحصل مافي الصدور ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه
ترجعون ، وتشهد أن من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ، وتشهد
أن الله أرسل الأنبياء وبث الرسل والأصفياء بكتب أنزلها وآيات فصلها رحمة لعباده وأما
لبلاده وإقامة للحجة وإيضاحا للمحجة ، لتلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا
حكيمًا ، جعلهم أسبابا للنجاة من الضلال ، وعزى وثيقة لمن تمسك بهم في البدأ والمآل ، لا تفرق
بين أحد من رساله وأنبيائه ، ولا تجحد واحدا من خلفائه وأوليائه ، وتشهد أن أشرف
الأنبياء عند الله قدرا وأعظمهم خطرا وأجلهم مكانا وأسنانهم شأنًا هو النبي العربي
المهاشمي الأجلعي والسيد الأوأم محمد بن عبد الله صلى الله وملائكته عليه وعلى آبائه الطاهرين
وأبنائه الأكرمين صلاة متصلة إلى يوم الدين ، وتشهد أن الله عز وجل اختصه بالاصطفاء
وخم به عفة الرسل والأنبياء ، بعثه إلى أمة قد غلب عليها الجبال ، واستولى عليها الضلال ،
واستحوذ عليها الهوى ، وغاب عنها الهدى ، فصعد بأمر الله جامدا ، ولام بصرة الحق
جامدا ، غطم الأوثان ، وأخذ بيوت النيران ، وأظهر أمر الله وهم كارهون ، وتشهد أن

أمر المؤمنين علياً بن أبي طالب صلوات الله عليه وصبه والمليفة من بعده، حبه عن أمر الله سبحانه يوم القدر، وأحله معه في ذلك المقام محل الظهير والوزير، وجعله لدينه قاضياً، وعلى أمته والياً، ففضى صلى الله عليه دينه، وأحسن في الأمة تديره، وحذا حذو رسول الله في سيرته، وقام مقامه في إحيائه سنته، وتشهد أن فاطمة البتول الزهراء، الإنسية المحجورة، خامسة أصحاب السكاء، والدوحة الماركة التي أصلها نابت وفرعها في السماء، لا يتجدد حقها إلا مارق، ولا ينكر شرفها إلا منافق، وتشهد أن ولدها الحسن بن علي مفترض الطاعة بالنس الخلى من جده وأبيه، وأنه مستودع مرتبة الحسين بن علي أخيه، وأن الحسين بن علي تلوه في حر الإمامة، وأن السكاة باقية في عقبه إلى يوم القيامة، وشهد أن الأئمة الطاهرين من ذرية الحسين بن علي قرناء القرآن وحجج الرحمن، وأنهم نجوم أهل الأرض والدين بهم يقتدون، وعلومهم الواضحة يهتدون، وأن الأول منهم يمس على الآخر، والماضي منهم بشر إلى العابر، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تعويلاً، وأن ذلك النص بتأييد الله وأمره لما سبق في سابق عمله اختياره وانتجابه واصطفاء وانتخابه، وأن أول الأئمة بعد الحسين بن علي صلوات الله عليه زين العابدين علي بن الحسين، ثم باقر علم الدين محمد ابن علي، ثم الصادق آدم بن جعفر بن محمد، ثم السكاة الباقية في عقبه إلى يوم الدين إسماعيل ابن جعفر، ثم ذو الشرف الأصيل الإمام الحق محمد بن إسماعيل، ثم الأئمة الثلاثة المستورون خوف أعداء الله الظالمين، ثم الإمام المهدي بالله، ثم الإمام القائم بأمر الله، ثم الإمام المصور بنصر الله، ثم الإمام المعز لدين الله، ثم الإمام العزيز بالله، ثم الإمام الحاكم بأمر الله، ثم الإمام الظاهر لإعزاز دين الله، ثم الإمام المنتصر بالله، ثم الإمام المستنصر بالله، ثم الإمام الأمر بأحكام الله، ثم الإمام الطيب أبو القاسم أمير المؤمنين نحل الإمام الأمر بأحكام الله أمير المؤمنين صاحب الله وبركته وحبابه وكراماته عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبائه الأكرمين .

على ذلك عاشت وعيه تعوب وعليه تمت وبه تلقى الله . وأوصت به من بعدها وتفقوى الله تبارك وتعالى وإيثار طاعته وما أوصى إبراهيم نبيه ويعقوب : « يا بني إن الله اصطفى لك الدين فلا تعوج إلا وأنت مسلمون » . وأوصت، متى حدث بها حدث أتوب، الذي جعله الله حتماً على عباده وسأوى بين القوى والضعيف والشعوب والشريف، عدلاً في قضيتيه، وغاداً لحكمته في برئته، أخرج عنهما من جميع تركيبها جميع الأشياء الملمة الموصوفة في هذا الكتاب، وهي الأشياء التي :

منها عصابة ذهب كبيرة مفصصة واسطتها بقوة حمره . وبينها من يمين ويسار درمان ، ويحياها يقوتان زرة وان ، ويلي هاتين درمان لطيفتان . ويلي هاتين نفا ياقوت أحمران ، وبينهما في العرفين أيضا درتان لطيفتان يتبع الجميع من ذلك خبطا لؤلؤ ، أحدهما لؤلؤه لؤلؤ لطيف عدده مائتا حبة واحدة ، والآخِر لؤلؤه لؤلؤ كبير عدده مائتا لؤلؤة ولؤلؤان ، وزن جميع ذلك سبعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب بيضاء . فيها مائة حبة لؤلؤ وست وستون حبة لؤلؤ مفصصة ، واسطتها لؤلؤة لطيفة . وبينها من يمين ويسار نفا أحمران ، ويلي هذين القصب نفاوس حمر وزرق وخضر ، وزن الجميع من ذلك ثلاثة وأربعون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا . نعمة بلؤلؤ . فيها واسطتها نفا نفاوت أزرق ، وعلامة نفاوس

عن يمنة ويساره ، حتى انتهى إلى فصين أخضرين في الطرفين ، عدد لؤلؤه مائة لؤلؤة واحدة
واتنتان وثلاثون لؤلؤة . وزن الجميع من ذلك تسعة وثلاثون مثقالا .

ومنها عصابة ذهب أيضا مفضصة بفصوص منجمة بلؤلؤ قد اتقطع من فصوصها فص ، عدد
لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة وست وعشرون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك ثمانية وثلاثون
مثقالا .

ومنها قبلة لؤلؤ ، عدد لؤلؤها مائة لؤلؤة واحدة ، ونعم عشرة لؤلؤة بفرائد ذهب ،
وزن الجميع منها أحد عشر مثقالا .

ومنها ست وتسعون درة ، من حلة ذلك عشرون درة غلامية ، وإحدى وتسعون فريدة
ذهب ، وزن الجميع من ذلك أربعة وثلاثون مثقالا .

ومنها ست عشرة ضبة بفرائد ذهب ، وخيوط ذهب عدد لؤلؤها مائتا لؤلؤة وثمان
وأربعون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك ثلاثة وثلاثون مثقالا ونصف مثقال .

ومنها اثنتان وعشرون لوح ذهب ولاجستان في الجميع من ذلك مائة حبة واحدة ،
وثمان وتسعون حبة لؤلؤ بفرائد ذهب ، وزن جميع ذلك خمسون مثقالا .

ومنها ثلاث وعشرون ضبة أيضا بفرائد ذهب مفكن بجزر أخضر ، عدد اللؤلؤ ثلاثمائة
وثمان وستون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها أربعة أزواج أفلال ذهب ولؤلؤ ثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن جميع ذلك عشرون
مثقالا ونصف مثقال .

ومنها تركيبتان لؤلؤ ، فيها ثمان حبات لؤلؤ ، في أحدهما حبة ياقوت حمراء وفي الآخر
حجر بلخض أحمر ، الوزن لجميع ذلك أربعة مثاقيل إلا ربع مثقال .

ومنها زوج مدارى ، فيه عشرة ألواح ذهب ، وهلال ذهب ، ورباعية ذهب ، ولؤلؤ
عدده ألفا لؤلؤة وتسعمائة لؤلؤة وثمان وثمانون لؤلؤة ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال
وواحد وتسعون مثقالا .

ومنها زوج شبارخ لؤلؤ أيضا ، فيه عشرة خيوط لؤلؤ ، وأربعة ألواح ذهب ،
وست رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب وثلاثة مناوط ، وزن جميع ذلك اثنتان وستون مثقالا
ونصف مثقال .

ومنها زوج شبارخ لؤلؤ أيضا ، عشرة خيوط ذهب مدار عليها لؤلؤ ، وعشرة مناوط ،
وعشرة ألواح ذهب ، في أطراف المناوط حبة ياقوت لطاف ما بين أزرق وأصفر ، وزن
جميع ذلك مائة مثقال واحدة ، وأحد عشر مثقالا .

ومنها زوج شبارخ أيضا ، فيه ثمانية خطوط لؤلؤ ، وعشر رباعيات ذهب ، وخرصا ذهب
فيهما خطا قطن مجدولان ، وزن جميع ذلك خمسة وأربعون مثقالا .

ومنها ذبابتان لؤلؤ ، فيهما اثنا عشر مناوطا ، وزن الجميع ثمانية وسبعون مثقالا ونصف .
ومنها جديلة فيها عقود ، الأول منها عقد واسطه ياقوتة صفراء ، ويلبسها فريديتا ذهب ،

وفيه أربع بيوت لؤلؤ في كل بيت سبعة خيوط ، وفي طرفيه ياقوتتان زرقاوان بفرايد ذهب ، والثاني خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والثالث عقد واسطته ياقوتة صفراء ويلبها من يمين ويسار زمردتان خضراوان وأربع فرايد ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت سبعة خيوط لؤلؤ ، والرابع خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء ، والخامس عقد واسطته ياقوتة صفراء ويلبها من يمين ويسار في الطرفين زمردتان خضراوان وفيه أربع بيوت في كل بيت تسعة خيوط لؤلؤ ، والسادس خرز لؤلؤ واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . والسابع عقد واسطته ياقوتة صفراء ، ويلبها من يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وفريديتا ذهب ، وفيه واسطة زمردة خضراء ، وفي جرابان الجديدة ثمان خيوط لؤلؤ ، في كل طرف أربع خيوط برابعيتها ، وزن الجميع من ذلك مائتا مثقال وخمسة وثلاثون مثقالا .

ومنها خمسة قاري لؤلؤ مضموم بمضها إلى بعض : الأول منها قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين من يمين ويسار ، ياقوتتان حراوان ، وفيه سبع وأربعون لؤلؤة . والثاني قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمر ، ويلبها من الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان ، وست فرايد ذهب ، وفيه ثلاث وخمسون لؤلؤة . والثالث قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين عن يمين وشمال حجرا بلخش أحمران ، فيه أربع وخمسون لؤلؤة . والرابع قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمر ، يلبيها من يمين ويسار ست فرايد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة ، والخامس قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ، ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار حجرا بلخش أحمران وست فرايد ذهب ، فيه خمس وخمسون لؤلؤة . وزن جميع ذلك سبعة عشر مثقالا .

ومنها ست قاري : الأول قري لؤلؤ واسطته ياقوتة حمر ، ويلبها عن يمينها ويسارها في الطرفين زمردتان خضراوان وست فرايد ذهب ، فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . والثاني قري لؤلؤ واسطته حجر بلخش أحمر ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان زرقاوان وست فرايد ذهب فيه ثلاث وثلاثون حبة لؤلؤ . والثالث قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان وسبع فرايد ذهب ، وثلاثون حبة لؤلؤ . والرابع قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار زمردتان خضراوان وست فرايد ذهب فيه اثنتان وثلاثون حبة لؤلؤ . الخامس قري لؤلؤ واسطته زمردة خضراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار حجر بلخش وثمانى فرايد ذهب فيه سبع وثلاثون حبة لؤلؤ . السادس قري لؤلؤ واسطته ياقوتة صفراء ويلبها في الطرفين عن يمين ويسار ياقوتتان صفراوان فيه خمسون حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ستة وعشرون مثقالا وربع .

ومنها تسعة قاري لؤلؤ أيضا : الأول واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب . الثاني واسطته ياقوتة زرقاء بفريدي ذهب . الثالث واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الرابع واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب . الخامس واسطته حجر بلخش بفريدي ذهب . السادس واسطته زمردة خضراء بفريدي ذهب . السابع واسطته حجر بلخش أحمر بفريدي ذهب . الثامن واسطته حجر خضراء بفريدي ذهب . التاسع واسطته حجر صفراء بفريدي ذهب . وزن الجميع تسع عشرة مثقالا .

ومنها لازما لؤلؤ ، في أحدها تسعة ألواح ذهب ، وفي الآخر سبعة ألواح ذهب وزنها اثنان وعشرون مثقالا .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية عشر لوح ذهب منظمة بلؤلؤ ، وزنه ستة عشر مثقالا .

ومنها دملجا لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها اثنان وخمسون مثقالا .

ومنها اثنا عشر سوار برأوس ذهب ، وزنها مائة مثقال واحدة وستة وخمسون مثقالا .

ومنها خلخال لؤلؤ برأسي ذهب ، وزنها ثمانية وتسعون مثقالا .

ومنها شبكة إريشم منظومة بلؤلؤ مكلفة بأهله ذهب . وزنها مائة مثقال واحدة وثلاثة مثاقيل .

ومنها لازم لؤلؤ ساذج فيه ياقوتة حمراء صغيرة ، وزنه ثلاثة عشر مثقالا إلا ربع مثقال .

ومنها لازم لؤلؤ أيضا فيه ثمانية ألواح ذهب ، وزنه خمسة مثاقيل .

ومنها شيالا لؤلؤ فيها أربع حدائل ذهب وجديلتا ذهب ، وزن الجميع أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها تاج ذهب مرصع بياقوت ملونة وحرر مختلفة ، وزنه مائة مثقال واحدة وثمانية مثاقيل .

ومنها تسعة أسورة ذهب مزروعة .

ومنها عشرة أسورة ذهب مفتولة ، وزنها مائتا مثقال واثنان وتسعة مثاقيل .

ومنها سوارا ذهب للظيفان مزروعان ، وزنها ثمانية عشر مثقالا ونصف وربع .

ومنها زوجا خوص ذهب ، وفرد سوار ذهب مفصص بصوص ملونة ، وزن الجميع ثلاثة وسبعون مثقالا .

ومنها خوصتا ذهب ، وزنها ثلاثون مثقالا .

ومنها دملجا ذهب ، وزنها مائتا مثقال .

ومنها أربع عشرة دقة ذهب : الأولى منها ثمانية بفراند ، الثانية مار ذهب ، الثالثة دقة ذهب مشبكة ، واسطتها ياقوتة حمراء بأربع فرائد ذهب ولؤلؤة فيها بينها ، الرابعة دقة ذهب سفرجلية ، الخامسة والسابعة دقتا ذهب متداخلتان ، السابعة دقة ذهب حكيمة بفراند ، الثامنة دقة ذهب ثاقيلة دقيقة ، التاسعة دقة ذهب حكيمة بفراند ، العاشرة دقة ذهب عمل الهند في طرفيها خمس عشرة حبة لؤلؤ ، الحادية عشرة دقة ذهب حكيمة بفراند ذهب أيضا ، الثانية عشرة دقة سفرجلية بفراند . الثالثة عشرة والرابعة عشرة دقتا ذهب أخريان . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وثمانون مثقالا .

ومنها ست عشرة دقة ذهب أيضا يضمها جربان (١) حرير ، في طرفي الجربان أربعة خيوط

(١) جربان القميص والدرع : جيبه ، وقد يقال بالضم ، وهو بالفارسية كربيان . وجربان

القميص ليقته فارسي مربع . وفي حديث قرة المزني : أبيت النبي (صلم) فأدخلت يدي في جربانه . الجربان بالضم هو جيب القميص (ل/جرب) .

لؤلؤ في طرف كل خيط رباعي ذهب . الأول من ذلك قرى لؤلؤ بواسطة ياقوتة صفراء وثمان فرائد ذهب وأربع يواقيت صفراء فيه أربع وعشرون حبة لؤلؤ ، وتلوه مار ذهب ، وتلوهما دقة حكيمة ذهب بفرائد ، وتلوهما دقة ذهب فاقلية بفرائد ، وتلوهما دقة ذهب فاقلية أيضا ، وتلوهما دقة ذهب مشبكة فيها ثمان عشرة حبة لؤلؤ واسطته ياقوت أحمر وأربع فرائد ذهب ، وتلوهما مار ذهب ، وتلوهما دقة ذهب فاقلية أيضا . وتلوهما دقة ذهب مشرة ، وتلوهما دقة ذهب حكيمة فيها واسطة بالوقوتة صفراء وإحدى عشرة حبة لؤلؤ ، وتلوهما دقة ذهب مداخلة عمل الهند وتلوهما أيضا دقة مداخلة عمل الهند ، وتلوهما دقة ذهب مشبكة بواسطة زمرد ، وتلوهما دقة ذهب فاقلية ، وتلوهما دقة ذهب ثمانية . وزن الجميع من ذلك مائة مثقال وثمانية وأربعون مثقالا باخريان .

ومنها ست دقق أيضا : الأولى منها دقة ذهب مشبكة واسطتها ياقوتة زرقاء ، وفيها عان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وثمان حبات لؤلؤ ، وتلوهما مار ذهب ، وتلوهما دقة ذهب فاقلية بفرائد ، وتلوهما دقة ذهب حكيمة بفرائد ، وتلوهما لازم ذهب فيه أحد عشر لوح ذهب في كل لوح حبة لؤلؤ . وزن الجميع من ذلك ثلاثة وخمسون مثقالا .

ومنها ثمان دقق صفار : الأولى منها دقة ذهب مشبكة بواسطة حجر بلخس حمره وثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب . والثانية دقة ذهب مشبكة بواسطة خضراء وثمان حبات لؤلؤ وأربع فرائد ذهب وفي الطرفين ثمان لآلي . والثالثة دقة ذهب حكيمة بفرائد . والرابعة دقة ذهب بفرائد ، والحامسة دقة ذهب مشبكة في الطرفين منها سبع حبات لؤلؤ . السادسة مار ذهب . السابعة دقة ذهب فاقلية في طرفيها حبات لؤلؤ . الثامنة مار ذهب . الوزن من ذلك تسعة عشر مثقالا .

ومنها ثلاثة لوازم ذهب دخينة . وزنها خمسة وثلثون مثقالا .

ومنها عشرة خواتم ذهب : منها أربع بفضوس ياقوت زرق ، ومنها اثنان بفضى ياقوت أحمرين إحداها مصراى ، ومنها اثنان بفضى ياقوت أصدر مصرايين ، ومنها اثنان إحداها بفضى ياقوت أسفر مربع ، والأخرى بفضى ياقوت أحمر مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بفضى ياقوت أحمر بهرمان ، والأخرى بفضى ياقوت أزرق مربع .

ومنها حلقتا ذهب إحداها بفضى عين المر مدور ، والأخرى بفضى أزرق .

ومنها ثلاث حلقات صفار : إحداها بفضى ياقوت أحمر لطيف ، والثانية بفضى ياقوت أزرق مربع ، والثالثة بفضى بقران .

ومنها خام عمل الهند بفضى ياقوت أحمر صغير ويطلق به فضوس ما بين صفار (١) ، وزن الجميع من ذلك مائة مثقال واحدة وخمسون مثقالا .

ومنها ثلاث خواتم ذهب أيضا : إحداها بفضى ياقوت مربع أصفر . والثانية بفضى أحمر

(١) كذا في الأصل ، وأصلها : ما بين صفار وكبار .

مرج . والثالثة بفس أخضر مرج . وزن الجميع من ذلك اثنان وعشرون مثقالا .
ومنها اثنان وعشرون رباعية ذهب ممرأة وخمسة مفايح ذهب لطف . وزن الجميع
أربعة وعشرون مثقالا .

ومنها خلفالا ذهب ، وزنها خمسمائة مثقال .

ومنها مار ذهب . وزنه ثلاثة عشر مثقالا .

ومنها فس ياقوت أصفر مصرائى ، وزنه ثلاثة مثاقيل وربع مثقال .

ومنها فس ياقوت أزرق مصرائى أيضا ، وزنه مثقال واحد وسدس وثلاث ثمن مثقال .

ومنها حبة ياقوت زرقاء مستديرة ، وزنها مثقالان وربع .

ومنها حبة ياقوت زرقاء علامة ، وزنها مثقال واحد وسدس مثقال .

ومنها حق صغير فسه فيه علامة شريفة .

ومنها عقد أيضا واسطه ياقوتة صفراء ، ويلبها من جنبها ياقوتتان زرقوان ست فرائد
ذهب ، وفيه أربع بيوت في كل بيت أربعة خيوط لؤلؤ عددا للؤلؤ مائة واحدة وثمان وعشرون
لؤلؤة ، وفي طرفيه خرزتان مرجان حراوان . وزن الجميع من ذلك تسعة وعشرون مثقالا
ونصف وربع .

* * *

ويقول صاحب الميرون (١٨/٧ — ٢٢٠) قلا عن مصدر معاصر لم يذكره :
أخرجت الحرة المسكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك الجن ،
عمدة الإسلام ، خالصة الإمام ، ذخيرة الدين ، محمدة المؤمنين ، عصمة المرشدين ، كهف
المتجيبين ، ولى أمير المؤمنين ، وكافله أوليائه اليامين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم
الصلحي ، مد الله في عمرها ، جميع هذه الأشياء المسماة الموصوفة في هذا الكتاب بعد عينها .
وقد عاينها شهود هذا الكتاب وقت وقوع هذه الشهادة ، عن الحرة المسكة السيدة الرضية
ولية أمير المؤمنين ، السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصلحي ، أنسأ الله في أجلها ، قربانا
تقربت به إلى ولي الله الإمام الطيب أبي القاسم أمير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آلبه
الطاهرين وأبناؤه الأكرمين ، لما أرجوه من ثواب الله ، وتأمله من رضوانه ، والزلفة لديه ، ولأن
تكون يوم الفرج الأكبر من الآمنين ، « يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم » .
وجعلت الحرة المسكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم ، أنسأ الله في أجلها ، ولى
وصيتها هذه ، والقائم بها والمفذه لها بعد عيبتها ، السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسين بن إبراهيم
ابن محمد الصلحي ، أدام الله عمره ، وأسندتها إليه ، وحملته في ذلك عهد الله سبحانه
وعهد رسوله وعهد وليه ، وقلدته فيها أمانة الله عز وجل ، التي عرضها على السموات
والأرض والجبال فأبين أن يحملنها ، أنه إذا حدث فيها حدث الموت واستأثر الله بها ونقلها
من محل الفناء إلى محل البقاء ، أن يتولى إمضاء هذه الوصية والإنفاذ بها بحجة رجل عدل من
المسلمين ثقة مأمون ، يوصلها بمحبتها على ما سمعت ونعتت ووزنت إلى باب ولي الله المذكور
صلوات الله عليه ، إلى من يخرج الأمر المصاع الإمامى أعلاه الله بقبض ذلك منه ، وبأخذ هذا
العدل المأمون بحملها إلى الباب الطاهر الإمامى صلوات الله عليه ، المحض الشريف الإمامى ، بوصول

جميع ذلك مما هو مذكور في هذا الكتاب، ويستمر الدعاء لها ، والترحم عليها . وقبل السلطان الأجل أحمد بن أبي الحسن بن إبراهيم بن محمد الصليحي أدام الله عزه ما أسند إليه في هذا الكتاب . وصار ذلك أمانة في رقبته ، وميثاقا في عنقه ، لا يفككه منه إلا الإقصاد بجميع ما ذكر في هذا الكتاب إلى باب ولي الله المذكور صلوات الله عليه .

وحرمت الحرة الملسكة السيدة ابنة أحمد بن محمد بن القاسم الصليحي ، طول الله في عمرها ، وصيتها هذه أن تغير عما ذكرته في كتابها هذا أو تبدل أو تنقص أو تحول عما شرطته في كتابها هذا ، بما حرم الله به صماء المسلمين وأمواهم وصدقاتهم ، وما حرم الله به الكعبة البيت الحرام . « فن بدله بعد ما سمعته فأنا أعلم على الذين يبدلونه إن الله سمع علم » . ومن سعى في إبطال هذه الوصية أو في شيء منها أو تأول في بعضها أو في شيء منها بما مضى علم أو لطيف مدخل أو حتى حيلة ، أو عمل في شيء منها بتبديل أو تحويل أو أشار إلى غفلة عنها أو نهاون في التوجيه بها ، « فقد باء بنفض من الله وماواه جهنم وبئس المصير » .

شهد على إقرار الملسكة الحرة .. بما في هذا الكتاب، على ما كتب فيه ونسب ، وعلى إزامها ذلك نفسها ، في صحة منها وجواز أمر ، جميع من حضرها من الشهود ، وذلك بعد أن قرئ عليها هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فأقرت بفهم ذلك جميعه ومعرفة ، وإتقانه ، وألزمت نفسها ما أقرت به من ذلك .

وقد عاين هذا الكتاب شهود في غرة رجب من سنة إحدى وثلاث وخمسمائة ، وهؤلاء الشهود هم : إسماعيل بن عبد الله بن عمرو الصحالي وكتب عنه بأمره ومخضره ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن محمد الهندي وكتب بخطه ، وسبا بن أحمد بن شهيد بن محمد وكتب بخطه ، وحاتم بن علي بن حاتم وكتب بخطه .

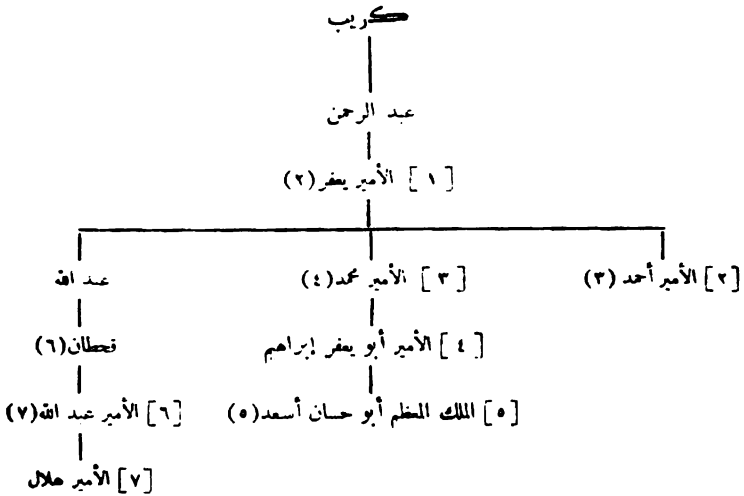
والحمد لله وحده ، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد نبيه ، وعلى أهل بيته الأئمة الصاهرين الهداة المهديين وسلم تسليما .

قسم الجداول



(جدول رقم ١)

آل يُعَيفِرِ الحِوَالِي الحِيرِي (١)



- (١) يعفر بضم الياء وكسر الفاء ، وفي غير حجر يعفر بفتح الياء وضم الفاء مثل يشكر ، كما رواه أبو محمد الهمداني في باب المشتبه من الإكليل ٦٠٧ و ٦٠٨ .
- (٢) أول من تولى الإمارة سنة ٢١٤ (! إكليل ج ١) .
- (٣) تنازل (نفسه) .
- (٤) قتل سنة ٢٧٠ (نفسه) .
- (٥) توفي سنة ٣٣٣ (نفسه) .
- (٦) تزوج بمادة بنت علي بن الفضل الجذقي الجيثاني .
- (٧) قام بالدعوة الفاطمية ، وغزا زيد سنة ٣٧٩ ، وتوفي سنة ٣٨٧ .

(ملحوظة) : هذا ما تحقق لدينا من نسب أمراء آل يعفر ، حينما اطلعنا على ما ورد في الجزء الثاني من الإكليل (تحقيق القاضي حسين السياغي) من أخبار دولة بني يعفر ، بعد أن قلنا كلام عمارة الحكمي في ص ٢٨ (هامش ٣) . والمتقدم هو رواية أبي محمد الهمداني .

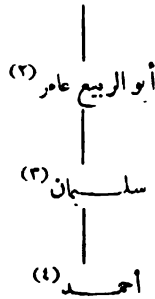




(جدول رقم ٣)

الزواحيون

الشيخ سليمان بن عبد الله بن عامر الزواحي الحيمري^(١)



-
- (١) القائم بالدعوة وهو الذي أقام على بن محمد الصليحي في الدعوة .
(٢) أحد قواد الصليحي والمكرم الكبار ، تزوج من الرراح أم السيدة الملكة الحرة أروى بنت أحمد (ت ٤٩٢) .
(٣) أخو الملكة أروى من جهة أمه ، وهو الذي أشار على السلطان سبأ أثناء النزاع بينه وبين الملكة بأن يلجأ إلى الخليفة المنتصر في مصر ، وأغلب الظن أنه قتل في موقعة تلا سنة ٥١١ .
(٤) هو زوج أم همدان بنت الملكة أروى من الملك المكرم ، وقد أنجب منها عبد المستمل .

(الصليحيون)



(جدول رقم ٤)

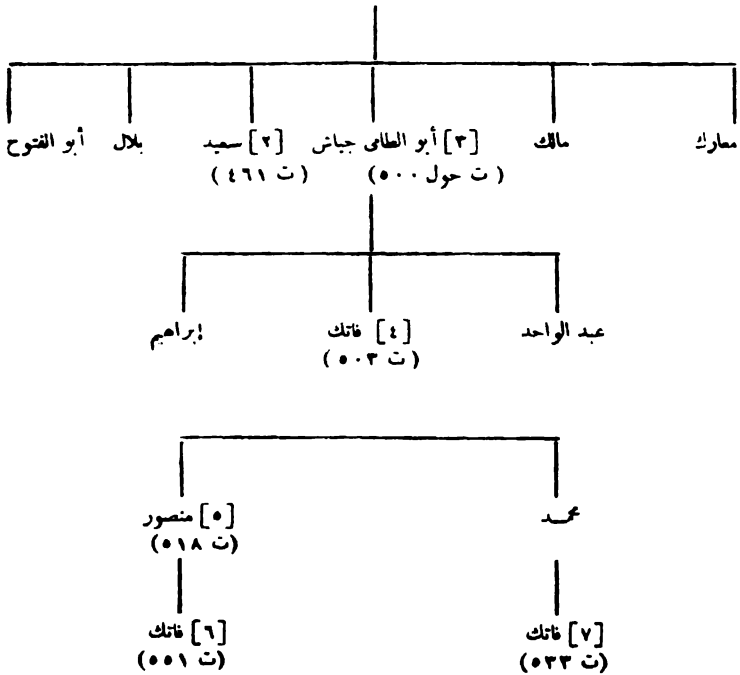
بنو نجاح العبيد

ملوك تهامة وزبيد

(أسس نجاح دولتهم سنة ٤١٢)

[١] نجاح

(ت ٤٥٢)



ملحوظة : وزير منصور [٥] بن فاك بن جيش أبامنصور من ائمة الفاتكي من مواليهم،
وقام من ائمة بالوزارة في عهد فاك [٦] بن منصور بن فاك، ثم قام زريق، ثم سرور الميقي .

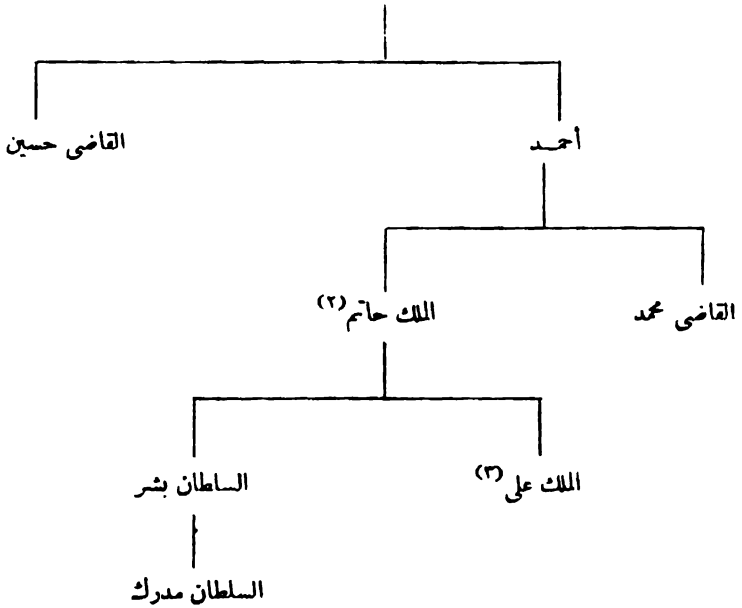
(الصليحيون)

(م — ٢٢ الصليحيون)

(جدول رقم ٥)

آل عمران اليايى الهمدانى

القاضى عمران بن الفضل اليايى الهمدانى^(١)



(١) قتل فى موقعة الكظام سنة ٤٧٩ .

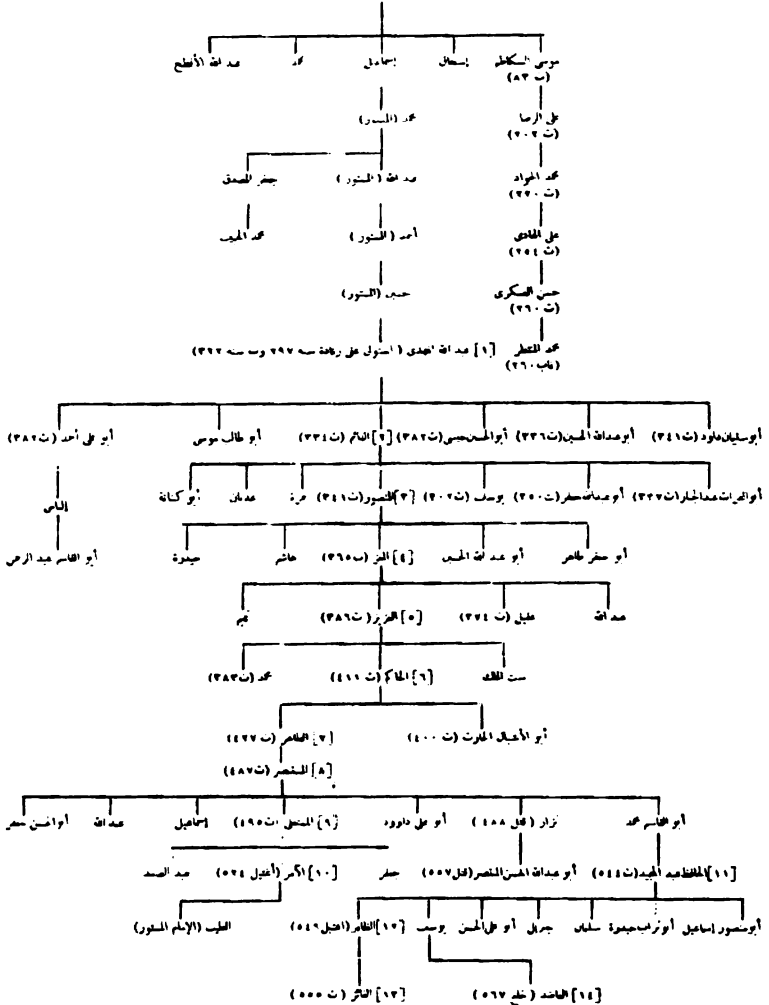
(٢) اختارته همدان بأمر صنعاء سنة ٥٣٣ .

(٣) أزاله عن ملكه طفتكين بن أيوب .



الفاطميون

جعفر الصادق (الإمام السادس)

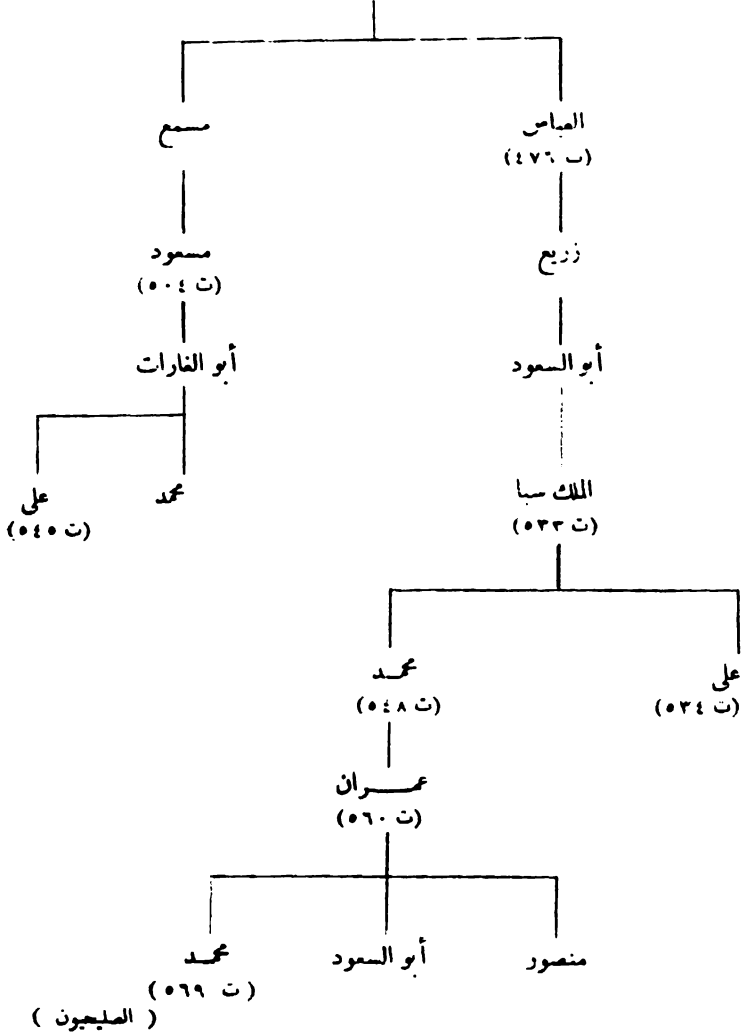




بنو الكرم

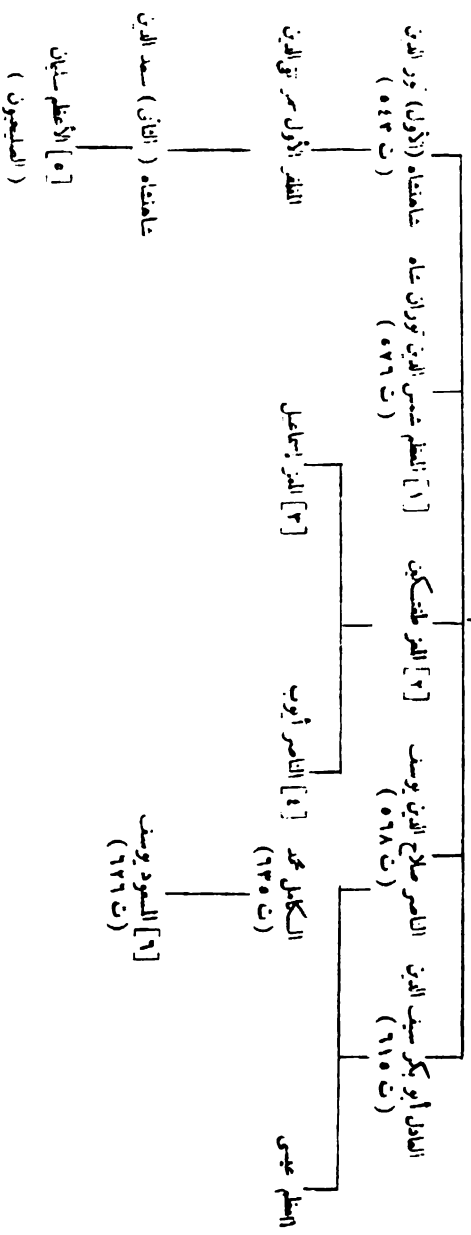
(آل زريع وآل مسعود) الياميون الممدانيون

الكرم





دولة بني أيوب باليمن
(٥٦٩ - ٩٢٦)
نجم الدين أبو التكر أيوب
(ت ٥٦٨)





قائمة المصادر



قائمة المصادر

(نورد في هذا التبت أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها واستقيننا معلوماتنا عنها في هذا البحث مرتبة حسب أحرف الهجاء بالنسبة للمؤلفين - المؤلفات) .

الأمر بأحكام الله الخليفة الفاطمي (ت ٥٢٤) :

الهداية الأخرية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحفو آصف فيض (يوماني ١٩٣٨) .

إبراهيم بن أبي فيس الحضرمي الإمام :

ديوان الإمام إبراهيم الحضرمي المسمى بالسيف النقاد . مخطوط بالمكتبة التيسورية بدار الكتب المصرية رقم ١٢٧٠ ومطبوع بمصر ١٣١٤ .

ابن الأثير ، علي بن أحمد بن أبي الكرم (ت ٦٣٠) :

الكامل في التاريخ ١٢ جزء (بولاق ١٢٩٠) .

أحمد بن زبي دحلان (ت ١٣٠٤) :

خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام . مخطوط بالمكتبة التيسورية بدار الكتب المصرية رقم ٥٨ .

إخوان الصفا :

رسائل إخوان الصفا في أربعة مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . وطبع في بمبئي والفاخرة .

الرسالة الجامعة . جزءان مخطوطان بالمكتبة المحمدية الهمدانية . الجزء الأول منها تحقيق جيل صليبا (دمشق ١٩٤٨) .

إبراهيم بن محمد الدين بن الحسن القرشي (ت ٥٧٢) :

عيون الأخبار . ٧ أجزاء في ٧ مجلدات . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية نزهة الأفيكار . جزءان في مجلدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

روضة الأخبار . مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Leyden) رقم ١٩٧٢ .
زهر المعاني . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الإدرسي ، الشريف محمد بن محمد الصقلي (ت ٥٦٠) :

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (روما ١٨٨٣) .

الأزدي بن ظافر ، جمال الدين أبي الحسن علي (ت ٦٢٣) :

أخبار الدول المقطعة . مخطوط . مدور عن المتحف البريطاني بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ تاريخ .

- إسماعيل بن عبد الرسول (القرن الحادى عشر) :
فهرست كتب الدعوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الأصفهاني ، أبو الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦) :
الأغاني . عشرون جزءا (بولاق ١٢٨٥) .
- الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن أبي الرجاء (ت ٥٩٧) :
خريدة القصر وجريدة العصر . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٢٥٥٥ : آداب .
- ابن ياس ، أبو البركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠) :
بدائع الزهور (بولاق ١٣١١ - ١٣١٤) .
- إيفانو ، فلاديمير (V. vanow) :
A Guide to Ismaili Literature (لندن ١٩٣٣) .
The Alleged Founder of Ismailism (بمباى ١٩٤٦) .
- بدر الجمال (ت ٤٨٧) :
- المجالس المنتصبة . المخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسن
(القاهرة بدون تاريخ) .
- أبو البركات بن بشر الحلبي (ت في عهد الخليفة الأمر الفاطمي) :
مجالس سيدنا أبي البركات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- اليفندادى . أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩) :
الفرق بين الفرق (القاهرة ١٩١٠) .
- بكتول (M. Pickthall) :
The Knights of Araby (لندن) .
- البيروني ، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت ٤٤٠) :
الآثار الباقية عن القرون الماثية (لندن ١٨٧٩) .
- الجرافي ، القاضي عبد الله بن عبد الكريم :
المقتطف في تاريخ التين (القاهرة) .
- جعفر الحاجب :
سيرة جعفر الحاجب . تحقيق إيفانو ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة
(القاهرة ١٩٣٦) .
- جعفر بن منصور المين (ت نحو القرن الرابع) :
الفرائض وحدود الدين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشواهد والبيانات . مخطوط بالمكتبة التيمورية بالقاهرة .
سراير النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أسرار النطقاء . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الركاة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية؟ ونشرها ستروطنان في بمباى .

- الكشف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المراتب والمحيط . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
العالم والنلام . مخطوط بالمكتبة المصمديّة الهمدانيّة .
رسالة في معنى الاسم الأعظم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الرضاع في الباطن . مخطوط بالمكتبة التيمورية (عقائد ١٨٤) .
الجندي ، أبو عبد الله بهاء الدين يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢) :
السلوك في طبقات العلماء والملوك . مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢)
الجودري ، أبو علي منصور المزبزي :
سيرة الأستاذ جودر ، وبه نوفحات الأئمة الفاطميين . تحقيق محمد كامل حسين
ومحمد عبد الهادي شميرة (القاهرة ١٩٥٤) .
حاجي خليفة ، مصنفني السمي بركات شمس (١٠٦٧) :
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون . النسخة العربية وترجمها إلى الألمانية
فلوجل (O. Flugel) (ليمسك ولندن ١٨٣٥ ، ١٨٥٨) .
المارثي ، محمد بن طاهر (ت ١٥٨٤) :
مجموع التربية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
الرسالة الخاتمة في الرد على بعض المارقين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
حدائق الألباب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
الحامدي ، إبراهيم بن الحسين (ت ٥٥٧) :
سكك الولد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
نسح وتسمون مسألة في الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية
الحامدي ، حاتم بن إبراهيم (ت ٥٩٦) :
تنبيه الدافلين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
جامع الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
حجة عشر مجلسا . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة التذكرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تحفة القلوب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مفاتيح الكنوز . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الشموس الظاهرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الحامدي ، علي بن حاتم بن إبراهيم (ت ٦٠٥) :
روضة الحكم الصافية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ابن حجر ، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢) :
الإصابة في تمييز الصحابة (مصر ١٩٠٧) .
رفع الإصر عن قضاة مصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ .

- المجربى ، الفاضى محمد بن أحمد :
خلاصة تاريخ اليمن قديما وحديثا (القاهرة ١٣٦٣) .
- ابن حزم ، أبو محمد على بن سعيد الأندلسى (ت ٤٥٦) :
جمهرة أنساب العرب . تحقيق ليني روفنسال (L. Provençal) (القاهرة ١٩٤٨) .
- حسن إبراهيم حسن :
الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة ١٩٣٢) .
عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية (القاهرة ١٩٤٩) .
- حسن سليمان محمود :
الصليبيون وعلاقتهم بمصر . رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٥٢ .
علاقات الفاطميين بالدول الإسلامية . رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٤٦ .
- الحسن بن نوح البهروجى (ت ٩٣٩) :
صكتاب الأزهار . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
الحامدى ، محمد بن مالك بن أبى الفضائل الهيماني (أواسط القرن الخامس) :
كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة (القاهرة ١٩٣٩) .
- ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠) :
المسالك والممالك (طبعة ليدن) .
- الخرزجى ، أبو الحسن على بن الحسن (ت ٨١٢) :
تاريخ الكفاية والإسلام فيمن ولى اليمن وسكنها من أهل الإسلام .
مخطوط بمكتبة جامعة ليدن (Warn Or 302 , Leyden 46 — 59) .
(Catalogus Codicum Arabicorum) .
المتود الأوثوية فى تاريخ الدولة الرسولية (القاهرة ١٩١١) .
- الحطاب بن الحسن المجبورى (ت ٥٢٣) :
غاية الواليد . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
رسالة النفس . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
منيرة البصائر . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
رسالة النعم . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
ديوان الحطاب . مخطوط بالمسكينة المحمدية الهمدانية .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨) :
العبر وديوان المبتدأ والخبر . (القاهرة ١٢٨٤) .
الدمر . مختصر كاي (H. C. Kay) (لندن ١٨٩٢) .

ابن خنكاسان ، شمس الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٨١) :
وفيات الأعيان ، جزءان (بولاق ١٢٩٩) .

دى خوييه (De Goeje) :

Memoires sur les Carmates du Bahrain et les Fatimites

(لايدن ١٨٨٦) .

بن السبيح ، وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني (ت ٩٥٤) :
قصة العميون في أخبار اليمن العميون . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٤ تاريخ .
بغية السفيدي في أخبار مدينة زيد . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥١٦ :
تاريخ .

ديبور (De Boer) :

Wigsbegeerte in den Islam (آمستردام ١٩٢١) .

الريزي ، أحمد بن حمدان الليثي الورستاني (ت ٣٢٣) :
كتاب الزينة في الأحرف ومعاتبها . مخطوط بالمشيخة الحمديّة الهمدانية . ونسخ
مصورة من مكاتب اليمن بدار الكتب المصرية .
أعلام النبوة . مخطوط بالمشيخة الحمديّة الهمدانية . نشر جزءه آمنه كراوس (Kraus)
في Raziana II Orient . V .

راشد الراوي :

حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين (القاهرة ١٩٤٦) .

رينو (Renaud) :

Les Fragments Arabe J. A. (1945)

زامبور (Zambour) :

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، جزءان . تعريب
زكي محمد حسن وزميله (القاهرة ١٩٥٢) .

زبارة ، محمد بن محمد بن يحيى الحسي الصنعاني :

إخفاف الهمدانيين بذكر الأئمة المهديين ، ومن قام باليمن البيوت من قراء
الكتب المين وأبناء سيد الأنبياء والمرسلين (صنعاء ١٣٤٣) .

سبط بن الجوزي ، شمس الدين أبو الطاهر بن قيرغل (ت ٦٥٤) :

مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . مخطوط مصور من الإستانة بدار الكتب المصرية
رقم ٥٥١ تاريخ .

سترومان (R. Strothmann) :

مقال في Miscellany نشرته جمعية البحوث الإسلامية ببومباي .
أربعة كتب إسماعيلية . تحقيق سترومان (غوتنغن ١٩٤٣) .

- الجبثاني (الجزى) ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (ت ٢٣١) :
النيايم . مخطوط بالمكتبة المهدمية المهدانية .
إثبات النبوة . مخطوط بالمكتبة المحمدية المهدانية .
الموازن . مخطوط بالمكتبة المحمدية المهدانية .
الافتخار . مخطوط بالمكتبة المحمدية المهدانية .
المقاليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية المهدانية .
سرور ، محمد جمال الدين :
التفوذ الفاطمي في جزيرة العرب (القاهرة ١٩٥٠) .
السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١) :
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (القاهرة ١٣٢٧) .
شرف علي بن ملاولى :
عيون المعارف ورياض لكل متبصر عارف (بومباى ١٢٩٧) .
الصيرفي ، أمين الدين تاج الرياسة أمى القاسم علي بن منجب (ت ٥٤٢) :
الإشارة إلى من نال الوزارة (القاهرة ١٩٢٤) .
ابن طباطبا ، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي (ت في القرن الثامن الهجرى) :
الفضى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية . تحقيق أهل ورد (Ahlwardt)
(غريغزولد ١٨٥٨) .
الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠) :
تاريخ الأمم والملوك . تحقيق دى خويه (De Goeje) (ليدن ١٨٧٦
— ١٩٠١) .
طه أحمد شرف :
دولة الزاوية أجداد أغا خان (القاهرة ١٩٥٠) .
الطياوى ، عبد اللطيف :
جامعة إخوان الصفا (بيروت ١٩٣٠ — ١٩٣١) .
عباس العقاد :
أبو الشهداء (القاهرة ١٩٥٤) .
ابن عبد الحكيم ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧) :
فتوح مصر والمغرب (ليدن ١٩٢٠) .
عبد الكريم خليفة :
إخوان الصفا (حلب ١٩٤٩) .
العرشى ، حسين بن أحمد الزيدى (القرن الرابع) :
بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملوك اليمن من ملك وإمام .
تحقيق الأب أنتاس الكرملى (مصر ١٩٣٩) .

عمارة ، نجم الدين بن محمد الحكيم البيهقي (ت ٥٦٩) :
تاريخ البيهقي . مختصر كاي (H. C. Kay) . (لندن ١٨٩٢)
النسك المصرية في أخبار الوزارة المصرية (نشالون باريس ١٨٩٩) .

عمر الدسوقي :

إخوان الصفا (القاهرة ١٩٤٧) .

عمر فروخ :

إخوان الصفا (بيروت ١٩٤٥) .

العمرى ، شهاب الدين بن أحمد بن فضل الله (ت ٧٤٩) :
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار . مخطوط مصور بدار الكتب المصرية
رقم ٢٥٦٨ .

العيني ، بدر الدين بن محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥) :
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان . مخطوط مصور من الأستانة (ولي الدين)
بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ .

غيب (Sir Hamilton Gibb) :

مقال معنون المستنصر بالله الفاطمي في El .

القاسي ، تقي الدين بن محمد بن أحمد بن علي (ت ٨٣٢) :
تحفة الكرام في أخبار البلد الحرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
١٦٤٦ تاريخ .

شفاء الغرام . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٤ .

القاهي ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق (القرن الثالث) :
النتقى في أخبار أم القرى . تحقيق وستنفلد (Wuestenfel) (ليك ١٨٥٩) .

فان آرندونك (C. Van Arendonk) :

De Opkomst van het Zaiditische Imamaat in Yemen

(لندن ١٩١٩) .

أبو القدا ، إسماعيل بن علي عماد الدين (ت ٧٣٢) :

المختصر في أخبار البشر (القسطنطينية ١٢٨٦) :

فيضي ، آصف :

مقال عن القاضي النعمان في IRAS (سنة ١٩٣٤) .

ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦) :

الإمامة والسياسة (القاهرة ١٣٢٠) .

القرشي ، علي بن محمد بن الوليد الأتقي (ت ٦١٢) :

ديوان سيدنا علي بن محمد بن الوليد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

دامع الباطل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

(م — ٢٣ — الصليحيون)

- مختصر الأصول . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تاج العقائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
مجالس النصح والبيان . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسالة الإيضاح والتبيين . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها
ستروطمان تحت عنوان أربع كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
رسالة تحفة المرئى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ونشرها ستروطمان
تحت عنوان أربعة كتب إسماعيلية (غوتن غن ١٩٤٣) .
لب المعارف . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
لباب الفوائد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الذخيرة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

القلقشندى ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١) :

سبح الأعتى فى صناعة الإنشا (القاهرة ١٩١٢ — ١٩١٧) .

القمى ، الحسين بن على (القرن السادس) :

- رسائل القمى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
ديوان شعر . صورة خطية من الصفحات المتزعة من ديوانه المحفوظة بالتحف
البريطانى رقم ٤٠٠٤

كاى (Henry Cassels Kay) :

Yemen, its Early Mediaeval History (لندن ١٨٩٢)

الكبسى ، محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى :

- الاطائف السنية فى أخبار المالك البينية . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم
٤١٦٣ تاريخ .

ابن كثير ، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤) :

الدية والنهاية (القاهرة ١٣٤٨) .

الكرمانى ، أحمد حميد الدين (ت فى القرن الخامس) :

- المصاييح . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الرياض . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الأقوال الذهبية . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تنبيه الهادى والمستهدى . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
راحة العقل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين
ومصطفى حلمى (القاهرة ١٩٥٢) .

كرنكو (F. Krenkow) :

الصليحيون . مقال فى E. I .

- الكندي ، أبو عمر محمد بن يوسف . (ت ٣٥٠) :
كتاب الولاية والفضائل ، تصحيح رومن ت. ج. غيس (Guézi) (بيروت ١٩٠٨)
لويس ، إيفانز (B. Lewis) :
The Origins of Ismailism (كيرج ١٩٤٠) .
لؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي (٤٧٧) :
سيرة المؤيد . مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية . ونشرها محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
المجالس المؤيدية . ثمان مجلدات . نسخ خطية بالكتابة المحمدية الهمدانية .
ديوان المؤيد . مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) .
الأدعية والخطب . مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية .
الأبدا والانباء . مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية .
نهج الهداية للمهتدي . مخطوط بالكتابة المحمدية الهمدانية .
البرد ، أبو العباس (ت ٢٨٥) :
الكامل . تحقيق راث (W. Wright) (ليسك ١٨٧٤) .
ابن الجاور ، جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠) :
كتاب المنبصر . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٠٧٧ تاريخ . وتحقيق لوفغرين
(O. Loefgren) (ليدن ١٩٥١ و ١٩٥٤) .
أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (ت ٨٧٤) :
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة (مصر ١٩٣٠ وما بعدها) .
محمد حسن :
قلب اليمن (بغداد ١٩٤٧) .
محمد كامل حسين :
فى أدب مصر الفاطمية (القاهرة ١٩٥٠) .
عمود قاسم :
فى النفس والقتل (القاهرة ١٩٥٤) .
بالحرمه ، أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (القرن الماشر) :
قلادة الحر فى وفيات أعيان الدهر . ثلاثة أجزاء . مخطوط بدار الكتب
المصرية رقم ١٦٧ تاريخ .
تاريخ نقر عدن . جزءان (ليدن ١٩٣١) .
المستنصر بالله (ت ٤٨٧) :
الجلات المستنصرية . مخطوط بمكتبة مدرسة اللغات الشرقية بلندن . ومقال حسين
الهمداني فى BSOS (١٩٣٤) . ونشرها عبد المنعم ماجد (القاهرة ١٩٥٤) .

المعوى ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٠٣) :
مروج الذهب ومعادن الجواهر (بولاق ١٢٨٣) .

المعهد الفرنسي العلمى بالقاهرة :

Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe الجزء السابع .

القنسى ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧) :

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم (ليدن ١٩٠٦) .

الفريرى ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥) :

انماط المنفا بأخبار الأئمة الفاطميين اخلفا . تحقيق جمال الدين انشبال (القاهرة ١٩٤٨) .

المواعظ والاعتبار فى ذكر الحطط والآثار (بولاق ١٢٧٠) .

اليان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب . تحقيق وستنفد (هونتس ١٨٧٤) .

النصورى ، ركن الدين يبرس الدوادارى المصرى (ت ٧٢٥) :

زبدة الفسكرة . المجلد الخامس المأخوذ بالفوتونات من مخطوطه محفوظه بالمكتبة

الأهلية بإيريس (رقم ١٥٧٢ عربى) موجود بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧ .

ابن ميسر ، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧) :

تاريخ مصر . طبعة هنرى ماسيه (Henry Massé) (القاهرة ١٩٤٩) .

ابن النديم ، محمد بن إسحق (ت نحو ٣٨٢) :

كتاب الفهرست . تحقيق فلوجل (Fluegel) (ليبسك ١٨٧١) .

نضوان الحميرى ، أبو سعيد بن سعيد (ت ٥٧٣) :

متخجات فى أخبار اليمن من كتاب تسمى العلوم ودواء كلام العرب من الكلام .

تصحيح عظيم الدين أحمد (ليدن ١٩١٦) .

المحور العين (القاهرة ١٩٤٨) .

القاضى النعمان بن محمد بن منصور التميمى القرينى (ت ٣٦٣) :

دعائم الإسلام ، فى جزءين . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية . ولتر

أصف فيضى الجزء الأول من الكتاب .

النيبوع . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

مختصر الآثار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الأخبار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الاقصار . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النتخبة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

افتتاح الدعوة الزاهرة وإبتداء الدولة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

شرح الأخبار . نسخ خطية بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

الهمة فى آداب الأئمة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق محمد كامل

حسين (القاهرة بدون تاريخ) .

مفاتيح السنة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
أساس التأويل . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
تأويل الدعائم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
التوحيد . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
المجالس والمايرات . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
اختلاف أصول المذاهب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
الناقب والتالب . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .

النويرى ، أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣) :
نهاية الأرب . طبعة دار الكتب (مصر ١٩٢٣ وما بعدها) .

النيسابورى ، أحمد بن إبراهيم (ت فى أوائل القرن الخامس) :
إثبات الإمامة . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
رسائل استار الإمام . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . نشرها إيوانو
(القاهرة ١٩٣٩) .

ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك الحنبلى المافرى (ت ٢١٨) :
سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثلاثة أجزاء . تحقيق وستفلد (غوتن غن
١٨٥٨ - ١٨٦٠) .

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت ٣٣٤) :
الإكليل فى أخبار النبي وأنساب حبه . الكتاب العاشر فى معارف همدان . تحقيق
عبد الدين الخطيب (القاهرة ١٣٦٨) .
صفحة جزيرة العرب . تحقيق هولر (D. H. Mueller) (لندن ١٨٩١)
المشبه فى كتاب الإكليل (Suedarabische Mushtabih) . تحقيق لوف
غرين (Leofgren) (أوبالا ١٩٥٣) .

الهمداني ، حسين بن فيض الله اليعربى :
بحث تاريخى فى رسائل إخوان الصفا (بمباى ١٩٣٥) .
مقال عن اللسكة أروى الصليحية فى JRCAS XVII (١٩٣١) .
مقال عن السجلات المنصرية فى BSOS VII (١٩٣٤) .
مقال عن النظام الفكرى الخاص بالدعوة الفاطمية فى IC (١٩٢٧) .
مقال عن مؤلفى الإسماعيلية JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن تاريخ الدعوة وآدابها فى أواخر عهد الفاطميين فى JRAS (١٩٣٣) .
مقال عن المؤيد فى الدين الشيرازى فى EI .
كتاب الرياض . مقال فى مؤتمر دائرة المعارف الثمانية بميدرا باد (١٣٥٨) .

الهمداني ، عباس بن حسين بن فيض الله اليعربى :
رسالة دكتوراه بجامعة لندن سنة ١٩٥١ The Sira of al-Muayyad
fid-din ash-Shirazi

- الوادمي ، الدؤيب بن موسى (ت ٥٣٦) :
رسالة النفس . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الوادمي ، علي بن حنظلة المحفوظي (ت ٦٢٦) :
القصيدة الموسومة بسط الحقائق . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية . تحقيق
عباس عزاوي ، نشرها المعهد الفرنسي دمشق سنة ١٩٥٣ .
رسالة ضياء العلوم . مخطوط بالمكتبة المحمدية الهمدانية .
- الواسمي ، عبد الواسع بن يحيى التيماني :
تاريخ اليمن (القاهرة ١٩٤٧) .
- يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد (ت ١١٠٠) :
أنباء الزمن في أخبار اليمن . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٤٧ .
أنباء الزمن (من سنة ٢٨٠ - ٣٢٢) . تحقيق محمد عبدالله ماضي (برلين ١٩٣٦) .
ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبي عبد الله (٦٢٦) :
معجم البلدان في أربعة أجزاء . تحقيق وستفالد (ليبك ١٨٦٦ - ١٨٩٩)
-

معه ونعم الوكيل نزل الداعي المكمل الاجل له ورجع من ورجع الامام وحده تعالى علي ما
 اتاح لوربين النظر الى ولده بقيامه في مقامه وانما اعز من الحزن علي ولده اعز
 كثيرا وكان يحمد وعلم انه بالكرمه قد استقام ما اناذ اوده وعوده الى صنعاً
 فدخنها وامر بتقليد ولده المكرم ففر علي من صنعاً في اليوم الثامن من جمادى
 الاولى من السنة المتقدم ذكرها وانقضى في اقطاب اليمن فضائل المكرم انت
 يطيب فترها ونجوا من الحرة التقية الزكية السيدة ابنت احمد بن محمد الصليحي
 ام اولاد المكرم ونزوح ابنه الموفق فاطمة بنت احمد بن المصطفى الصليحي وكان
 اذع ان يزوجها الامم وكان الداعي الاجل الامم قد اصد للفاخية عمراً
 بن الفضل وجماعته معه الى الحضرة المقدسة المستضوية بعد الذين
 بوفاء الاعز يستاذن في الحج وزيارة الحضرة المطهرة ويسألها راقية الامير
 عوضاً عن اخيره ويستود في ذلك امر ولي زمانه ليعمل بما امره في قضيه فلعب
 وزواج الاجل بحجاب هذه نسخته باسمه الرجم الحمد لله رب العالمين
 من صدامه ووليه بعد اتيه الامام المستنصر بائمه امير المؤمنين الامير
 الامير الامير الامير الخليفة شرف المعالي تاج الدولتين سيف الامام المظفر في
 الدين نظام المؤمنين ابو الحسن علي بن محمد الصليحي رضوه الله واظفروا من
 ومعرفة سلام عليك فان امير المؤمنين محمد الكلداني الذي لا اله الا هو
 ان يصلي علي جده محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلي آل الطاهرين
 المهديين وسلم تسليمًا بعد فالله المستودع جنات الفكر ودفن في
 واصعداه جامعاً لكونه وفاده سبيل المجلد في صولته ودار معاده محمد
 للمؤمنين انهم الامام في خير معاده ويسأل الله ان يصلي علي نوح عباده
 عفيف بلاده محمد جده المقلد من شرف النبوة اشرف بجاده المصطفى الهادي

علي مقتضى الحساسة والملوك ينبغي ان يرسلوا ابي
 لهذا عنده المنيون كانوا في هذه الفتنة قد عاد
 بن بلدهم بالاجوبة عن الشرف المصادر اليهم من
 الحضرة قدسها الله عن بد الاجل الا وحدها خذت
 اجوبه والركوات من ابيهم وكان مضمون الاجوبة
 لسؤال في الاذن بالقيام واظهار الدعوة بالقهر
 اما باللسان واما باللسان فقد سبق لهم الاذن
 الملوك لرغبتهم في انتشار امر مولاها وعلو دعوتهم بسال
 ينشرفهم بكتاب يتضمن ما طالع به والاذن لهم في القيا
 ظهار الدعوى جهرا والله سبحانه يؤيدهم بتأييدهم
 ينصرهم على عدوهم والسل افر على مولاها وسيدنا
 داي تيم الامام المستنصر بالله امير المؤمنين عليه وعلى
 نذ الطيبين الطاهرين وابانه الامامين المجيبين
 نفضل الصلوة والتسليم صدر غرة ذي الحجة سنة ستين
 بها امه الحمد لله وحده وصلواته وصلواته على سيدنا

محمد النبي و علي مولا نانا علي بن ابي طالب ووليه ووصي
 بنيه و علي الائمة من ذريته الطاهرين و سلامه
 عليهم اجعبن حسبا الله ونعم الوكيل

من شخصه و جدها بخط الزيف لما كلف المنصف خط سيدنا
 حسين بن ابي سير بن حسن بن عبدالله بن محمد بن جعفر
 بن حسين بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن جعفر بن الحسين
 بن يحيى بن ابراهيم بن ابي سلمة بن محمد بن
 ابراهيم بن احمد بن الوليد بن الحسن بن عمران بن عاصم
 بن ابي عاصم بن الوليد بن عتبة بن ابي ربيعة بن عبد
 بنس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مره بن كعب
 بن لؤي بن هاشم بن مكرم بن النضر بن كنانة بن

(سورة من مجموعة رسائل القمى المحفوظة بمكتبتنا الحمديّة الهدانية . انظر الملحق رقم ٦ من ٣١٨)



ضميمة

بينما نحن نقرب من الانتهاء من طبع الكتاب ، وصلتنا رسالة من ولدنا الدكتور عباس الحمداني تحوى تعليقات مفيدة . ونحن تقدم هذه التعليقات لأنها تفسر بعض الأحداث الواردة في هذا المؤلف تفسيراً يختلف اختلافاً أساسياً عن تفسيرنا إيها . وبعد وصول رسالته قررنا أن ننشر بإذن الله في الطبعة الثانية لهذا السفر نقد الناقدين وآراء الباحثين الحرة مهما اختلفت آراؤهم عن وجهة نظرنا ، فقد تكون الأخيرة مصيبة أو مخطئة ، لأننا نرى أن لا شئ أضرّ لآلهم من الجاملات . وأن النقد البنائى الحرّ مفيد للتقدم العلمى .

— المؤلف —

يقول في سبب امتناع المهدي عن السير إلى اليمن (ص ٣١ — ٤٩) :

« وفيما يختص بشورة فيروز أشهر أنها يجب أن تفرق بالحركة القرمطية ، ذلك لأن حليفه علي بن الفضل الجدني أعلن جهرة تأييده لأبي سعيد الجنابي عندما خالف منصور اليمن ، واستقل عن الدعوة . وإني أرى أن الخلاف القرمطى واليمنى للمهدى كان مبني على أسس نشرها فيما يلي :

« كان حسين الأهوازي داعى الدعوة للمهدى في سكتة ، فكان مسئولاً عن تعيين الدعوة في الكوفة والبحرين ، الذين ثاروا بعد ذلك ، وعرف حزبهم بالقرامطة ، وقد طالبوا المهدي بقيادة ثورة في الأباطورية العباسية ، ولكن عندما قرر المهدي الذهاب إلى اليمن ثاروا عليه .

« وعندما توفى حسين أصبح فيروز داعى الدعوة ، وكان من المعروف بين جميع الدعوة تحت زعامة فيروز أن الخلافة الفاطمية سيتم إنشاؤها في اليمن وتبقى

هذا الاعتقاد حتى وصل المهدي إلى مصر . ولما اتضح لفيروز أن المهدي قد غير رأيه ، وأنه سيتجه إلى المغرب ، سار فيروز إلى اليمن لينظم جبهة الدعوة ضد سياسة الإمام الجديدة ، لأن معظم الدعاة المرزبان العاملين كانوا قد اجتمعوا في ذلك الوقت باليمن . وقد تخلف ابن حوشب عن تنفيذ برنامج رياسة الدعوة ، وانضم إلى جانب المهدي . فقد اضطر فيروز وعلي بن الفضل إلى الانضمام نحو المعارضة ، وقد أمحدا مع القرامطة في السكوفة والبحرين على برنامج مشترك .

« ولم يكن سبب ثورتهم أن اتجه المهدي نحو المغرب ، ولكن على العكس من ذلك كان اتجاه الإمام المهدي نحو المغرب هو السبب في ثورتهم . ولم يكن هذا الحادث مسألة هيئته ، ولكن كان أمراه خطره ، وعليه اختلف المهدي وحماة الدعوة المحسبون أشد الخلاف . فقد كان المهدي يرغب في إنشاء خلافة وأمبراطورية ، بعيدة عن سلطان المباسيين . وكان يرغب بذلك رغبة شديدة في تأمين وتقوية مملكته الجديدة . وكان لا يفكر في إحداث أي تغيير اجتماعي ، وأن المجتمع سيبقى على حاله السائد تحت حكم المباسيين ، باختلاف وحيد ، هو أن الأمبراطورية الجديدة سيرأس عليها خليفة من الأسرة العلوية . وفي نظر المهدي كل ما في الأمر كان نزاعا على الأسرة التي ستحكم فقط .

« ولكن بالنسبة إلى هيئة الدعوة من جانب آخر كان النزاع على أساس المبادئ الاجتماعية . وقد بدأت الحركة الفاطمية تهدف إلى محاربة الظلم القائم تحت حكم المباسيين . ولم يكن الدعاة يميلون إلى القيام بتجارهم في أماكن متعددة ، ولم يكونوا يفكرون في الحرب ، بل كانوا يريدون البقاء حيث كانوا ، ليقوموا بما يرغبون فيه من تغييرات في النظم الاجتماعية تحت حكم المباسيين . وكانوا يريدون إقامة الخلافة الفاطمية مقام الخلافة المباسية — خلافة ودولة جديدة تقوم بهذا الإصلاح الاجتماعي .

« وحقا فإن القرامطة وبمقدم حزب فيروز كانوا يمثلون اتجاهات الحركة الفاطمية الأصلية ، وهي الاتجاهات التي رغب عنها الإمام ، وكان ابن حوشب وفيها للمهدي دون أن يرتكز على مبادئ اجتماعية . وكان أبو عبد الله الشيعي أيضا

وفيا لإمامه لفترة طويلة من الزمن حتى خاب ظنه ، فبعد أن قام المهدي بأمره في رقادة وسجل مائة اكتشاف أبو عبد الله ما اكتشفه الدعوة ، أمثال القرامطة وفيروز وعلي بن الفضل الحيرى منذ زمن بعيد . ولا شك أن أبا عبد الله كان مصادقا سليم النية (Naive) إلى حد ما .

« وإن أساطين الدعوة العلماء ، كالنفسى والسجستاني والرازي ، كانوا بعيدين عن المركز الرئيسى كل البعد لسكى يذكروا الناورات الخفية التي كانت تجرى في سلبية . وفوق ذلك كان هؤلاء العلماء مفكرين ونظريين ، لم يكونوا مطلعين على حقائق الحالة السياسية التي تنطوى عليها الدعوة . فقد بقوا وهم في عزلتهم أوفياء لإمامهم . أما أبو حاتم الرازي فقد كان محافظا ، وبقي كذلك حتى بعد حدوث الانقسام ووضوح الأمر ، واستمر في ولائه للإمام . وقد ظهرت في النفسى والسجستاني أمارات الاستقلال وعدم التحزب (non-conformism) التي ربما دفعتهما إلى معسكر القرامطة ، لو أن هؤلاء بقوا أوفياء ، ولم ينحطوا إلى أساليبهم الإرهابية ، وحافظوا على ثورتهم في أساليب سليمة معقولة . فالفكرون دائما يمتنون القتل ويشتمزون عنه ، ولذلك بقي كل من النفسى والسجستاني تجاه المهدي في ولائهما المقرون بالشك . ولا أفسد بهذا التقابل من القدرة الفكرية لهؤلاء الدعاة ، فقد كانوا عظاما في علومهم وكتاباتهم . »

* * *

وبين الغرض الحقيقى من زيارة قاضى قضاء اليمن لك الحادى للقاهرة (ص ١٧٥ - ١٧٧) قائلا :

« إن رواية الداهى حاتم بن إبراهيم الحامدى التي نقلها الداعى إدريس عن زيارة القاضى لك للقاهرة لانعطى صورة صحيحة عن دوافع هذه الزيارة . كلما حاولا إخفاءها بطريقة « التأويل والتفسير والباطن » - وهي تقديم القاضى لك سبعة وعشرين سؤالاً إلى الإمام المستنصر الذى خلع عليه سبعا وعشرين خلمة عند السؤال ، وردده تكريرا له بعد أن انتظر خمس سنوات - وضحت حقيقة هذه الدوافع ، وقعا لدلائل قرآن الأحوال .

« وإيفاد القاضى لك ربما أدى إلى عدة أمور نحو :

- ١ — أن الدعوة فى اليمن حتى هذا الوقت لم تكن مودونة ، ولكنها كانت موجهة من هيئة الدعوة المركزية بمصر . ومن ثم كان المحتمل أن يطالب الملك على بن محمد الصليحي أن تستمر الدعوة بعد وفاته فى أسرته . وكان من المرجح أنه ترك هذا الأمر للقاضى لك لتسوته مع الخليفة الفاطمى .
- ٢ — والأمر الثانى هو مسألة نقل التراث الأدبى ، كما ذكرتم فى مقالكم المعنون « تاريخ الدعوة وآدابها خلال المرحلة الأخيرة عن الخلافة الفاطمية » (JRAS, 1932) وفى مقالكم عن « مؤلفى الدعوة ومؤلفاتهم » (JRAS, 1933) .

٣ — والأمر الثالث كان مسألة تقرير تفاصيل انتشار تجارة الرور المتزايدة بين مصر والهند خلال اليمن .

٤ — والأمر الرابع أن تكون الاجراءات قد اتخذت فيما يختص بتعزيز الدعوة فى الهند ، وإرسال دعاة جدد إلى غجرات — الأمر الذى حدث سنة ٤٦٠ هـ بعد عودة القاضى لك إلى اليمن مباشرة .

« ولم تكن هذه هى الأسباب الرئيسية لسفارة القاضى لك إلى مصر ، ولكنها كانت على الأكثر مجرد نتائج ضمنية لمفاوضات أطيلت مدتها . والدافع الأسمى كما أعتقد هو رغبة الملك على بن محمد الصليحي فى الذهاب إلى مصر لينتقد الخليفة من مشاكلة . ولختبر التواريخ . . .

« بين عامى ٤٥٤ و ٤٥٩ وقعت مصر فريسة لأسوأ مجاعة وأشد وباء للطاعون وأقسى تخريب فى تاريخها . وقد أجمت مصادرنا على رسم صورة مخيفة لهذه الكارثة . وكانت الدولة الفاطمية على شفا الإفلاس ، ولم يكن ناصر الدولة فى حال أسوأ من أحواله هذه ؛ فقد جعل بإسرافه فى القتل والهب بقاء الدولة الفاطمية أمرا مستحيلا ، وأصبح من المتوقع أن ينتهى حكمها بين آونة وأخرى . « ومرة أخرى كانت السنوات بين عامى ٤٥٤ و ٤٥٩ هى نفسها التى أوفد

فيها القاضي لك . وكانت هي نفس سنوات المجد والقوة للدولة الصليجية في اليمن . وبينما كانت مصر في أشد حالات ضعفها في عام ٤٥٤ كانت اليمن في أوج عظمتها وجبروتها ، لأول مرة متحدة تحت حكم الصليحي . وبالتالي أكد خلال مدة هذا التناقض لم يكن هناك داع لزيارة قاضي قضاة اليمن للقاهرة إلا لأن يعرض مساعدة ملك اليمن الإمام الخليفة المستنصر ، بمعنى أن يطلب الإذن لماهله في القدوم إلى مصر بجيش اليمن ، لكي ينقذ البلاد المصرية من المتاعب والبقاء فيها كقوة عاملة نافذة .

« وعلى الأرجح نظرا للصلات الطيبة بين دعوة اليمن بالهيئة المركزية ، ونظرا لبقاء لك مع داعي الدعاء المؤيد ، كان الأمل كبيرا في أن يؤدي توسط المؤيد إلى تحقيق رغبات ملك اليمن ، ولكن يبدو أن الإمام المستنصر كان معارضا لهذا ، واستمر في تأجيل سفره .

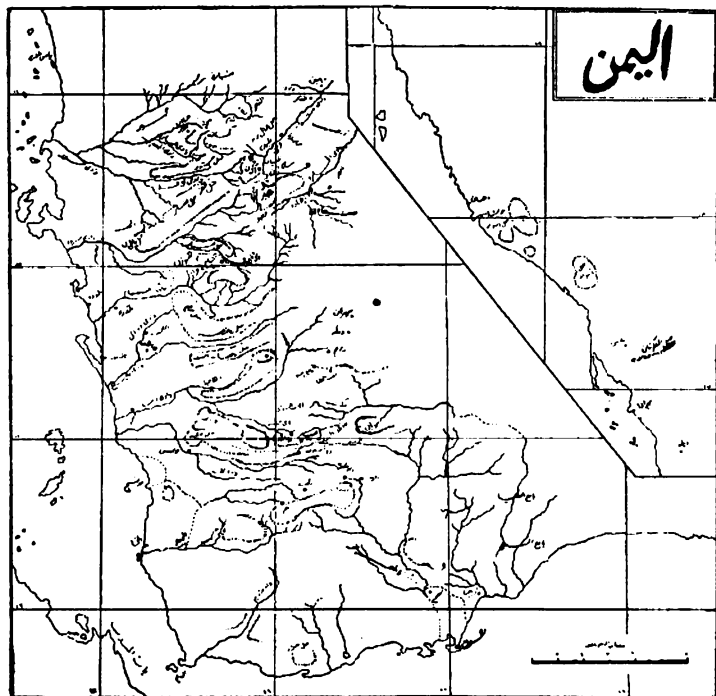
« ولكن الصليحي قد نفذ صبره ، ولكي يبرز ضعفه أرسل القاضي عمران ابن الفضل الياي وسفراء آخر إلى الإمام المستنصر يسأله الإذن له بأداء فريضة الحج ، وزيارة مصر بعد ذلك .

« وأصر أيضا على احتلال مكة . ولما كان الإمام على الأرجح قد اعتبر ذلك خطوة أولى إلى التقدم نحو مصر فقد أصر بدوره على رفض السماح له بالزيارة ، وطلب منه أن يوسع ملكه من ناحية حضرموت .

« ولكن الصليحي لم يستطع انتظارا . وفي سنة ٤٥٩ تقدم نحو مكة في طريقه إلى مصر ، دون أن يتلقى إذنا من إمامه ، وضد رغبة هذا الإمام ، ولكن لسوء الحظ قتل بأيدي آل نجاح أثناء رحلته . ولولا ذلك لوصل إلى القاهرة ، ولقام بما شاء القدر أن يقوم به بدر الجمالي بعد ذلك .

« وهكذا كان من الواجب أن تنتهي سفارة القاضي لك في سنة ٤٥٩ ، ولم يتحقق الغرض الرئيسي منها ، وعاد إلى اليمن بعد أن حقق الأغراض الفرعية لهذه الرحلة . »





[مرسوم تخريبي لبعض المناطق التي وردت أسماءها في الكتاب رحمه نليذنا الدكتور حسن سليمان محمود مدرس الجغرافيا
 واستمان و تقرير الأماكن بسمادة السيد علي المؤيد وزير اليمن السابق بالفاخرة - المؤلف]

الفهارس

رتبها الدكتور حسن سليمان محمود

(م — ٢٤ الصليحيون)



الأعلام

(١)

١٩١ ، ٣٠٩ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
 ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
 ٢٣٧ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
 ٣٠٥ ، ٣٠٨ ، ٣١٢ ، ٣١٩ ،
 أحمد بن علي القسائي الأسواني ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ .
 أحمد بن عمران بن الفضل اليابي ١٥٣ .
 أحمد بن الفضل ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .
 أحمد بن قاسم بن دلي ٣٦٨ .
 أحمد بن المبارك بن الوليد القرشي ٢٩٥ .
 أحمد بن محمد بن قاسم الصليحي ١٤٢ ، ٢١٩ .
 أحمد أبو القاسم بن المستنصر . أنظر السطلي
 أحمد بن الإمام عبدا لله المنصور بن حمزة
 ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
 أحمد المظفر الصليحي ٧٩ .
 أحمد بن منصور بن الفضل ٢٤١ .
 أحمد ، مولاى (باللم فات) ٢٢٥ .
 أحمد النيبابورى ٢٥٧ .
 أحمد بن يعقوب ٢٧٢ .
 إدريس عماد الدين ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١٤ ،
 ٣٤ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٢ ،
 ٥٤ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ،
 ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩٠ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
 ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٩ ،
 ١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
 ٢٥٣ ، ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ،
 ٢٩٨ ، ٣٥١ ، ٣٦٩

إبراهيم بن إسحاق الزبيدى ٣٨
 إبراهيم بن الأشتر ١٨ ، ٢٣ ،
 إبراهيم بن الحسين الحامدى ١٩٠ ، ٢٤٦ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ،
 ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
 إبراهيم الخليل ٣٢٤ .
 إبراهيم بن أبي سلمة ٢٨٣ .
 إبراهيم السباعى ٥٤ ، ٥٥ .
 إبراهيم بن أبي قيس الحضرمى الإمام ٩٧ ، ٣٥١ .
 إبراهيم بن محمد بن زبدان ١٦٥ .
 إبراهيم بن محمد الصليحي ١٠٠ ، ١٠١ .
 ابن الأثير ١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٣٩ ، ٤٥ ،
 ٩٠ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٣٥١ .
 الأجل الأوجد : انظر على بن محمد الصليحي .
 أحمد بن أحمد بن شهاب ١٠٠ .
 أحمد بن الحبير الهبرى ٢٧٤ .
 أحمد بن الحسن ٢٠١ .
 أحمد بن الحسين الصليحي ١٨٦ ، ٢٠٧ ، ٣٣٠ .
 أحمد بن سعيد الجزلى ٢٠٠ .
 أحمد بن سليمان الشريف ٢٣٨ .
 أحمد بن سلما بن عامر الزراعى ١٤٧ .
 أحمد بن شرح البغدادى ٢٥٦ .
 أحمد بن عبد الله بن خليع ٣٢ .
 أحمد بن علي التهاى ١٣٢ .
 أحمد بن علي الصليحي (المسكرم) ٦٦ ،
 ٨٨ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ،
 ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١٤١ ،
 ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١ ،
 ١٥٤ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٧٤ ،
 ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤١ ، ١٤٣ ،
١٤٧ ، ١٧٥ .

إسماعيل بن إبراهيم ٢٢٢ .

إسماعيل بن جعفر الصادق ٢٥٥ ، ٢٦٤ .

إسماعيل بن طنتكين ٢٨٤ .

إسماعيل بن عبد الرسول ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ،

٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ .

٢٩٧ ، ٣٥٢ .

إسماعيل بن عبادة بن عمر الصخالي ٣٣٠ .

إسماعيل أبو الفدا ١٨٥ .

إسماعيل بن أبي يعفر الصليحي ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ .

٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ .

الأشتر النخعي : اشتر مالك الأشتر وإبراهيم
الأشتر

الأصبهاني ٢٥ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٤٧ .

١٥٢ ، ١٩٥ .

آصف فيضى ٢٥٣ ، ٢٦٦ .

الاعز : اشتر محمد الأعز الصليحي .

الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي ١٦٣ .

١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٨ .

الأمري باقر بن المستملى ٢٠ ، ١٦٨ ، ١٧٠ .

١٧٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٦ .

١٨٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢١٨ ،

٢٣٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ .

٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٣٢١ .

٣٢٤ ، ٣٥١ .

إياد بن زرار ١٨ .

ابن إياد ٩٣ ، ٣٥٢ .

إيفانو ٢٥٣ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ .

٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٥٢ .

(ب)

بالم نات : اشتر أحمد مولاي .

بدر الجمالي ١٧٨ ، ٢١٧ ، ٢٣٠ ، ٢٦٦ ، ٣٥٢ .

٣٧١

أرسطاطاليس ٢٧٣ .

ألب أرسلان ٩٣ .

أوندونك ٤٢ .

أروى بنت أحمد، الملكة الخيرة ٢ ، ٢٢٩ ،

١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤١ -

١٩٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ،

٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ،

٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،

٢٢٢ ، ٢٢٧ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،

٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ،

٢٤٥ ، ٢٥٠ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ،

٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٩ ، ٢٩٧ ،

٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،

٣٣٠ .

أروى بنت علي بن عبد الله، الأميرة الصليحية

٢٠٩ ، ٢٤١ .

الأزدي بن ظافر ٦٧ ، ٣٥١ .

الأزهري ١٣٣ .

إسحاق بن إبراهيم أبو الحسين ٢٨ .

أسامة بن زيد ١٢١ .

إسحاق بن طريف ٣٤ .

إسحاق بن مرزوق ٢٠٠ .

أسعد بن شهاب ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٥ ،

٩٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣١ ،

١٣٢ ، ١٣٦ .

أسعد بن عبد الصمد بن محمد الموالي ١٧٣ .

أسعد بن عبد الله الصليحي ١١٩ ، ١٢٨ .

أسعد بن عراف ١٥١ .

أسعد بن أبي القنوج الحميري ١٦٧ ،

١٦٨ ، ١٧١ .

أسعد بن أبي يعفر الموالي ٣٧ ، ٤٧ .

إسكندر الأفروديسي ٢٦٩ .

أسماء بنت شهاب ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٥ ، ٨٧ ،

٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١١٣ ،

١١٦ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ،

الحسين بن سلامة ٦٢ ، ٦٣ .
الحسين بن علي بن أبي طالب ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٩ ، ٣١ ، ٧٧ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ،
٢٠٩ ، ٣٢٤ .
حسين بن فيض الله اليعربى الهمداني ٦٥٥ ،
١١ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ،
٢٨٠ ، ٢٩٢ .
الحسين بن علي التميمي ٦ ، ٨٦ ، ١٠٣ ،
١١٢ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ٣٠٨ ، ٣٥٧ .
الحسين بن عمران بن الفضل البالي ١٥٣ ،
٢٠٨ .
الحسين بن عمران السنجاني ١٢٠ ، ١٢٣ .
الحسين بن القاسم ١٢٧ .
حسين بن مغيرة التيمي ٨٥ ، ١٢٨ ، ٣١٣ ،
حسين بن منصور الملاح ٢٤٩
سالم بن شيان ٢٢٣
الجلواني ٣٨ ، ٣٩ .
حماس بن القيب الهمداني ٢٣٩
ابن حمدان ناصر الدولة ٢١٨ .
حمزة سبط حميد الدين ٢٢٢
حمزة الدرزي ٢٥٩ .
حمزة بن هاشم الحسي ١١٧ ، ٣١٢ ،
الحوالي ٣٥ ، ٤٨ ، ٣١٥ .
ابن حوقل ٢٢٣
ابن حيدرة ، الشريف ١٨٣
(خ)
خالد بن أبي البركات ١٦٢ .
ختكين الصيف ٢٨٥
خديجة بنت خويلد ٢٥٥
ابن خرداذبة ٢٩٢ ، ٣٥٤ .
الخرجزي ٧ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٣٥ ،
١٤٣ ، ١٦٥ ، ٢١٩ ، ٢٩٤ ، ٣٥٤ ،
المضري ١٢١

٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٧٢ ،
٣٠١ ، ٣٢٤ .
ابن حجر الحافظ المتفاني ١٧٩ ، ٢٥٣ ، ٣٥٣ .
المجربي ، القاضي محمد ١١ ، ٦٤ ، ١٨ ،
١٠٢ ، ١٥٢ ، ٣٥٤ .
حرث بن شرحبيل ١٦٤ .
ابن حزم ١٨ ، ٢٥ ، ٣٨ ، ٣٥٤ .
حسام الدولة المنتصرى ٣١٧ .
الحسام لؤلؤ ٢٩٠ .
حسن إبراهيم حسن ٥٠ ، ١٧٨ ، ٣٥٤ .
الحسن أبو محمد بن يعقوب الهمداني ١٢ ،
٢٢ ، ٤٣ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ١٩٤ ،
الحسن بن أبي الحفاظ المجوري ٢٠١ ،
٢٠٢
الحسن بن حويث : انظر الحسن بن
منصور البجلي .
حسن سليمان محمود ١٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٤ .
الحسن بن عبد المجيد بن محمد بن المنتصر ١٨٤ .
الحسن بن عمر السنجاني ١١٥ ، ٣١٢ ،
٣١٦ .
الحسن بن علي بن أبي طالب ٢٥٥ ، ٢٧٩ ،
٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣٢٤ .
الحسن بن علي بن رسول ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ .
الحسن الفرغاني ٢٥٨ .
حسن بن محمد ، ابن النساخ ٢٨٦ .
الحسن بن محمد بن أبي عقامة ٩٨ ، ١٠٧ ،
١١٢ .
الحسن بن محمد المهدي ٢٧٢ .
الحسن بن منصور البجلي ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٦١ .
الحسن بن نوح البهروزي ٧٤ ، ١٧٦ ،
٢٧٩ ، ٣٥٤ .
الحسين بن مهلهل ١٠٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ .
الحسين بن أحمد ، الإمام ٢٩ ، ٣٣ .
الحسين بن إسماعيل الأصبهاني ١٥٧ ، ١٥٨ .

- الرداح بنت الفارح ١٤٣ .
ابن رحيم : انظر هارون بن محمد بن رحيم .
ابن رسلان ١٨٤ .
الرشيد ، الخليفة العباسي ٦٤
رضوان الوزير ١٨٥ .
روب نات : انظر مولاي نور الدين .

(ز)

- زاهد علي ٢٥٦ .
زريع بن العباس ١٦٤ ، ١٩١ .
زريع بن أبي الفتح ١٥٨ .
زياد بن كعب ١٧ .
زيد بن علي ، الإمام ٢ . ٢٨ .
زينب بنت علي بن أبي طالب ١٣٣ .
ابن زينون أبو سعد منصور ٢١٣ .
ابن زيبى دحلان ٨٩ ، ٣٥١ .

(س)

- سبا بن أحمد بن شهيد بن عمد ٣٣٠ .
سبا بن أحمد الصليحي ١٠٧ ، ١٣٠ ،
١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،
١٦٥ ، ٢٣٩ ، ٣١٢ ، ٣١٦ ،
٣٣٠ .
سبا بن أبي السعود الزريعي ١٦٦ ، ١٧١ ،
١٨٩ ، ١٩١ .
ابن سبا عبد الله الصنعاني ١٥ ، ١٦ .
سبا بن يوسف البعري ٢٧٥ ، ٢٧٦ ،
٢٧٨ .
السباعي ١٧٥ .
ستروطمان ٩ ، ١٩٥ ، ٢٠٣ ، ٢٥٧ ،
٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٥٥ .
سجاج بن أبي السكر ٣١٧ .
السجستاني ، أبو يعقوب ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ،
٢٧٨ ، ٢٨٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ .

- المطاب بن الحسن المجوري ٣٨ ، ١٤٤ ،
١٩٠ ، ١٩٣ - ٢٠٤ ، ٢٠٩ ،
٢٣٠ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٦٩ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ،
٣٥٤ .

- ابن خلدون ١ ، ٧ ، ٣٥٤ .
خلف بن أبي الطاهر ١٥١ ، ١٥٢ ،
ابن خلصان ٧٤ ، ٢٥٣ ، ٣٥٥ .
ابن خلع ٣٣ .
حنفر بن سبا الأصغر ٣٠ ، ٣٦ ،
خوج بن ملك ٢٢٤ ، ٢٢٦ ،
الموفق بن الحياط ١٧٢ ، ١٧٣ .

(د)

- داود ١٤٦
داود بن ناصر ٢٢٣
دعرج بن يشكر ١٦
الدعام ١٢٧ .
ابن الديبع الشيباني ٧ ، ١٤ ، ١٠٢ ،
١٢١ ، ١٣١ ، ٣٥٥ .
ديبور ٢٥٨ ، ٣٥٥ .
دى خويه ٢٢٣ ، ٢٥٧ .

(ذ)

- الذؤيب بن موسى الوداعي ٤ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٤ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ،
٢٩٨ .
ذو يزن ٢٥ .

(ر)

- الرازي ، أبو حاتم أحمد بن حمدان ٢ ، ١٣ ،
٥٧ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،
٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٣٦٩ .
الرازي ، محمد بن زكريا ٢٥٢ ، ٢٥٩ .

- شرف على بن ملول ١٧٦ ، ٣٥٦ .
شكر الحسي ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ .
شهاب بن عقيل ٣٧ .
شهريار بن حسن ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٢ .
شمس الدين أحمد بن الإمام عبد الله المنصور
ابن حنزة : انظر أحمد بن الإمام عبد الله
المنصور .
شمس المال على بن سبا : انظر على بن سبا
الشيرازي (رسول المنتصر إلى الصليحي)
١٥٥ .
الشيرازي ، هبة الله بن موسى : انظر
المؤيد في الدين .

(ص)

- صارم الدين صاحب البسامة ٨٢ .
صاعد بن حيد ١٦٩ .
صلاح الدين بن أيوب ٢٤١ ، ٢٤٢ .
الصليحي : انظر على بن محمد الصليحي .
الصديق ، ابن منجب ٢١٣ ، ٣٥٦ .

(ط)

- ابن طرف ٢٨٣ ، ٨٤ .
طفتكين ١٢٢ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٧٨ .
ابن أبي الطافيل ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ .
طه شرف ١٨٠ ، ٣٥٦ .
طلوق بن ناسك ٢٢٧ .
الطوق الحمداني ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ .
الطيب بن الأمر ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ،
٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ،
٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ،
٣٢٤ ، ٣٣٠ .

- الطيباوي ٢٥٨ ، ٣٥٦ .
أبو عبد الله الطيب (رسول سبا إلى
المنتصر) ١٥٧ .

- الخطلي ١٢٨ ، ٣١٥ .
سد هراج جيسنج ٢٧٥ .
سعد الله (أحد رسل المنتصر للصليحي)
١٥٥ .
أبي السعود بن أسعد بن شهاب ١٠٠ ،
١٣٦ ، ١٤٨ ، ٣١٥ .
أبو السعود بن زريع ١٦٤ .
سعيد الأحول : انظر سعيد بن نجاح .
أبو سعيد الجنابي ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٦٧ .
سعيد بن سعد بن عبادة ٢١ .
سعيد بن قيس الحمداني ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ .
سعيد بن نجاح ٨٥ ، ١٠١ ، ١٢٣ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٥١ ، ٣١٠ .

- أم سعيد ٢٢ .
أبو سفيان ٣٨ ، ٣٩ .
سليمان الأبوي ٢٨٦ .
سليمان بن الحسن الحجوري ١٨٤ ، ١٩٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٣ ، ٢٦٦ .
سليمان بن صرد ٢٣ .
سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي ١٤٣ ،
١٥٧ ، ٢٣٧ .
سليمان بن داود ١٤٦ .
سليمان بن عبد الله الزواحي ٧٧ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٤ .
سليمان بن مسلم بن الزر ١٦٧ ، ١٦٩ ،
١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
سنفر ٢٨٥ .
سودان بن أبي رومان ١٦ .
سويد بن زيد الصليحي ١٥٩ .
السيد الحميري ٢٥ .
ذو السيفين : انظر أحمد بن علي الصليحي
(المكرم) .

- السيوطي ١٦ ، ١٨٥ ، ٢٥١ ، ٣٥٦ .

(ش)

- الشاورى : انظر عبد الله بن عباس المشاورى

عبد الله بن الحسين الإمام المهدي الفاطمي

٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٦ ،

٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٧٩ ،

٣٦٧ ، ٣٦٨ .

عبد الله العربي ٢٢٥ .

عبد الله النصور بن حمزة ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،

٢٩٠ ، ٢٩٢ .

عبد الله بن ربيعة ٢١ .

عبد الله بن زياد ١٨ ، ٢٣ .

عبد الله بن عبد الله أبي منصور بن أبي

الفتح ٢٨٥ .

عبد الله بن عباس ١٧٤ ، ١٩٠ .

عبد الله بن عباس الشاوري ٢١ ، ٤٩-٥٢ ،

٥٥ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦١ .

عبد الله بن علي العلوي ٢٢٣ .

عبد الله بن علي ١٧٥ ، ١٧٧ .

عبد الله بن عم ١٧٥ ، ١٧٧ .

عبد الله بن محمد الصليحي ٨٨ ، ١٠٠ ،

١٠١ ، ١٠٧ ، ١٣٥ ، ١٦٢ .

عبد الله بن ممر ١٢٨ .

عبد الله بن قبطان ٤٨ ، ٥٦ ، ٥٧ .

عبد الله بن المصوع ١٦٢ .

عبد الله بن محمد بن بشر ٥٦ ، ٥٩ .

عبد الله بن يحيى الصليحي ١٠٧ ، ١٥٤ ،

١٦٧ .

عبد الواحد بن بشارة ٣٠٥ .

عبد الواحد بن نجاح ١٦٤ .

عثمان بن عفان ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ،

٢١ .

ابن العرجي ٥٥ .

العرشي ٧٤ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ٣٥٦ .

عز الدين عثمان بن الزنجبيلي ٢٤٢ .

عز الدين محمد بن الإمام عبد الله النصور بن

حمزة ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

الفريزي ١٨٤ .

(ظ)

الظاهر لدين الله ٣٢٠ ، ٤٥٨ ، ٦٠٠ .

(ع)

عائشة بنت أبي بكر ١٧٤ ، ١٩٠ .

عاصم بن سلمان الزواحي ٧٩ ، ١٠٦ ،

١١٦ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ،

١٣٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٤ ،

١٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٢ ،

٣١٥ .

عباس بن حسين بن فضال الهمداني

البحري ١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

٢٢٦ ، ٢٦٧ .

عباس عزاوي ٢٩٥ .

العباس (عم النبي) ١٥ .

ابن العباس الداعي : انظر عبد الله بن

العباس الشاوري

عباس الغناد ٣٣ ، ٣٥٦ .

عباس بن الكرم ٧٩ ، ١٠٦ .

عبد الأعلى بن عبد الحميد ٣٠٥ .

عبد الرحمن بن عويس ١٦ .

عبد الرحيم بن إبراهيم الحواري ٢٨ .

ابن عبد الحكيم ١٥ ، ٣٥٦ ،

عبد الأعلى بن عبد القادر ٢٢٤ .

عبد الكرم خلفه ٢٥٨ ، ٣٥٦ .

عبد الحميد بن محمد بن المنتصر ١٤٢ ،

١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ،

٢٠٩ ، ٢٦٩ ، ٢٤٥ .

عبد التميم ماجند ٦ .

عبد المستطى بن أحمد بن سلمان الزواحي ١٤٧

عبد النبي بن علي بن مهدي ٢٣٨ ، ٢٤١ ،

٣٧٧ .

الصد بن نجاح : انظر سعيد الأحوال .

أبو عبد الله الشيعي ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٣٦٨ ،

عبد الله الداعي جد إدريس عماد الدين ٤ .

- ٢٨٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٣٠٩ .
 ٣١٨ ، ٣١٩ .
 أبو علي بن الفضل ٢٦٩ .
 علي بن الفضل الميثاقى الجندى المنقرى ٢٨
 ٤٩ ، ٥٧ ، ٢٤٩ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
 علي بن قتيبة ٢٥٦ .
 علي بن القم ١٥١ .
 علي بن مالك بن شهاب الصليحي ١٣٢ .
 علي بن محمد الوليد الأنف القرشى البشمى
 ٢٤٦ ، ٢٧١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٧ .
 علي بن مهدى ٣٦ ، ٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ .
 علي المؤيد ١٠ .
 علي بن يحيى بن حمزة بن وهاس ٢٠٠ .
 عمارة ٣ ، ٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠١ ،
 ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١١٢ ، ١٢٠ ،
 ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،
 ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ،
 ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
 ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧٤ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢١٨ ، ٢٣٧ ،
 ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤١ ، ٢٤١ ، ٢٣٨ ، ٣٥٧ .
 عمار بن ياسر ١٣ ، ١٦ .
 عمران بن محمد الزريعى ١٤٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ،
 عمران بن الفضل الياى ٩٥ ، ٩٦ ، ١٠٦ ،
 ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٣٦ ،
 ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ،
 ٢٧٠ ، ٢٨٧ ، ٣٠٦ ، ٣١٣ .
 عمر الدسوقى ١١ ، ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
 عمران بن مسلم بن الزمر ١٦٧ ، ١٦٩ ،
 ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ .
 عمر بن علي بن رسول ٢٩٤ ، ٢٩٧ .
 عمر بن الخطاب ١٥ .
 عمر فروخ ٢٥٨ ، ٣٥٧ .
 عمر بن الحصين ٢١ .
 عمر بن عبد العزيز ٢٤ .

- العزيز باقة ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ،
 ٢٥٧ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤ .
 المستقلانى : انظر بن حجر .
 عقيل بن أبي طالب ٣٠ .
 ابن أبي الملاء ٣٥ ، ٣٦ .
 علي بن إبراهيم بن نجيب الدولة ١٦٨ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ .
 علي بن أحمد المكرم ٢١٤ ، ٢١٦ .
 علي بن حاتم بن إبراهيم الحمادى ٣٥٣ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٣٥٣ .
 علي بن حاتم الياى ١٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ،
 ٢٧٤ ، ٢٧٧ .
 علي بن الحسين بن جعفر الأنف القرشى
 البشمى ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٨ ،
 علي بن حفظة ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ ،
 ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
 علي بن زيد بن إبراهيم ٢٤٠ .
 علي بن عبد الله بن محمد الصليحي ١٧١ ،
 ١٧٤ ، ٢٠٩ .
 علي بن ساس بن أحمد الصليحي . شمس المالى
 ١٤٧ ، ١٦٣ .
 علي بن ساجان الزواحى ١٧١ .
 علي بن سويد الصليحي ١٢٨ .
 علي بن محمد الصليحي ٤٩ ، ٥٨ ، ٦٠ ،
 ٦١ ، ٦٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٦٢ ،
 ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
 ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ،
 ٢٦١ ، ٢٦٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠٢ ،
 ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٧٠ .
 علي بن أبي طالب ٤ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ،
 ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٦ ،
 ٢٧ ، ٢٧٧ ، ٢٠٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ،

- عمر بن الرجل الحنفي ٦٥ .
عمرو بن أبي أراكا ٢١ ، ٢٢ .
عمرو بن عامر ٢٨٢ .
عمرو بن عرفطه الجني ١٦٣ ، ١٦٨ ،
١٧١ .
عمرو بن يحيى الهبشي ٦٧ ، ٦٩ ، ٩٦ ،
٩٨ ، ١٠٣ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٦ ،
١٣٤ .
عمرو بن العاص ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٨٨ .
عنتر بن غشم ٩٦ ، ٣٢٦ .
عيسى بن المادل الأيوني ٢٩٤ .
عيسى بن موسى ١٣٣ .
عيسى النوسري ٤٠ .
الصبي ٣٨ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٨٥ ، ٣٥٧ .

(ق)

- القاسم بن جعفر الرنسي ٨٢ ، ١٢٠ ،
١٢٧ ، ٣١٤ ، ٣١٥ .
القاسم بن عبد العزيز ١٧٦ .
أبو القاسم . انظر مصور العين .
أبو القاسم بن أبي النور ٣١٧ .
قاسم بن يحيى الشريف ٢٤١ .
القاضي الرشيد : انظر أبو الحسن القاضي
القائم العباسي ٨٤ ، ٩٤ .
القائم بن المهدي القاضي ٥٢ ، ٢٥٦ ،
٣٢٤ .
ابن قتيبة ٢٢ ، ٣٥٧ .
القلقشندي ٣٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٣٥٨ .
القسي (ابن القم) : انظر الحسين بن علي القسي
قونس ١٨٤ .
قيس بن أحمد الصليحي ١٥٢ ، ١٥٤ .

(ك)

- كاكا أكيل ٢٢٥
كاكا أكيل ٢٢٥
الكامل الأيوني ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ،
٢٩٣ ، ٢٩٤ .
كاي ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٦٣ ،
٦٩ ، ٧١ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ .

(غ)

- أبو العارات بن مسعود ١٦٤ .
غانم بن يحيى بن حمزة الشريف ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
الغزالي ٢٦٠ ، ٢٩٠ .
الغفازي أبو ذر ١٣ .
غوثيه ٢٥٣ .
غوست ٢٥٣ .
غولد نصير ٢٨٨ ، ٢٩٠ .
غويدي ٨٤ .
غيب ٣٥٧ .
أبو الفيت بن سامر ١٧١ .

(و)

- الفاكك بن جياش ١٥١ .
فاطمة بنت أحمد المكرم ١٧٤ ، ١٦٣ .
فاطمة الزهراء ٢٦ ، ٣٥٥ ، ٣٠٩ .
الفارابي ٢٦١ .
القاسي ٩١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
الفاكهي ١٠١ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ٣٥٧ .
القائر القاضي ١٨٢ .
فتح بن مفتاح ١٦٧ .
فتوح الشامي ٩٧ .

٢٤٧ ، ٢٤٥ ، ٢٢٥ ، ٢٢٤
٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦١
٢٧٢ ، ٢٦٨ ، ٢٦٦ ، ٢٦٥
٣٧١ ، ٣٥٩ ، ٢٩٨ ، ٢٧٨

المبرد ١٨ ، ٣٥٩ .

مارك بن منقذ سيف الدولة ٢٤٢

التنفي ٦٦

التوكل الخليفة العباسي ٢٨

ابن المهور ٢٨ ، ٢٥٩ .

عبد الدين الخطيب ١٩ ، ٢٠ ، ٦٤

أبو المحاسن ٩٢ ، ٣٥٩ .

المحسن بن الحسن ٢٣٧ ، ٢٤٠

المحسن بن أبي الفضل بن محمد ٣١٩

ابن محفوظ ٢٤

محمد بن إبراهيم بن نصر ٢٨٩

محمد بن إبراهيم الصليحي ١٢٨

محمد بن أحمد الأحمري ٢٨٤

محمد بن أحمد المكئي سعيد الخيزر (أبو علي

الحكيم) ٣١

القاضي محمد ، والد علي الصليحي ٦٤ ، ٦٥

محمد بن أحمد بن العباس الشاوري ٥٦ ، ٦٠

محمد بن أحمد بن علي الصايحي ١٤٧ ، ١٤٩

١٥٦ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢١٧

محمد بن أحمد بن عمران الياحي ١٧١ ، ١٧٤

٣٠٩

محمد بن الأزدي ١٧٣

محمد بن إسماعيل الإمام المستور ٢٥٥ ،

٣٢٢

محمد بن أبي بكر ١٥

محمد بن جعفر ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٠ .

محمد جمال سرور ٨٨ .

محمد الحبيب والد عبيد الله ٣٨ .

محمد الحجري : انظر الحجري القاضي محمد .

محمد حسن ١٤٦ .

محمد بن حسن (رسول الصليحي إلى المستنصر)

١٧٥ ، ١٧٧ .

١٤١ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ،

١٥٢ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ،

١٧٤ ، ١٧٣ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ،

٢١٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٣٣١ ، ٣٥٨

الكبيسي ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ١٩٢ ،

١٤١ ، ٣٥٨ .

ابن كثير ٤ ، ١٣ ، ٣٥٨ .

كنانة بن بشر ١٦

ابن كدينه ٢١٣

كرارس ٢٥١ ، ٢٥٩

الكرماني ، أحمد حيد الدين ٢٤٥ ، ٢٥٢

٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٣٥٨ .

كرانوف ٢٥٨

الكلائي ، أبو إسماعيل ١٢٨ ، ٣١٣

الكندي ١٦ ، ١١٠ ، ٢٥٣

كونس ٢٧٠

(ل)

ملك بن مالك ٧٩ ، ١٧٠ ، ١٧٦ .

١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ٢١٦ ،

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،

٢٦٨ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠

لوبس برنارد ٣٧ ، ٣٥٩ .

(م)

مارغليوس ٢٦٢

مالك الأشتر النخعي ١٨ ، ١٩ .

مالك بن شهاب الصليحي ١١٣ ، ١١٨ .

١٢٣

مالك بن نجاح ١٣١

المأمون البطائحي ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ .

٢٣٠

المأمون العباسي ٢٨

المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي

١١١ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .

محمد بن أبي حذيفة ١٦ .
محمد بن أبي زياد ٢٨ ، ١٦٦ .
محمد بن سبا الزحبي ٢١٩ ، ٢٤١ .
أبو محمد -رور (من قواد الخليفة) ٢٠٠ .
محمد بن طاهر الحارثي ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
محمد بن عبد الله بن العباس ٣٨ .
محمد بن أبي العرب ١٦٩ .
محمد العفيف الوزير ٢٨٧ .
محمد بن علي (رسول الصليحي إلى المنتصر)
٣٠٠ ، ٣٣٠ .
محمد بن علي بن أبي زيد ٢٧٢ .
محمد الأعز بن علي الصليحي ٩٥ ، ٩٦ ،
١١٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
محمد علي الهمداني البعري ٢
محمد بن عبد الله (النبي) ١٨ ، ٢٦٠ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٧٧ .
محمد بن علي اليايى ١٢٠ .
محمد بن عليه ١٢٢ .
محمد بن غفارى ١٥٢ .
محمد كامل حسين ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٣٠ ،
١٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٩ .
ماضى ، محمد عبد الله ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٥ .
الحامدى ، الفقيه محمد بن مالك ٧ ، ٢٩ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٩ .
٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ .
محمد بن مالك بن شهاب الصليحي ١٣٢ .
محمد مصطفي حلى ٢٦٠ .
محمد بن منصور بن الفضل ٢٨٦ .
محمد بن مهنا الصليحي ١٥٢ .
محمد بن جعفر ٣٤ .
محمد أبو الخير بن يوسف ٣٠١ .
محمود الفزنوى ٢٢٤ ، ٢٢٩ .
المختار ١٨ ، ٢٣ .
باخرمة : ٧٤ ، ٨٥ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ،
١١٢ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ،
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٣٥٩ .
مدافع بن الحسن الجنبى ١١٥ ، ١٢٠ ،
٣١٢ ، ٣١٦ .
مدرك بن بشر بن حاتم اليايى ٢٩١ ، ٢٩٣ .
ابن مدين ١٨٤ .
مرجان ٦٥ .
مرزبان بن إسحاق ٢٢٤ ، ٢٢٧ .
مروان بن الحكم ٢٣ .
المتعل بن المنتصر الخليفة الفاطمى ٤ .
١٧٨ ، ١٨١ ، ٢١٧ ، ٢٩٦ ،
٣١٩ ، ٣٢٤ .
المنتصر بالله الخليفة الفاطمى : ٢ ، ٤ ، ٦ .
٦٠ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ،
٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ٩٧ ، ١٠٠ ،
١١١ ، ١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ،
١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ،
١٥٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٢١٢ ،
٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٣٠ ، ٢٤٥ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ،
٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨ ،
٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٥٩ .
المعود بن الكامل الأيوبي ٢٨٦ ،
٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ .
مسعود بن الكرم الهمداني ١٦٤

محمد بن أبي حذيفة ١٦ .
محمد بن أبي زياد ٢٨ ، ١٦٦ .
محمد بن سبا الزحبي ٢١٩ ، ٢٤١ .
أبو محمد -رور (من قواد الخليفة) ٢٠٠ .
محمد بن طاهر الحارثي ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ،
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٥٣ .
محمد بن عبد الله بن العباس ٣٨ .
محمد بن أبي العرب ١٦٩ .
محمد العفيف الوزير ٢٨٧ .
محمد بن علي (رسول الصليحي إلى المنتصر)
٣٠٠ ، ٣٣٠ .
محمد بن علي بن أبي زيد ٢٧٢ .
محمد الأعز بن علي الصليحي ٩٥ ، ٩٦ ،
١١٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ،
٢١٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٥ .
محمد علي الهمداني البعري ٢
محمد بن عبد الله (النبي) ١٨ ، ٢٦٠ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٧٧ .
محمد بن علي اليايى ١٢٠ .
محمد بن عليه ١٢٢ .
محمد بن غفارى ١٥٢ .
محمد كامل حسين ٩ ، ١٠ ، ١٦ ، ٣٠ ،
١٨٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٣ ،
٢٥٥ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٥٩ .
ماضى ، محمد عبد الله ٢٥ ، ٣٧ ، ٥٥ .
الحامدى ، الفقيه محمد بن مالك ٧ ، ٢٩ ،
٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ،
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٨ ،
٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٩ .
٢٣٥ ، ٢٤٩ ، ٣٥٤ .
محمد بن مالك بن شهاب الصليحي ١٣٢ .
محمد مصطفي حلى ٢٦٠ .
محمد بن منصور بن الفضل ٢٨٦ .
محمد بن مهنا الصليحي ١٥٢ .

الكتاب بن إبراهيم بن عبد الحميد السباعي
٥٦ ، ٥٥
منصور بن فانك ١٦٣
النصور العاطمي ٤ ، ٥٩ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ،
منصور بن محمد اليامي ١٢٠ ، ٣١٣ .
منصور بن الفضل بن أبي بركات الجعري
١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٠٩ ، ٢٤٤ ، ٢٤١
منصور بن الفلح ٢٠٠
منصور التين ٣ ، ٥٤ ، ٦ ، ١٢ ، ١٤ ،
٢١ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ،
٢٩ ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ،
٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ،
٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ،
٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ،
٥٩ ، ٦٨ ، ٧١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
النصوري ٣٨ ، ٣٣ ، ٣٦٠ .
المهدي العاطمي : انظر عبد الله بن الحسين
مهدي بن علي ٢٣٩
مهنا بن علي الظفر بن الصليحي ١٠١
موسى بن أبي حذيفة ٣١٢
موسى بن علي بن رسول ٢٩٤
الموفق بن علي بن محمد الصليحي ١٠٠ .
٢٣ ، ٣٠٢
مواهب بن حديد المعزي ١٦٥
ابن ميسر ١٧٣ ، ٣٦٠ .
ميونة بنت علي الصليحي ٢١٦

(ن)

الناصر بن أحمد المتضي ، العباسي ٢٤١
ناصر الدواة بن حمدان ٩٧ ، ٣٧٠
الناصر أبو الفتح الديلمي ٨٢ ، ٨٣ .
٢٣٦
الناصر بن طفتكين ٢٨٥ ، ٢٨٦
نجاح العبدي ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٢١٨

المسعود ٢٤
مسلم بن الزر ١٦٧
مشرفة ١٧٩
المشرح فارس ذي رعين ٢١
مصطفى السقا ١١
مصعب بن الزبير بن العوام ١٣٣
الملك الظفر : انظر علي بن محمد الصليحي
الظفر بن حاج ٢٧
الظفر بن زياد ١-٣
معاذة بنت علي بن الفضل ٤٨
معاوية بن أبي سفيان ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ،
١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
معد بن أبي تميم : انظر الخليفة
المنصور .
أبو الملاء المعري ٢٦٢
المزدي بن الله الخليفة العاطمي ٥ ، ٥٣ ، ٥٥ ،
٥٩ ، ٢٢٣ ، ٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ،
٣٢٤
معز الدين النزنوي ٢٢٤
معن بن حاتم ٢٣٩
للفضل بن أبي البركات الجعري ١٥٤ ،
١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ٢٠٩ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦
مفضل بن الزريع ١٦٩
مفلح المانكي ٢٠٠
المقتداد ١٣
المقريزي ١٦ ، ١٤٩ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ،
٢٢٠ ، ٣٥٩ .
المسكني العباسي ٣٩
المسكرم : انظر أحمد بن علي الصليحي
ابن أبي الملاح ٢٨
المسكة السيدة الحرة : انظر أروى بنت أحمد
من الله المانكي ١٧٠ ، ٢٠٠

ابن هند : انظر معاوية بن أبي سفيان
الهمم ، ابن آخر منصور الجين ٣٨ ، ٢٢٣

(و)

وهب بن منبه ٢٤٠

(ي)

اليازوري ، أبو محمد علي بن عبد الرحمن
١٧٩ ، ٢٠٣

أبو بكر الياقبي ١٦٦

ياقوت ٢٦٢ ، ٢٨٥ ، ٣٦٢ .

يحيى بن إبراهيم الصغارى ٨١
يحيى بن أحمد بن الحسين المارونى الديلمى
٢٣٧

يحيى بن أبي حاشد ٨٢

يحيى بن الحسين صاحب الأنباء ٧ ، ٣٦ ،
٤٢ ، ٣٦٢ ، ٣٦ ، ٣١ ، ٤٢ .

يحيى بن حمزة بن وهاس ١٥٢ ، ١٥٣ ،
٢٣٧

يحيى حميد الدين ، الإمام المتوكل على الله ٢٥١
يحيى بن ملك ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ،
٢٦٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ، ٢٩٨

يزيد بن عيسى الوائلى ١٦٧

يزيد بن معاوية ٢٣

يوسف بن عبد الرحيم الحوالى ٢٨

يوسف بن الكرندى ١٢٨

يعقوب التي ٣٢٤

يوسف بن أحمد بن الأشج ٥٧ ، ٦٠

يوسف بن حنين الضمرى ٣٠٦

يوسف بن زائد النعناعى ٣١٢

يوسف بن محمد ٩٦ ، ٣٠٥

يوسف بن موسى بن أبي الطيفيل : انظر
ابن أبي الطيفيل

يوسف التى ٢٥٦

نجم بن بشارة ١٣٨

ابن نجيب الدولة : انظر على بن إبراهيم

نجيب بن غفر ٩٦ ، ٣٠٥

ابن النديم ٢٥١ ، ٣٦٠ .

ابن النساخ : انظر حسن بن محمد

النفسي ، الشيخ محمد بن أحمد ٢٤٥ ،

٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢ ، ٢٦٩

نسلان ١٨٤

نصوان الجبىرى ١٢ ، ١٧ ، ٢٧ ، ٤٤٢ ،

٤٨ ، ٧٨ ، ٣٦٠ .

نظام الملك ٢٥١

النعمان ، القاضي ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ،

٤٠ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٢٢٣ ،

٢٤٥ ، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ،

٢٦٠ ، ٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٣٦٠ .

نعم الشاعر الغلالى ١٥٥

نفس ٦٥

النوشرى : انظر عيسى النوشرى

النورى ١٨ ، ١٨٥ ، ٢١٧ ، ٣٦١ .

نور الدين مولاى ، رواب نات ٢٢٥

(ه)

هارون بن محمد بن رحيم ٥٦ ، ٦٠ ، ٦١

هارون بن محمد بن قيس ٢٥٢ ، ٣٠١

الهادى ، الإمام يحيى بن الحسن الرسى

٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨

ابن هانئ ٢٥٦

ابن هبالة ١٣٨

هزار اللوك ١٨٥

ابن هشام ، صاحب الديره ١٣ ، ١٠٥ ،

٣٦١ .

هشام بن التيب المهدانى ٢٣٩

أم همدان بنت أحمد المكر- الصليحي ١٤٧

القبائل

- | | |
|---|--|
| <p>(خ)</p> <p>خولان ٢٥ ، ١٦٥ ، ١٩٠ ، ٢٤٠ ، ٣١٢ .</p> <p>(ذ)</p> <p>ذواوات ٨٤ .</p> <p>(ر)</p> <p>ربيعة ١٦ .
آل رسول ٢٤ ، ٢٩ .
ذورعين ٢١ ، ٢٥ ، ٩٤ ، ١١٧ ،
١١٨ ، ١٢٧ ، ١٢٧ ، ٣١٥ .</p> <p>(س)</p> <p>سبأ (سبا) ٨٤ ، ٢٢٨ .
بنو سامان الأشراف ٢٤٠ .
سندحان ١٦٣ ، ١٧٠ ، ٣١٦ .
سهرت ٨٤ .</p> <p>(ش)</p> <p>شاكر ١٧ .
بنو شهاب ٧٨ ، ٨١ ، ٢٧٥ .
بنو شيبة ٩١ ، ٢٢١ .</p> <p>(ص)</p> <p>صحرا ٨٤ .
بنو صعب ١٢٨ .
بنو الصليحي ١٤٦ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ،
٢٤٠ ، ٢٠٠ .</p> <p>(ط)</p> <p>بنو الطيب الحسينيون ٩١ .</p> | <p>(أ)</p> <p>أد ١٣٣ .
الأزد ١٦ ، ١٣٣ .
الأشمرون ١٩ .
بنو أصبح ٦٣ .
بنو الأصلوح : انظر بنو الصليحي .
بنو أمية ٢٣ .
بنو أيوب ٢٨٧ ، ٢٩٢ .</p> <p>(ب)</p> <p>بكيل ٦٣ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣١ ،
٣١٣ .</p> <p>(ث)</p> <p>ثقيف ١٨ .</p> <p>(ج)</p> <p>بوجبير ١٢٧ .
جشم ١٩١ .
جنب ١٢٣ ، ١٣٠ ، ٢٧٦ ، ٣١٦ .
جبيبة ١٦ .</p> <p>(ح)</p> <p>بنو حاتم الممدانيون : ١٢ ، ١٩ ، ٢٨٢ ،
٢٨٤ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .
بنو الحارث ١٢٨ .
حاشد ١٧ ، ١٢٧ ، ١٧٤ ، ١٩٤ .
حجور ١٩٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .
بنو حسن ٩٠ .
حرت ٨٤ .
حمير ٢٨ ، ٣٥ ، ١١٦ ، ١٣٠ ،
٢٢١ ، ٢٣٦ ، ٢٧٣ ، ٣١٢ .</p> |
|---|--|

- . بنو موسى ٣٢ .
- . العافر ٢٨ ، ٨٥ .
- . مذحج ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ١٢٨ .
- . بنو محرز ٢٧١ .
- . بنو معين ٢٢٧ .
- . بنو مهدي ٢٤٢ .

(ن)

- . بنو نجاح أو النجاشيون ١٧٠ ، ٢٠٠ ،
- . ٢٠١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ .
- . النخع ١٨ .
- . نهد ١٢٣ .
- . نهم ١٧ .

(هـ)

- . بنو الهادي ٢٤٠ .
- . بنو هبرة (آل هبرة) ٢٧٤ .
- . بنو الهجرى ٧٩ .
- . همدان ٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢١ ،
- . ٢٥ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
- . ٨٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣٧ ،
- . ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٩٠ ، ٢١٤ ،
- . ٢٢١ ، ٢٣٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ،
- . ٢٧٧ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩١ ،
- . ٢٩٥ ، ٣١٢ ، ٣١٦ .

(و)

- . بنو وائل ٦٢ .

(ى)

- . يام ١٧ ، ١٢٣ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٧٤ .
- . يحصب ١٧ ، ٣٧ ، ١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
- . ١٢٧ ، ١٢٨ ، ٢٨٤ ، ٣١١ ، ٣١٥ .
- . اليعابر أو بنو يعبر و ١٩٥ ، ٢٧٦ .
- . يعرب ١٣٣ .
- . اليعافر أو بنو يعفر ١٢ ، ٢٨ ، ٣٥ ، ٥٦ .

(ع)

- . بنو عبد الواحد ٦٣ .
- . عيس ٣١١ .
- . بنو عجيل ٧٥ .
- . بنو العرجى ٣٤ ، ٥٤ .
- . بنو عشب ٥٥ .
- . عك ١٥ ، ١٩ .
- . عنس ٨٢ ، ٩٤ ، ١١٣ ، ١٢٧ ، ١٦٣ ،
- . ٢٧٦ ، ٣١١ ، ٣١٥ .

(غ)

- . غافق ١٥ .
- . بنو غسان ١٢١ .

(ف)

- . بنو فطيمة ٢٥ .

(ق)

- . بنو القاسم المياني ٢٤٠ .
- . قضان ١٢٦ ، ١٣٣ ، ١٧٤ .
- . قدم ٥٦ ، ٦٠ .
- . قريش ١٣٣ .
- . بنو قليد ٧٤ ، ٧٩ .

(ك)

- . كتامة ٣٩ .
- . بنو الكرندي ٦٢ ، ٦٦ ، ٨٢ .
- . كدة ١٧ ، ١٩ ، ٧٨ .
- . ذوكلاخ ٢٥ .
- . كهلان ٧٨ ، ١٧٤ .

(ل)

- . لحم ١٦ ، ١٧ .

(م)

- . بنو مالك ١٨ .
- . بنو معن ٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٦٤ .

الأماكن والبلدان

- . البنجاب ٢٢٣
- . بيت ردم ٢٧٥
- . بيت ريب ٣٤
- . بيت عناد ٧٩
- . بئر الغزب ٢٩٠
- . البيض ، مخاليف ٣٥
- . بينون ١٢٨

(ت)

- . الزركتان ٢٥٢
- تفر ٨٨ ، ١٦٢ ، ١٦٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٩٤
- . التسكر ٤٨ ، ٨٨ ، ١٠٧ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣١١ ، ٣١٣
- . تهامة ٤٤ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٥ ، ١١٦ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ٢٠٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ، ٢٤٠
- . تهامة الشام ٢٤٠
- . التهاميم ٦٢
- . التوار ٤٨

(ث)

- . الثلاث ٤٣
- . تلا ٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٩٠

(ج)

- . الجالد ١١٧
- . ذى جلة ٨٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٣

- . إسكندرية ١٦
- . أسوان ٢١٨
- . آسيا الصغرى ٢٢٨
- . أسبوط ١٦
- . إب ٣٦ ، ٢٤١
- . آين ٣٥ ، ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٦
- . الأحساء ١٣٤ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢
- . أحمور ٨٦
- . الأخرج ١٩٤
- . أرحب ١٧ ، ١١٧ ، ١٢٧
- . أشيخ ١٠٧ ، ١٣٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ٢٤٠
- . إفريقية ٢٢٣
- . أم الدهيم ١٢٩

(ب)

- . باب المصرع ٢٢
- . باريس ١٩٥
- . بتاح ٧٩
- . البحرين ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٦٢ ، ٢٣٢
- . بخارى ٢٥١
- . برع ٦٣
- . البصرة ١٦ ، ٢٢
- . بعدان ٣٦ ، ٦٣ ، ٨٥
- . بغداد ٢٩ ، ٣٧ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٧٦ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
- . بلاد الجزيرة ٢٢٩
- . بلاد ما وراء النهر ٢٢٨
- . بلوخرستان ٢٢٣
- . بنت ٢٢٧

- خراسان ٢٥١ .
المضراء ٦٣ ، ١٦٤ .
خنوة ١٦٦ .

(د)

- دار شحار ٨٨ .
الدكن ٢٢٤ ، ٣٢٥ ، ٢٢٦ .
دلال ٣٦ .
دمشق ٢٥٨ ، ٢٩٤ .
الدملوة ٨٥ ، ٢٣٩ .
دهلك ٨٦ ، ١٢٣ .
دهن كام ٢٢٥ .
دهوان ٦٣ .

(ذ)

- ذخار ٣٥ .
ذمار ٢٨٤ ، ٢٨٧ .
ذمرمر ٣٣٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٩٢ .
ذى أشرق ١١٩ ، ٢٤١ .
ذيان ١٢٧ .
ذى سفال ١١٩ ، ١٦٢ .
ذى عدينة ٢٣٩ .

(ر)

- رداع ٨٢ .
الرس ٢٥ .
الرى ٢٥١ ، ٢٧٢ .

(ز)

- زبار ٨٠ .
الزرائب ٨٣ .
زبيسد ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٦٢ ،
٦٣ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٥ ،
١٠١ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢٢ .

- ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ .

- الجرىب ١٩٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .
الجل ١٨ .

- جبل الجيمة ٣٤ .
جناية ٤٥ .

- الجند ٢١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ،
١٠٧ ، ١١٣ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٨٤ .

- الجوحب ٢٧٥ .
الجوف ٢٨٥ .
الجوفين ٢٣٧ .

(ح)

- حب ٦٣ ، ٨٥ ، ١٣٥ ، ٢٣٩ ،
حجاز ٣ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٨٨ ،
٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٤ ، ١٣٢ ،
٢٢١ ، ٢٣٢ .

- حراز ٦٥ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ،
٧٨ ، ٨٩ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ،
١٠٥ ، ١١٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ،
١٣٠ ، ١٧٥ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ،
٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٧ ،
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٢ .

- الحرف ٤٣ .
حضموت ٣ ، ٦٣ ، ١١٤ ، ٢٣٢ .
حضور ٧٩ ، ٨١ ، ١١٥ .
الحطيب ٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

- الحلى ٩٣ .
الحمراء ١٢٨ .
حضة ٢٧٦ .
حلان ١٢٨ .
حيس ٦٥ .

(خ)

- خدد ١٠٧ ، ١٣٠ ، ٢٠٤ .

- الشرف ١٥١ .
- شعاف ٢٧٥ .
- الشعر ٦٣ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ،
- ٣١٧ .
- شهادة ٢٤٠ .
- الشواقي ٨٥ ، ١٢٨ .

(ص)

- صبر ١٦٨ ، ٢٤١ .
- صيهاب ٢٨٤ .
- صعدة ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٢ ، ٧٨ ، ٨٢ ،
- ٨٣ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ .
- صفغان ٧٤ ، ٧٥ .
- صفين ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ .
- صفلية ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
- صنعا ٣ ، ١٤ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤ ،
- ٢٨ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٤ ،
- ٤٦ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨١ ،
- ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ،
- ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
- ١٠٦ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ،
- ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ،
- ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
- ١٣٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٥ ،
- ١٨٥ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ،
- ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ،
- ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ،
- ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٧ ،
- ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
- ٣١٦ ، ٣١٥ .
- صوف ٨١ .
- الصومال ٢٢٧ .
- صيد ٣١٦ .
- الصين ٢٢٩ .

- ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ،
- ١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
- ١٦٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٠٠ ،
- ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٢ ،
- ٢٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ،
- ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ .

(س)

- الساعد ١٣٢ ، ١٣٣ ، ٢٠٠ .
- السبخة ٦٥ ، ٢٩٠ .
- سحار ١٩٩ .
- السجول ٤٧ ، ٦٣ ، ٨٥ .
- السراة ٦٥ .
- سرو يافع ٣٤ ، ٤١ .
- سلبه ١٣١ .
- سمارة : انظر ثقيل صيد .
- السمدان ٦٢ .
- السند ٣٨ ، ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٢ ،
- ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٩٢ .
- سورية ١٧٨ .
- السيان ٢٠٦ .
- سيلان ٢٢٤ .

(ش)

- شاذج ٦٣ .
- شاذكر ١٣١ .
- الشام ٢٣ ، ٢٤ ، ١٣٤ ، ١٧٤ ،
- ١٨٩ ، ١٩٤ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ،
- ٢٦٢ ، ٢٦٢ .
- شيبام ١٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٧ ،
- ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٩ ،
- ٢٧٥ .
- الشحر ٦٣ ، ١٣٤ .

غلافقة ٣٢ .

القمند ٦٣ ، ١٢١ ، ٣١٠ .

(ف)

فارس ١٧٧ ، ١٧٨ ، ٢٣١ ، ٢٦٢ ،
٢٦٦ .

فرنسا ٢٢٩ .

(ق)

القادسية ٣٢ .

القاهرة ٢ ، ١١ ، ١٦ ، ١٤٢ ،

١٧٦ ، ١٧٩ ، ٢٢٧ ، ٢٥٧ ،

٢٦٣ ، ٢٧٠ .

قناب ٢٠٥ .

قتر ٦٥ .

قصابه ٥٥ ، ٥٦ .

قوارير ١٥١ .

القيروان ٢٦١ .

قيضان ١٦٣ ، ٢٠٩ ، ٢٤٠ .

(ك)

كحلان ٣٥ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ،

١٢٧ ، ٣١٢ .

كرار ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ١١٩ ، ٢٧٦ ،

كرمان ٢٦٦ ، ٣٧٢ .

الكظام ١٣٨ ، ١٥١ .

الكعبة ٣٠ .

كبيات ٢٢٥ .

كوكبان ٣٥ ، ٥٨ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،

٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

الكوفة ١٦ ، ١٨ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٣٢٢ .

(ل)

لاعة ١٢٨ .

لحج ٢٥ ، ٣٥ ، ٦٣ ، ٢٨٤ .

لهاب ٨٢ ، ٨٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٧٥ ،

٢٧٥ ، ٢٧٦ .

اللومي : ١٢٨ .

لؤلؤة ٢٧٤ .

(ط)

طبرستان ٢٥١ .

طبرية ١٣٠ .

(ظ)

الظاهر ٢٣٧ ، ٢٢٤ .

الظرف ١٥١ .

ظفار ٢٢٧ ، ٢٨٥ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

الطلامة ٤٥ .

الطهرة ٢٧٥ .

(ع)

عبري سهام ٧٥ ، ٧٨ .

عمرى دعاس ٨٠ ، ٨١ .

عمر محرم ٣٣ ، ٣٤ ، ٥٤ .

عثر ١٤٠ .

عراس ٧١ .

العراق ١٨ ، ١٠٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ،

١٩٤ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ .

العريقة ٢٠٠ .

العروس ٢٨٤ .

عدن ٣ ، ١٨ ، ٢٥ ، ٦٣ ، ٨٥ ،

٨٦ ، ١٣٠ ، ١٤٢ ، ١٦٤ ،

١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٢٩ ، ٢٣٩ ،

٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٨٤ .

عدن أبين ١٣ ، ١٤ ، ٢٥ .

عدن لاعة ٣١ ، ٣٢ .

جبل ببي عشب ٥٥ .

عصر ٢٩١ ، ٢٩٣ .

عكاد ٨٤ .

المسكوتان ٨٤ .

عمان ٢٧ ، ٥٥ ، ١٤٨ ، ١٨١ ،

٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٢ .

العنبرة ٢٣٦ ، ٢٣٨ .

عين الوردة ٢٣ .

(غ)

غجرات (البنجاب) ٢٢٣ .

غجرات (غرب الهند) ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

- المنجل ٢٤ .
- المهجم ٧٦ ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٥ .
- ٢٣٤ ، ١٦٢ .
- المهدية ٥٣ ، ٢٦١ .
- الموصل ٢٢٨ ، ٢٩٠ .
- مدين ٢٧٢ .

(ن)

- نجد ١٣٤ .
- نجد الجاح ٨٢ .
- نجران ١٣ ، ٧١ ، ٢٢٧ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ .
- نقيل ٤٧ .
- نقيل صيد ١٣٠ ، ١٣١ ، ٢٠٦ .
- نهر الحازن ٢٣ .
- نقيل العجيب ٣٢ .

(هـ)

- الهجر ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٣٢ .
- الهرباء ٣٢ .
- هران ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ٣١١ ، ٣١٢ .
- الهند ٢ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٢ .
- ١٨١ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
- ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
- ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٤٣ .
- ٢٥٠ ، ٢٦٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ .
- ٢٩٠ ، ٣١٨ .

(و)

- وادي ١٧ .
- وادي عين ٢٤٠ .
- وادي نخلة ٦٣ .
- وحاطة ٦٣ .
- وصاب ٦٣ ، ١٥١ .

(ي)

- بلاد ياقم ٣٣ .
- يثرب ١٣٤ .
- يزد ٢٧٢ .
- يريم ٢٠٦ .
- يقوز ٦٣ .
- اليام، ٢٧ ، ٣٨ .
- اليونان ٢٤٧ .

(م)

- مايه ١٣١ .
- ما وراء النهر ٢٢٨ .
- مشوه ٩٥ .
- ميجج ٧٤ ، ١١٩ ، ٢٧٦ .
- مخالف البيض : انظر البيض
- المخلاف : انظر مخلاف جعفر
- مخلاف جعفر ٣٦ ، ٦٢ ، ٦٦ ، ١١٩ .
- ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ٢٨٤ .
- مخلاف الجند ٦٢ .
- مخلاف بني طريفة ٣٢ .
- مخلاف يربوع ٦٣ .
- المدينة النورة ١٣ ، ١٤ ، ٢٢٨ .
- الذيغرة ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٨ .
- مسار ٦٣ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٥ .
- ١٠٥ ، ١٩٦ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٤٢ ، ٣١١ .
- مسور ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ١٢٨ ، ٣١١ .
- مصر ٥ ، ٦ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٤ ، ٢٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥١ .
- ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ .
- ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٢٠٩ ، ٢١٨ ، ٢٢١ .
- ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ .
- ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٥٨ ، ٢٦١ .
- ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
- المنرب ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٠ .
- القائمة ٧٤ .
- مقر ١٥١ .
- مكة ٢٢ ، ٢٥ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٨٧ .
- ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .
- ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٧٥ .
- ٢٢٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٩ .
- متنان ٢٢٣ ، ٢٢٤ .
- الملوى ١١٧ ، ١١٨ .
- منك ٣٧ .

محتويات الكتاب

ح	تقديم
ز	تصدير بقلم الأستاذ مصطفى السقا
س	الإهداء
ف	رموز واصطلاحات
١	مقدمة المؤلف
١٢	الباب الأول : حركة الشيعة في اليمن قبل ظهور منصور اليمن
٢٧	الباب الثاني : الدولة الفاطمية الأولى في عهد منصور اليمن
٤٩	الباب الثالث : الدعوة بعد منصور اليمن حتى ظهور الصليحي
٦٢	الباب الرابع : عهد الملك علي بن محمد الصليحي
١١٣	الباب الخامس : عهد الملك المكرم أحمد الصليحي
١٤٢	الباب السادس : عهد السيدة الحرة الملكة أروى بنت أحمد الصليحية ...
٢١٢	الباب السابع : العلاقات بين الدولتين الفاطمية والصليحية مظاهرها وآثارها
٢٣٢	الباب الثامن : أسباب ومظاهر سقوط الدولة الصليحية
٢٤٣	الباب التاسع : آداب الدعوة الفاطمية ونحوها إلى اليمن
	الباب العاشر : دعوة اليمن ونشاطها المعنى من أواخر عهد الملكة الحرة
٢٦٨	إلى ظهور دولة آل رسول
٢٦٨	قسم اللاحق
٣٣١	قسم الجداول
٣٤٩	قائمة المصادر
٣٦٧	ضميمة : تعليقات الدكتور عباس الهمداني

- ٣٧٣ اليمين : مصور تقريبي رسمه الدكتور حسن سليمان محمود
- ٣٧٥ الفهارس رتبها الدكتور حسن سليمان محمود
- ٣٧٧ الأعلام
- ٣٩٠ القبائل
- ٣٩٢ الأماكن والبلدان
- ٣٩٧ تصويب
- ٤٠١ محتويات الكتاب